

مجموع البجديين

للشيخ ناصيف اليازجي

دار صادر
بيروت

مجمع البحرين



الشيخ ناصيف اليازجي ومجمع البحرين

في مستهل القرن التاسع عشر المنصل بمصر الانحطاط وتفشي الرطانة في كل قطر عربيّ قام في لبنان جماعة حرصوا على اللغة العربية وآدابها فراحوا يتلقفونها ويتدارسون ما وقع لهم من كتب مخطوطة أو مطبوعة في أوروبا أو الآستانة يحيون آثار ما اندثر من نتاج أفكار العلماء والأئمة الأفاضل ، وما زالوا يقلّدونهم ويترسّون على منوالهم حتى استقامت لهم اللغة ودانت لهم البلاغة ، فشرعوا ينظمون وينثرون ، فأرجعوا إلى الضار ووعتها وبيانها بأسلوب لا يخلو من السجع المملّ أحياناً ، إلاّ أنه يترفّع عن الرطانة وضعف التركيب ، وطريقتهم هذه المسجّعة قد حرصت على مفردات اللغة وسلامة الذوق وسلوك النهج القويم إلى الترسّل في الكتابة فقلّدوا ابن المقفّع وسهل ابن هارون والجاحظ والصابيء والقاضي الفاضل ، ولا أعدو الحقيقة إنّ أنا قلت : إنّ لبنان كان حصن الضاد وفيه نبغ غير واحدٍ من حملة لواء العربية وفي جملتهم الشيخ ناصيف بن عبدالله بن ناصيف اليازجيّ الحورانيّ الأصل والحمصيّ المنزح والبنانيّ الموطن والمولد . وُلد في كفرشما « لبنان » جنوبيّ مدينة بيروت سنة ١٨٠٠ ، وكان أبوه طبيباً على مذهب ابن سينا يميل إلى العلم وتذوق الأدب ، فبث في فؤاد ولده حبّها وحمله على الدرس ، ولما اتقن القراءة ، وأصبح يستوعب ما يقرأ ، انقطع إلى الدرس والمطالعة على نفسه برغم قلّة الكتب المطبوعة وندورة المخطوط منها يتلقّف زبدتها ويستسيع فوائدها، وساعده على ذلك حافظة حادة وذكاء مرهف فاكتهل علامة زمانه ،

جمع من العلوم العربية ما قصر عنه غير واحد حتى غدا مرجعاً في علوم اللغة حقيقتها ومجازها ، بالإضافة إلى تاريخ العرب وأخبار أيامهم .

وترامت شهرته إلى الأمير بشير الشهابي الكبير فقرّبه إليه وجعله كاتب يده ، ولبت في خدمته نحو اثنتي عشرة سنة إلى سنة ١٨٤٠ وهي السنة التي خرج فيها الأمير من لبنان منفياً . فهبط الشيخ ناصيف إلى بيروت يعلم في الكلية الإنجيلية السورية ، هي اليوم « الجامعة الأميركية » ، والكلية البطريركية ، والمدرسة الوطنية التي أنشأها العلامة بطرس البستاني الكبير ، وبصمّحت الكتب في مطبعة الأميركان .

وكان منزله ببيروت مقصد العلماء ومرجع الفتاوى الأدبية وعكاظ المحاضرات العلمية والمطارحات اللغوية . وفي جملة آثاره التي خلّفها لنا كتاب « مجمع البحرين » وهو بين يديك ، وفيه ستون مقامة نهج فيها منهج الحريري ، فجاءت برهاناً على سعة الملاءة وعلو كعبه في اللغة نظماً ونثراً .

وهاءنذا أعرض في لمحة مختصرة إلى هذا الأثر الأدبي : جعل الشيخ راوية مقاماته سهل بن عبّاد وبطلها ميسون بن خزام ، ولا تخلو مقامة من مقاماته من أمثال ضمّنها المقامة ثم شرحها شرحاً مشبعاً لم يترك فيه زيادة لمستزيد ، كما في المقامة النجدية التي اورد فيها غريب اللغة وقديمها ، وفي المقامة الحجازية وفيها عرض إلى الحياة الاجتماعية في البلاد العربية ، وتلمّس ميل الشيخ الديني في المقامة العقيّة وإعراضه عن حطام الدنيا ، وكانت هذه المقامة داعية إلى كتابة التسع والحسين مقامة لما رأى الشيخ من إعجاب الأبناء بها يوم تلاها في الجمعية الأدبية السورية ، ورغب إلى المستشرقين أن يُعَنّوا بها . ونجد المطارحات النحوية في المقامة الكوفية والمقامة الأزهرية والمقامة الرملية ، وأمّا العروض ففي المقامة العراقية . والطب ففي المقامة الطبية ، وفيها خطبة في

الطبّ ووصية في حفظ الصحة ومسائل طبيّة . والفلك ففي المقامة الفلكيّة وفيها ذكر الكواكب السيّارة والبروج والمنازل وما إلى ذلك من متعلقات علم الفلك . ولم يدع مناسك الحج ومشاعره تفوته فعقد مقامة سماها المقامة المكّيّة وتراه فيها واعظاً منذراً حاثاً على التقوى وانتبأ الهدى ، وينهي مقاماته بالمقامة القدسيّة وفيها قصيدته الدينيّة ومطلعها :

قم بالدجى يا أيّها المتعبّد حتى متى فوق الأسرة ترقد

وإنه ليصعب عليّ أن آتي بلدحة خاطفة على كلّ ما حوّد «مجمع البحرين» من فوائد علمية وأدبية ولغويّة ودينيّة ، وهو بين يديك فقلّب صفحاته وأنعم النظر وأعمل الفكر تجد فوق ما قلت بكثير ، وما قصدي إلا أن أقدم تعريفاً بالمؤلف وبالكتاب ؛ وقد قال مؤلفه في مقدمته إنه أراد أن يجمع في المقامات ما استطاع من الفوائد والقواعد والغرائب والشوارد والأمثال والحكّم والقصص ، ونوادير التراكيب ومحاسن الأساليب والأسماء التي لا يعثر عليها إلا بعد جهد .

ولا ريب أن الناظر في الكتاب هذا يرى الرموز والأحاجي والحوادث التاريخيّة والتفاصيل الدقيقة عن عادات العرب ومفاخرهم وغزومهم ومأكلهم ومشربهم وملبسهم ومعاملتهم للطارق ليلاً وللزائر نهاراً ، ويتبين لي أن الشيخ رغب في أن يباري الحريريّ في مقاماته فقلّد أسلوبه معنى ومبنى واستعصى ذلك على غير واحد ممن أرادوه فأخفقوا فيه واستقام للشيخ ناصيف وزاد عليه عشر مقامات فكان له ستون مقامة وللحريريّ خمسون . والناظر في «مجمع البحرين» هذا يجد أنه جمع بين دفتيه الغريب والشارد ، وامتنطى برّاق الفكر يطوف بأبطال روايته الصحراء فلم يدع شاردة أو واردة إلا ذكرها . وعلى الجملة فإن كتاب «مجمع البحرين» دائرة معارف لغويّة ،

جمعت ضروب النظم والنثر والأمثال ، فهو ولا ريب مرجع موثق لطلاب
اللغة وعلمائها ، ومنهل عذب للأدباء الذين يرغبون في الاطلاع على الأساليب
الصحيحة ، وأفانين التراكيب والألفاظ الوضعية ، والأساليب البيانية بما لا
يجدونها مجموعة في كتاب واحد كما في « مجمع البحرين » . وكانت وفاة الشيخ
مفلوجاً ببيروت في ٢٦ آذار سنة ١٨٦٩ .

عيسى سابا

الاسماء الكريمة

الحمد لله الذي جعل المقامات ، لأهل الكرامات . حمداً بزلّفنا إلى^١ مقامه الأسمى ، وبُنْحِفْنَا ببركات أسمائه الحُسْنَى . أمّا بعدُ فيقول الفقير^٢ إلى آلاء ربه المَنَّان ، ناصيف بن عبدالله اليازجي أحد الأمة العيسوية في^٣ جبل لبنان : إنني قد تطفّلت على مقام أهل الأدب ، من أئمة العرب ،^٤ بتلفيق أحاديث تقتصر من شبه مقاماتهم على اللقب . ونسبت وقائنها إلى^٥ ميمون بن خزام ورواياتها إلى سهيل بن عبّاد، وكلاهما هي^٦ بن بَيِّ مجهول^٦ النسبة والبلاد. وقد نحرّيت أن أجمع فيها ما استطعت من الفوائد والقواعد، والغرائب والشوارد . والأمثال والحكم ، والقصص التي يجري بها القلم ، وتسمى لها القدم . إلى غير ذلك من نوادر التواكيب ، ومحاسن الأساليب ، والأسماء التي لا يُعثر عليها إلاّ بعد جهد التنقيب والتنقيب . هذا مع اعترافي

١ المقامات : يحتمل أن يكون جمع مقام أو مقامة . بزلّفنا : يقربنا .

٢ الأسمى : الأعلى .

٣ آلاء : نعم .

٤ تطفّلت : تخلّقت بخلق طفيل الكوفي الذي كان يأتي الولاثم من غير أن يدعى إليها .

٥ تلفيق : متعلق بفعل التطفل . اللقب : تشبه مقاماتهم بالاسم فقط .

٦ هي بن بَيِّ : كناية عن لا يعرف ولا يعرف أبوه .

بأن ذلك ضربٌ من الفضول ، بعد انتشار ما أبرزه أولئك الفحول . غير^١
أنني تطاولت عليه مع قصرِ الباع ، طمعاً في طلاوة الحديد وإن كان من^٢
سَقَطِ المَتَاعِ . وأنا ألتمس من أولي الألباب أن يقابلوني بالمعذرة ، ويعاملوا
ذنبي بالمغفرة . فإن الإغضاء عن الملام من شيم الكرام ، والسلام .

١ بأن ذلك : إشارة إلى إنشاء هذه المقامات . بعد انتشار ما أبرزه أولئك الفحول : أي بعد
اشتهار المقامات التي أنشأها كبار الأئمة كالحريري وبتدريج الزمان وغيرهما .
٢ طلاوة الحديد : إشارة إلى قولهم : لكل جديد طلاوة .

المقامة الأولى

وتعرف بالبدوية

حكى سهيل بن عبّادٍ قال: ملّلتُ الحَضْرَ ، وملّتُ إلى السّفْرِ .
فامتطّيتُ ناقةً تسابقُ الرِّيحَ ، وجمعتُ أخترقُ الهِضابِ والبِطاحِ .
حتى خيمَ الغسَقُ ، ونصرمُ الشَّقَقُ . فدُفِعْتُ إلى خيمةٍ مضرّوبةٍ ، ونارٍ
مشبوبةٍ . فقلتُ :

مَنْ ياتُرِي القَوْمَ النُّزُولُ ههنا هل بِهِمِ الخوفُ أمِ الأَمْنُ لنا ؟
قد كانَ عن هذا الطريقِ لي غِنَى

وإذا رجلٌ من وراءِ الحِجابِ ، قد استضحكَ وأجابُ :

إنّي ميمونُ بني الحِزامِ وهذه ليلَى ابنتي أمامي
نعم وهذا رَجَبٌ غلامي مَنْ رامَ أنْ يَدْخُلَ في ذِمّامي
يأمنُ من بوائِقِ الأيّامِ

١ ملّت الحضر : ضجرت من الإقامة .

٢ البطاح : الأراضي المتسعة .

٣ الغسق : الظلام .

٤ من وراء الحجاب : من داخل الخيمة .

٥ ميمون : اسم الرجل . بني الحزام : اسم عشيرته .

٦ بوائق : دوا .

١ قال : فسكّن مني ما جاش ، من الجاش . ودخلتُ فإذا رجلاً^١
 أشمطُ الناصية ، يكتنفهُ الغلامُ والجارية . فحييتُ تَحِيَّةَ ملتاح ،^٢
 وجثمتُ جِثْمَةَ مرتاح . وبات الشيخُ يُطْرِفُنَا بِمُحَدِّثِ يشفي الأوام ،^٣
 ويشفي من السَّقام . إلى أن رَقَّ جِلْبَابُ الظلِّماء ، وانشقَّ حِجَابُ السَّمَاءِ ،^٤
 فنَهَضْنَا بِهِمْ فِي تِلْكَ الهِيَاءِ . حتى إذا أشرفنا على فريق ، يُنَاوِحُ الطَّرِيقَ .^٥
 عَرَضَ لَنَا لُصُوصٌ قد أطلقوا الأَعِنَّةَ ، وأشروعوا الأَسِنَّةَ . فأخذ الشيخُ
 القَلْبَ ، وقال أعوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ ، من شرِّ ما خلق . ولما التَقَّتِ العَيْنُ بِالْعَيْنِ ،
 على أدنى من قاب قوسين . قال : يا قوم هل أدلُّكُمْ على تجارة ، تقوم بحقِّ^٦
 الغارة ؟ قالوا : وما عسى أن يكون ذلك ؟ حيَّاكَ اللهُ وبيَّاكَ ! فقال : يا غلامُ
 اهْبِطْ بِهْمَ إِلَى مَرَاعِي الرِّيفِ ، وأنا أَقِفُ هُنَا أُرَاعِي كَاللَّغِيفِ . قال سُهَيْلُ :^٨
 فلما تَوَارَى بِهِمْ أَوْفَضَ الشَّيْخُ عَلَى نَاقَتِهِ القَلُوصَ ، حتى أتى الحَيَّ فنادى^٩
 اللُصُوصَ . وطلب المَرَاعِي فَانْهَالَتْ فِي أَثَرِهِ الرِّجَالَ ، وإذا اللُصُوصُ قد سَاقُوا
 قِطْعَةً مِنَ الحِمَالِ . فَأَطْبَقُوا عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وأخذوهم أسْرَى إِلَى
 المضارب . حتى إذا أَتَخَنَوْهُمْ شَدُّوا الوِثَاقَ ، وقد كَادَتْ أرواحُهُمْ تَبْلُغُ التَّرَاقِ .^{١٠}

- ١ يقال : جاشت القدر إذا غلت . الجاش : اضطراب القلب عند الخوف .
- ٢ أشمط : مختلط السواد بالبياض . الناصية : شعر مقدم الرأس . الغلام : رجب . الجارية : ليل . ملتاح : متلهف .
- ٣ يشفي : يروي . الأوام : العطش .
- ٤ جلباب : قميص .
- ٥ الهيماء : فلاة لا ماء فيها . فريق : حي من العرب . يناوح : يقابل .
- ٦ الفلق : الصبح .
- ٧ قاب قوسين : أي قابي قوس وهما طرفاهما من المقبض إلى السية . وهذا من باب القلب .
- ٨ الريف : الأرض المخصصة . اللغيف : الذي يحرس ثياب اللصوص ولا يسرق معهم .
- ٩ أوفض : أسرع . القلوص : الفتية .
- ١٠ المضارب : الحيام . أتخنوهم : أكثروا جراحهم . التراق : جمع ترقوة وهي أعلى الصدر . وأصلها التراقي فوقف عليها بالحذف كما في الكبير المتعال ونحوه .

ثم أدخلونا إلى بيت طوبل الدعائم ، في صدره شيخٌ . كأنه قيس بن عاصم^١ .
فقال : أحسنت أيها النذيرُ فسئوُفتي لك الكيل ، ونعطيك ما لهؤلاء
الصوص من الأسلاب والحيل . فابتسم الشيخ من فوره ، وقال : جدح^٢
جوين^٣ من سويق غيره . قال : قد رأيت ما لا يرى ، فعند الصباح يحمد^٤
القوم السرى . ولما كان الغد أهاب بنا داعي الأمير ، ونفحنا بصرة^٥ من
الدنانير ، فضمنها إلى أسلاب الصوص وخرجنا نجدُ المسير . ولما استوى
الشيخ على القتب ، أخذته هزة الطرب . فأنشأ يقول :

أنا الحزامي سليلُ العربِ أذهبُ بين الناس كلَّ مذهبِ
والبسُ الجِدُّ ثيابَ اللعِبِ وأستقي من كلِّ برقِ خَلْبِ
وأتقي باللطْفِ كلَّ مَخْلَبِ وألتقي الرُوحَ بِلَدَنِ الْقَصَبِ^٦
ولا أبالي بالفِئى المُجْرَبِ لو أنه عمرو بنُ معدى كَرَبِ^٨
عَسلي دِرْعٌ من نسيجِ الأدبِ تكِلُّ عنها ماضياتُ القُضْبِ^٩
ولي لسانٌ من بقايا الحِقَبِ يقنِصُ بالمكرِ أسودَ الهِضْبِ^{١٠}

١ قيس بن عاصم : رجل من بني منقر كان من أجلاء العرب معروف بالحلم .

٢ من فوره : أي لساعته .

٣ يقال جدح السويق إذا لته بالسمن أو غيره ، وجوين ، مصفراً : اسم رجل . وهو مثل
يضرب لمن يجود من مال غيره . ما لا يرى : أي ما لا يراه غيرك .

٤ السرى : مشي الليل ، وهو مثل يضرب لرجاء الخير بعد المشقة . أهاب بنا : دعانا . نفحنا :
أعطانا .

٥ القتب : رحل الناقة .

٦ خلب : فارغ من المطر .

٧ المخلب للنباح وجوارح الطير بمنزلة الظفر للإنسان . لدن : لين .

٨ عمرو بن معدى كرب : هو فارس بن زبيد كان من أبطال العرب المعدودين .

٩ القضب : السيوف القاطعة .

١٠ الحقب : السنين . والحقب ، بضمين : الدهر . الهضب : الجبال المنبسطة .

والصدق، إن أفاك تحت العطب، لا خير فيه فاعتصم بالكذب
بمثل هذا كان بوصيني أبي

قال : فلما فرغ من إنشاده ، ترمّل ببجاده . وقال : يا قوم اتبعوا^١
من لا يسألكم أجراً ، ولا تستطيعون بدونه نصراً . ثم انطلق بين أيدينا
كالدليل ، وهو يمزج الوخد بالذميل ، إلى أنت نُشِرت راية الأصيل . فنزلنا^٢
وارتبطنا الأنعام ، وأضرمتنا النار للطعام . وقام الشيخ حتى دنا من ناقتي فحل^٣
العقال ، وأخذ يتخطى ويتمطى ذات اليمين وذات الشمال . فنفرت الناقة^٤
في مجاهل تلك الأرض ، وجهل يستوقفها زجراً فتشتد في الركض . فبادرت^٥
أعدو إليها حتى استأنست من النفار ، ورجعت بها أتنور تلك النار ،
وإذا الشيخ قد أخذ كل ما هناك وسار . فصفت صفة الأواه ، وقلت :^٦
لا حول ولا قوة إلا بالله . ثم عمدت إلى عقال ناقتي المجلجلة ، وإذا طرس^٧
قد عُقل به مكتوباً فيه بعد البسمة :

قل لسهيل : لست بالمغبون ، لولاي ذقت غصة المنون !
فأنت والناقة في يميني ملك بحق ليس بالمنون
لكن عفوت عنك كالمديون وهبته الدين لحسن الدين
فقدم الشكر إلى ميمون !

قال : فعجبت من أخلاقه ، وأسفت على فراقه . ووددت على ما بي
من الفاقة ، لو مكث واستتبع الناقة .

- ١ ترمّل : التفت . البجاد : ثوب مخطط من أكسية العرب .
- ٢ الوخد : السير السريع . الذميل : السير اللين . الأصيل : ما بعد العصر إلى المغرب .
- ٣ الأنعام : المواشي .
- ٤ يتمطى : يمد باعه .
- ٥ الأواه : الأسيف .
- ٦ البسمة : بسم الله الرحمن الرحيم .
- ٧ المنون : الموت .

المقامة الثانية

وتعرف بالحجازية

حَدَّثَ سَهيلُ بنُ عَبَّادٍ قالَ : نهَضْتُ مِنَ الأَهِوازِ ، أريدُ قُطْرَ الحِجازِ .^١
فخرجتُ أَطوي السَّباسبَ والبَسابِسَ ، في عُصبةٍ من أُولي الخُلابيسِ .^٢
فكنتُ أَتفكَّهُ منهُم بالحديثِ ، وَأَتَنقِلُ مِنْهُم بِالقَدِيمِ إلى الحديثِ . وما زلنا^٣
نظعنُ في المَفاوِزِ ونَضْرِبُ ، حتى دخلنا مَدينَةَ يَثْرِبَ . فَأَقَمنا بِها غِراراً^٤
شَهرَ ، كعُفْرَةَ في جَبينِ الدَهرِ . وبيدنا نَحْنُ في ليلَةٍ بينَ الرِّحالِ ، إلى جِيرةٍ
بِمَكانِ الكَلِيتينِ مِنَ الطَّحِحالِ . سَمِعنا زفرةً مَتنهِّدَةً ، يَليها صوتُ كُتَيْبٍ^٥
يُنشِدُ :

يا من يردُّ عليَّ ما فَقدتُ بَدي هِياتِ لَيس يَردُّ أَمسٍ إلى الغَدِ !
فقدتُ بَدي طَيبَ الحِياةِ ! وهَل تَرى لي مَطمَعٌ في الغَابرِ المَجدِّدِ ؟
ماذا يَفيدُ العِيشُ صاحِبَ كُربَةٍ لَهفانٍ يُمسي في المَهمومِ ويغتَدي ؟

١ الأهِواز : تَبع كور بين البصرة وفارس .

٢ السَّباسب : الفلوات المهلكة . البَسابِس : القفار . عُصبة : جماعة . الخُلابيس : الحديث الرقيق .

٣ أَتنقل : أَنتقل بواسطة ذكر القديم منه إلى ذكر الحديث .

٤ نظعن : نذهب . المَفاوِز : فلوات لا ماء فيها . نَضْرِب : نسير في طلب الرزق . يَثْرِب : مدينة الرسول . غِرار : مقدار .

٥ بِمكانِ الكَلِيتينِ مِنَ الطَّحِحالِ : أي ملاصقة لنا ، وهو من قوله :

فكوفوا أنتم وبني أَيْكُمْ مكان الكَلِيتينِ مِنَ الطَّحِحالِ

الموت أطيب من حياةٍ مُرّةٍ تُفَضِّي ليلها كقضمِ الجِلْمِدِ !^١
 مَضَّتْ اللَّيالي البيضُ في زمنِ الصبا وأتى المشيبُ بكلِّ يومٍ أسودِ
 يا حَبِذا ما فرَّ من أيامنا لو كان يُمَسِّكُ عندنا كَمَقِيدِ !
 أنفقتُ صفو العيش حتى إنه لم يبقَ لي إلا نُشالُ المورِدِ^٢
 يا ليتَ ذي الأكدارِ أولَ معهدِ كانت ، وذاك الصفو آخرَ معهدِ
 ويحي ! متى أمسي ولي نَفْسُ بلا صَعِدَ وأنفاسٌ بغيرِ تصَعُدِ ؟^٣
 ما كنتُ أحسدُ سيِّداً في ملكه واليومُ أحسدُ عبدَ عبدِ السيِّدِ !

قال : فلما سمع التوم لهجته الشجيّة ، ورأوا ما له من سلامة السجيّة .^٤
 رقتُ أفئدتهم عليه ، وصبّت عواطفهم إليه . وقالوا : هل لنا من يطرُقُ
 مضجعتنا ، ويؤانسنا بالتأزج مَعَهُ ؟ فما عثم الرجل أن وقف بنا منتصباً ،
 وأنشدنا مقتضياً :^٥

أنا الذي ساح البلا في ساحتي ، أباحَ سِرِّي واستباحَ باحتي !^٦
 روحي كريحاني ، وراحي راحتِ ريحاً ، فراحتِ راحتي من راحتي !^٧
 فاستحلى القومُ هذا التجنيس ، وأحلّوا الرجل محلّ الأنيس . ثم استظلموه
 طلوع أمره ، وما ذاق من خلّته وخوره . فقال : يا كرام العرب ،

١ القضم : الأكل بأطراف الأسنان . الجلمد : الصخر .

٢ النشال : ما يبقى في أسفل الخوض .

٣ صعد : مشقة وشدة .

٤ السجيّة : الطبيعة .

٥ يطرُق : يأتي ليلاً .

٦ مقتضياً : مرتجلاً .

٧ ساح : من السياحة . باحتي : ساحة داربي .

٨ ريحاً : مثل الريح .

وكمبة الأرب . إني لقد كنتُ أفري وأقري وأفدي وأسدي . وما^١
 زلتُ ألبسُ وأطعم ، وأجيزُ وأنعم . حتى ذهب ما في السَّقَطِ جُزْأناً ،^٢
 ونفد ما في الكظيمة استنزافاً . فصرتُ أجوعُ من ذؤالة ، وأعطش من^٣
 ثعالة . وإني لسَطالما كانت تصدع وطأني الصفا ، ويخدش براجمي السفا .^٤
 فصرتُ أمشي بقدم الأخب . وأبسُط راحة الأكنب . ولم يُبق لي الدهر^٥
 سوى ولد ، أذلٌّ من بيضة البلد . وقد خطبت له جارياً تعولني وإياه ، لأقضي^٦
 غايه هذه الحياة . فلما حان الهداء وآن البناء . قال ذؤوها : لا صهار ،^٧
 إلا بالإمهار . فنقدتهم ما راج ، وخرجت أسمى بما غير كجاني الحراج .^٨
 وقد أبرزتُ لكم حضيضتي ، وبضيضتي . وأطلعتكم على عَجري وبُجري .^٩
 فإن أحسنتم فأننا من الشاكرين ، وإلا فإني من العاذرين . فاستحسنوا إشارته ،
 واستنطقوا عبارته . وقالوا : رَحبت بك الدار ، وحباه كلُّ واحدٍ^{١٠}
 بدينار . فانتني وهو بُعني جميلاً ، ويمشي ذميلاً . فلما أصبحتُ قصدتُ^{١١}

- ١ أفري : أقطع . أسدي : أحسن .
 ٢ السقط : وعاء كالصندوق يلبس بالجلد .
 ٣ الكظيمة : بئر بجانب أخرى بينهما مجرى في الأرض . استنزافاً : يقال نزع ماء البئر إذا نزعته كله . ذؤالة : علم للذئب وهو مثل في الجوع .
 ٤ ثعالة : علم للثعلب وهو مثل في العطش . تصدع : تشق . الصفا : جمع صفاة وهي الصخرة الملساء . براجمي : مفاصل أصابعي . السفا : شوك البهي ونحوها ، يريد أنه كان قوي الأعضاء لكنه ناعم مترفه لكثرة الرغد وسعة العيش .
 ٥ الأخب : الضعيف الرجلين . الأكنب : من غلظت يده من العمل .
 ٦ البلد : عش النعام ، وهو مثل يقال فلان أذل من بيضة البلد . قالوا هي بيضة تركها النعام في فلاة من الأرض فلا ترجع إليها .
 ٧ الهداء : الزفاف . البناء : أي بناء الخيمة عليها للدخول بها .
 ٨ راج : تيسر . غير : بقي .
 ٩ بضيضتي : أي كل ما عندي . عجري وبجري : أي عيوبي وكل أمري .
 ١٠ حباه : أعطاه .
 ١١ انتني : رجعت . ذميلاً : مشياً دون السريع .

مثنواه^١ ، لأصطيحَ بنجواه . وإذا هو صاحبنا ابن الحزام ، وقد قام لديه
 ذاك الغلام . فقلت : أهذا الخطيب المعهود ، فأين الملاك المشهود ؟ قال :^٢
 أرجو أن يكونَ خطيباً ، فإني أراه ليبياً . ثم قال : يا بُنَيَّ إن الرامي^٣
 بعِلَّةَ الورشان ، يأكلُ رُطَبَ المُشان ، وهذه إحدى حُظَيَّاتِ لُقمان ،^٤
 فإن رأيتَ ما سيكونُ ذَهَكَتَ عَمَّا كان . واعلم أن العيشَ نُجْمَةٌ ، والحربُ
 خُدْعَةٌ . فإذا لم تَغْلِبْ ، فاخْلِجْ . وإذا بُلِّيتَ بسوءِ المَصيرِ ، فعليك^٥
 بحسن التديير . فلبسبتُ عندهُ يومي أجمع ، أتمتَّعَ بالمنظرِ والمسمع . وهو
 يُطْرِفُني بما مرَّ برأسِهِ من العِبرِ ، ويُحدِّثُني بما خَتَلَّ وخَسَّرَ ، والحُبْرُ^٦
 عندي يَعْضُدُ الحَبْرَ . إلى أن زالت الشمسُ أو كادت تزول ، فاستلقى على^٧
 وسادتهِ وأنشأ يقول :

أعوذُ بالمهيمنِ الفيَّاضِ من أهل هذا الزمنِ المهتاضِ^٩

- ١ مثنواه : منزله . اصطيح : من الصبوح وهو الشرب في الغداة . بنجواه : بمحدثه . ابن الحزام : الشيخ ميمون صاحبه في السفوة الأولى .
- ٢ الغلام : الغلام الذي كان معه وهو رجب خادمه . الملاك : وليمة الخطبة . المشهود : الذي يحضره الناس .
- ٣ خطيباً : صرف معنى الخطيب الذي ذكره سهيل إلى معنى الواعظ ودل عليه بقوله إني أراه ليبياً وهو يريد أن يعرفه بأن تلك حيلة منه ، وذلك من باب تلقي المخاطب بغير ما يترقب .
- ٤ الورشان : طائر وهو ذكر القماري ويقال له ساق حر . المشان : نوع من التمر وهو مثل يضرب لمن يتظاهر بطلب شيء والمراد منه شيء آخر . حظيات : جمع حظية مصغر حظوة وهي سهم صغير لا نصل له . ولقمان هو ابن عاد المشهور . وهذا مثل يضرب لمن عرف بالشر ثم جاءت منه هنة يسيرة .
- ٥ نجمة : طلب المرعى في مكانه .
- ٦ اخلب : اخدع ، وهو مثل .
- ٧ ختل : خدع . ختر : غدر .
- ٨ الحبر : أي أن اختباره له بما شاهده منه يصادق اخباره عن نفسه .
- ٩ المهيمن : من أسماء الله ومعناه الشاهد . المهتاض : الظالم .

أسلمهم كالأرقم اللصلاض ،
 إياك يا صاح من التغاضي
 من عاشر الخلق بخلق راض ،
 هيات أن مخلو من انقباض ،
 لكن تصدى الظلم لانتهاضي
 والظلم من خبائث الحياض
 بلسع كل قادم وماضي ١
 واحذر ولو من طلحة الفياض ٢
 وباشتر الجفون بالإغماض
 ما الختل يا بني من أغراضي !
 أن أذفع الأمراض بالأمراض
 يلجى إلى تدنيس الأعراض ٣
 لو أنصف الناس استراح القاضي

قال ولما فرغ ازنجازه دعا بالطعام ، وقطع الكلام . فجلسنا نتناول ما
 حضر ، ثم قمنا نتذاكر السممر ، في ظل القمر . إلى أن تهاقت الليل ، ومال
 علي الكرى كل الميل . فأوغلت في النوم حتى حدثتني قارصة الشمس ، وإذا
 الشيخ قد ارتحل فساء في اليوم أكثر مما سرني أمس .

- ١ الأرقم : الحية التي فيها سواد وبياض . اللصلاض : المتلفت يمينا وشمالا .
- ٢ التغاضي : التغافل . طلحة الفياض : رجل من كرام العرب وهو طلحة بن عبد الله التميمي أحد الطلحات الخمسة المشهورين عندهم .
- ٣ يلجى : يضطر .
- ٤ السممر : حديث الليل . تهاقت : تساقط متتابعاً .
- ٥ أوغلت : تعمقت . حدثني : لذعتني .

المقامة الثالثة

وتعرف بالعقبة

حكى سهيلُ بن عبَّاد قال : بكرتُ يوماً بكورَ الزاجر ، في مَعْمَعان^١ ناجر ، خوفاً من اصطكاكِ الهواجر . فأمعنت في السيّاحة ، وجعلتُ أقطع^٢ ساحةً بعد ساحة . حتى إذا نخلتُ بعض الغيطان ، وقد سال عليها مُخاط^٣ الشيطان . رأيتُ كتّبةً من الرجال ، على كئيب من الرمال . فبدلت في^٤ شاكلة الجواد المِهْماز ، ورددتُ صدور الأرض على الأعجاز . حتى أدركتُ القوم ، في منتصف اليوم . وإذا جنازةٌ قد أودعوها التراب ، وشيخٌ على دكةٍ قد افتتح الحِطاب . فقال : يا كرام المعاشر والعاشر ، وأولي^٥ الأبصار والبصائر ، أرأيتم ما أخرج هذا البيت ، وأسمج هذا الميت ؟ طالما^٦ جدّ وكدّ ، واشتدّ واعتدّ . وركب الأهوال ، واحتشد الأموال . فانظروا أين ما جمع ، وهل أتى بشيءٍ منه إلى هذا المضجع . وطالما شمع ، وبدخ^٧ .^٨

١ الزاجر : الذي يتفاهل بالطير فيبكر بالتمرض لها عند مرورها . معمان : شدة الحر .

٢ ناجر : اسم لأشهر الصيف . اصطكاك : اشتداد الحر . الهواجر : جمع هاجرة وهي نصف النهار عند اشتداد حره .

٣ تخلت ، يقال : تخلت القوم أي دخلت بينهم . النيطان : الأراضي السهلة .

٤ مخاط الشيطان : غزل عين الشمس .

٥ شاكلة : خاصرة . المِهْماز : ما ينخس به . رددت صدور الأرض على الاعجاز : جعلت ما أمامي ورائتي .

٦ دكة : مسطبة .

٧ أخرج : أضيق .

٨ شمع : تكبر . بدخ : اعتر .

واسرف ، واستطرف . وتأنق في الطعام والشراب ، واستكرم المهادا
والثياب ، وتضخ بالمعير والملاب . فاعتبروا كيف صار جيفة لا تطاق ،^٢
وكرمة لا تستطيع أن تلحظها الأحداق . فإن كنتم قد ضمتم الخلود ،
وأمنتم اليهود . فتمتعوا بشهواتكم ملياً ، واتركوا ما رأيتم نسياً منسياً .^٣
ولاً فالبيدار البدار ، إلى طرح العالم الغرّار . فإن المعيد من نظر إلى دينه
دون دُنياه ، وأخذ الأهبة لأخراه قبل أولاه . والشقي من نظر قريباً ،
فبات خصيباً ، وعاش رحيباً ، وغفل عن يوم يجعل الولدان شيباً . ثم فاضت
عيناه بالدموع ، وأطرق برأسه من الحشوع . وأنشد :

واهاً لمن خافَ الإلهَ واتقى وعافَ مُشترى الضلال بالهدى
وظلَّ ينهى نفسه عن الهوى إنَّ إلى الربِّ الكريمِ المنتهى
وليسَ للإنسانِ إلَّا ما سعى نعم! وإنَّ سعياً سوف يرى
ما هذه الدنيا سوى طيفِ كرى فانتبهوا يا غافلينَ للسرى!^٤
وشرّوا الذليلَ وبادروا الوحي من قبل أن يدعوكم داعي الردى
واطرحوا كلَّ نعيمٍ وغنى واستهدفوا لوقع أسهم البلى
وأفرضوا الله فنعيم من وفى ما أجهل الناسَ وأذهلَ النهى^٥
لو أن هذا المالَ في هذا الورى قال: ألسنتُ ربِّكم؟ قالوا: بلى^٦

١ استطرف : تنقل من طعام إلى آخر . تأنق : اتقن واستجاد . المهاد : المضاجع .

٢ تضخ : تلتخ . الملاب : نوع من الطيوب .

٣ ملياً : طويلاً .

٤ أطرق : نظر إلى الأرض .

٥ الطيف : الخيال يأتي في النوم .

٦ بادروا الوحي : عاجلا . الردى : الموت .

٧ نهى : العقول .

٨ الورى : الخلق .

ولما فرغ من أبياته زَفَرَ زَفْرَةَ الضَّرَامِ، وقال: «كلُّ من عليها فانٍ،
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام»، ونزل وهو يمسح عِبْرَاتِهِ بفضلة
اللثام. فخيَّلَ للقوم أنه قد هبط من السماء، وقالوا هذا بمن يمشي على الماء.
ثم أقبلوا يهرعون إليه، وطفقوا يقبلون يديه، ويتبركون بمس^٢
بُردِيهِ. وأحفه كلُّ منهم بما شاء، وقالوا له: الدعاءُ الدعاءُ! فلما أحرز المال
هرب إلى الفرس، بأسرع من رجْع النَّفْسِ. وقام القوم فودَّعوه، ثم
تطرقوا فشيَّعوه^٣. فلما أبعد عن الربوة، قيدَ غلوة. إذا امرأة كأنها من^٤
حُورِ الجنان، تنتظره على المكان. فتأفَّف وقال: يا لكاعِ! لولا حاجة^٥
الرفاق، لأشهدتُ عليك بالطلاق. فقالوا: ما هذه الجارية، يا مبارك الناصية؟^٦
قال: هي امرأةٌ لي صحبتها في هذه الرحلة، لتخفف عني بعض الثقلة. فأنصاها^٧
الكلال حتى لا تستطيع أن تمشي فتهذب، ولا أستطيع أن أترجَّل^٨
لتركب. فتقدم إليها فتسئى ببيردونة قد امتطأها، وقال: اركبي باسم الله^٩
مجرأها. فقال الشيخ: جزاك الله خير الجزاء وجزاء الخير، ثم أقسم على
القوم فعادوا وكان على رؤوسهم الطير. قال سهيل^{١٠}: وكنت قد عرفت^{١١}
حين أماط اللثام، أنه ميمون بن خزام. فقلت: إن الشيخ قد أتى الله^{١٢}

١ زفر: أخرج نفسه بعد مده إياه. زفرة الضرام: يقال: زفرت النار إذا سمع لها صوت عند التهاها.

٢ يهرعون: يمشون مسرعين.

٣ تطرقوا: أخذوا في الطريق. الربوة: التل. قيد: مسافة. غلوة: مقدار رمية السهم.

٤ يا لكاع: يا لثيمة، وهو يستعمل في النداء خاصة مبنياً على الكسر.

٥ الطلاق: يريد أن يريهم أنها زوجته.

٦ أنصاها: حزها.

٧ الكلال: الإعياء.

٨ البرذون: صنف من الخيل يتخذ للحمل غالباً.

٩ أقسم على القوم: أقسم عليهم أن يرجعوا. على رؤوسهم الطير: ساكتين من الهيبة. وأصله

أن الغراب يقع على رأس البعير فيلتقط منه ما يؤذيه من الدبيب فلا يحرك البعير رأسه لتلا

يطير الغراب عنه.

١٠ أماط: أزاح.

بقلب سليم ، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم . بيدَ أني طويْتُ عنه
كشحي ، لأعلمَ هل أصاب قِدحي . فتراجعتُ مع الراجمين ، ونوليتُ عنه^١
حتى حين . فكنتُ هنيئاً أترقبه ، ثم انبعتُ أتقبُّه . حتى انتهى إلى
دسكرةٍ في الطريق ، بجانب العقيق . فنزل عن الحجر . واعتزل إلى حجرة^٢ ،
وافترش أريكته في ظلِّ حُجرة . فاعتسفتُ إليه من بعض الجوانب^٣ ،
وكننت له كالضائب . وإذا به قد احتجر دستجةً من الراح ، كزجاجةٍ فيها^٤
مِصباح . وأخذ يتعاطى الأقداح ، ويُغازل تلك الخود الرِّداح . فلما^٥
لعبت بعطفه الشمول ، مال على أحد جانبيه وأنشأ يقول^٦ :

سقى الغمامُ تَرْبَ ذاك القبرِ	فقد سقاني من لذیذِ الحمرِ
ما لم أذُقْ نظيره في العمرِ	أفادني في اليوم قبل العصرِ
ما لستُ أستفيده في الشهرِ	وإن أكنُ ركبتُ إثم السكرِ
فقد أفدتُ القومَ عند الذكرِ	مواعظاً ثلینُ صلَدِ الصخرِ
فنتُ من ذاك عظیم الأجرِ	وصرت أرجو أن يقومَ عذري
عند الإله في مقام الحشرِ	بأنني كفرتُ قبل الوزرِ ^٧

قال : فلما فرغ من إنشاده المُرِيب ، طلعتُ عليه طليعةَ الذيب ، وقلت :
السلام على الخطيب . فأجفل إجمالَ الحمل ، وقال : سبق السيفُ العَدَل . إذا^٨

- ١ الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع ، يقال طويت عنه كشحي أي أعرضت عنه . قدحي : سهي ، أي لأعلم هل أصاب ظني فيه . توليت : أدبرت .
- ٢ دسكرة : مزرعة . العقيق : سيل الماء . الحجر : المهرة . حجرة : ناحية .
- ٣ أريكته : فراشه ومتكأه . اعتسفت : مشيت في غير طريق .
- ٤ الضائب : الذي يختبئ ليفزع من يمر به . احتجر : وضع في حجره . دستجة : زجاجة كبيرة . الراح : الحمر .
- ٥ الخود : الحارية الناعمة . الرِّداح : المثلثة .
- ٦ الشمول : الحمر المبردة بريح الشمال .
- ٧ الوزر : الإثم .
- ٨ الحمل : الخروف . العذل : الملامة ، وهو مثل يضرب لمن لام بعد وقوع ما لام عليه .

كنتَ طِفْلياً ، فلا تكن فُضُولياً . قلت : فمن التي تشرب الكاس من ^١
يديها ؟ أحليّةٌ بنيتَ بها أم خليّةٌ أنستَ إليها ؟ قال : إن بينهما نقطةٌ فلا
تجاسِب عليها . والآن قد غلبتني سَوْرَةٌ المُدَام ، وتلعم لساني عن الكلام ،^٢
فاذهب الليلةَ بالسلام . وإذا التقينا غداً أبرزتُ لك المكنون ، ودرأتُ^٣
عك الظنون . قال : فعلتُ أنها من خَزْ عَيْلاته ، لكنني أجرِيته على^٤
عِلاته . فثبتتُ عنه عِنائي ، وانثيتُ لساني .^٥

- ١ طفلياً : نسبة إلى طفيل بن زلال الكوفي . فضولياً : نسبة إلى الفضول وهو دخول الإنسان
في ما لا يعنيه .
٢ حليّة : زوجة . خليّة : صديقة . نقطة : يريد النقطة التي على الحاء من الخليّة وليس بينها
وبين الخليّة فرق غيرها في الخط .
٣ المدام : الخمر . وسورتها : وثوبها إلى الرأس .
٤ المكنون : المخبأ . درأت : دفعت .
٥ خزعاته : خرافاته وأباطيله .
٦ أجرِيته على عِلاته : تفاضيت عنه مع عيبه . انثيت : رجعت .

المقامة الرابعة

وتعرف بالشامية

أخبر سهيل بن عبّادٍ قال : دخلت يوماً على صاحب لي بالشام ، أعوده من داء البرسام . فجلست بإزائه ، وأنا أستخبره عن دائه . وبينما هو يبت^١ شكواه ، ويتأوّه لبلواه . إذ قيل : قد جاء الطبيب ، فقلت : قطعت^٢ جهيّزة^٣ قول كل خطيب . ونظرتُ فإذا رجلٌ قد أقبلَ يجرُّ ذيل طيلسانه ، ويقرع^٤ أديم الأرض بصولجانه . حتى دخل فسلم ، ثم جلس مُعرِضاً ولم يتكلم .^٥ فتوسّتهُ وإذا هو شيخنا ابن خزام ، فاحتفتُ للقيام ، وأردت أن أستأنف^٥ السلام . فأومض إليّ بجفنيه ، واستوقفني عن التسليم عليه . فقال له المريض : يا مولاي أرى أن صدري قد ضاق ، وتواتر عليّ الفواق . فقال : ذكّر^٦ الأستاذ بقراط ، أن ذلك يدلُّ على نضح الأخلاط . وقد وصف له الإمام^٧

١ البرسام : مرض في الصدر .

٢ جهيّزة : جارية كانت لقوم من العرب ، وكان أعيانهم قد اجتمعوا يحيطون في المصالحة عن دم قتل بينهم ، وإذا بها قد جاءت تقول : إن أهل القتل قد ظفروا بالقاتل ! فقالوا : قطعت جهيّزة قول كل خطيب ، فسار قولهم مثلاً .

٣ الطيلسان : ثوب تلبسه المشايخ .

٤ صولجانه : عصاه المنطقة الرأس .

٥ توسّته : تفرست فيه لأعرفه .

٦ تواتر : تتابع . الفواق : ريح يتردد في الصدر .

٧ الأخلاط : قال ذلك من باب المخرفة لأنه لا يعرف الطب .

ابن عاتكة، أن يُسقى شراب الملائكة . لكنه لا يشتري إلا بمائة درهم ، فإن^١
بذلتها نجوت من البلاء الأدم . فدفعا إليه وقال: حُبّاً وكرامة ، إن ظفرت^٢
بالسلامة . قال : وكان أهل المريض قد استضعفوا رجاء الشفاء ، ورأوا طيبهم
كالكتاب على صفحات الماء ، فاستحضروا بعض نطس الأطباء . ووافق تلك^٣
الساعة وفدّه عليه ، فدخل وهو يتهادى بين يديه ، ثم جلس والشيخ يصوب^٤
ظرفه ويصعده إليه . فقال : إن شئت أن تُتَحَفِنَا بِمَعْرِفَتِكَ ، فذلك من^٥
عارفتك . قال : أنا من أطباء جزيرة العرب ، كنت قد انتصبت للتدريس^٥
حتى انقطع الطلب . فاعتزلت عن مزاولة العلاج واصطناع الأدوية ، وخرجت^٦
أَتَفَقَّدُ الْعَاقِبِينَ فِي الْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ . فعظمُ الشيخ في عين الطيب ، وأراد أن
يَسْبُرَ غَبُورَهُ لِيَرَى أَيْحَطِيهِ ظَنَّهُ أَمْ يَصِيبُ . فقال : يا مولاي إني رجل من
المتطببين ، وقد عثرت على مسائل أنا منها بين الشك واليقين . قال : على الخبير^٧
بها سقطت ، فسل عما التقطت . فإن وجدت لذلك عبرة ، أعطيتك الجواب^٨
صورة . قال : كيف يتركب الرسام ، مع البرسام ؟ وما هي مقادير الأخلاط^٩

١ ابن عاتكة : هذا الرجل لا يوجد في علماء الطب وإنما ذكره خرافة لترويج حيلته . شراب
الملائكة : وهذا الشراب لا يوجد في الأدوية وإنما ذكره بهذا الاسم تعظيماً له ليأخذ
له ثمناً جزيلاً .

٢ كالكتاب على صفحات الماء : مثل يضرب لمن لا يؤثر عمله شيئاً . نطس : حذاق .

٣ يصوب : يحدد .

٤ يصعده : يرفعه .

٥ عارفتك : إحسانك .

٦ الطلب : طلب العلم .

٧ المتطببين : المتداخلين في صناعة الطب .

٨ على الخبير بها سقطت : من أمثال العرب يضرب لمن يسأل عن أمر هو أعلم الناس به .

٩ صورة : جملة واحدة . الرسام والبرسام : اسمان أعجميان معنى الأول ورم الرأس ومعنى
الثاني ورم الصدر ، فإذا استقرت أعراض البرسام وشاركت السدماغ تركب الرسام
مع البرسام .

بالنسبة إلى بعضها في الأجسام؟ وما هو المراد عند الأول ، بقسمة الطب إلى علم وعمل؟ وما هي الكيفية المنفصلة والكيفية الفاعلة؟ وما هي الأسباب السابقة والبادية والواصلة؟ فقال: الله أكبر إن الحديث ذو شجون ، وإن لك أجراً غير ممنون. لقد ذكررتني مائة من المسائل ، جمعتها في بعض الرسائل. وهي مما يشكّل على الألباء، وتناقش به فحول الأطباء . فإن شئت جعلنا الساعة موعداً ، وأتيناك بها غداً. قال : ذلك إليك ، فنهض وقال : السلام عليك . وخرج وهو قد اعتضد الصولجان ، وانساب انسياب الأفعوان. قال سهل : فابتدوت الخروج على الأثر ، قبل أن يتوارى عن النظر . فأدركته عن أمد يسير ، وهو يتشد كعادي العير :

الحمد لله وللفرارِ فقد نجوت من فضوح العارِ !
أفلتت من جرادة العيارِ مالي وللنضال والحوارِ^٧
ما أنا بالرازي ولا البخاري وليس لي في الطب من أسفارِ^٨

- ١ ما هي مقادير الأخلط بالنسبة إلى بعضها في الأجسام : كم يكون مقدار كل واحد منها بالنسبة إلى الآخر ، والجواب فيما قيل ان البلغم سدس الدم والصفراء سدس البلغم والسوداء ثلاثة أرباع الصفراء . وذلك في الأبدان المعتدلة . الأول : أي عند الطوائف الأول من الأطباء .
- ٢ المنفصلة : هي الرطوبة واليبوسة . الفاعلة : هي الحرارة والبرودة .
- ٣ السابقة : المتقدمة كالطعام والشراب . البادية : الظاهرة كالضربة والسقطة . الواصلة : هي التي يوجد المرض بوجودها ولا يزول إلا بزوالها كالعفن للحميات .
- ٤ ممنون : مقطوع .
- ٥ الساعة : أي مثل هذه الساعة مع الغد .
- ٦ اعتضد : جعله على عضده .
- ٧ أفلتت : تفضيل من الإفلات وهو شاذ . العيار : اسم رجل كان أترم ألقى جرادة ذات يوم في النار ثم ألقاها في فمه وهي حية ففرت من بين أسنانه ، فصارت مثلاً . النضال : أصله في الترامي بالسهم ثم استعمل في الكلام مجازاً . الحوار : المراجعة في الكلام بين اثنين فأكثر .
- ٨ الرازي : هو الشيخ محمد بن زكرياء صاحب كتاب الحاوي في الطب . البخاري : هو الحسن ابن سينا صاحب كتاب القانون في الطب . أسفار : كتب .

أدرُسُها في الليل والنهارِ
يسألُني عن غامضِ الأسرارِ
وسائلِ ممسأكِ مهذارِ
جعلتُ مثلَ الحادعِ الغرارِ
موعِدُهُ الساعةَ فوقِ النارِ
فقلْ له : صبراً على انتظارِي!

قال فما استتمَّ الإنشاد ، حتى وقفت له بالمرصاد . وقلت : عَهْدَتِكَ ،
بالأمس خطيباً ، فمتى صرت طيبياً ؟ فقال : إلبسْ لكلِّ حالةٍ لبوسها ، إماماً
نميمها وإماماً بوسها . دخلتُ يا ابن أخي هذا البلد ، وأنا غريبٌ لا سَبَدَ لي
ولا لَبَد . فرأيت الأديب عند أمته ، أهون من قُعَيْس على عمته . فلما
رأيتهم معارجَ لا تُرتقى ، وأراقمَ لا تقبل الرقْمى ، جرّدت المِبْضِعَ
والمشراط ، وسأستغفرُ الله لي ولهم إذا وقفنا على الصراط . قال : وبيننا نحنُ
كذلك إذ صاحت الصوائع ، وعلا ضجيج النوائح . فقلت له : قاتلك الله ما
أقتلك ، وأحبط علمك وعمالك . قد كنت أهونَ من قُعَيْس ، فصرت
أشأم من طُوَيْس . لو رمى الله بك أصحاب الفيل ، أغنيت عن الطير الأبايل .^{١٠}

١ وسائل : ورب سائل . ممسأكِ : تمتعت في الجدال .

٢ مثل : حال .

٣ الساعة : مفعول آخر ، والمراد بالساعة هنا القيامة ، وذلك مبني على قوله له إن شئت جعلنا
الساعة موعداً .

٤ المرصاد : الطريق .

٥ خطيباً : إشارة إلى خطبته على الجنازة في المقامة التي قبل هذه .

٦ مثل قاله يهيس الفزاري الملقب بالنعامة .

٧ السيد : الشعر . والبلد : الصوف . يكتئبهما عن القليل والكثير . عند أمته : عند أهل
هذا البلد . قعيس : رجل من الكوفة زار عمته في الشتاء وكان بيتها ضيقاً فأدخلت الكلب
إلى البيت وتركت الرجل خارجاً فمات من البرد . وقيل : رهنته على صاع من الخنطة ثم
لم تفكه فصار عبداً للبايع .

٨ معارج : مصاعد .

٩ المشراط : من آلات الأطباء في الجراحة . الصراط : قيل هو جسر يمد للناس يوم القيامة .

١٠ طويس : هو طويس المغني كان مذنّباً يضرب به المثل في الشؤم . أراد بأصحاب الفيل الحبشة
أصحاب أبرهة الأشرم . قيل إنهم قصدوا البيت الحرام ليهدموه ، فأرسل الله عليهم هذه
الطير ، وكانت ترميهم بحجارة صغيرة حيثما أصابت الرجل تنفذ من الجانب الآخر فأهلكتهم .
الأبايل : المتفرقة .

فَنظَرَ إِلَيَّ شَزْرًا ، وَأَنشَدَ يَقُولُ شِعْرًا : ١

لا خير في الناس ! دَعْنِي أَفْتُكُ بِهِمْ ، يَا فُلَانُ
فليس فيهم رجاء ، وليس منهم أمانُ
يا ليتَ أَلْفَ طَيِّبٍ مثلي يسوقُ الزمانُ !
فكلَّمَا قَصَرَ العِيشُ يقصرُ العِصيانُ !
فخففَ عنهم عذابُ الـ أُخْرَى وَقَلَّ الهوانُ !

ثم قال : هذه معذرتي فإن شئت القبول ، وإلا فدع عنك الفضول ،
وإذا فارقتني فقل ما شئت أن تقول . ثم ولى بهرول ، والنائحات تولول .
وهو يقول : لو قدرت أن أدفع الموت لبقيت إلى الأبد ، ولو شفى
الطبيب كل مريض لم يموت أحد . فرجعت أقول : هنا كل العجب ، لا
بين جمادى ورجب . ٢

١ شزراً : يؤخر عنه غضباً .

٢ مفارقة لقولهم في المثل : العجب كل العجب بين جمادى ورجب .

المقامة الخامسة

وتعرف بالصعيدية

أخبر سهيل بن عباد قال : دخلتُ مجلس قاضي الصعيد ، وقد جلس للتهنئة بالعيد . فبينما دنوتُ إليه ، وسلّمتُ عليه . دخلت امرأةٌ غَضَّةٌ ، كأنها ١ بُرجُ فِصَّة . وقالت : السلام عليك أيها المولى ، ولا زلتُ بالكرامة أولى فأحسن ردَّ السلام ، وقال : ما وراءك يا عصام ؟ ٢ قالت : إنني امرأةٌ من كرائم العقائل ، وكرام القبائل . قد خطبني إلى والدتي العجوز ، رجلٌ ٣ يدعي أنه من أصحاب الكنوز . وقد جعل كل ماله لي وقفاً ، وصرّفتي في بيته عيناً ووصفاً . فلما حضرت إلى بيته وجدته كبيت العنكبوت ، لا شيء فيه من الأثاث والقوت . وهو قد أمسكني جبراً ، وكلفني ما لا أستطيع عليه صبراً . فمره إن شئت بالإنفاق ، وإلا فالطلاق . فأشار القاضي إلى الغلام بإحضاره ، والمرأة دليمة له في آثاره . فما كان إلا كقراءة هل أتى ، حتى عادت المرأة والفتى . وبين أيديهما رجلٌ طويل القامة ، كبير العمامة . فتقدم إلى القاضي وهو يقول : أيّد الله الجالس على بساط الرسول . قال : أيّد الله

١ غضة : ناعمة .

٢ من أمثال العرب قاله الحرث بن عمرو ملك كندة وكان قد أرسل امرأة يقال لها عصام لتنظر له فتاة يريد أن يخطبها . فلما عادت إليه قال : ما وراءك يا عصام ؟ يريد أن يستخبرها عما ذهبت إليه .

٣ العقائل : جمع عقيلة وهي كريمة الحي .

٤ صرفني في بيته عيناً ووصفاً : أي ولاني على ما في بيته أفعل به ما أريد وأدبره كما أريد .

٥ هل أتى : سورة صغيرة من القرآن .

الحقّ المبين ، وعصمنا وإياك بمجبه المتين . ما تقول في دعوى هذه الجارية ؟
وما أدراك ما هيته . قال : هي فريية وسوس بها إليها الشيطان ، ومريية^١
ما أنزل الله بها من سلطان . قال : فادفع عن نفسك بالتي هي أحسن ، ولا
تجادل في أشياء إن تبد لك تسؤك فتعزن . قال : لا حول ولا قوة إلا بالله^٢
العليّ العظيم ، ثم أشار إلى القاضي وأنشد بصوتٍ رخيم :

أنا أبو ليلى أخو العجاج وصاحب الأرجاز والأحاجي^٣
عندي من العلم لدى المناجي كنز ، ومن مطارف الديباج^٤
ما ليس من صناعة النساج ، لكنني من قلة الرواج^٥
قد اشتريت دملجاً من عاج بدرهم كالقمر الوهّاج
كنت أصونه إلى احتياج إذ لم أكن لغيره براج
فذاك مالي ، يا أبا فراج ، جعلته في يد بنت الناجي^٦
وفقاً لها ، فلست بالمداجي وهي على بيتي كالحجاج^٧
تحكم في الإدخال والإخراج من غير عرضة ولا حجاج
مصونة في أحصن الأبراج آمنه من طارق مفجاج^٨

- ١ ما هي : ضمير المؤنثة لحقته هاء السكت . فريية : أكذوبة مختلفة . مريية : هظنة وجدال .
- ٢ تبد : تظهر . تسؤك : مضارع ساء .
- ٣ العجاج : هو أبو روية المشهور كان من فحول شعراء العرب . يريد أنه نظيره في الشعر .
الأحاجي : نوع من الألفاظ سيذكر .
- ٤ مطارف : أردية .
- ٥ النساج : كناية عن الشعر فإنه يزين المملوح به كما تزينه الثياب الفاخرة . من قلة الرواج :
من كساد العلم والشعر .
- ٦ فذاك : الإشارة إلى الدرهم . فراج : كنية القاضي . الناجي : اسم أبيها .
- ٧ لست بالمداجي : نفى المداجة عن نفسه لأن الوقف في اللغة يراد به السوار من العاج أيضاً
وهو قد اشتراه بكل ماله وحمله في يدها . الحجاج : هو كليب بن يوسف الثقفي كان ملكاً
في الشام .
- ٨ طارق : الذي يأتي في الليل . يريد أنه لفقره لا يزوره أحد .

مرتاحة^١ من كل ذي إزعاج لا تحمل الزيت إلى السراج^١
 ولا تعاني الرخص^٢ للسناج وطاجن الفالوذ والسكباج^٢
 وعرن الكباش^٣ والنعاج فلم تزل صحيحة المزاج^٣
 نقيّة^٤ من وضر^٤ الأمشاج غنيّة^٤ عن خطر^٤ العلاج^٤
 والمرء لا يرضى ولو بالتاج

قال : وكان المجلس حافلاً بأهل العيد ، ومزدحمًا بالأحرار والعبيد . فمجبوا
 من بداهة الرجل وفكاهته ، ونزّهة لفظه ونزاهته . وقالوا : ما نراه أخطأ في
 الدعوى ، لكنها أخطأت في الفحوى . فليجبر قلبها كل واحد بدينار ،^٥
 ولنجعلها زكاة عيد الإفطار . ثم حصّبها كل بدينار حسب وعده ، وقالوا^٦
 لها : أنفقي بما رزقك الله حتى يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده . فاستشاط
 الرجل وقال : أراكم قد أمرتموها بالإنفاق فقد جعلتموها لي بعلاً ، وجعلتموني^٧
 لها أهلاً . فلا تلبث أن تقول : قد استنوق الجمّل ، وتطلقني البتات لعكس^٨

١ إذ لا زيت عنده .

٢ الرخص : الغسل . السناج : أثر دخان السراج على الحائط . طاجن : طابق يقل به . الفالوذ :
 نوع من الحلوى . السكباج : طعام .

٣ عرن : ما يعلق باليد من دسم اللحم . صحيحة المزاج : لقلة تناول الأطعمة واختلافها .

٤ وضر : دنس . الأمشاج : الأخلاط .

٥ الدعوى : كما ادعى لنفسه . أخطأت في الفحوى : أخطأت في فهم فحوى دعواه لأنها فهمت
 أنه أراد كثر المال والوقف الذي هو حبس الملك على جهة مخصوصة وإن المراد بالبيت أمتعه .
 وهو يريد بالكنز العلوم المكونة في صدره وبالوقف السوار من العاج وبالبيت نفس البناء
 القائم . وهو قد وفى بكل ذلك فكان الخطأ من جهتها لا من جهته .

٦ حصّبها : رماها .

٧ بعلاً : زوجاً .

٨ أهلاً : زوجة . استنوق الجمّل : مثل ، أي صار الجمّل ناقة . تطلقني البتات : طلاقاً لا
 مرجع فيه .

العمل . قالوا : لله درك أيها الجندلة ، فما تقول في المسألة ؟ قال : قد رأيتم^١
 في الكتاب رأيي العين ، أن للذكر مثل حظّ الأُنثيين . فإن أحسنتم فأليكم ،
 وإلا فكتاب الله عليكم . قالوا : قضى الأمر الذي فيه تستفتيان ، فقد
 أحسنتم وما جزاء الإحسان إلا الإحسان . فاشرب الرجل واستطال ،^٢
 وأقبل على القاضي وقال :

إن أخطأت جارية في الفهم لا يخطئ القاضي المتين العلم
 في فهم شكواي وفرض السهم^٣

فقال القاضي : شهيد الذي أخرج المرعى ، أنك تريد أن تلسع الأفعى . فخذ
 هذه الجدوى ، على أن لا تحضرني بدعوى . فلما أحرز الرجل ما أعطاه ،^٤
 برزت المرأة كالسُعلاة . وقالت : أيد الله القاضي إن الدعوى من قبلي ،^٥
 فقد كان ذلك لي^٦ . فأطرق القاضي إطراق المشفق ، وقال : إن البلاء موكل^٧
 بالمنطق . ثم قال للشَّرطي : إني أراهما يتداولان مكر الليل والنهار ،^٨
 ويصلان الدرهم بالدينار . فخذها بهذه السفُتجة ، واكفني كربة الحشرجة ،^٩
 وأربة السمرجة . قال سهيل : ولما أراد الرجل الخروج عطف إلي ، وقد^٩
 أغمض إحدى عينيه لتخفي معرفته علي . وقال : أعيذك بالله أن لا تكون من

١ لعكس العمل : بسبب عكس عملكم في تفويض الإنفاق إليها لأن ذلك للرجال . الجندلة :
 الصخرة ، كناية عن متانته في الحجية .

٢ اشرب : مد عنقه مطاولا .

٣ السهم : النصيب .

٤ الجدوى : العطية .

٥ السُعلاة : أنثى الغول .

٦ تريد أنها هي التي حضرت بالدعوى على الرجل فإذا كان القاضي يريد أن يقطع الحضور إليه
 بدعوى ينبغي أن تكون العطية لها حتى لا ترجع ثانية . المشفق : الخائف الخذر .

٧ إن البلاء موكل بالمنطق : مثل يضرب لمن سقط بكلام .

٨ السفُتجة : كتاب الحوالة .

٩ أربة : شدة . السمرجة : استخراج الحراج في ثلاث مرات .

الناس ، فإن اعتذرت فلا بأس . قلت : ليس معي إلا دينارٌ واحدٌ فاقسمناه ،^١
 وإلاً فنظرةٌ إلى ميسرةٍ من رزق الله . قال : نعم ولكن إذ تخلّصت قاتبةٌ^٢
 من قوبٍ ، فأياكَ مطلَ عرقوبٍ . ثم خرج فانطلقتُ في أثره ، لأقِفَ على كنه^٣
 خبره . فلما أبعد عن دار القضاء ، واقضى سفتجتهُ البيضاء ، فتح الشعرى^٤
 الفميصاء . فإذا هو صاحبنا ميمونٌ بعينه ، وقد انتفض العور من عينه .^٥
 فابتهجتُ بمرآةٍ ، واغتنبتُ بملقاهُ . وقلت له : ما خطبك وهذه الجارية ،
 ومتى تزوجت في البادية ؟ قال : هي في البيت ابنتي ، وفي المحكمة زوجتي .
 ثم أنشد :

خَبُتَ الدَّهْرُ ، فَصَارَتْ أَنْفُسُ النَّاسِ بِحَيْلِهِ
 وَإِذَا حَالَكَ سَاعَاتُ ، فليَكُنْ عِنْدَكَ حَيْلَهُ

ثم غمز بأنامله مرفقي ، وقبل مرفقي ، وقال : أستودعك الله إلى أن^٦
 نلتقي .

- ١ أن لا تكون من الناس : ان الناس الحاضرين كلهم أعطوه فإذا خرج عن طريقهم لم يكن من الناس . إن اعتذرت فلا بأس : إن أردت أن لا تكون من الناس فلا بأس علي بذلك .
- ٢ نظرة : مهلة . القاتبة : البيضة .
- ٣ القوب : الفرخ ، وهو مثل يضرب لمن انفصل من صاحبه . العرقوب : رجل من العماليق يضرب به المثل في إخلاف الوعد والمماطلة . كنه : نهاية .
- ٤ اقتضى : استوفى وقبض .
- ٥ الشعرى الفميصاء : هي نجم يطلع بعد الجوزاء . كنى بها عن عينه التي كان قد أغمصها . وهمل شعريان إحداهما هذه والأخرى الشعرى العبور . والعرب يزعمون أن سهيلاً تزوج بهذه وذهب بها حتى عبر المجرة وهي نهر في السماء فقبل لها الشعرى العبور . وجاءت أختها فلم تستطع أن تعبر فلبت تبكي حتى لم تستطع أن تفتح عينها فقبل لها الشعرى الفميصاء .
- ٦ المرفق : موصل الذراع في العضد . وغمزه : ضغط عليه بيده . والأنامل : أطراف الأصابع . مرفقي : حيث يفترق الشعر في الرأس .

المقامة السادسة

وتعرف بالغزرجية

قال سهيل بن عبيد : دخلت بلاد العرب ، في التماس بعض الأرب . فقصدت نادي الأوس والحزرج ، لأنفراج وأنخرج ، وآخذ من ألسنتهم بعض المنهج . فلما صرت في بهرة النادي ، أخذ بجماع فؤادي . فجلست بين القوم ساعة ، وأنا أهدق إلى الجماعة . وإذا شيخنا ميمون بن خزام ، قد تصدر في ذلك المقام . وهو يقول : من أراد أن يعرف جهينة ، أو شاعر^٣ مزينة . فليحضر ليسمع ويرى ، فإن كل الصيد في جوف الفرا . فعمد إليه رجل وقال : أطرق كرى ، إن النعامة في القرى . فقال الشيخ : كل فتاة بأبيها معجبة ، فكن سائلاً أو مسؤولاً لنرى ما في القداح من

١ أي نادي بني الأوس وهو ابن حارثة بن ثعلبة من عرب اليمن والحزرج أخوه . كل منهما أبو قبيلة تنسب إليه .

٢ بهرة : وسط .

٣ جهينة : رجل من اليمن يضرب به المثل في كثرة الروايات والأخبار .

٤ مزينة : هو زهير بن أبي سلمى أحد أصحاب الملققات . الفرا : حمار الوحش . وهو مثل أصله أن ثلاثة رجال خرجوا يصطادون فاصطاد أحدهم أرنباً والآخر ظلياً والآخر حمار وحش . فاستبشر الأولان وتطاولا فقال الثالث : كل الصيد في جوف الفرا . أي أنه أعظم الصيد فمن ظفر به أغناه عن كل صيد .

٥ أطرق : أخفض رأسك . الكرى : قيل : إن المراد بالكري الكروان وقيل طائر آخر وهو منادى بإصمار الحرف . أي لا تستكبر فإن النعامة التي هي أعظم منك قد صيدت وحبست في القرى . وهو مثل يضرب لمن يتكلم وليس عنده غناء .

٦ كل فتاة بأبيها معجبة : مثل يضرب في افتخار كل رجل بما عنده . القداح : سهام الميسر يرمى بها قماراً .

الأنصبة . قال : إنا يُسألُ العالم ، فما هي أساءُ المطاعم ؟ قال : لبيك^١
وسعديك ! وأنشد كهزار الأيك^٢ :

للتفساء الحُرْس والعقبة للطفل عند عارف الحقيقة^٣
كذلك الإعدارُ للختانِ وذو الحداق حافظُ القرآن^٤
للخطبة الملاكُ والوليمة للعرس والميتُ له الوضيمه
وللبناء جعلوا الوكيرة وهلال رجب العقيرة
وقيل تحفة لزانير يرد وسندوخ لما يضلُّ إذ وجد
كذا نقيعة القدم من سقر ثم القرى للضيف عندما حضر
وحيث لم يكُ من ذاك سبب فإنها مأذبة عند العرب
وإن نعم دعوة فالجفلى تدعى وإن خصت فتلك النقرى^٥

قال : أحسنت يا ضريب الضرب ، فما هي نيران العرب ؟ فأنشد^٦ :

أولُ نارٍ عندهم نار القرى وذكر نار الوسم بعدها جرى^٧
ونار الاستسقاء والتحاليف والصيد والحرب لدى التزاحف^٨

١ الأنصبة : جمع نصيب . إنا يُسألُ العالم : يحق أن تسأل لأنك عالم .

٢ الأيك : الشجر الكثير الملتف .

٣ للتفساء الحرس : المراد بالحرس طعام الولادة لا ما تطعمه النساء عينيه . وكذا البواقي . والعقبة للطفل : كانوا يصنعونها عند حلق شعره .

٤ الحداق : الطعام الذي يصنع لحفظ الولد القرآن يقال له الحداق .

٥ إذا دعا صاحب الطعام كل القوم فهي الجفلى . وإذا دعا أفراداً منهم فهي النقرى .

٦ ضريب : نظير . الضرب : العسل الأبيض الغليظ .

٧ القرى : الضيافة . الوسم : كانوا يسمون إبل الملوك لترد الماء أولاً . ونار الوسم هي التي توقد ليحمي بها الميسم .

٨ نار الاستسقاء : كانت الجاهلية توقدها طلباً للمطر . والتحاليف : توقد عند التعاهد على أمر .

والصيد : توقد للظباء لتمشى أبصارها . والحرب : توقد على جبل إعلماً للأحلاف الأبعد .
التزاحف : ميثي الجيشين إلى بعضهما .

ونار غدرٍ وسلامةٍ تُعَدُّ ونار راحلٍ كذا نار الأسد
والنار للسلام والقداء فجيلة النيران هؤلاء؟

قال : أعتقك الله من النار ! فهل تعرف ساعات النهار ؟ فأنشد :

أولُ ساعةٍ من النهارِ هي البكورُ والبزوغُ طارٍ
والرأدُ والضحىُّ المتسوعُ بعدُ ظهيرةٌ ثم الزوالُ عدوا
فالعصرُ فالأصيلُ ثم الطقلُ وبالحدور والغروبُ تكملُ

قال : قد أسبغت الذيل ، فهل تعرف ساعات الليل ؟ فأنشد :

أولُ ساعةٍ من الليل الشفقُ وبعدها العشوةُ يتلوها الغسقُ
فهدأةٌ ثمَّتَ شرعٌ ثم قُلُ جِنحٌ وزلفةٌ هزيعٌ يا رَجُلُ
وبعد ذلك غَبَشٌ وسحرٌ والفجرُ والصبحُ الذي ينفجرُ

قال : قد درأت الشُّبُهَاتِ ، فهل تعرف رياح الجهات ؟ فأنشد :

ماهبٌ من شرقٍ فذلك الصبا ثم الجنوبُ عن يمينٍ ذهبا
ثم الشمالُ والدبورُ ، وجرت نكباءٌ بين كلِّ ريحينِ سرت
فذلك الأزيبُ ثم الصابيه ، فالهيفُ ثم الجربياءُ آتيةُ

١ نار غدر : كانوا إذا غدر الرجل بصاحبه يوقدون ناراً بمنى أيام الحج ثم يقولون هذه غدره فلان . وسلامة : توقد للقادم من سفر سالماً . ونار راحل : توقد للمسافر إذا لم يجوا أن يعود . ونار الأسد : توقد عند الخوف من سطوة الأسد حتى إذا رآها ينفر منها .

٢ السلام : المسموع يقال له ذلك تفاؤلاً بالسلامة . وهم يكرهونه على السهر ويوقدون له ناراً ليسهر على ضوءها . والقداء : كانوا إذا سببت نساء الأشراف منهم فدهن يخرجونهن ليلا ويوقدون لهن ناراً يستضئن بها .

٣ طار : حادث أي واقع بعدها .

٤ أي أن الأزيب ريح بين الصبا والجنوب . والصابية بين الصبا والشمال . والهيف بالفتح بين الجنوب والدبور . والجربياء بكسر الجيم والباء وسكون الراء : بين الشمال والدبور .

قال : قد جلوت الرموز ، وفتحت الكنوز ، فهل تعرف أيام برد العجوز ؟^١ فأُشِد :

صِنْ وَصِنْبِرٌ وَوَبْرٌ يُذَكَّرُ وَبَعْدَهُ الْأَمْرُ وَالْمَوْثِرُ
كَذَا مُعَلَّلٌ وَمَطْفِي الْجَمْرِ هَاتِيكَ أَيَّامَ الْعَجُوزِ فَادِرِ
قال : حُبِّتَ يَا قَطْبَ الْعِرَاقِ ، فَمَا أَسْمَاءُ خَيْلِ السِّبَاكِ ؟ فَأُشِد :

أَوَّلٌ سَابِقٍ هُوَ الْمُجَلِّيُّ ثُمَّ الْمَصْلِيُّ بَعْدَهُ الْمُسْلِيُّ
قَالَ وَمِرْتَاخٌ عَلَيْهِ يُقْبَلُ وَالْعَاطِفُ الْحَظِيُّ وَالْمَوْثَلُ
كَذَلِكَ اللَّطِيمُ وَالشُّكَيْتُ فَاحْفَظْ فَمَا أُعْطِيَتْ قَدْ أُعْطِيَتْ

قال : لله دَرَكٌ ! لقد جمعت فأوعيت ، وقدحت فأوريت^٢ . فإن شئت فسل^٣ ، قال : أجل^٤ ، ولكن خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ^٥ . فإن أبطأت^٦ في الجواب فلي عليك ناقة حمراء ، وعلى قومك فرس غراء^٧ . قال : هات وبالله التوفيق ، إلى سواء الطريق . فقال : ما هي بَرَقَ الْعَرَبِ الْمَذْكُورَةِ^٨ ، وداراتهما المشهورة ؟ فضاقت الرجل ذرعاً في الجواب ، وقال : اللهم اهدنا صراط الحق والصواب . ثم قال : قد وجبت راحلة الشيخ علينا ، ليسهل وفده^٩ إلينا . فقال الشيخ : قد علمت يا قوم أن الخيو معقود^{١٠} بنواصي الخيل ،

١ برد العجوز : هي الأيام السبعة التي بين أواخر شباط وأوائل آذار والعامية تقول لها المستقرضات .

٢ أوريت : يقال أوري الزند إذا أخرج منه ناراً .

٣ من كلام القرآن . والمراد بالعجل العطين لكنهم تأونوه على المتبادر من اللفظ بالسرعة . والمقصود أنه يجب أن يعجل في الجواب كما عجل الشيخ ، وذلك لأنه يريد أن يسأله عما لا يمكنه الجواب عنه بالعجلة .

٤ ناقة حمراء : النياق الحمراء عند العرب أفضل الإبل . فرس غراء : لها بياض في جبهتها أوسع من الدرهم .

٥ برق : مواضع في بلاد العرب .

٦ داراتها : مواضع أخرى تنتهي إلى مائة وأربع عشرة دارة .

٧ وفده : زيارته . قال ذلك رياء لأنه لم يرد أن يتظاهر بالعجز عن الجواب .

وهي التي ينجو بها الوافد من جوارح النهار وطوارق الليل^١ . قالوا : كلاهما وتمراً ، فقد فرضنا لكل بيت صلة^٢ أخرى ، على أن تكتبها لنا سطرأ^٣ فسطراً . ففعل وقال : الشرط^٤ أم لك^٥ . فجاؤوا بناقة وجناء وفرس كُميت ، وشاة لكل بيت . فأنكر الشيخ الشويحات^٦ ، وقال : قد أجزتم نصف الأبيات . قالوا : بل أجزنا كلها جميعاً ، فإن كنت^٧ قد اذخرت شيئاً فأبشده لنجيزه سريعاً . فضحك الشيخ على الأثر ، وقال : أريها السهى وتريني القمر . إن هذه الأبيات مشطورة^٨ توهم الأنصاف^٩ ، لكنها تحسب أبياتاً عند الإنصاف^{١٠} ، وإلا لما جاز في قوافيها ما رأيتم من الخلاف . فإن تمسكتم بالعروة الوثقى ، وإلا فالله خير وأبقى . فقالوا :^{١١} لله درك ما أقوالك في الحجّة ، وأهداك إلى المحجّة ! قد رضنا بما حكمت^{١٢} .

١ جوارح النهار : ما يحدث من آفاته وكذلك الطوارق في الليل .

٢ كلاهما وتمراً : مثل . أصله أن عمر بن حمران الجعدي كان جالساً وبين يديه زبد وتامك وتمر فأناه رجل وقال أطعمني من هذا الزبد والتامك فقال كلاهما وتمراً . أي لك كلاهما وأزيدك تمراً . والتامك سنام الحمل . صلة : عطية .

٣ مثل يضرب لجفظ الشرط .

٤ وجناء : شديدة . كميث : يخالط حمرتها سواد . الشويحات : جمع شوية مصغر شاة .

٥ أجزتم : أعطيتم جائزة .

٦ أريها السهى وتريني القمر : أي أريها الخفي وتريني الواضح . وهو مثل يضرب لمن يغالط في ما لا يخفى . البيت المشطور : هو ما سقط نصفه . توهم الأنصاف : توهم أنها أنصاف أبيات لا أبيات كاملة .

٧ اختلفت علماء العروض في المشطور على سبعة مذاهب منها أن كل شطر يحسب بيتاً باعتبار الشطر الآخر الساقط وهو المذهب الأقوى .

٨ الخلاف : إذا كانت لا تحسب أبياتاً مستقلة لا يجوز الاختلاف في قوافيها كما رأيت في الأبيات لأنها حينئذ تكون قصيدة واحدة فلا بد أن تكون على قافية واحدة . وإنما هي أبيات كل بيتين منها على قافية وهما كأنهما من قصيدة وما يليهما من قصيدة أخرى وهلم جراً العروة الوثقى : المذهب الأقوى .

٩ المحجّة : معظم الطريق .

فخذ ما احتكمت^١ . قال : فاعتمدَ على عصاهُ وقال : ربَّ ثبَّتْ قدسي ،
 واشدُدْ عصاي التي أتوكأُ عليها وأهشُّ بها على غنمي . ثم أشار إلى المشهد^٢
 وأنشد :

من كان يبغى السيرَ في المنهجِ ^٣	فلياتِ نادي الأوس والخزرجِ
يلقَ الغطاريفَ الألى همُّهم	ربُّ القنا لا ربَّةُ الهودجِ ^٤
يُدكون نيرانَ القرى في الدجى	وينحرون الكومَ في السجسجِ ^٥
إذا دعا الداعي استقامت له	خيلٌ نسبناها إلى أعوجِ ^٦
لئن أفادونا بأكرومةٍ	من ملقحٍ يبلى ومن منتجِ ^٧
فقد جزيناهم بما ذكره	يبقى بقاء الجبل الأصليحِ ^٨

فقالوا: قد تفضلتَ علينا في الثناء، فلك اليدُ البيضاء. وهذه نفقةٌ لسفركِ،
 فسِر مسروراً بظفركِ . قال : فلما فصل عن النادي ، قفوته إلى الوادي^٩ .
 وقلت له : هنياً مرياً ، لقد جئتَ شيئاً فريباً . فأنتى لك هذا السجال^{١٠} ،
 وكيف أجيبتَ كلَّ سؤالٍ بالارتجال؟ قال : يا ابنَ أخي الحقُّ أولى أن يقال .

١ احتكمت : اخترت لنفسك .

٢ أهشُّ بها : أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقه . المشهد : المحضر .

٣ المنهج : الطريق الواضح .

٤ الغطاريف : السادات . الهودج : مركب للنساء .

٥ القرى : الضيافة . الدجى : جمع دجية وهي ما ألبسك الليل من سواده . الكوم : القطعة
 من الإبل ويحتمل أن يراد بها جمع الكوماء وهي الناقة العظيمة السنام . السجسج : الوقت
 ما بين الفجر وطلوع الشمس .

٦ أعوج : فرس كريم كان لبني هلال .

٧ أكرومة : عطية . ملقح : كبش . منتج : نعجة .

٨ بما ذكره : بالمدح الذي مدحناه به . الأصليح : الشديد الأملس .

٩ قفوته : تبعته .

١٠ هنياً مرياً : مأخوذ من قولهم للشارب هنياً وللاكل مرياً أي جعلك الله تسبيغ الشراب والطعام
 فلا تشرق ولا تنقص . فريباً : عظيماً . أنتى : من أين . السجال : المباراة .

شهدت سوق عكاظ ، ونخلت تلك الأوساط . فسمعتهم يتناشدون القطعة^١
 والبيت ، ويتذاكرون من كسيت وذيت . فالتقطت منهم ما للتقطت^٢ ،
 وسقطت به على من سقطت . ثم أشار إليّ بعصاه ، وأنشد وهو يسوق
 الشياه :

تُرى عيني تقرأ وعين ليلى تراقبُ عودتي حيناً فحيناً
 تسائلُ عن أبيها كلَّ ركب فلا تدري لهُ خبراً يقيناً
 نذرتُ لها الفراهيد اللواتي أعود بها وأخرجتُ اليميناً^٣
 تضيفُ بها بنات الحيِّ يوماً كما قد كنت أصنع للبنينا

ولما فرغ من إنشاده ، تغطى في بداده ، على جواده . ثم ودعني وانطلق ،
 وأودعني القلق . فأتبعته عيني إلى أن غاب ، ورجعت أستمطر لهُ السحاب .

١ عكاظ : صحراء بناحية مكة كانوا يجتمعون بها كل سنة في أول ذي القعدة فيقيمون عشرين يوماً يتبايئون ويتفاخرون ويتناشدون الأشعار . الأوساط : الجماعات . القطعة : أبيات الشعر إلى سبعة وقيل إلى عشرة وما فوق ذلك قصيدة .

٢ كسيت : كناية عن القول . ذيت : كناية عن الفعل . أي أنهم كانوا يقولون فلان قال كذا وفلان فعل كذا .

٣ نذرت لها : ادعى بأنه نذر الشياه لها ليقطع طمع سهيل في شيء منها . الفراهيد : صغار الغنم . أخرجت : أعظمت .

٤ البداد : ما يحشى ويجعل تحت السرج ونحوه . أي في سرجه .

المقامة السابعة

وتعرف باليمينية

حكى سهيل بن عباد قال : لفظتني أحداث الزمان ، إلى مشارف
اليمين . فحللتها أنكر من شيء ، وأنقل من شيء . لا أعرف بها جليسا ،
ولا أجد لي أنيسا . فلما مللت الإقامة فيها ، همت بالرحيل عن فيا فيها .
فرايت رجلا في الرحال ، يطالب شيخا بال . والشيخ يتبرأ من طلبه ، ما
لم يحكم الشرع به ، فتنافذا إلى القاضي بسية . قال : وكنت قد تهيأت
أن الشيخ صاحبنا ميمون ، فابتهجت كافي أوتيت مال قارون ، وتبعته إلى
دار القضاء لأنظر ماذا يكون . فلما دخلا على القاضي حياه الشيخ بالسلام ،
وقال : أيتد الله شرع الإسلام . فكان القاضي نظر إلى رثانة برديه ، فلم
يحفل بالرد عليه . فأخذت الشيخ الحمية ، حمية الجاهلية . وقال : اراك
قد ارتكبت الخلة المنهي عنها ، فقد قال الكتاب : إذا حييتم بتحية فحيوا
بأحسن منها . فإن كنت تعتبر الحرق دون الأخلاق ، فتلك مدارج الخز

١ مشارف اليمين : أعالي أرضها . أنكر : تفضيل من النكرة نقيض المعرفة من شيء : قالوا
إن الشيء أنكر النكرات لأنه يطلق على جميع الموجودات . أنقل : من معنى الانتقال لأن
الظل لا يثبت له .

٢ يقال تنافذ الحصان إلى القاضي بالذال المعجمة أي ذهب إليه . فإذا أوضحا حجتهما يقال
تنافذا بالمهملة .

٣ الحمية : الأنفة .

٤ الخلة : الطريقة .

٥ الحرق : أي الثياب . مدارج الخز : مطاوي الثياب الحريرية .

في الاسواق، وإلا فانظر إلى الألباب دون الجلباب . فإن المرء بأصغريه^١، لا بثوبيه^٢ ، قال : فنجعل القاضي واعتذر إليه، وقد عظم في عينه . وقال : هل للشيخ دعوى تُرفع ؟ قال : لا بل لصاحبنا دكموى لا تُسمع . فأشار القاضي إلى الرجل ، وقال : تقدّم فقل . فقال : يا مولاي لا تطعم العبد الكراع ، فيطمع في الذراع . إن هذا الشيخ استأجر مني ناقة^٣ مهريّة^٤، في الديار المصرية . وقال : إذا بلغنا اليمن لا أسلمك الزمام ، حتى أسلمك الأجرة عن تمام . فرحّصت له^٥ في النسب^٦ ، وعفّلت^٧ عن الحبيثة . فلما بلغنا موطن^٨ القدم ، إذا هو أضبط^٩ من عائشة بن عمم . فأمسك المطية ، فضلاً عن العطيّة . فقال القاضي : ما تقول أيها الشيخ في دعواه ؟ فضحك حتى استلقى على قفاه^{١٠} . وقال : قد جعلت تسليم الأجرة موعداً لتسليم الزمام ، فأنا لا أسلمه الأجرة والسلام . فعجب القاضي لافتنانه ، وأعجب بسحر بيانه ، وخاف من ظبّة لسانه . فقال للرجل : فجعلها بين^{١١} بين ، خذ العين^{١٢} ، واركب الدين ، فويل^{١٣} أهون^{١٤} من ويلين . فقال : إذا لم يكن غير هذا عند المولى ، فالرضى به أولى . ولما خرج الرجل لسانه ، أشار القاضي إلى بعض غلمانه . وقال له : شيع^{١٥} الشيخ إلى ببحوحة^{١٦} الربيع ، وخذ منه دينار المنع^{١٧}،

١ الجلباب : الثوب . أصغريه : قلبه ولسانه . وهو مثل قاله شقة بن ضمرة التميمي حين دخل على النعمان فلم يحفل به لدماثة منظره فقال : أبيت اللعن ! ليس الرجال بجزر تتراد منها الأجسام ، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه .

٢ لا تطعم العبد الكراع فيطمع في الذراع : مثل يضرب لمن يرخص له في القليل فيطمع في الكثير . مهريّة : منسوبة إلى مهرة بن حيدان رجل من العرب .

٣ النسب : تأخير الأجرة .

٤ موطن القدم : مكان النزول . عمم : على وزن عمر . وهو رجل من العرب كان أخوه ينزح ماء البئر ، وإذا بكر من الجمال قد اقتحم البئر حتى هبط ، فأخذ عائشة بذيئه وضبطه عن الهبوط ثم انتشله ، فضرب به المثل .

٥ ظبة : حد السيف . بين بين : أي متوسطة بين الطرفين . العين : الناقة .

٦ الدين : الأجرة .

٧ ببحوحة : فسحة . دينار المنع : ما يأخذه القاضي من المدعى عليه إذا منع الدعوى عنه .

فقال الشيخ : أراك أيها الإمام، قد جعلت زادك مُخَّ النعام . ولقد بلوتك^١ لأرى هل تحكم بالقسط بين الناس ، فوجدتك تميل إلى حيث ترجو ثمالة الكاس، أو تجهل إخراج القضايا على مقتضى القياس^٢ . فلأهجوّنك بما لم يُهجَ به قاضٍ من قبل، ولأشكوّنك إلى من يؤدبك بالعزل، أو تشتري عِرْضَكَ مني ولي عليك الفضل . فندم القاضي على قضائه الحامر ، وقال : هذا جزاء مجير أم عامر^٣ . ثم أقبل على الشيخ وقال : قد فرضت في مالي من الزكاة نصاباً^٤ ، فخذهُ وسبِّح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً . قال : فلما قبض الشيخ الذهب ، نهض وقال لي : يا رجب ، خذ من القاضي دينار الأدب^٥ . فقال القاضي : إنني بحكمك راضٍ ، فاقض ما أنت قاضٍ . فتلقت الدينار^٦ وخرجنا للحين ، والقاضي يقول : إن الله لا يضيع أجر المصلحين^٧ . ولما فصلنا عن المكان، دعوت الشيخ إلى منزلي بالخان . فقال : إن نفسي لا تطيب بمقام ، حتى أفتقد الناقة والغلام . قلت : وما ذلك يا حمة العقرب ؟ فضحك حتى^٨ استغرب . وقال : أما الناقة فر كرويتي التي جرت على أجرتها المُخاصمة، وأما الغلام فخصمي الذي رأيتُه في المحاكمة . فقلت : وماذا حملك ، على أن تُحبط عملك ؟ قال : وصلت إلى هذه البلاد ، وقد خلّكت وفضّيتي من^٩

١ مخ النعام : المخ الودك الذي في العظم . وهو مثل لما لا يوجد . بلوتك : امتحتك .

٢ يريد أن القاضي قد حكم بالمحاباة أو بالجهالة .

٣ أم عامر : كنية الضبع . قيل إنها قدمت يوماً وهي مذعورة على أعرابي في خيمته ، فأجارها وأطعمها لما عنده حتى شبعت واستأمنت ، فلما صادفت فرصة منه أفرسته ، فضرب به المثل .

٤ نصاباً : عشرين ديناراً .

٥ في مقابلة دينار المنع الذي طلبه القاضي أي أنه يريد أن يؤدبه .

٦ تلقت الدينار : أخذته بسرعة .

٧ أجرى هذا الكلام مجرى التهمك على نفسه .

٨ حمة العقرب : إبرتها التي تلدغ بها .

٩ فضحك حتى استغرب : بالغ في الضحك .

١٠ تحبط : تفسد . وفضّيتي : جرابي .

الزاد، فتوصلت إلى القاضي بسببٍ لعلمي أنه أطفئ من فرعون ذي الأوتاد،^١
وأبخل من كلاب بني زياد^٢. ورضدت له حتى طلب دينار القضاء، فكان عليه
أشأم من رغيف الحولاء^٣. فقلت له: لله درك ما أطول باعك، وأهول
قاعك! قال: من ليس يؤخذ بالبنان، فخذ بالسنان. ثم انساب بي إلى
منزله كالحباب^٤، وإذا غلامه للذي كان يخاصه بالباب. فأشار إليه وأنشد:

هذا غلامي الذي خاصتهُ إني لمثل ذلك استخدمتهُ
حتى إذا الصيد أتى قاسمتهُ بما كسوتهُ وما أطعمتهُ
وإن قنادى الدهر بي علمتهُ ما قد أذعته وما كتمتهُ
وهو مقامٍ ولدي أقمتهُ فإن ذخرتُ عنه أو حرمتهُ
عاقبني الله فقد ظلمتهُ

قال: فعجبت من أفانينه في المكر، وأساليبه في النظم والنثر. وعدلت
إذ ذاك عن الرحيل إلى المقام، حتى أراد الشخوص إلى الشام، فانطلق إلى
دار الحرب^٥ وانطلقت إلى دار السلام.

١ فرعون ذي الأوتاد: يريد به صاحب مصر الذي طفى قديماً.

٢ كلاب بني زياد: يضرب المثل في بخل هذه الكلاب لشدة بخل القوم فإنها لا تزال جامعة حريصة على ما تناله.

٣ الحولاء: هي امرأة من العرب كانت في بني سعد فخطف رجل رغيفاً عن رأسها فشاجرته واتسع الخصام حتى اتصل بين الأحلاف فقتل فيه ألف رجل.

٤ القاع: الأرض السهلة المنخفضة التي انفرجت عنها الجبال. بالبنان: عبر بها عن اليد من باب تسمية الكل باسم البعض.

٥ الحباب: الحية.

٦ يعني أنه حينما انصرف لا ينفك عن معركة مثل هذه فكفى عن ذلك بدار الحرب.

المقامة الثامنة

وتعرف بالبغدادية

قال سهيل بن عبّاد: حللتُ بالزوراء^١ في بعض الأسفار، وأنا غريبُ الدار، بعيد المزار، فكنتُ أتردّد فيها سحابة النهار^٢، وأتفقّد ما بها من المشاهد والآثار. حتى دخلتُ يوماً بعضَ المدارس، وإذا شيخنا الخزاميُّ هناك جالس. والطلّبة قد أقبلوا عليه، وأحدقوا به وإليه. فسلمتُ عليه تسليم المشوّق، وابتهجتُ به ابتهاج العاشق بِلِقَاء المعشوق. وجلسنا نتشاكى التوى، وتباكى للجوى^٣. وإذا امرأةٌ تنادي يا شاري اللّبن، الرخيصَ الثمن. وهي في أثناء الكلام، تتلاعبُ في الإعراب على الثلاثة الأحكام^٤. فعجّبوا لافتنانها، وناقت أنفُسهم إلى استنباط بيانها. فدعتُهم للشراء، وأفندتُهم للمراء^٥. فجاءت حتى وقفت بالباب، وأرسلت التّقاب، وقالت: السلامُ يا أهلَ الكتاب، قالوا: سلامٌ يا كريمة الأعراب! فما بالكِ تلحنين في الإعراب؟ قالت: أما سمعتم أن خير الكلام ما كان لهناً، أو لم تيسوا أن الكتاب قد أقام له وزناً؟ قالوا:

١ الزوراء: لقب بغداد.

٢ سحابة النهار: طول النهار.

٣ الجوى: الحرقة وشدة الوجد.

٤ تقلب العبارة بين الرفع والنصب والخفض.

٥ المراء: الحدال. أي دعوها ظاهراً ليشتروا منها وبالطناً ليناقضوها.

٦ ما كان لهناً: تريد باللحن معنى أيخر غير الخطأ في الإعراب وهو أن يخاطب الرجل صاحبه بكلام يفهمه بنفسه ولكنه يخفى على غيره من السامعين. تيسوا: تعلموا. الكتاب: القرآن. أقام له وزناً: حيث يقول: ولتعرفنهم في لحن القول.

أُعِيْبَتْنِي بِأَشْرٍ ، فَكَيْفَ بَدْرُ دُرٍّ ؟ ^١ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِتَفْسِيرِ الْمَاءِ بِالْمَاءِ ، فَمَا نَحْنُ مَنْ يَسْتَجِيرُ بِالنَّارِ مِنَ الرَّمضاءِ ^٢ . قَالَتْ : شَهِدَ مَنْ رَفَعَ الْقُبَّةَ الْخَضْرَاءَ ، أَنِّي مَا جِئْتُكُمْ إِلَّا بِالْحَنِيفِيَّةِ الْبِيضَاءِ . لَكُنْكُمْ تَشْتَرُونَ دَرَّ الضَّوَامِرِ ^٣ ، وَتَسْتَوْهَبُونَ دُرَّ الضَّمَاثِرِ . فَلَمَّا رَأَوْا مِنْهَا ذَهَابَ لِقْمَانَ بْنِ عَادٍ ، عَلَدُوا أَنَّهُمْ صَخْرَةٌ وَادٍ . فَضَخَّ كُلُّهَا بِدِرْهِمٍ ، وَقَالُوا : إِنْ أَعْرَبْتَ عَنِ الْمُعْجَمِ ^٤ ، فَفَحْنَاكَ بِالْمَشُوفِ الْمُعْلَمِ ^٥ . قَالَ : وَالشَّيْخُ بَيْنَ ذَلِكَ يُقَلِّبُ وَجْهَهُ فِي السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ : سُبْحَانَ مَنْ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ . فَلَمَّا جَلَّتِ الْمَكْتُونُ ^٦ ، وَاجْتَلَّتِ الْمَوْزُونُ ^٧ . قَالَ : يَا أَوْلِي الْأَلْبَابِ ، إِنْ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ

١ أشر : حزوز لطيفة في الأسنان . دردر : مغازز الأسنان من اللثة . وهو مثل قوله رجل من العرب لزوجته وكان يكرهها لحقها . وذلك أنه كان يحمل طفلاً له فيلاعبه ويقبل لثة أسنانه إذ لم يكن له أسنان بعد . فظننت المرأة أنه يستحسن الفم بلا أسنان فكسرت أسنانها . فلما رآها كذلك قال المثل . أي كان يكرهها بأسنان فكيف وقد ذهب أسنانها ؟ والمراد هنا عند الطلبة أنهم قد أنكروا عليها اللحن مع انتظارهم أن تعتذر عنه ، فكيف وقد جعلته خير الكلام وأرادت أن تثبت من القرآن .

٢ الرمضاء : الأرض الحارة .

٣ الحنيفية البيضاء : من الحديث : يريد بها عبادة الله ، والمراد هنا الحق . در الضوامر : لبن النياق .

٤ در الضماثر : أي الكلام الذي يشبه الدر . لقمان بن عاد : من حكماء العرب يضرب به المثل في الدهاء .

٥ الرضخ : العطاء القليل . أعربت : كشفت . المعجم : المشكل . أي إن بينت لنا وجه الكلام الذي أشكل علينا .

٦ نفحنالك : أعطيناك . المشوف المعلم : الدينار .

٧ جلت المكنون : أي كشفت المستور . يعني أنها أوضحت كلامها المشكل . وذلك أن اللين يرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هذا اللين ، وينصب على أنه مفعول لعامل محذوف أي هالك اللين ، ويجر أيضاً بالاضافة فيكون شاري منصوباً بفتحة ظاهرة . والرخص يتبع اللين في الأحكام الثلاثة . وأما الثمن فيرفع فاعلا للصفة ، وينصب تشبيهاً بالمفعول ، ويخفض بالاضافة كما في الحسن الوجه .

٨ اجتلت : أخذت . الموزون : كناية عن الدينار .

حساب . وإلا ففوق كل ذي علم عليم^١ ، وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . قالوا : إن هذا هو الحق المبين ، فأت بآية من مثل ذلك إن كنت من الصادقين . قال : قد جاء من أمثال ذلك في كلام القوم ، قولهم : لا صنت يوم^٢ . فإن سئتم ما فوقه من تصاريف العرب ، فقولهم : هذا بسر^٣ أطيب منه وطيب^٤ . فإن استزدتم فقولهم في المثل : لا ناقة لي في هذا ولا جمل^٥ . قال : وما فرغ الشيخ من الكلام ، حتى ابتدر القيام . فعلقوا به وقالوا : لات حين مناص^٥ ، فإن دواء الشق^٦ أن يُخاص . ولقد أتيت من حيث أئس ، فلا تذهب من حيث ليس^٦ . فعاد إلى المقام ، وقال : صبراً على مجامر الكرام^٧ . ثم اندفع في شرحه كاليعبوب^٨ ، حتى ملأ العيون والقلوب ، فانها لت عليه الجوائز حتى لم تبق حاجة^٩ في نفس يعقوب . ولما قضى الوطر ، نهض على الأثر . فقام القوم يودّعون^٩ ، وهم يودّون لو يتبعونه . وقالوا : بأنفسنا نقديك ! لقد سعد بك ناديك ، فلا تجعلها بيضة الديك . قال : نعم لي صبي^٩ ليس كمثلته في بغداد ، أريد أن أجره^٩ يوماً إلى الأستاذ . قالوا : نراك قد جررت^٩ منذ الآن ، فهل تفيدينا بشيء من البيان ؟ قال : إذا عدنا ، أفدنا . لكنني لا

١ يريد أن تلك نعمة قد صدرت من غير نظر إلى استحقاقها ولولا ذلك لكان أحق منها بالعطاء لأنه أطول منها بقاءً .

٢ لا صمت يوم : أي أن الإنسان لا يمكنه أن يصمت عن الكلام يوماً .

٣ بسر : ثمر النخل قبل أن ينضج . الرطب : النضج من ثمر النخل .

٤ مثل يضرب في التبرؤ من الشيء .

٥ مناص : مهرب .

٦ يخاص : يجايط . وهو مثل يضرب في تلافي الأمر . أئس : نقيض ليس ومعناها الوجود . والمعنى أتيتنا بشيء فلا تذهب بلا شيء .

٧ مثل يضرب في الصبر على الأذى .

٨ اليعبوب : الجدول الكثير الماء .

٩ صبي : تصغير صبي .

١٠ جررت^٩ : أرادوا جر الإعراب حملاً لكلامه على خلاف مقتضى الظاهر .

أرى لقاءً مثله من ذوي الشأن، حتى يَسْتَرِ أطماري الطيلسان^١. قال سهيل^٢ :
 ولم يكن بعد انصرافه إلا كالمع البصر ، حتى دخل الأستاذ فأطرفوه بالخبز .
 فقال : صبرٌ جميل ، نام عصام^٣ ساعة الرحيل^٤ ، والله حسبي ونعم الوكيل .
 ثم ألقى بطيلسانه إليّ ، وقال : هل لك أن تلقاهُ به فتزدهُ عليّ ؟ فقرعتُ
 الساق حتى أدركتهُ بالسوق ، وأبلغتهُ سياقَ الخبر المسوق . فقال : إن
 ليلى قد فصلت عن مجلسنا المعهود ، ولنا موعدٌ أنتظرها به أن تعود . فإذا
 لقيتَ الأستاذ فقل له العذرة ، وإن غداً لناظره قريب^٥ فمن يعيش
 يره^٦ . قلتُ : أو هي ذاتُ اللين ؟ قال : إن لم تكن فمنن ؟ قلتُ :
 إنها لنعم البنية ! قال : وإن العصا من العصية . ثم جلسَ على عُرْفَةٍ^٧
 هناك ، وجعل يُقلِّبُ طرفه بين هذا وذاك . فلما طال أمدُ الانتظار ،
 قال : أظنُّها تنتظرني في الدار . فهل لك أن تصحبني إلى الرصافة^٨ ، وتؤنسني
 الليلة بالضيافة ؟ فقلتُ : إني على ما تُريد ، وميرنا وهو يقول : أسعدُ أم
 سعيد ، حتى انتهينا إلى باب حديد ، وإذا ليلي بالوصيد . فلما رآها تهلّل^٩
 وجهه بشراً ، وأنشد يقول شعراً :

١ الطيلسان : رداء تلبسه المشايخ .

٢ مثل يضرب لمن غاب في وقت الحاجة .

٣ مثل يضرب في التسوية .

٤ فمن يعيش يره : مثل آخر يضرب في التسوية . وإياه فيه للسكت . ذات اللين : صاحبة
 اللين التي كانت تنادي عليه . إن لم تكن فمن : أي إن لم تكن إياها فمن تكون ؟ يريد أن
 غيرها من النساء لا تصلح لذلك .

٥ العصا : فرس جذيمة الأبرش كانت من جياد الخيل والعصية أمها . وهو مثل يضرب في
 مجيء بعض الأمر من بعض . عرفة : مكان مرتفع .

٦ الرصافة : مكان في بغداد .

٧ سعيد : ويروى سعيد بلفظ التصغير وهو مثل قاله ضبة بن أد المضري حين أرسل ابنيه في
 طلب الإبل الضالة فرجع سعيد ولم يرجع سعد . الوصيد : ساحة الدار .

حُبَيْتِ يَا لَيْلَى ابْنَةَ الْخَزَامِ كَرِيمَةَ الْأَخْوَالِ وَالْأَعْمَامِ ١
 أَصْبَحْتَ فِي مَدِينَةِ السَّلَامِ غَرِيبَةَ الْمَوْطِنِ وَالْكَلامِ ٢
 مَا زِلْتِ لِي عَوْنًا عَلَى الْأَيَّامِ تَمَهِّدِينَ سُبُلِي أَمَامِي
 وَتُفْهِرِينَ الصَّيْدَ فِي الْآجَامِ حَتَّى يَكُونَ غَرَضَ السَّهَامِ ٣
 إِنْ كُنْتُ مِنْ رَبَائِبِ الْحَيَامِ فَالْمَرْءُ فِي الشَّرَابِ لَا فِي الْجَامِ ٤
 رَبُّ ابْنَةٍ أَنْفَعُ مِنْ غَلامِ

قال : ولما فرغ من أبياته أدخلنا إلى البيت ، وأفاض في حديثٍ أشهى
 من حَلْبَةِ الْكُمَيْتِ . فبتناها ليلةً كأنها ليلة القدر ، وأحِينَاها بِالْحَدِيثِ ٥
 حَتَّى مَطَّلَعَ الْفَجْرُ ، وما زلنا كذلك حتى فرَّق بيننا الدهر .

- ١ أدخل آل على خزام الملح الصفة التي هي طيب الرائحة .
- ٢ مدينة السلام : لقب بغداد . الكلام : إشارة إلى كلامها الذي كانت تفتن فيه حينما كانت تبغ اللبن .
- ٣ الآجام : الأشجار الكثيرة الملتفة . الغرض : ما يرمى بالسهم .
- ٤ ربائب الحيام : أي من الإناث المريبات في الحيام . الجام : الإناث من فضة . كنى بالشراب عن النفس وبالجام عن الجسم . يريد أن النفس إذا لم تكن كريمة لم يفد كونها في جسم غلام .
- ٥ الكميت : اسم كتاب فيه نوادر ظريفة . ليلة القدر : قيل هي في أثناء العشر الأخيرة من رمضان ولعلها السابعة منها . والمراد بهذا التشبيه الإشارة إلى وصفها في القرآن بأنها : خير من ألف شهر .

المقامة التاسعة

وتعرف بالحلبية

أخبر سُهَيْلُ بْنُ عَبَّادٍ قَالَ : كَانَ لِي صَدِيقٌ بَظَاهِرِ الشَّهْبَاءِ^١ ، يَنْتَمِي إِلَى الْعَرَبِ الْعَرَبَاءِ . وَكُنْتُ وَإِيَاهُ كَلِمَاءَ وَالرَّاحِ ، أَوْ كَنْدِيمِي جَذِيمَةَ الْوَضَاحِ^٢ . فَحَضَرْتَنِي مِنْهُ ذَاتَ يَوْمٍ بِطَاقَةٍ^٣ ، يُطَالِبُنِي فِيهَا بِحَقِّ الصَّدَاقَةِ . وَيَطْلُبُ أَنْ أَبَادِرَ إِلَيْهِ بِبَعْضِ الْأَشْرَبَةِ ، بِمَا وَصَفَهُ لَهُ بَعْضُ أَهْلِ التَّجْرِبَةِ^٤ . فَسَاءَ فِي مَا بِهِ مِنْ تَوْعُكِ الْمِزَاجِ ، وَأَسْفَقْتُ مِنْ تَأَخَّرِ الْعِلَاجِ . فَبَادَرْتُ بِرُفْعَتِهِ الْوَاصِلَةَ ، إِلَى سَوَاقِ الصِّيَادَةِ . وَأَخَذْتُ لَهُ مَا أَرَادَ كَمَا يَرِيدُ ، وَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ أَعْدُو كَخَيْلِ الْبَرِيدِ . وَبَيْنَمَا أَنَا أَجْرِي مُلِيحًا ، وَأَقْعُدُ طَلِيحًا . لَمَحْتُ شَيْخَنَا الْخِزَامِيَّ وَابْنَتَهُ مُجَانِبًا^٥ الطَّرِيقِ ، وَلَدَيْهِمَا فَتَى قَدْ لَيْسَ الْبِيَاضُ وَتَحْتَمُّ بِالْعَقِيقِ^٦ . فَوُثِّبْتُ كَالظُّبَيْ

١ ظاهر : خارج المدينة . الشهباء : لقب حلب .

٢ العرباء : الخالصين . الراح : الخمر ، أي ممتزجين . الوضاح : هو الجذيمة الأزدي من ملوك الحيرة . كان به برص فكان يقال له الوضاح تأدباً . وكان قد ضل ابن أخته عمرو بن عدي ، فجعل لمن يأتيه به أن يحتكم عليه بما شاء . واتفق بعد ذلك أن مالك بن فارج وأخاه عقيلاً من بني القين وجداه في طريقهما إلى الملك . ولما وفد الرجلان على جذيمة بابن أخته قال لهما : احتكما . فطلبنا منادمته ، وما زالنا نديميه حتى فرق بينهم الموت فضرب بهما المشل .

٣ بطاقة : ورقة من القرطاس .

٤ أحد الطريقين المستفاد منهما علم الطب وهما التجربة والقياس .

٥ أجري مليحاً : أجري خائفاً على المريض من الهلاك . طليحاً : كليلاً من التعب .

٦ هما كناية عن عندهم عن الظرافة . يقولون : من لبس البياض وتحمم بالعقيق فقد حاز الظرف كله .

المُقَمِّر^١ إليه ، حتى أقبلت عليه . فتقدّمت ، ثم سلّمت . فأجابني بالفارسية ،
وأعرضَ عن تمام التحيّة . فقلت : هذه إحدى مكابده ، قد جعلها من
مصايدِهِ . وطويتُ عنه كشحاً ، وضربتُ صفحاً . فتماشيتُ القهقري ،^٢
وتواريتُ بحيثُ أرى ولا أرى . فرأيتُ الشيخَ قد أسلحَ بوجهه عن الجارية
والغلام ، وجعل يدمدمُ بِلغة الأعيام . والفتى يُخالِسُ الجاريةَ النظر ، ويغازلها
على حَذَر . فقالت : إنَّ صاحبنا أعجمُ طِطِمْ^٣ ، لا يفهم ولا يفهم . وقد
لقيتُهُ وفاقاً ، لا رفاقاً . لكنني أرى عينه قد طمّعتُ إليّ ، فلا يزال
حوالي . وهو يعرضُ لي طوراً بصرّة ، وقارةً بدرّة . وأنا أنفُرُ منه
كالناقة المهوجاء ، ولا أنبِسُ له بحوجاء ولا لوجاء . فقال : ساءَ فالُ المخنثِ !
إنه لأحقُّ من شرّ نثبث^٤ . أفلا نصرفه إلى حيثُ يعوي الذيب ، ونرفعُ
ثِقَلَ منظرِهِ المذيبِ ؟ فقالت : أشار إليّ بأنّه قد أعباه الصداع ، ولو كانت
لي سَكاب^٥ لما قلتُ لا تُتعار ولا تُتباع . فأشار إليّ بِرِذْوَنٍ له أطيرُ من

١ يقولون : إن الظبي إذا امتلأ القمر يزداد نشاطه .

٢ طويت عنه كشحاً : تركته . ضربت صفحاً : عرضت عنه .

٣ ططم : لا يفصح .

٤ وفاقاً : مصادفة . رفاقاً : مصدر رافق .

٥ أنبس : أنطق ، وأكثر ما يستعمل في النفي . بحوجاء ولا لوجاء : أي بحسنة ولا قبيحة .
المخنث : الرجل المتخلق بأخلاق النساء .

٦ شرثبث : رجل أحمق دفن ماله في ظل سحابة ثم عاد ليأخذ منه شيئاً فلم يهتد إلى مكانه لأن
السحابة كانت قد أفضت المال عليه .

٧ سكاب ، بالبناء على الكسر : اسم فرس كانت لرجل من بني تميم ، طلبها منه الملك النعمان
فامتنع وقال من أبيات :

أبيت اللعن إن سكاب علق نقيس لا تعار ولا تباع

فسار ذلك مثلاً .

عِثَاء مَغْرِب ، وَقَالَ : نِعْمَ الْقَتِيلُ بُجَيْرٌ إِنْ أَصْلَحَ بَيْنَ بَكْرٍ وَتَغْلِبِ .^١
فَأَرْكَبْتَهُ ذَلِكَ الْبُرْدُونَ الْأُدْهُمَ ، وَقَالَتْ : أَذْهَبُ إِلَى حَيْثُ أَلَقْتُ رَحْلَهَا أُمَّ
قِشْعَمَ^٢ . فَلَمَّا خَلَا الْفَتَى بِالْجَارِيَةِ قَالَ لَهَا : أَبْشِرِي ، خَلَا لَكَ الْجَوْ فَيُبِيضِي
وَاصْفِرِي . لَكِنِّي قَبْلَ ذَلِكَ ، أُرِيدُ أَنْ أَطَّلِعَ طَلِعَ حَالِكِ . فَقَالَتْ : إِنِّي^٣
فِتَاءٌ كَرِيمَةٌ الْأَصْلُ ، قَلِيلَةٌ الْأَهْلُ ، لَا أَبَ لِي وَلَا بَعْلَ . وَقَدْ سَمِيتُ مِنْ
طَوْلِ حَبْسِي ، وَتَوَلَّيْتُ أَمْرَ نَفْسِي . فَإِنْ كَانَ لَكَ أَرْبٌ فِي النِّسَاءِ ، فَاتَّبِعْنِي
لَأَخُذَ مَا لِي مِنَ الْأَشْيَاءِ ، وَأَتَّبِعْكَ إِلَى حَيْثُ تَشَاءُ . قَالَ : أَفْعَلُ وَكَرَامَةٌ ،
وَنَهَضَ مَعَهَا رَاكِباً جَنَاحِي النِّعَامَةِ^٤ . قَالَ سَهِيلٌ : فَأَذْهَبْتَنِي ذَلِكَ الطَّوِيلَ
الْعَرِيضَ ، عَنِ الدَّوَاءِ وَالْمَرِيضِ . وَرَجَعْتُ أَدْرَاجِي فِي أَثْرِ الصَّاحِبِينَ ، حَتَّى^٥
دَخَلْتُ الْبَيْتَ كَالْفَرْقَدَيْنِ . فَأَخَذَ الْفَتَى يَرْزَمُ مَا لَهَا مِنَ الْحَطَامِ ، وَخَرَجَتْ^٦

١ عِثَاء مغرب : يزعمون أنها طائر عظيم ويضربون المثل بطيرانها فيقولون للذاهب البعيد
طارت به العِثَاء . وهي تضاف إلى مغرب فتفتح الميم ولا تضاف فتضم . بجير : هو ابن
الحارث بن عباد البشكري قتله المهلهل بن ربيعة لأن قومه فريق من بني بكر فظن الحارث
أن المهلهل يحسبه كفواً لأخيه كليب فيكتفي بقتله ويرفع الحرب ، فقال : نعم القَتِيلُ
بجير إن أصلح بين بكر وتغلب . والفتى هنا كأنه يقول نعم الذاهب هذا البردون إن أصلح
شأننا مع هذا الرجل الأعجمي .

٢ أم قشعم : ناقة أَلَقَتْ رَحْلَهَا فِي النَّارِ فَصَارَتْ مِثْلًا .

٣ خلا لك الجو فيبيضي واصفري : مثل قاله طرفة بن العبد البكري كان مع عمه في سفر فذهب
طرفة بفخ له يقتنص القنابر وبقي يومه لم يصد شيئاً فرجع إلى عمه وتحملوا من ذلك المكان
فراى القنابر يلقطن ما كان قد نثرهن من الحب فقال :

يَا لَكَ مِنْ قَنْبَرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوْ فَيُبِيضِي وَاصْفِرِي

أَطَّلَعَ طَلِعَ حَالِكِ : أَقْفَ عَلَى حَقِيقَةِ أَمْرِكَ .

٤ مثل يضرب في السرعة .

٥ الطويل العريض : يكنى بذلك عن الأمر العظيم . رجعت أدراجي : في الطريق الذي أتيت
منه . الصاحبين : الفتى والجارية .

٦ الفرقدان : نجمان لا يزالان مقترنين . الحطام : الأمتعة .

لتُحْضِرَ ما تَبَسَّرَ من الطعام. وإذا بأبيها قد هجم هجوم الأسد، على النَقْدِ^١.
 وقال : ويلك يا عدوَّ الله ما كفاك أن تكون فاسقاً ، حتى صرت سارقاً ؟
 فلأَقْسِمَنَّ عليك الحدَّ والقطع ، ولأَجْمَعَنَّكَ عِبْرَةً إلى يوم الجمع^٢ ! فطارت
 نفس الفتى شعاعاً ، واستطار فؤاده ارتباعاً ! وجعل يتَهَطَّرُ لديه بالسؤال^٣ ،
 ويُدْمِثُ له المقال . والشَّيْخُ يَشْمَخُ بأنفه ، ويَهْرُ من عِطْفِهِ ، ويرْمَحُ^٤ ،
 برجله ويشيرُ بكفِّه . فكاد الفتى يذوبُ من الحياء ، وظنَّ أن ساعة هبطت
 عليه من السماء . فانقادَ إليه انقيادَ الأسير ، وقال : قد فديتُ نفسي بهذه
 الدنانير . قال : قد قبلتها مِنِّيَّةَ الكرام ، على أن لا تتعرَّضَ لِنِباتِ الأعجام .
 فذهل الفتى عن معرفته بالتلميح ، وما صدَّق أن أطلق ساقيه للريح . فمضى
 ينهبُ الطريق ، والشَّيْخُ من خلفه يَهْدِرُ كالفتيق . حتى إذا تاب إلى الوقار^٥ ،
 وقف بعَرَصَةِ الدار . وأنشد :

يا هل تُرى ابنَ سَهِيلٍ يَطْلُعُ ؟ يا ليتهُ كان يَرى ويسمعُ !^٦
 يرى الفتى مَهْرَولاً يندفعُ تكادُ تَدْرِيهِ الرياحُ الأربعُ
 أعطاني البرذونَ وهو يطمعُ في وصل ليلى ، لا هناهُ المضجعُ !
 سبقتهُ عليه فَهَوَ أَسْرَعُ لكنه بالماء ليس يقنعُ^٧
 فقامتُ أبتغي له ما يُشْبِعُ لكن بدون المال ماذا أصنعُ ؟

١ النقد : نوع من الغنم .

٢ الحد : قصاص الفاسق . القطع : قصاص السارق . يوم الجمع : يوم القيامة .

٣ طارت نفس الفتى شعاعاً : متفرقة . وهو كناية عن شدة الخوف . استطار : تقطع وتطير .
 يتَهَطَّرُ : من الهطرة وهي تذلل الفقير للغي إذا سأله .

٤ يدمث : يلين . يشمخ بأنفه : يتكبر . عطفه : جانبه . يرمح : يرفس .

٥ الفتيق : فحل الجمال الكريم . الوقار : السكينة .

٦ يطلع : نسب إليه الطلوع لأنه اسم نجم .

٧ لكنه : الضمير للبرذون .

وإن يكن نال الفتي ما يجزع^١ منه فقد نال به ما يردع^٢

والتصح^٣ من وصل النبات أنفع^٤

قال سهيل^٥ : فبرزت^٦ من الوكنة^٧ التي كمت^٨ فيها ، وأنشدت^٩ بدنيا :

هذا سهيل^{١٠} طلعا وقد رأى وسَمِعا

أنسيته^{١١} المريض وال دواء والداء معا

أنت صديق^{١٢} لم يدع^{١٣} لمن سواه^{١٤} موضعا

فقال : أهلا بأبي عبادة^{١٥} ، متى عهدك بالشهادة^{١٦} ؟ قلت : منذ عهدك بالفارسية

التي نلت منها السعادة . أفلا تعلمني هذا اللسان ، لأستغني^{١٧} معك عن ترجمان^{١٨} ؟

قال : أراك تستبيح^{١٩} قطع الأرزاق^{٢٠} ، فليس لك عندي من خلاق^{٢١} ، ومر^{٢٢} يعدو^{٢٣}

كالبرق^{٢٤} أو كالبراق^{٢٥} .

١ يريد أنه نفع الفتي بذلك لأنه كان موعظة له تردعه .

٢ الوكنة : العش .

٣ أبو عبادة : كنية سهيل . الشهادة : الحضور .

٤ منذ عهدك بالفارسية التي نلت منها السعادة : منذ عهد جلوسه في الطريق حيث كان الفتي مع الجارية وأجابه عن تحيته بالفارسية . لأستغني معك عن ترجمان : قال ذلك على سبيل الرقاعة لأن أبا ليل لم يكن يعرف الفارسية .

٥ قطع الأرزاق : قال ذلك مجازاة له في رقاعته . أي أنه يريد أن يقطع رزق الترجمان الذي يترجم بينهما . خلاق : نصيب .

٦ البراق : قالوا إنه حيوان يضع يديه عند منتهى بصره .

المقامة العاشرة

وتعرف بالكوفة

حكى سهيل بن عباد قال : كلفت منذ الصبا بعلم الأدب ، وشغفت باستقراء لغة العرب . فكنت أنضي إليها المطايا ، وأتقصد الحبايا في الزوايا . حتى كنت يوماً بالكوفة ، وأنا أتعهد معاهدتها المألوفة ، وأشهد مشاهدتها الموصوفة .^١ فمررت بعصبة من العلماء ، كأنهم من بني ماء السماء .^٢ وهم قد جلسوا إلى شيخ أغبر الشيبة ، أبلج الهيبة . وهو يشير تارة بالبنان ، وطوراً بالصولجان . فجعلت أروح تلقاءهم وأجي ، وأقول ليس هذا بعشك فادرجي .^٣ حتى حدثني القطرئية ، على الأشمية . فألقيت دلوي في الدلاء ، طمعاً في اجتلاء الجلاء . وتطلعت على تلك الحضرة الجللى ، وإن كنت بمن عبس وتولسى .^٤ فلما تحللت المقام ، حييت القوم بالسلام ، وتفرست في الشيخ فإذا هو

١ استقراء : تتبع . أنضي المطايا : أي أهزها بكثرة السفر . المطايا : الركائب .

٢ الكوفة : مدينة بالعراق . أتعهد : أتقصد .

٣ ماء السماء : هي ماوية بنت عوف بن جشم . وكانت تلقب بماء السماء لجمالها .

٤ أبلج : ظاهر .

٥ ادرجي : اذهبي ، وهو مثل يضرب لمن يريد الدخول في ما ليس من أهله .

٦ حدثني : أي حملتني . القطرئية : نسبة إلى قطرب وهو محمد بن المستنير كان ييكر إلى سيبويه ليأخذ عنه علم النحو . فكان سيبويه كلما فتح بابه وجده لدى الباب فقال : ما أنت إلا قطرب ليل ! فلقب بذلك . والقطرب : ذباب يطير بالليل ولا ينام . الأشمية : نسبة إلى أشعب وكان شديد الطمع حتى ضرب به المثل فيقال : هو أطمع من أشعب . يقول سهيل : إن الرغبة في العلم حملته على الدخول في الطماعية الأشمية . فألقيت دلوي في الدلاء : أي بين الدلاء . وهو مثل يضرب للدخول مع الناس في ما هم عليه .

٧ الجلاء : استكشاف الأمر الجلي . الجلى : تأنيث الأجل .

ميمون بن خزام . فقلت : لله الأمر كله ، قد عرف النخل أهله ^١ ! وجعل
 القوم مخوضون في حديث العربية ، ومسائلها الإعرابية . حتى حُلَّت الحِبي ،^٢
 وبلغ السيل الزبني ^٣ . والشيخ ينظر من طَرَفٍ خفيٍّ إلى الناس ، والقلم في
 يده يجري على قِرطاس . إلى أن نَفِدَ ما عند الجماعة ، من أسرار الصناعة .
 وهم يرون أنه يلتقط اللآلي ، وينظم في سِمَطِ الأُمالي . فقالوا : أيها الشيخ ،
 نراك تجمع ، مما تسمع ! قال : إن لكل ساقطة لاقطة ^٤ . ولكن أريدُ أن
 تنظروا ما كتبت ، لتروا هل أخطأتُ أم أصبت . فتناولوا الرُّقعةَ بديها ،
 وإذا هو يقول فيها : ما الفرقُ بين التمييز والحال ^٥ ، وبين عطف البيان
 والإبدال ^٦ ؟ وأين يُستوفى حقُّ الإسناد ، ولا يخرجُ بروكثته عن حكم
 الأفراد ؟ وأيُّ الضمير ، يترددُ بين التعريف والتنكير ؟ وأين يُراعى ما يقدر ^٧ ،^٨

١ عرف النخل أهله : مثل يضرب عند وصول الأمر إلى أهله .

٢ الحبي : جمع حبة وهي أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بيديه في جلوسه . يكنى بذلك عن
 التمكن في الأمر

٣ مثل يضرب في بلوغ الأمر إلى غايته .

٤ السمط : خيط القلادة . الأُمالي : جمع إملاء وهو تلقين الكاتب .

٥ مثل : أي لكل كلمة ساقطة أذن لاقطة .

٦ يشترك الحال والتمييز في كونها اسمين نكرتين فضلتين منصوبتين رافعتين للابهام . ولكنهما
 يفترقان في سبعة أمور .

٧ يفترق عطف البيان عن البديل بأنه لا يكون ضميراً . ولا تابِعاً لضمير . ولا جملة . ولا
 تابِعاً لجملة . ولا فعلاً . ولا تابِعاً لفعل . ولا بلفظ متبوعه . ولا مخالفاً له في التعريف والتنكير
 ولا في نية إحلاله محلّه . ولا من جملة أخرى في التقدير بخلاف البديل في كسل
 ذلك .

٨ الأفراد : ذلك في اسم الفاعل ونحوه فإنه يشتمل على المسند والمسند إليه . وهو الضمير المستتر
 فيه ولا يكون جملة بل يبقى على إفراده . التنكير : هو ضمير الغائب فإنه إذا عباد على
 معرفة كان معرفة نحو جاء زيد فأكرمه . وإذا عاد على نكرة كان نكرة نحو رب
 رجل لقيته .

ولا يُبالي بما يُذكر^١؟ وأيُّ اسمٍ يجتمع فيه خمسٌ من موانع الصرف^٢، وأيُّ لفظٍ يُشارك الاسم والفعل والحرف^٣؟ وفي أيّ الأماكن، يجتمع ثلاثة من السواكن؟ وأيُّ فعلٍ يعطى ما للأسماء ويُمنعُ بما للأفعال؟ وأيُّ اسمٍ يجري مع قبيلته على هذا المنوال^٤؟ قال: فلما وقفوا على تلك المسائل، وأوها من المشاكل. فقالوا له: 'الله أننت، فقد أحسنت، ولكن لو أبذنت! فعبس، حتى ما نبس، وصارت مقلناه' كالقَدَس. فأشفقوا من غضبه^٥، وسألوه عن محتضبه^٦. فقال: 'قد تكلفتُ لكم الحطاب، ثم أتكلّف الجواب، ولعلّي فوق ذلك أتكلّف لكم الثواب. قالوا: لا وأيدك^٧ الله! بل إن جئت بالبيئنة السافرة، وجلوت الشرود النافرة، فالتقد عند الحافرة^٨. فلما آنس الندى^٩، ووجد على النار هدى. فتح خزانة أسراره، وسَمَح بمكنونات أفكاره. حتى امتلأت حقائب الملا، وقالوا: هكذا هكذا وإلّا فلا! بيد أنهم^{١٠} مالوا إلى استملاء ما أبان، حرصاً على ثباته في الأذهان. فقال:

١ ذلك في نحو ياسيويه الكريم فإن الكسرة الظاهرة في آخر سيويه لا يعتد بها.

٢ هو اذريجان، اسم مقاطعة من بلاد الفرس. فإن فيه العلمية والتأنيث والمعجمة والتركيب وزيادة الألف والنون.

٣ هو اسم الفعل فإنه يشارك الاسم في التنوين والفعل في المعنى والحرف في البناء.

٤ وفي أي الأماكن يجتمع ثلاثة من السواكن: ذلك في نحو مواد إذا وقعت في الوقف فإن الألف والذال المدغمة والذال المدغم فيها سواكن. وأي فعل يعطى ما للأسماء ويمنع مما للأفعال: هو أفعال التعجب فإنه يصغر كالأسماء ولا يتصرف كالأفعال.

٥ هو أفعال التفضيل فإنه يمنع من الكسر والتنوين كالأفعال ولا يشئ ولا يجمع كالأسماء.

٦ القبس: شعلة النار. أشفقول: ارتاعوا.

٧ يقال احتضب النار إذا أوقدها.

٨ وأيدك: الواو زائدة لدفع الإيهام لأن تركها يوهم أن المراد الدعاء عليه بنفي التأييد.

٩ السافرة: الظاهرة. النقد عند الحافرة: مثل يضرب في سرعة القبض.

١٠ آنس الندى: أي شعر بالمطاء.

١١ بيد أنهم: غير أنهم.

اكتب يا سهيل ، واندفق في إملائه كالسيل . حتى إذا أترع الكؤوس ،
وقاد الشمس بالشُّموس ، قال : لا محباً لعطرٍ بعد عروس . ثم أشاراً
إليّ وأشد :

العلمُ خيرٌ من صلاةِ النافله	به إلى الله العبادُ واصله ^٢
فاحرصْ عليه والتقطْ مسائله	ودعْ كنوزَ المالِ فهي باطله
ولا تبِعْ آجلةً بعاجله	ولا تَضِعْ واصلةً بحاصله ^٣
واعرضْ عن الليلةِ نحو القابله	فذاك مشربُ الثقاتِ الكامله
وليسَ خيرٌ في النفوسِ العاقله	إن غفلتْ عن القلوبِ الغافله
والناسُ إن كانتْ طعاماً جاهله	فما يكونُ الفرقُ ، يا ابن الفاعله ^٤ ،

بين الرجالِ وبغالِ القافله ؟

قال : فلما فرغَ من سحره السَّحريِّ ، انهال عليه الشمسيُّ والقَمَريُّ^٥ ،
فأشار نحوي وقال : اسقِ أحاك النَمَريِّ . قالوا : علم الله أن سيكون^٦ ،
ولكن السابقون السابقون^٧ . حتى إذا قضا فريضته المكتوبة ، عادوا إلى
سُنِّي المندوبة . فخرجنا نجرُ الذِّلاذِلِ ، ونحمدُ البذلَّ والبازل^٨ .

١ الشمس، بالفتح: الحرون . الشعوس، بالضم: أي الألفاظ الباهرة. لا محباً لعطر بعد عروس:
مثل قاتله أسماء بنت عبد الله العذرية. وكان لها زوج من قومها يقال له عروس فمات وتزوج
بها رجل آخر يقال له نوفل وكان بغيلاً دميماً أضر أي خبيث رائحة الفم أضر الديدن بخلاف
الأول . فلما رحل بها مرت على قبر عروس وجلست تبكي وترثيه . فلما نهضت سقطت منها
قارورة العطر فقال لها نوفل : خذي عطرك ! فقالت المثل .

٢ صلاة النافلة : الزيادة عن الفرض وهو من الحديث .

٣ واصلة : قادمة .

٤ الطغام : أوغاد الناس .

٥ سحره السحري : الواضح كالسحر . الشمسي : كناية عن الدينار . القمري : كناية عن
الدرهم .

٦ علم الله أن سيكون : أي علم الله أننا سنعطيه .

٧ السابقون السابقون : أي الأول فالأول .

٨ سنِّي : ما دون الفرض من الأعمال الدينية . الذلاذل : ما يلي الأرض من أسافل الثوب .

المقامة الحادية عشرة

وتعرف بالعراقية

حدثنا سهيل بن عباد قال : دخلت مجلس أمير العراق ، وقد غص حتى التقت الساق بالساق . فسلمت تسليم الأريب ، ووقفت موقف الغريب . حتى إذا ركد النسيم ، وصفت الكأس للنديم . دخل شيخ أغبر الناصية ، عليه شعار البادية . وهو قد أخذ بيد فتى ترف البنان ، كأنه من لبدان الجنان . وقال : أيد الله الأمير ، وأبد له السرير . إن هذا العلام سرق نصف أبيات مدحت بها بعض الأمراء ، فتحوّل المديح فيها إلى الهجاء . ولما بلغتته أمر مجبسي ، إلى أن بسر الله لي بالإطلاق وقد كيدت أقتل نفسي . فعليه حق الجناية وقطع السارق ، وعليك تأديب كل طاغ وفاسق . فقال الأمير : يا هذا قد تقرر في علم الأصول^٣ ، أن الدعوى لا تصح في المجهول ، فهات أبياتك التي أغار عليها ، فأنشد بقول :

إذا أتيت نؤفل بن دارم أمير مخزوم وسيف هاشم
وجدته أظلم كل ظالم على الدنانير أو الدراهم
وأجمل الأعراب والأعاجم بعرضه وسره المكاتم^٥

١ ترف : رخص .

٢ قطع السارق : قطع يده .

٣ علم الأصول : أصول الفقه .

٤ كنى بذلك عن كونه من بني قريش .

٥ المكاتم : أي المكاتم له من قولهم كاتمته الأمر أي كتمته عنه .

لا يستحي من لوم كل لائم
ولا يُراعي جانب المسكرم
يقرع من يأتيه سنّ النادم
إنّ الشقيّ وافدُ البراجم
إذا قضى بالحق في الجرائم
في جانب الحقّ وعدل الحاكم
إذ لم يكن من قِدمٍ بقادم
وضيفُ نوفلٍ كضيف حاتم

قال : فكيف سرق ، وعلى أيّ نسق؟ قال : قد أخذ أصحاب الشمال
ونبذ أصحاب اليمين ، فقال كمن يقرأ مشجر الصن ٣ :

إذا أتيت نوفل بن دارم
وأبخل الأعراب والأعاجم
ولا يُراعي جانب المسكرم
إنّ الشقيّ وافدُ البراجم
وجدته أظلم كل ظالم
لا يستحي من لوم كل لائم
يقرع من يأتيه سنّ النادم

فقال الأمير : أولى لك يا غلام ، كيف سلكت الملح من الطعام؟ قال :
كلاً إنني ما أنشدت إلا لنفسي ، ولا جنيت إلا من غرسي . فإن سلّم

١ أي الذي يأتي إليه يندم على تأخره إلى ذلك الوقت لأجل ما يجد عنده من الكرامة .

٢ البراجم : خمسة من أولاد حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم . وقوله : إن الشقي وافد البراجم ، مثل قاله عمرو بن هند ملك العراق . وكان سويد بن ربيعة التميمي قتل أخاه وهرب فحلف أن يقتل من تميم مائة رجل ، فقتل تسعة وتسعين منهم وأقام في طلب الباقي . وكان رجل من البراجم مسافراً فمر بالقرب من الملك ورأى الدخان فظن أن هناك طعاماً فأقبل حتى أناخ إليه . فقال : من أنت؟ قال : أنا رجل من البراجم . قال : فيماذا جئت؟ قال : رأيت الدخان وأنا جائع ، فأمر بقتله وقال المثل .

٣ أخذ أصحاب الشمال ونبذ أصحاب اليمين : اختار القبيح منها وترك الحسن . يقرأ مشجر الصن : أي من أعلى إلى أسفل ، وهو اصطلاح أهل الصن في كتابتهم .

٤ أولى لك : كلمة تهديد . كيف سللت الملح من الطعام : شبه المحذوفات التي اقتطعتها بالملح الذي يصلح الطعام .

٥ ما أنشدت إلا لنفسي : يقول إن هذا الهجو هو قد نظمه ولم يسرقه من الشيخ .

بشوارِد الشاعرين^١ ، فقد سقطت الدعوى عن الفريقين . وإلا فلا يتعينُ السارق ، حتى يتعين السابق . قال : فَأَنفَ الشَّيْخُ مِنْ ذَلِكَ الْمِرَاءِ ، وقال :^٢ وَيَحْكُ هَلْ أَنْتَ مِنَ الشُّعْرَاءِ ؟ قال : عِنْدَ الْإِمْتِحَانِ ، يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ يِهَانُ . قال : إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ^٣ ، فَمَا هِيَ أَعْجُرُ الشَّعْرِ عِنْدَ الْعَرَبِ ؟ فَأَنشُد :

أَطْلُ مِدَّةً وَابْسُطْ فِرْ وَكْمَلْ كَهَازِجِ
وَأَرْجِزْ بِرَمَلٍ وَاسْرِعِ اسْرَحَ مُخَفِّفًا^٤
وَكَنْ ضَارِعًا وَاقْضِبْ مِنْ اجْتِثْ^٥ وَاقْتَرِبْ
بِرَمَزٍ لَنَا عَنْ أَعْجُرِ الشَّعْرِ قَدْ كَفَى^٥

قال : قد وفيت الفروض ، فهل تعرف أجزاء العروض^٦ ؟ فَأَنشُد :

جَمِيعُ أَجْزَاءِ الْعَرُوضِ حَاصِلَةٌ مِنْ سَبَبٍ وَوَتِدٍ وَفَاصِلَةٍ
بِصَاغٍ مِنْهَا كَلِمَاتٌ أَحْرَفٌ تَجْمَعُهُنَّ : مَعْلَنَاتٌ يَوْسَفُ^٧

قال : قد جئت بالجواب الشافي ، فهل تعرف ألقاب القوافي ؟ فَأَنشُد :

- ١ التوارد : أن يقول الشاعر ما قاله شاعر آخر من غير علم له به . وهو كثير في أشعار العرب .
- ٢ لا يتعين السارق حتى يتعين السابق : لا يمكن أن يتعين السارق حتى يتعين السابق منهما في النظم ، وهذا غير معلوم بين الشيخ والغلام . أنف : استكبر . المراء : الجدال .
- ٣ يراد بالأدب : علم العربية .
- ٤ هازج : مترنم .
- ٥ ضارعاً : مبتهلاً . اقضب : اقطع . اجتث : قطع . كنى بذلك عن أجزء الشعر الخمسة عشر .
- ٦ العروض : هي الأجزاء التي يتألف منها الشعر .
- ٧ تصاغ من هذه الأجزاء كلمات يوزن بها ، وهي : فاعلن ومفاعيلن ومفاعلتن وفاعلاتن وهي الأصول . وفاعلن ومستفعلن ومفاعلتن ومفعولات وهي الفروع . وهذه الكلمات مركبة من أحرف يجمعها قولك معلنات يوسف أي الأمور التي أعلنها .

إن رُمّت ألقاب القوافي كلها فهناك خمسٌ لا يليها سادسٌ
هي عندهم : مترادفٌ متواترٌ متداركٌ متراكبٌ متكاوِسٌ
قال : وهل تعرف ما للقوافي من الأجزاء ، وما لأجزائها من الأسماء ؟
فأنشد :

إذا رُمّت أجزاء القوافي فصلٌ بها خيراً يجسد القول حينَ بقولٌ
رويٌّ ورصلٌ والخروج وراءه وردفٌ وتأسيسٌ يليه دخيلٌ
قال : وهل تعرف حركات القافية ، ماهيه ؟ فأنشد :

حركاتٌ قافيةً نظيرُ حروفِها سِتٌ : بها المجرى عددنا أولاً
ثم التَّفادُ وحذوها والرَّسُّ والـ إشباعٌ والتوجيهُ فاحفظها ولا

قال : حيّاك عالمُ الغيوب ، فهل تعرف ما للقوافي من العيوب ؟
فأنشد :

عابَ القوافيَ إكفاءً وإقواءً إجازةً ثم إصرافٌ وإبطاءً
كذلك تضمينها التحريد مجتنبٌ ومثلُ ذلك سنادٌ وهو أنحاءٌ

قال : أراك تحسّن الجوابَ في الحال ، فما أبرئُك من انتحال .^٢
فإن كنت شاعراً فقل أبياتاً تمدحُ الأمير فيها ، قال : بل أهجوك ، وأنشد
بديها :

قل لهذا الشيخ الخزامي : صبرا قد توسّدتَ من هجائي جمرًا
ذلك الخمرُ بيننا صارَ خلاً وبعيدٌ أن يرجعَ الخلُّ خمرًا

١ فاحفظها ولا : أي ولا تنس . وهو المعروف عند البديعيين بالاكتفاء .

٢ الانتحال : أن يدعي الشاعر لنفسه شعر غيره .

يا خزامَ البعيرِ ليس خزامَ الـ
 أنتَ ميمونَ أُمَّةِ التُّركِ لا ميمو
 كنتَ ترجو من الأميرِ هباتِـ
 لا تترُمُ بَعْدَهَا خِضاباً لَشيبِـ
 إن رأيتَ الغلامَ يسحبُ ذيلًا
 لا تقُلْ أنتَ سارقٌ ليَ مالًا
 روض إن الخزامَ يَبَعِّقُ نَشراً
 نُ عَرَبٍ فاليمُنُ منك تَبيراً^٢
 وأنا قد أخذتُها منك جبراً
 فالمخازي تَسْوَدُ الشيبَ دَهراً
 من غِنَاهُ، وأنتَ تسحبُ فقراً^٣
 مثلما قُلْتَ سارقٌ ليَ شعراً

فأقسم الأمير بالسقف المرفوع، ان الغلام لشاعر مطبوع . وقال :
 أشهدُ أن هذا الشيخ قد تجنى عليك، وأساء بما نسبه إليك . فخذ هذه
 الدنانير ، جبراً لقلبك الكسير . وإن شئت أن تقيم بداري^٤ ، فأنت أكرم
 أنصاري . قال : أنا على ما تروم ، إن انتصفت لي من هذا الظلوم ، بأن لا
 يفوه بعدها بمنظوم . فلما رأى الشيخُ صبح ليلته ومساءها^٥ ، ظنَّ أن وراء
 الأكمة ما وراءها . فانصب كئالته الأثافي^٦ ، وقال : أريد أن أودّع
 القوافي^٨ . وأنشد :

- ١ خزام البعير : حلقة من شعر تجعل في أنفه . خزام اليروض : نبات طيب الرائحة ينبت في البساتين . نشراً : رائحة طيبة .
- ٢ الميمون في لغة التُّرك هو القرد . وفي لغة العرب المبارك .
- ٣ رأيت الغلام : يريد بالغلام نفسه . وقد أراد بهذا أن يثبت الأمير على عزم الإعطاء له .
- ٤ السقف المرفوع : كناية عن السماء .
- ٥ تجنى عليك : أي ادعى عليك ذنباً لم تفعله .
- ٦ أي لما رأى ابتداء أمره وعاقبته .
- ٧ ان وراء الأكمة ما وراءها : مثل أصله ان جارية كانت لقوم وكان لها صديق يواعدها أن تأتيه إلى وراء أكمة هناك . فلم تستطع ليلة أن تنصرف إليه وغلبها الشوق فقالت : قد أبطأت وإن وراء الأكمة ما وراءها . والمعنى أنه ظن به سوء . يعبرون بثالثة الأثافي عن الداهية . والأثافي حجارة ترفع عليها القدر .
- ٨ نظم الشعر .

قد قَسَدَ الدهرُ لَطولَ الأَمَدِ فلا يَسودُ فيه غيرُ الأَمردِ
 إنَّ الفَتَى قد جَدَّ لي في اللَدَدِ إذ لَيْسَ لي من سَنَدٍ أو عَضُدِ^١
 سَكَوَتُهُ إلى أميرِ البلدِ وقد رجوتُ أن يكون مُنْجِدِي
 فكان خَصْماً مثله لم أَجِدِ كأنما قَطَّعتُ رأسي بيدي
 لئن مُنِعْتُ عن قَرِيضِ المُنْشِدِ فالنثرُ أَشْفَى لقليلِ الكَبِيدِ^٢
 وإن تَجَاوَزتُ العِراقَ في عَدِ فكن لِرُكبانِ السُرَى بِمَرْصِدِ^٣
 إن حَمَلتُ شِعْري لأهلِ المَرَبِيدِ^٤

قال : فكأنَّ الأميرَ أفاق ، وأشفقَ من التنديدِ به في الآفاق . فقطع
 لسانَ الشيخِ بنِصاب^٥ ، وقال : هذا أيسرُ ما به نصاب . ثم قال له : دَعِ
 الشَّهْمَ بينك وبينَ الفتى ، فليذهبَ أمامك من حيثُ أتى . فانصرفَ الشيخُ
 والفتى يتضحكان ، كأنَّ لم يكن بينهما شيءٌ مما كان . قال سهيلُ : وكنت
 قد تبيَّنتُ أن الشيخَ صاحبنا ابنَ الحزامِ، فهرعتُ على أثره لأنظرَ ذلكَ الغلامِ .
 وإذا به قد ناولهُ الدنانيرَ، وقال : اشكُرْ نعمةَ الأميرِ . فعجبتُ من استحالة
 تلكَ الحالةِ ، وقلتُ : سرعانَ ذا إهالة^٦ . فابتدرني الشيخُ بالسلامِ وهنأني
 بالسلامةِ ، وقال : أهلاً بأبي عبادةَ الذي لا تقوتهُ مقامةُ ! قلتُ : بل أهلاً

١ اللد : الخصام .

٢ قريض المنشد : الشعر . فالنثر أشفى لقليل الكبد : النثر يشفي غليل الإنسان أكثر من الشعر لأنه يستطيع الاتساع فيه بما لا يستطيعه في الشعر .

٣ ركبان : جمع راكب .

٤ يقول : إذا خرجت من العراق فارصد أيها الأمير طريقتي القوافل التي تحمل شعري في هجوك إلى مربد البصرة .

٥ التنديد : الشهرة بالسوء .

٦ يقال قطع لسانه إذا أسكته بشيء . بنصاب : بعشرين ديناراً .

٧ سرعان : ما أسرع . وهو اسم فعل . الإهالة : الودك وهو دسم اللحم ، والعبارة مثل يضرب في سرعة الاستحالة .

بالمقعد المقيم ، فما هذا الملك الكريم ؟ فاهتز اهتزاز المهنتد ، وتبسم إلي^١
وأشند :

هذا غلامي بل أنا غلامه ، يا طالما أفادني استخدامه !
ينفعني في منزلي قيامه ، وفي الدجى يؤنسني كلامه
وفي السرى بسعفني اهتمامه ، حتى إذا أعوزني طعامه
سعى بسد خلتي خصامه^٢

ثم قال : أنت راويتي وشاهدي ، وجليسي في مشاهدي^٣ . فلك أن
تشاركني في العطاء ، ولكن عليك أن تحمل عني شطر الهجاء^٤ . قلت : ليس
من هجاءك إلا كمن هجا الورد^٥ ، فعليه كل هجائه ولا شريك له من بعد .
قال : قد أحسنت الجواب وإن لم يُصب موضعه^٦ ، فخذ هذه النحلة واذع^٦
لي بالفلاح والسعة . فودعته مطمئناً بشكره ، متعوذاً من مكره .

١ المقعد المقيم : أي الذي يقعد الناس و يقيمهم اضطراباً . المهنتد : السيف .

٢ أي إذا لم يكن عندي ما أطعمه جعلت الخصام بيني وبينه سبباً لتحصيل ما أسد فقري به .

٣ مشاهدي : محاضري .

٤ يشير إلى الهجو الذي هجاه به الغلام .

٥ هو ابن الرومي فإنه هجا الورد هجواً قبيحاً على خلاف ما ينبغي لأنه مدوح عند الجميع .

٦ النحلة : العطية .

المقامة الثانية عشرة

وتعرف بالأزهرية

حكى سهيل بن عبّادٍ قال : شخصت^١ إلى القاهرة من بلاد الشام ، في ركبٍ فيه ميمون بن خزام . فكان يحملنا مجدبه في المراحل ، ويُنسينا^٢ لثعب السير في المنازل . حتى تبطّنا الشرى في ليلة حالكة الأديم ، وقد قدرنا القمرَ منازلَ حتى عاد كالمرجون القديم . فشمذنا إزارَ السفر^٤ ، وأوغلنا في تلك القفر . وما زلنا نخبطُ في ذلك الديجور الأربد ، حتى تبين^٥ لنا الخيطُ الأبيض من الخيطِ الأسود . فمالت أعناقُ الناس ، من النعاس . وأشفق الشيخُ من طوارق البادية ، فأراد تنبيه الأعين الساهية . فانتدب^٧ سجيتهُ السبطرة ، ورفع عقيرتهُ الضبطرة . وأنشد يقول :^٨

أيها الراكبُ الميسّمُ مصرأً ألقى سَعاً فللهديثِ فنونُ

١ شخصت : سافرت .

٢ ركب : قافلة . يحملنا مجدبه في المراحل : أي يسلينا فنقطع الطريق ولا نشعر بالثعب .

٣ لقب : تعب . حالكة : شديدة السواد . الأديم : الجلد .

٤ المرجون : العود المتوي كمنصف دائرة ، أي أسرينا في ذلك الشهر حتى دخل القمر في المحاق . شمذنا : رفمنا . كناية عن التشمير والجد .

٥ نخبط : نسير على غير هدى . الديجور الأربد : الظلام الأغبر .

٦ الخيط الأبيض : بياض الصبح . الخيط الأسود : سواد الليل .

٧ أشفق : خاف . طوارق البادية : أي لصوصها الذين يسطون ليلاً .

٨ سجيته : قريحته . السبطرة : الماضية . عقيرته : صوته . الضبطرة : الشديدة .

دون مِصرَ عينٍ وعينٍ وعينٍ قامَ فيها نونٌ ونونٌ ونونٌ^١

قال : فطارت السنّة^٢ من الجفون، بين تلك العين والنون، وتحدّث القوم بما يكون وما لا يكون . هذا وقد أخذت المطايا في الذميل^٣ ، وهي تقطع ميلاً بعد ميل ، حتى ورّدت ماء النيل . فتهلّل وجه الشيخ ميسون، وقال : هذه عينٌ يشربُ بها عبادُ الله ويسبّح فيها النونُ . فقال القوم : قد فتح الشيخ لنا الباب ، فليتكّر أولو الأبواب . قال : إذا ألقينا العصا فسنتفتح أبواباً^٤ أخرى ، وسنجعلها للناس تبصرةً وذكرى . قال : وما زلنا نستقبلُ المقبلة ونستدبرُ الدابرة ، حتى دخلنا مدينة القاهرة . فلما أصبحنا دعاني الشيخ إلى ما أراد ، وخرجنا نستسن^٥ كخييل الطراد . حتى أتينا الجامع الأزهر ، فأوحى إليّ ما أوحى وقال : اصدع بما تؤمر . فمكثتُ ريثما دخل المقام ، وفرغ^٦ من السلام . ثم دخلت فحييتُ القوم ، فقام مسلماً عليّ كأن لا عهدَ بيننا منذُ اليوم . ولما استقرّ بي القرار أشار إليّ ، وقال : مهنيّم^٧ يا بُنيّ؟ قلتُ : قد هجمتُ بي على هذا المجلس ، رُفعة^٨ كصحيفة المتلمس^٩ . فإن كشف لي

١ عين الأولى : ماء . عين الثانية : رصد . عين الثالثة : رئيس . نون الأولى : حوت . نون الثانية : سيف . نون الثالثة : دواة . يعني أن بينهم وبين مصر مياهاً تقف فيها الأسماك ولصوصاً تقوم بأيديهم السيوف ورؤساء ذوي محابر وأقلام .

٢ السنة : النعاس .

٣ الذميل : السير اللين .

٤ النون : الحوت .

٥ فتح الشيخ لنا الباب : فسر أول عين ونون . ألقينا العصا : إذا وصلنا .

٦ نستن : تركض .

٧ أوحى إليّ : كلمني كلاماً خفياً . ريثما : مهلة ما .

٨ مهيم : استفهام عن الحاجة . وهي من لفة أهل اليمن .

٩ المتلمس : هو رجل من العرب أراد عمرو بن المنذر أن يقتله سراً ، فأعطاه كتاباً إلى عامله على هجر يأمره بقتله . فأخذ الكتاب وهو لا يعلم ما فيه ، وسار حتى مر بنهر الخيرة فرأى غلماناً يلعبون ، وكان لا يعرف القراءة ، فدفع إليهم الكتاب ليقروا له ، فلما قرأوه وعرف ما فيه ألقاه في النهر وفر هارباً ، فسار به المشعل .

هذا النادي حجابها المستور ، وإلا فقد يتست منها كما يتست الكفار من أصحاب القبور . قال : اقرأ باسم ربك الذي خلق ، فكم ركب هنا مثلها طبقاً عن طبقاً . فقرأها أقول :

سمحت في الشام بألف كاملٍ
مقتبساً مسألة من سائلٍ^٢
يقول : أي اسم بغير طائلٍ
يركب في التركيب متن الباطل^٣
ليس بعمول ولا بعاملٍ
وربما أفاد غير العاقل
فوق إفادة الليب الفاضل ؟
وقد جعلت مثل ذلك النائل^٤

لمن يجيء بالجواب الفاصل

قال : فأطرق كل من حضر ، ولم يقفوا على خبر ولا خبر . وجعل الطلبة هناك ، يجبطون في ليها الحالك . والشيخ يعجب منها ويعجب ، ويعظم أمرها ويطنب . فقال الأستاذ : إني قد جعلت على نفسي ما جعل هذا الشاعر ، فإن الفوائد تشتري بالذخائر . فتوحت أعطاف الشيخ ابتهاجاً بالظفر ، وقال : إن الناس يستزلون البدر بالبدر ، ثم أنشد يقول على الأثر :

قل يا ابن عبّادٍ لهذا السائل :
ذلك اسم صوت شاع في القبائل
وهو من الأغفال والعواطل
لا يبتنى منه كلام قائل^٥
وإنما تركيبه في الحاصل
مزج بما قدّم في الأوائل^٦

١ يعني حالاً بعد حال . أي كم تصرف أهل هذا المجلس في مثلها .

٢ ألف : ألف درهم . مقتبساً : مستفيداً .

٣ يركب في التركيب : أي في تركيب الكلام .

٤ جعلت : فرضت . مثل ذلك النائل : ألف درهم .

٥ يعجب : يحتمل على العجب .

٦ جمع بدره وهي عشرة آلاف درهم . وكنى بالبدر عن الأمر البعيد المنال .

٧ الأغفال : المهملة . لا يبتنى منه كلام قائل : لا يركب منه كلام .

٨ أي أن تركيبه إنما يكون تركيب مزج مع ما قبله .

فَهُوَ مع التركيب غير قابل لنحو مفعول به أو فاعل
ويستفيد منه قلب صاهر ما ليس قلب ناطق بشاغل

فلا تكن عن حفظه بغافل

قال : فعظم الشيخ في أعين الجماعة ، لما رأوا عنده من البراعة .
وقالوا : لقد حق لك الثواب ، إن كنت مبتكر الجواب . فاستشاط من
الغضب ، حتى كاد يخرج عن الأدب . وقال : يا هؤلاء قد رميتوني بسهم إن
أصاب جرح ، وإن أخطأ فضح ٢ . فلأر كين معكم ما شتم من المسائل ،
ليحق الله الحق ويبطل الباطل . فقال أحدهم : إنني مشتغل بعلم العروض ،
فهل لذلك عندك من عروض ٣ ؟ قال : اللهم نعم ، ما الفرق بين المعاقبة ،
والمكافئة والمراقبة ؟ وما الفرق بين ما تم من الأبيات وما وفى ، وبين
المصرع منها والمقتضى ؟ وأي بحر يستبيح أجزاء صاحبه ولا حرج عليه ،
فإن اختلس منه صاحبه جزء آسق برمته إليه ؟ فأجاب الرجل بعض الإجابة ،
وهو يمزج الخطأ بالإصابة . ولما رأى الأستاذ عكس القضية ، ثارت به الحية .
فقال للشيخ : إن كنت من علماء اللغة فكم هي مخارج الحروف ، وما هي
صفتها التي يميز بها الموصوف ؟ وماذا يمنع الإدغام والإعلال ، بخلاف القياس
في الأفعال ؟ ولماذا يكتب نحو اصطفى بالياء ، وقد كتبت مجردة بالألف

١ يستفيد منه الحيوان أكثر من الإنسان . فهلا مثلاً يزجر الفرس ولا يؤثر في الفارس .

٢ أي فضح الرامي .

٣ من عرض له الأمر أي خطر على قلبه .

٤ المراقبة : إذا اجتمع سببان بحيث لا يجوز مزاحفتها معاً فإن جازت في أحدهما فقط فذلك
هو المعاقبة ، وإن وجبت للمراقبة . وأما المكافئة فهي أن تجوز المزاحفة في كلا السببين .

٥ برمته : أي بأسره .

٦ أما مخارج الحروف فهي الحلق واللسان والشفطان وكل واحد منها يختص بحروف معلومة .
وأما صفات الحروف فمنها المهموسة والمجهورة والشديدة والمتوسطة والرخوة والمطبقة
والمفتحة والمستعلية .

المساء؟ فقال الشيخ: إن أخطأتُ في الجواب فليس لي عندكم شيءٌ، وإن أصبت زدتموني أرشاً^١ جنايتكم عليّ. قال: قد أحسنتَ في الشرطِ والجزاء، فأنا على ما تشاء. فأفاض الشيخ في شرحه حتى شرحَ الصدور، وقال: هل يستوي الأعمى والبصيرُ أم هل تستوي الظلمات والنور؟ ثم اعتمد على عصاه، وقال: أستودعكم الله! فنهض إلى وداعه الأستاذ الكبير، وألقى في رُذنيه صُرَّةً من الدنانير. فخرج يجر الذيل، وقال: هلمَّ يا سهيل. فلما صرنا بمغزلٍ قال: قد حملتَ رقعةَ المسألة، واستفدتَ حلَّ المعضلة! أفتبغني أن يبذلَ كلُّ لصاحبه ما عليه، أم نطرح الحساب من طرفيه؟ قلت: كلاهما خطر، فلك النظر. قال: أنتَ ضيفي ما دمنا في هذه البقعة، فلا حاجة لك بدينار ولا قطعة. قال سهيل: فمكثتُ حيناً من الدهر وإياه، أنيسن بهلالِ مُحيَّاه، وأنعللُ بزلالِ حُمِّيَّاه. إلى أن حلتَّ الشمسُ^٢ بُرجَ الأسدِ^٣، ففارقني فراقَ الروح للجد.

١ الأرش: دية الجراحات وما يدفع بين السلامة والميب في السلعة.

٢ محياه: وجهه. الحميا: الخمر كنى بها عن طيب معاشرته.

٣ برج الأسد: هو البرج الذي تنزله الشمس في شهر تموز. كنى بذلك عن اشتداد حر الصيف.

المقامة الثالثة عشرة

وتعرف بالتغلبية

قال سهيلُ بنُ عبَّادٍ : شخصتُ في نفرٍ من أهلِ العالية ، إلى أطراف تلك البادية . فسِرنا لا نألو جهداً ، ولا نعلو مهدياً . حتى تبطئنا مفازةً قد ضَرَبَتْ أساهيجها الريح ، كأنها أهاجيج شِقِّ أو سطيح . فأرسلنا إبلنا العِراك ، وأخذنا في الرسمِ الدِّراك . وبيننا نحنُ كذلك إذا فرسانٌ قد أشرعوا العوامل ، وفادوا : يا لَتَغْلِبَ ابنةِ وائل ! فما كان إلا كرجعُ النفس ، أو لَمَعَ القَبَسُ . حتى أحاطوا بنا إحاطةَ الأسورةِ بالمعاصم ، وقالوا : لا مانع لكم اليوم من أمر الله ولا عاصم^٦ . فسرنا بينهم كالنجاج بين الذئاب ، حتى انتهينا إلى حِلَّةٍ كثيرة الخيام والقباب ، مكتنظةٍ بالحيل والركاب^٧ . فطرحونا إلى سُرادقِ كقبةِ نجران ، فيه شيخٌ كعبد المدان ، على قصعةٍ^٨

١ مهدياً : فراشاً . مفازة : فلاة مهلكة .

٢ الأساهيج : خطوط الرمل . الأهاجيج : ما يحطه الساحر في الرمل بحسب صناعته . شق : اسم كاهن من اليمن يقال إنه كان نصف رجل . سطيح : كاهن آخر يقال إنه كان بلا عظام .

٣ العِراك : المعركة أي المزدحمة . الرسم : السير السريع . الدراك : المتتابع .

٤ العوامل : أسنة الرماح . تغلب ابنة وائل : هو تغلب بن وائل وإنما قال ابنة وائل لأنه أراد بها القبيلة .

٥ القبس : شعلة النار .

٦ عاصم : واق .

٧ حلة : منزلة القوم . الركاب : الإبل .

٨ سرادق : خيمة من نسج القطن . قبة نجران : قبة عظيمة . المدان : اسم صنم . وعبد المدان هو عمرو بن الريان الحارثي ، كان من أشراف الناس وأكابرهم .

كجفنة عبد الله بن جُدعان . وحواليه حلقة من ذوي البوسى ، كأنهم من^١
بقايا قوم موسى . فبتنا نجص في الرباط عند القوم ، وأنا لم تأخذني سنة^٢
ولا نوم . حتى أوشك صبغ الليل أن يحول ، وإذا بجانبنا قائل يقول :

يا ليلُ قد طُلتَ فهل ماتَ السَّجَرُ أم استعالتَ شمسهُ إلى القمرِ ؟
طُلتَ على شيخٍ قليلِ المُصطَبِرِ قد باتَ في القيدِ ، كما شاءَ القَدَرُ !
يا ليتَ قومي يعلمونَ بالخبرِ وليتَ ليلِي نظَّيرتَ هذا النظرِ
يا أيها الظالمُ كُنْ على حدَرِ كلِّ صغيرٍ وكبيرٍ مُستَطِرًّا^٣
مَنْ شاءَ فليؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ كفر

قال : فلما توجَّستُ هذا الكلام ، تنسَّمتُ منه نسيمَ الخزام . فقلت :
قد سَطعتَ ريحُ الخزام ليلا فأدرَكتُ من فورِها سُهَيْلاً^٤
عسى نقيدُ بعدَ ذاكَ سَيْلاً

فقال : اللهُ أكبرُ ، قد هانَ عليَّ الموتُ الأحمر . قلتُ : نفسي فداءُ
نفسِكَ ، فكيفَ أمرُ حبسِكَ ؟ قال : أخذتُ من أرضِ الجزيرة^٥ ، على غيرِ
جزيرة ، والله أعلمُ بالسريرة . وإذا رجلٌ قد تخلَّلَ إليه الأسرى^٦ ، كأنه

١ الجفنة : قصعة يقال إنها كانت عظيمة في الغاية حتى يتناول منها الراكب لارتفاع جدرانها .
البوسى : نقيض النعمى .

٢ بقايا قوم موسى : مأخوذ من قول الشاعر :

كأنك من بقايا قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام

نجص : نتأوه من الضيق . سنة : نفاس .

٣ مستطر : مكتوب عند الله .

٤ توجست : تسمنت ذلك الصوت الخفي . تنسمت منه نسيم الخزام : أي أنه لما سمع الأبيات
لمح من فحواها أن قائلها ميمون بن خزام .

٥ سطعت : انتشرت . ريح الخزام : يقصد به الشيخ ميمون . سهيلا : المراد به الرجل .

٦ الجزيرة : جزيرة العرب .

٧ دخل بينهم .

من آيات ربه الكبرى ، وقال : هيات لا تخفي نفس عن نفس شيئا ولا
 ترور وازرة ووزر أخرى . ثم أخذ بيده وقاده كالبعير ، حتى وقفه بمحضرة
 الأمير . فلقتهاه الأمير بالوجه العبوس ، وقال : أف لك يا أشأم من
 البسوس^١ ! أتتهجو العرب الذين منهم أخذ الشعر والحطاب؟ وعلى كلامهم
 بنسي التصريف والإعراب . ومنهم تعلت الناس الفصاحة ، واجترأت
 الكرام على السماحة . وهم ضرباب السيوف ، وضرباب الختوف^٢ ، وقراءة
 الضيوف ، وحبابة الألوف ، وحبابة السجوف^٣ . وآثارهم في الخذاقة والكرم ،
 وحفظ الجوار والذمم ، أشهر من نار على علم . فكيف استطعت أن
 تقول للصبح يا ليل ، وللشمس يا سهيل^٤ ؟ قال سهيل^٥ : وكنت برأى من
 ذلك ومسمع ، فقلت للعارس : إن الأمير يدعوني فلا تمتع . فأطلقني وهو
 يرعاني حتى دخلت في الجماعة ، وإذا الأمير يقول : هات آيات الشيخ يا أخا
 قضاة . فقام فتى بين المحشدة^٦ ، ونظر إلى الشيخ وأنشد :

مَنْ رامَ أَنْ يَلْقَى تَبَارِيحَ الْكُرْبِ مِنْ نَفْسِهِ فليأتِ أَجْلَافَ الْعَرَبِ^٧
 يَرَى الْجِمَالَ وَالْجِلَالَ وَالْحَشَبَ وَالشُّعْرَ وَالْأوبَارَ كَيْفَمَا انْقَلَبَ^٨
 أَسْرَقُ أَهْلَ الْأَرْضِ عَنْ أُمَّ وَأَبٍ وَأَسْمَجُ النَّاسَ وَأَخْزَى مِنْ نَهَبِ^٩

١ أي لا تحمل مذنبه ذنب أخرى .

٢ هي البسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة قاتل كليب بن ربيعة . يضرب بها
 المثل في الشوم لأنها كانت سبب حرب بين بكر وتغلب دامت أربعين سنة .

٣ الختوف : جمع الختف وهو الموت .

٤ الحباة : من الحباه بمعنى الطاء . السجوف : السطور . كناية عن الحرم .

٥ يريد النجم الصغير .

٦ يرعاني : أي يراقبني لكلا أعدل عن مجلس الأمير هاربا . آيات الشيخ : يريد آياته التي هجا
 بها العرب .

٧ المحشدة : المحفل .

٨ تباريح : شدائد . أجلاف : جمع جلف وهو الرجل الفليظ الجاني .

٩ الجلال : جمع جل للفرس ونحوه . الحشب : خشب الرحال .

لا تُعرَفُ الأقدارُ فيهم والرئبَ ولا يُبالونَ بأحرارِ النَّسبِ
لكن يَغارونَ على حِفْظِ النَّسبِ^١

قال: فصفقَ الشيخَ عَجَباً وأقسمَ بثرية نزار ، أنهم بمن مجرفون الكليم
عن مواضعه ويبدلونَ الجنةَ بالنار. قال : إن يبيعَ عليك قومك لا يبيعَ عليك
القمر ، فهاتِ ما صَحَّ عندك من الأثر . فأنشد يقول :^٢

من رامَ أن يُلقي تَبَاريحَ الكُرَبِ من نفسه فليأتِ أحلافَ العَرَبِ^٣
يَرَوِ الجَمالَ والجَلالَ والحَسبَ والشَّعْرَ والأوتارَ كيفما انقلَبُ^٤
أشرفُ أهلِ الأرضِ عن أمِّ وأبِّ وأسمَحُ الناسِ وأجرى من يَمبِ
لا تُعرَفُ الأقدارُ فيهم والرئبَ ولا يُبالونَ بأحرارِ النَّسبِ
لكن يَغارونَ على حِفْظِ النَّسبِ

قال : فسرى غضبُ الأميرِ وأمسك عن التعنيف ، وجعل يعجب من ذلك
التصنيف والتعريف . فقال : يا مولاي حاشا أن أهجو قومي الذين منهم
حُسبٌ ، وإليهم نُسبٌ . وبهم يُشَدُّ أزرِي^٥ ، ويستقيم أمرِي . قال : فما
أنتَ وعربَ القفار ، وما عندك لهم من الآثار ؟ قال : عندي ما أحبيت^٦ ،
فلا تسألُ عن شيءٍ إلا أجبت . قال : هل تعرف مشاهير العَرَبِ الذين تُرسلُ
بهم الأمثال ؟ قال : اللّهم نعم ، وأنشد في الحال :

١ النّسب : المال .

٢ إن يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر : مثل . مراد الأمير هنا : إن كنا ظلمناك بالهمة
لا تظلمك آياتك إذا لم تكن كما آهمنك . هات ما صح عندك من الأثر : إذا كانت هذه
الآيات محرقة فهات الآيات الصحيحة .

٣ أحلاف : أحزاب .

٤ الأوتار : أي آلات الطرب .

٥ التصنيف : تبديل الحروف بتغيير النقط . التعريف : تبديل الحركات .

٦ أزرِي : ظهري .

٧ أنت وعرب : الواو للمصاحبة . الآثار : الأخبار المنقولة .

من أشهر الأمثال في القبائل - عززة ذي الحمى كليب وائل^١
 وطلب الثار إلى المهلهل - ينسب كالوفاء للسموأل^٢
 ورأي قيس مثل جود حاتم - شاع وقتك الحرث بن ظالم^٣
 وحلم معن وهو ابن زائده - وقس ذو الفصاحة ابن ساعده^٤
 وشاعت الحكمة عن لقمان - وهكذا الخطبة عن سحبان^٥
 واشتهرت فراسة الأفراس - عن عامر والحذق عن إياس^٦
 والحضر يعزى لسليك السلوك - وحيلة القصير نعم الملكة^٧

١ يقال في المثل : فلان أعز من كليب وائل ، وذلك لأنه كان عزيزاً عظيم المهابة فكانت لا توقد نار مع ناره ولا ترد إبل على الماء حتى ترد إبله . وكان يحمي المراعي فلا يقربها أحد ويحمي الصيد فلا يصاد . وكان لا يتكلم أحد في مجلسه حتى يسأله ولا يجلس حتى يأمره فيتبب في جلوسه متأدياً :

٢ أما المهلهل فهو عدي بن ربيعة التغلبي أخو كليب وائل ، أقام في طلب ثار أخيه من بني بكر أربعين سنة . وأما سموأل فهو ابن حيان بن عاديا من عرب اليمن . يضرب به المثل في الوفاء .

٣ أسما قيس فهو ابن زهير بن جذيمة بن غطفان . كان من دهاة العرب وكان يقال له قيس الرأي لجودة رأيه . وكان حاتم جواداً متلاًفاً إذا سئل وهب وإذا غم أنهب وإذا أسر أطلق .

٤ أما معن فهو ابن زائدة الشيباني . وهو الذي قيل فيه : حدث عن معن ولا حرج . وأما قس فهو ابن ساعدة خطيب العرب وشاعرها وحكيمها وقاضيا في عصره . وهو أول من صد على شرف وخطب عليه .

٥ أما لقمان فهو ابن عاد المشهور . كان من حكماء العرب ودهاتهم . وأما سحبان فهو سحبان وائل الباهلي . كان من خطباء باهلة وشعرائها .

٦ فراسة الأفراس : الحذاقة في ركوب الخيل . عامر : هو عامر بن الطفيل العامري . كان أحذق العرب ركوب الخيل وأجولهم على متونها وأبصرهم في التصرف عليها . إياس : هو إياس بن معاوية بن قررة المري يضرب به المثل في الزكك وهو التفرس وإصابة الظن .

٧ الحضر : الركض . السليك : هو الحرث بن عمرو التميمي . وكان يعرف بالسليك مصغر السلوك : ولد الحجل . القصير : هو قصير اللخمي جدع أنفه احتيالا على الزباه لقتلها . الملكة : الهيئة الراسخة في النفس .

وهكذا رواية ابن أصمَعٍ تُذَكِّرُ والجَمالُ للمقنَعِ^١
واشتهرَ الحُزْنُ عن الحُنفاءِ مثلَ اشتهارِ بَصْرِ الزرقاءِ^٢

قال : حياك من كور^٣ النهار على الليل ، فهل تعرف مشاهير الخيل ؟
فأنشد :

أشهرُ خيلِ العربِ : المُشَهَّرُ ثم النعامُ التي لا تُنكَرُ^٤
وداحِسُ منهنَّ والقَهْبَاءُ كذلك الحَطَّارُ والحِنفاءُ^٥
وأعوجُ ولاحقُ سَكابُ كذلك العُبَيْدُ والعُقَابُ^٦
كذا العصا وأُمُّها العُصْبَةُ وكم لهم أُمًّا وكم بُنيَّةُ^٧

قال : قد أحسنت في الإعراب^٨ ، فهل تعرف أبيات الأعراب ؟ فأنشد :

خِباءُ صوفٍ وبيجادُ الوَبْرِ وقَشَعُ جِلْدِ سِتْرَةٍ من مَدَرٍ^٩
وخِيمَةُ الغَزْلِ وقُسْطاطُ الشَّعْرِ وقَبِيَّةُ اللَّبَنِ حَظِيرَةُ الشَّجَرِ^{١٠}
وهكذا الطَّرَافُ من أديمٍ نزلها العُربُ من القَدِيمِ^{١١}

قال : إن كنت من أهل هذا المقام ، فهل تعرف ما لهم من ألوان

الطعام ؟ فأنشد :

١ ابن أصمَعٍ : هو عبد الملك بن أصمَعِ الباهلي . يضرب به المثل في سعة الرواية وكثرة الحكايات والنوادر . المقنَعُ : هو المعروف بالمقنَعِ الكندي كان أجمل الناس وجهاً وأكملهم خلقاً وأعدَّهم قواماً . وكان إذا سفر اللثام عن وجهه أصابته العين فيمرض فكان لا يمشي إلا مقنَعاً أي مغطياً وجهه كالمرأة .

٢ الزرقاء : هي حذام الجديسية وتعرف بزرقاء اليمامة . كانت تبصر مسافة ثلاثة أيام .

٣ كور : جمع أو ادخل .

٤ لاحق : فرس لمعاوية بن أبي سفيان .

٥ أي كم فرس لهم والدة وكم فرس مولودة مثل العصبة والعصا .

٦ الإعراب : البيان .

٧ المدر : الطين اليابس .

٨ الأديم : الجلد المدبوغ .

بعض طام العرب الرغيدة	رهيدة	لهيدة	نهيدة
وضيعة	ربيكة	ليكة	حريقة
وزيمة	سخينة	فيحاء	حريرة
مضيرة	عينة	ثريد	وحسبنا هذا فلا تزيد

قال : وهل تعرف ما لهذه الأطعمة ، من الآنية المفعمة ؟ فأنشأ يقول :

آنية الهام عند العرب	أعظمها دسيسة	في الرئب
فجفنة فقصة تعد	فصحفة منكلة	من بعد
ففيحة لواحد مقداره	وفوقه	ما فوقها للعشرة

قال : وهل تعرف هذه المساة الباقية ، عن أزالام الميسر في البادية ؟^٢

فأنشد :

فدّ وتوأم قيب ناس
كذلك المسيل والمعنى
ثم السفيح والمنيع ارغد
ليس لها إلى النصب رشد^٣

قال : فعجيب الأمير من جريه هذا المجرى ، وقال : قد كذبت من

قال صاحب البيت أدري^٤ . فلا جرّم أنك من صميم العرب العرباء ، وأبلغ من تحت الجرباء . ولقد جرت عليك بما أسرناك ، فاعذرنا كما عذرناك . ثم^٥

١ أي أن الفيخة تكفي رجلا واحداً . والدسيسة تكفي عشرة . وما بينهما لما بينهما .

٢ الأزالام : السهام قبل أن تراش وتركب لها النصال . والميسر : قمار العرب بهذه الأزالام .

٣ كان أهل الثروة في الجاهلية يشترون جزوراً فينحرونها ويقسمونها ثمانية وعشرين قسماً ، ويتساهمون عليها بعشرة قدام يسومونها الأزالام .

٤ يقول إنك قد كذبت هذا القائل لأننا وجدناك أدري منا بما عندنا .

٥ الجرباء : السماء . بما أسرناك : ما مصدرية أي بأسرناك .

أمر بالطعام ، وقال : كيف أنت والمُدام ؟ قال : إذا أصابت الظباء الماء فلا عباب ، وإذا لم تصبه فلا أباب . على أني لا أزدردُ الطعامَ السَّلْجُجَ ،^١ ولا أسبخُ اللبنَ السَّمْلَجَ^٢ . ما لم تكن يد غلامي قبل يدي ، فإنه بمناوبة ولدي . قال سهيل^٣ : وكنت قد أضمرت الفرار ، إذا تعذّر القرار . فلما آنستُ صفوَ الكاس ، برزت من موقفي بين الناس . فدعاني الأميرُ إلى بساطه ، وأقبلَ عليّ بانبساطه . وأقمنّا عندهُ ثلاثاً من اللبالي ، أنقى من اللآلي . حتى إذا أزمعنا السفر ، وودّعنا نفر . قال للشيخ : نَحْمِلُكَ^٤ كما حملناك على الأدم ، فدوّنك هذا الجوادَ المُطَهَّم . قلتُ : مثلُ الأميرِ من حَمَل على الأدم والأشهب ، فإني أذهبُ كما يذهب . قال : قد وَجَبَتْ لكما العِطِيَّةُ ، فضلاً عن المَطِيَّة . فخرجنا بالخيْل والمال والزاد ، ونحنُ نذمُّ المبدأ ونحمدُ المعاد^٥ .

١ إذا أصابت الظباء الماء فلا عباب ، وإذا لم تصبه فلا أباب : أي إذا وجدت الغزلان الماء فلا تلج في شربه وإذا لم تجده فلا تهبأ لطلبه . وهو مثل يضرب لمن لا يرغب في الشيء ولا يكرهه . السَّلْجُج : اللبن السهل .

٢ السملج : الحلو .

٣ نحملك : نركبك جواداً .

٤ الأدم : القيد . المطهم : التام الخلق .

٥ نذم أول الأمر ونحمد عاقبته .

المقامة الرابعة عشرة

وتعرف بالهزلية

حكى سهيل بن عبّادٍ قال : كان لي زوجةٌ صنّاعُ اليدين^١ ، كريمةُ
النبعتين^٢ . فحصدتني عليها المنون ، وخانني فيها الدهرُ الحثّون . فلبثتُ بعدها
طويلاً ، أرددُ زفرةً وعويلاً ، وأنوحُ بكرةً وأصيلاً . حتى حال عليها^٣
الحول ، وآلتِ الفريضةُ إلى العول . ففاجتني الحوباءُ ، أن أستبدلَ ما^٤
طابَ لي من النساءِ . ولما لم أجِد في الحيِّ ، من تروقُ بعيني . أزمعتُ
الاغترابَ ، وبكرتُ بكور الغراب . فهلمجتُ سحابةَ النهار ، على همْلعةٍ^٥
عُبرِ أسفار . حتى إذا جنحُ الظلامِ رَفرف ، نزلتُ بقاعِ صَفْصَف ، في^٦
خلالِ نَفْثَف . فبينما ألقيتُ وسادي ، وتلقيتُ مائي وزادي . سمعتُ
غَطِيطاً كأطيط البعير ، وزفراتٍ تتصاعد كالزفير . فجنحتُ عن القمر ،^٨

١ صنّاع اليدين : حاذقة في العمل .

٢ النبعتين : الأب والأم .

٣ زفرة : تنفساً طويلاً . أصيلاً : مساء .

٤ العول في الفريضة الشرعية أن تزيد سهامها فيدخل التقصير على أهل الفرائض . كئى بذلك
عن زيادة مدة البكاء على هذا القدر المفروض لها . الحوباء : أنفوس .

٥ هملجت : أسرع في المسير . سحابة : طول . همْلعة : ساحة سريعة .

٦ عبر أسفار : قوية أو موعودة على السفر . جنح : جزء من الليل . القاع : القرار من الأرض .
صفصف : مستو .

٧ خلال : جمع خلل وهو الفرجة بين الشئين . نفثف : مهوى بين جبلين .

٨ الغطيط : صوت النائم من خياشيمه . الأطيط : صوت البعير من ثقل حمله . الزفير : صوت
هلب النار . جنحت : ملت . القمر : حيث يقع ضوءه .

إلى السَّمَرِ ، وأخذتُ لِنَفْسِي الحَذَرَ. ولبثتُ أتَكبُ الغمضَ ، وأقلَّبُ طرفي^١
بين السماء والأرض . وإذا جارية^٢ قد تنهَّدتْ ، ثم أنشدت :

هل من سبيلٍ لي إلى العتاقِ من رِقِّ ظلمٍ أو إلى الإباقِ^٢
ما زلتُ من ذلك في وثاقِ تكادُ روعي تبلُغُ التراقي
أطوي على الطوى من الإملاقِ حتى إذا امتدَّتْ دُجى الأغساقِ
أضوى إلى شيخٍ جري خفَّاقِ واهي القوى منهتكِ الصفاقِ^٣
ذي لحيَةٍ أثبتتِ الأعراقِ تضربها الرياحُ في الآفاقِ^٤
تلبَّدتْ طاقاً وراء طاقِ كأنَّ فيها مريضَ النياقِ^٥
منهدِثارُ الليل حتى الساقِ وظلَّةُ النهار كالرِّواقِ^٥
يجري عليها رمصُ الآماقِ ووضرُ المخاطِ والبصاقِ^٦
حتى ترُدُّ المشطَ بالإزلاقِ فهل كريم النفس والأخلاقِ
يحتالُ لي بفرجة الطلاقِ وهبتهُ ما لي من الصداقِ^٦
وزدتهُ ثوبي إلى النطاقِ^٧

قال سهيل^١ : فافتتنتُ بفصاحتها ، ولم ألتفت إلى قيد ملاحظتها . وقلت :

- ١ السمر : الظل حيث لا يشرف ضوء القمر . ومن ذلك قولهم لا أكلمه القمر والسمر .
أتكب الغمض : أتجنب النوم .
- ٢ الإباق : فرار العبد .
- ٣ أضوى : أضم . جو : صفة من الجوى وهو وجع في الصدر . واه : ضعيف . منهتك :
منشق . الصفاق : غشاء في مراء البطن .
- ٤ أثبتت : كثيرة ملتفة . الأعراق : الأصول .
- ٥ دثار : غطاء . الظلة : ما يستظل به من الشجر وغيره . الرواق : ستر يمد فوق صحن
الدار أو سقف في مقدم البيت .
- ٦ رمص : ما يسيل من العين الرمءاء . الآماق : جمع مؤق وهو مقدم العين مما يلي الأنف .
وضر : وسخ .
- ٧ النطاق : شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها ثم ترسل أعلاها على أسفلها إلى الركبة .

لا جرم أنه قد خازمني التوفيق ، من معاجيل الطريق . فأنشدت :

الحمد لله وبالله التمسك قد صادف الكحل سواد الحدقة^٢
واهأ لهذي الطرفة المتفقته إن لم نقل وافق سن طبقة^٣
فإننا أحق من هبتقة

قال : وإذا بالشيخ قد استوى ، وقال : ما ضل صاحبكم وما غوى^٥،
وما ينطق عن الهوى . ثم أشد يقول :

قد علم الله الذي له البقا لو ترك الدهر لكفتي رما^١
لم تبق إلا ريث أن تطلقا ولم نجد عندي فوادا شبقا^٢
ولا ذكرت جيدها المطوقا ولا جينها النقي اليقعا^٤
ولا سواد عينها ذات الرقي ولا موحياها الجميل الطلقا^٦
ولا حديثها وذاك المنطقا لكن لها علي مهر سبعا^٧
ومهر أخرى بعدها قد لحقا فإنا الإنسان زوجا خلقا^٨

١ يقال خازمته إذا أخذت في طريق وأخذ في طريق آخر حتى تتلاقيا . معاجيل : مختصرات .

٢ عبارة عن وقوع الشيء في موضعه .

٣ واهأ : كلمة تحجب . الطرفة : الواقعة المستطرفة أي المستلمحة . وافق سن طبقة : مثل يضرب في توافق الشينين .

٤ هبتقة : رجل يضرب به المثل في الحق ، كان قد اتخذ قلادة من الودع والحرز الملون وجعلها في عنقه لكي يعرف نفسه بها إذا ضل . وكان له أخ يقال له مروان فسرق القلادة من عنقه وهو نائم وجعلها قلادة له . فلما انتبه رآها في عنق أخيه فقال : يا مروان سرقتها مني . أنت أنا فمن أنا ؟

٥ ما ضل صاحبكم وما غوى : يريد أنه ليس بغافل عما دار بينهما من الكلام .

٦ الرمي : بقية الروح في المريض والمراد به هنا فضلة من المال .

٧ أي لم تمكث عندي إلا مدة ما أقول لها أنت طالق .

٨ جيدها : عنقها . اليقق : الشديد البياض .

٩ الرقي : من أعمال السحر . الطلق : المشرق .

فإن أَرَّ المَهْرَيْنِ عِنْدِي غَسَقًا طَلَّقْتَهَا والصَّبْحُ لَمْ يَنْبَثِقَا^١
 لا عَيْشَ لِلزَّوْجَيْنِ لَمْ يَتَفَقَا وَمَنْ تَرَاهُ مُعْرِضًا قَدْ وَثِقَا^٢
 بِالْهَجْرِ فَاهْجُرْهُ إِلَى يَوْمِ اللِّقَا^٣ .

قال : فاستفزتني أبيات الشيخ فرحاً ، حتى كدتُ أُصَفِّقُ مرحاً . ولم
 أَمْلِكْ أَنْ دَلَّفْتُ إِلَيْهِ دِلْفَةً مِنْ تَيْمَنٍ ، وقلتُ : حَيَّاَ اللهُ الشَّيْخَ فَمَنْ أَنْتَ ؟
 ومن ؟ قال : أَنَا الْمُبَارَكُ بْنُ رِيحَانَ ، من بطون قَحَطَانَ . وإِنِّي لَأَرَى
 الْفَتَاةَ قَدْ سَفَعْتِكَ حُبًّا ، وَخَلَّيْتِ مِنْكَ لُبًّا . فَإِنْ كُنْتَ تَمْلِكُ النِّقْدَيْنِ ،^٦
 فابْذُلِي اللُّجَيْنِ ، وَاغْنَمِي قِرَّةَ الْعَيْنِ . قال : فَسَهَّلَ عَلَيَّ الْوَجْدُ بِذَلِكَ الْجِدَّةِ ،^٧
 وَنَفَحْتُهُ بِمَا مَعِيَ حَتَّى أَفْعَمَ رُودَهُ وَيَدَهُ . فَأَشْهَدُ عَلَيْهِ اللهُ وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقْرَبِينَ ،^٨
 وَقَالَ لِي : بِالرِّفَاءِ وَالْبَيْنِ ! فَلَمَّا طَرَحْتُ النِّقْدَ ، وَاسْتَبَجْتُ الْعَقْدَ . أَرَدْتُ^٩
 أَنْ أَتَحَوَّلَ بِأَهْلِي ، إِلَى رَحْلِي . فَقَالَ : حَاسًا لَكَ أَنْ تَتْرَكِي اللَّيْلَةَ سَمِيرًا^{١٠}
 الْفِرْقَدَيْنِ ، وَلَكِنْ غَدًا تَذْهَبُ أَنْتِ بِالْعُرُوسِ وَأَنَا بِمُخْفِي حَمِينٍ . فَبِتُّ عِنْدَهُ^{١١}
 بِلَيْلَةِ الْمَسْوَعِ^{١٢} ، وَعَيْنِي لَا يَأْخُذُهَا الْمَجُوعُ ، حَتَّى آذَنَ الصَّبْحُ بِالطَّلُوعِ . فَتَبَيَّنَتْ

١ غسقا : ليلا . ينبثق : ينفجر .

٢ لم يتفقا : حال . أي غير متفقين . ومن تراه : أثبت الألف في قوله تراه على سلخ من عن
 الشرط واستعماها كالذي . معرضاً : أي مائلا بوجهه عنك .

٣ وثق بالهجر : أي طابت نفسه به .

٤ دلقت : تقدمت . تيمن : تبرك .

٥ أنا المبارك بن ريحان : اتخذ معنى اسمه واسم أبيه دون لفظهما . فإن المبارك بمعنى ميمون
 والريحان جنس للخزام .

٦ خلبيت : سلبت . تملك النقدين : مهر الأولى والثانية .

٧ اللجين : الفضة . الوجد : المحبة والشوق . الجدة : ما يوجد معي .

٨ رده : كره . أشهد عليه الله والملائكة المقربين : أشهدهم بالطلاق .

٩ بالرفاء والبين : دعاء عندهم للمتزوج يدعو له بالألفة وولادة البين . العقد : عقد الزواج .

١٠ أهلي : زوجتي . رحلي : مكان نزولي .

١١ سمير الفرقدين : فريداً أسامر النجوم . ذهب مخفي حنين : مثل يضرب بالرجوع بالحبية .

١٢ المسوع : الذي لسعته الحية . والمراد بذلك الكناية عن طول الليلة .

وإذا الفتاة ليلي الحزامية والشيخ أبوها ميسون ، فقلت : إننا لله وإننا إليه راجعون . ما أرى بعل هذه الصبية ، إلا كمكاش بعل طمية . فاستغربا الشيخ في الضحك ، ثم أنشد غير مرتبك :

سلاماً يا ابنَ عبَّادٍ سلاماً أكهلاً قُمتَ فينا أم غلاماً ؟
أرَبْتِكَ إن ملكْتَ طلاقَ ليلي فهل عقدُ ملكتَ به الزَّماما ؟^٢
عروسٌ ليس تخلو من خِداعٍ ، وقد لا تعدُّ الحسناء ذاماً^٣
فطلقها ، كما طلقتُ ، وأعلمُ لقد جعلتَ على كلِّ حراما
عرفتَ وقانعي في كل أرضٍ ، ولكن لستَ تعرفها تماماً
ولستَ ترى سقاماً في مريضٍ فتعرفه كمن ذاقَ السقاما
رزأتكَ يا أعزَّ الناسِ عندي ! لشدَّةِ فاقَةٍ برتَ العظاما^٤
ورُبُّ كريمةٍ أكلتُ بنيتها إذا جاءت ، ولم تجدِ الطعاما !^٥

قال : فقلتُ له 'شهِد اللهُ أنكَ لأمكرٌ أهلُ الخافقين'^٦ ، وأقدَرُهم على الزَّين والشَّين . قال : يا بُنيَّ إن الخلَّةَ ، تدعو إلى السَّلَّةِ . والصدقُ خمرٌ^٧ مزاجها الكذبُ ، والجِدُّ ثوبٌ طِرازُهُ اللعِبُ . وربُّ طُرْفَةٍ ، خيرٌ من^٨

١ عكاش : جبل يقابل أرضاً ببلاد بني سعد يقال لها طمية . فيقولون عكاش زوج طمية لدوام اقترانه بها . وسهيل يقول : إن الشيخ بعل هذه المرأة على سبيل الخرافة كما أن ذلك الجبل بعل تلك الأرض .

٢ أريتك : أي أرايت نفسك . يريد أن الزواج إنما يكون بالعقد لا بطلاق المرأة من بعلها الأول . ولا عقد له عليها فلا زواج له بها .

٣ ذاماً : عيباً .

٤ رزأتك : أصبتك بأخذ المال منك .

٥ رب كريمة : امرأة كريمة .

٦ الخافقين : الشرق والغرب .

٧ الزَّين والشَّين : الحسن والقيح . الخلَّة : الفقر . السَّلَّة : السرقة . وهو مثل .

٨ مزاجها الكذب : أي الماء تمزج به ، وهو يعطيها فكاهاة وليناً وقبولاً . طرفة : ملححة .

تُحْفَةً . فَإِنْ كُنْتَ قَدْ ظَمِئْتَ إِلَى الضَّحْلِ ، وَنَسِيتَ أَنْ لَا بُدَّ دُونَ الشَّهِدِ
 مِنْ إِبْرِ النَّخْلِ . فَهَبِ الْمَالَ عِنْدِي كإِحْدَى الْقُرُصِ ، رَيْبًا أَرْزَأُ مِنْ
 أَسْتَنْصِصُ لَكَ مِنْهُ الْعَرِوضُ^٣ . قُلْتُ : قَدْ عَلِمَ مِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْغَيْبِ ، أَنْ
 هَذِهِ الطَّرْفَةُ عِنْدِي خَيْرٌ مِنْ نَخْلِ هَجَرَ وَعَرَائِصِ الْحُصْبِ . فَأَعْتَنَقَنِي كَمَنْ
 تَمَلَّقَ ، وَقَالَ : كَلَانَا أَفْلَسُ مِنْ ابْنِ الْمَذَلِّقِ ، فَمَنْ أَحْرَزَ الْمَالَ فَعَلَيْهِ
 الْإِنْفَاقُ يُعَلِّقُ^٤ . قُلْتُ : أَنَا وَالْمَالَ فِي يَدَيْكَ ، وَكَلَانَا لَكَ وَإِلَيْكَ . قَالَ :
 حَيَّاكَ اللَّهُ فَنَسْتَبْدِلُ الْجَمْرَ بِالْتَمْرِ^٥ ، وَلَكِنْ الْيَوْمَ خَمِرٌ ، وَغَدًا أَمْرٌ . فَقَضِينَاهُ
 يَوْمًا صَفَا زَلَالُهُ ، وَغَابَ عُدَّالُهُ . إِلَى أَنْ آذَنْتِ الشَّمْسُ بِالْأَفْوَلِ ، وَهَمَّ النَّجْمُ
 بِالْقَفُولِ . فَجَلَسْنَا عَلَى الطَّعَامِ مَعًا ، ثُمَّ أَخَذَ كُلُّ مَنْا مَضْجَعًا . وَطَفِقَ الشَّيْخُ
 يُطْرَفُنَا مِنَ الْقِصَصِ ، بِمَا يُسَيِّغُ الْقِصَصَ . وَمَا زَالَ كَذَلِكَ مَدَّ أَطْبَقَتِ
 الْجَوْنَةَ عَلَى الصَّمِيرِ ، حَتَّى أَقْبَلَ فِجْمَةَ بِنِ جَمِيرٍ . فَرَانَ عَلَى جَفْنِي الْكَرَى^٦ ،
 حَتَّى سَقَطَتْ عَلَى الثَّرَى ، مَحْلُولَ الْعُرَى ، لَا أَسْمَعُ وَلَا أَرَى . فَلَمْ أَنْتَبْ إِلَّا وَقَدْ
 ذَرَّ قَرْنَ الْغَزَالَةِ الضَّاحِي ، وَلَا رَجُلًا وَلَا امْرَأَةً فِي تِلْكَ الضَّوَاهِي^٧ .

١ تحفة : هدية . الضحل : الماء القليل ، يريد به المال الذي أخذه منه .

٢ هب : أحسب .

٣ أستنصص : أحصل . يقول إن كنت قد أسفت على دراهمك التي أخذتها منك فأحسبها قرصة
 عندي إلى أن أصيب أحداً بمكر فأحصل لك عوضها منه .

٤ هجر : بلد في اليمن يوصف بكثرة النخل . الحصيب : موضع في اليمن يوصف بحسن النساء .

٥ تملق : أراد أن يلاطفني . ابن المذلق : رجل من بني عبد شمس لم يكن عنده قوت ليلة فسار
 مثلاً في الإفلاس .

٦ من كان المال معه فهو ينفق على أصحابه .

٧ الجمر عندهم كناية عن الشر والتمر كناية عن الخير .

٨ الجونة : اسم للشمس عند غروبها . الصمير : مكان غروب الشمس . فجمة بن جمير :
 نصف الليل . ران : غلب . الكرئ : العاس .

٩ قرن الغزاة الضاحي : قرن الشمس أول ما يبدو منها عند طلوعها . والضاحي : الظاهر .
 الضواحي : النواحي .

فاستعدتُ بالله من مكرهٍ ونكرهٍ ، وثُرتُ إلى الناقة لأرتحل في إثره .
فلما دنوتُ من قتبها ، إذا رُقعةٌ قد كتَّبتُ بها :

قُلْ لِسُهَيْلٍ إِذْ يَهْبُؤُ فِي السَّحَرِ : إِعْذِرْ فِغَيْرِ النَّاسِ عِنْدِي مِنْ عَذْرٍ !
خُلِقْتُ مَطْبُوعًا عَلَى كَيْدِ الْبَشَرِ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ تَغْيِيرُ الْفِطْرِ^٢
وَلَا يُعَانِدُ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ إِلَّا الَّذِي عَصَى الْإِلَهَ أَوْ كَفَرَ
وَإِنْ تَجِدَ سَيِّئَةً فِي مَا نَدَّرَ فَمَنْ وَكَمَ حَسَنَةً فِي مَا عَبَّرَ !
وَإِنْ يَكُنْ غَرَكُ مِنْهَا مَا ظَهَرَ ، فَتَلِكْ لَا عِلْمَ لَهَا وَلَا خَبَرَ
إِلَّا الَّذِي عَلَّمْتَهَا فِي مَا اسْتَتَرَ فَإِنْ تَرَدَّ صَاحِبَ هَذِهِ الْغُرُرِ^٣ ،
فَضُدْ أَبَاهَا ! إِنَّهُ أُمُّ الْعَيْبَرِ وَالْمَهْرُ مِنْ أَمْسٍ إِلَيْهِ قَدْ حَضَرَ
جَرِيًّا عَلَى الْمَفْرُوضِ مِنْ حَظِّ الذِّكْرِ

فلما قرأت تلك الرُقعة ، عَجِبتُ من تلك الرُقاعة ، وعلمتُ أنه لا
يجولُ عن هذه الصَّنعة ، ولا يتركُ هذه الصناعة . فشكرتُ نعمتهُ إذ لم يأخذ
الناقة ، ورجعتُ أدراجي لِمَا اعترضَ دونَ سفري من الناقة .

١ قتبها : رحلها . رُقعة : صحيفة .

٢ الفطر : جمع فطرة وهي الخلقة التي خلق عليها الإنسان .

٣ إذا كان غرك من ليل ما رأيته من فصاحتها فهي لا تعرف شيئاً من ذلك ، وإنما أنا علمتها
إياه خفية .

٤ الرُقاعة : الحماقة .

المقامة الخامسة عشرة

وتعرف بالرملة

قال سهيلُ بنُ عبَّادٍ : حللت بالرملة ^١ لوَطَرَ أَفْضِيهِ ، وَدَيْنِ أَقْتَضِيهِ .
فَأَقَمْتُ بِهَا شَهْرًا ، وَكُنْتُ أَحْسِبُهُ دَهْرًا . حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ اللَّذُنَّةَ ^٢ ، خَرَجْتُ
تَحْتَ الدُّجْنَةِ . وَكَانَ الشَّهْرُ قَدْ وَقَعَ فِي الْأَنْبِي ، فَاعْتَسَفْتُ بَيْنَ الشُّكِّ وَالْيَقِينِ ،^٣
أَتَجَانَفُ تَارَةً ذَاتَ الشَّمَالِ وَأُخْرَى ذَاتَ الْيَمِينِ . وَمَا زِلْتُ أَخْبِطُ الظُّلْمَاءَ ،^٤
حَتَّى أَقْمَرْتُ السَّمَاءَ . فَتَيَبَّنْتُ وَجْهَ الْهَدْيِ ، وَإِذَا أَنَا أَمْشِي عَلَى مِثْلِ الْمُدَى ،^٥
مِنْ حِرَارِ تِلْكَ الْكُدَى . فَوَقَفْتُ كَالْحَائِزِ اللَّهْفِ ، لِأَنْظَرَمَنْ مِنْ أَيْنِ تَوُكَّلُ^٦
الْكَتْفِ . وَإِذَا رَكِبْتُ يَضْرِبُونَ أَكْبَادَ الْإِبِلِ^٧ ، وَفِي صَدْرِهِمْ شَيْخٌ يَنْشُدُ
بِصَوْتٍ زَجِيلٍ :

يَا مَنْ يَرَى مَا لَا يُرَى وَلَا يُرَى وَيَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى فِي الْوَرَى ،^٨

١ الرملة : البلدة المعروفة .

٢ اللدنة : الحاجة .

٣ الدجنة : الظلمة . كان الشهر قد وقع في الأنبي : يكون بذلك عن دخوله في العشرين وما يليها لما فيها من الغنة كالأنبي . ومراده أن القمر كان يتأخر طلوعه . اعتسفت : مشيت على غير طريق .

٤ أتجانف : أميل . أخبط : أمشي على غير هدى .

٥ المدي : السكاكين .

٦ حرار : جمع حرة وهي أرض فيها حجارة سود نخرة . الكدى : الأراضي الغليظة .

٧ لأنظر من أين توكل الكتف : أي لأنظر من أين ينبغي أن يسار . وهو مثل في استبانة الأمر المهم . ركب : جمع راكب . يضربون أكباد الإبل : يسوقونها سوقاً عنيفاً .

٨ لا يرى : معطوف على يرى الأولى أي يا من يرى ولا يراه أحد . الورى : الخلق .

دَعَوْتُكَ اللَّهُمَّ إِذْ طَالَ السَّرَى ، وَمَالَتِ الْأَعْنَاقُ مِنْ خَمْرِ الْكَرَى
يَسَّرْ لَنَا رِزْقًا مِنَ الْعَرْشِ جَرَى أَوْ فَاهِدِنَا لِبَابِ رِزْقِي يُعْتَرَى^١
زَعَدُوا إِلَيْهِ مِثْلَ عَدْوِ الشَّنْفَرَى^٢

قال : فلما سمعت ذلك الدعاء خشيت أن يُستجاب ، وأكون أنا ذلك
الباب . فوقعت في حيص بيص ، إذ لم أجد لي من محيص . ولم يكن إلا^٣
كنفة طائر ، حتى حمل علي كالثائر . وقال : قد أنجح ربك الطلب ، فخل^٤
عن السلب^٥ . حتى إذا كاد يدر كني بسنانه ، أخذت جارية بعنانه ، وقالت :
بتربة خزام دعه يضي لشانه . فلما آنت ريتا الخزام ، تفرست فإذا
ميمون وليلى والغلام . فاطمأن هنالك قلبي ، وانفثت لوعة كربي . ونزلنا
جميعاً على تلك السلام ، وتطارحنا السلام بالسلام . وقضينا ثملة ليلنا البارح^٦ ،
إلى أن صدح الصادح ، وسكت النابح^٧ . فقال : إننا نزيد الرملة ، فهل أنت
في الجملة ؟ قلت : إن العود مع مثلك أحمد ، ولو إلى برقة تشهد^٨ . وقمنا
نسير الوحي ، فدخلناها رائحة الضحى . وإذا أنا قد كنت أمشي بمشية^٩

١ يعترى : يقصد .

٢ الشنفرى : رجل من بني الأزد قيل له الشنفرى لعظم شفته . وهو صاحب لامية العرب
موصوف بسرعة الركض .

٣ وقعت في حيص بيص : في ارتباك لا مخرج لي منه . محيص : مهرب .

٤ نفة طائر : أي مهلة ما يشرب الطائر . الثائر : صاحب النار الذي يقوم لأخذه .

٥ فخل عن السلب : أي أترك ما معك من الأمتعة .

٦ يقال : انفثت القدر : أي انطفأت رغوتها .

٧ السلام : الحجارة . السلام : عظام الأصابع أراد بها الأيدي مجازاً . ثملة : بقية .

٨ كنى بذلك عن طلوع الصبح لأن الطائر يترنم عند الصبح والكلب يمسك عن النباح .

٩ يقول إن العود إذا كان مع مثلك فهو محمود ولو كان إلى مكان بعيد مثل برقة شهد .

١٠ الوحي : سريماً . الضحى : أي بياض الضحى .

الرحى، ولما ألقينا العصا، أخذ الشيخ يتجهز لطرق الحصى. ثم قام بي بتفقد المعاهد، ويتعهد المشاهد. حتى انتهينا إلى مكتبة مكتظة بالطلبة فتخللنا المقام، وقلنا: سلاماً! قالوا: سلام. وكان بينهم شيخ قد لبس العمائم الثلاث، فأشار إلى بعض أولئك الأحداث. وقال: هل تذكر الآيات العواطل، أم ذهبت عنك بالباطل؟ فأنشد ولم يماطل: ٣

أحمدُ الله الصمد	حال السرور والكمند
الله لا إله إلا	الله مولاك الأحمد
لا أمَّ لله ولا	والد لا ولا ولد
أول كل أول	أصل الأصول والعمد
الواسع الآلاء وال	آراء علماء والمدد
الحوّل والطول له	لا درع إلا ما سرد
كل سواه هالك	لا عدد ولا عدد
صاح ادع مولاك لما	أوعد وأسال ما وعد
واصدع رداة اللهور وال	مكر ودع سوء اللدد
واسل المندام والمها	وارزم المراء والحسد
وامح رؤوما ما لها	حد ولا لها عدد

- ١ أمشي مشية الرحى: أدور وأنا في مكاني. وذلك لأنهم وصلوا في مدة يسيرة. يتجهز: يتأهب. طرق الحصى: من أعمال السحرة أي أخذ يتبها لأعمال مكره.
- ٢ يراد بالعمائم الثلاث: الشعر الأسود ثم الأشمط ثم الأبيض كناية عن بلوغ غاية السن.
- ٣ الآيات العواطل: التي لا نقط فيها.
- ٤ سرد: نسج. أي لا وقاية إلا وقايته.
- ٥ عدد، بفتح العين: جيش. عدد، بضمها: أدوات حرب. أي لا شيء من ذلك يمنع الموت.
- ٦ يقال أوعد في الشر ووعد في الخير.
- ٧ اصدع: شق. اللدد: المخاصمة.
- ٨ المها: بقر الوحش. يكئى بها عن النساء انسان العيون. المراء: الجدال.

وسامح المرء سها	لمسا رماك أم عمد
واردع هواك كارها	ماود و اعكس ماطرذا
واعلم وعلتم واطرح	أحكام عاد و أدد
ودز مع الدهر كما	دار و لو طال الأمد
وسر مع الرود ودع	حر السموم والومد
واعدد دواء الداء لدا	دهر وأكحال الرمد
واسل رواء ماطر	لماطل ولو رعده
للمرء سهم مرسل	وهما وكم سهم صرد
وكم وكم حلوه له	مر وكم وار صلدا
هول الحمام طالع	مطلع روع كالأسد
كأس لكل دورها	والكل للكأس ورد
وكل عمر كالكلا	والدهر لكل حصدا
وكل رسم دارس	وماهد وما مهد

- ١ طرد : نقيض عكس . أي كن مخالفاً لهوى نفسك .
- ٢ عاد : أحد آباء العرب البائدة . وأدد : أبو قبيلة من اليمن وكلاهما من جاهلية العرب . أي اطرح أحكام الجاهلية المتصفة .
- ٣ الرود : الريح اللينة . حر السموم : الريح الحارة نهاراً . الومد : شدة الحر ليلاً . يأمره بالملاينة والملاطفة وترك التعسف والدخول في المسالك العسرة .
- ٤ لا تثق بكلام الماطل الذي لا يفني بوعده ، ينبغي أن تسلم ما ترجوه منه إذ لا مطمع فيه .
- ٥ صرد : أخطأ . أي أن الإنسان يرسل سهام ظنه كثيراً ولكن كثير منها يخطئ ولا يصيب .
- ٦ يقال وري الزند إذا أخرج ناراً فإن لم يخرج يقال صلد .
- ٧ روع : مخافة .
- ٨ الكلا : الحشيش .
- ٩ رسم : بقية الدار . دارس : يقال درس الرسم أي انحى . وماهد : أي وكل ماهد .

أَللهُ ، أَهلَ اللهُ ، را عِ كلِّ عَدلٍ وَأوَدَ
كلُّ هَوَاهُ عَامِلٌ وَاللهُ لِلْكلِّ رَسَدٌ

فقال : أَحْسَنْتَ يَا بُجَيْرُ ، يَا سُلَافَةَ الدَّيْرِ . ثم نادى : يَا عِكرمة ، هات
أبياتك المَعْجَمَةَ . فبرز غلامٌ أنقى من العاج ، وأَجْمَلُ من نصر بن حجاج^١ .
وَأَنشَد :

بشجى بيت في شجن
شيق تيق تجنب في
شغف شقني بذى ثقة
شبية في شبية خضبت
بين جنبي شقة خشلت
قضت جفني بيقظة تبسنت
بي شقيق يغيب غيبة ذي
شيخ فن فتى شنشنة
فتن ينتشين في فتن
نفق ضيق بقي ففني
نجب شن جيش ذي يزن
بشقيق غص ينض جنبي
في قضيب تيبني خشن
غب بين فبت في غيبين
ضغن بين تجنبي
شب في بيت نخبة فبني

- ١ المعجمة : المنقطة . نصر بن حجاج : هو رجل من أهل المدينة كان بارعاً في الجمال .
- ٢ شجن : حزن . فتن ينتشين في فتن : من انتشاب السهم . أي داخله في فتن أخرى .
- ٣ تيق : من التوق وهو ميل النفس .
- ٤ شغف : شدة الحب . شقني : أخلني . نجب : كريم . وذي يزن : ملك من ملوك اليمن .
- ٥ شبية : أي لي شبية . شقيق : يريد النبات الأحمر الزهر ، كنى به عن حمرة الدمع التي صبغت شيبته . ينض : يرشح . جني : نعمت آخر للشقيق . يقال ثمر جني أي قريب العهد بالقطف .
- ٦ شقة : مسافة . كنى بها عن أحشائه . قضيب : مكان غليظ .
- ٧ قضت : من المقايضة بمعنى المبادلة . غب : بعد . بين : فراق . يريد أنه سلب النوم من عينه وأعطاهما اليقظة بدلا من فؤان مغبوتاً في هذه المقايضة .
- ٨ معنى البيت : أؤدي بنفسى خأ لي يغيب عني غيبة عدو .
- ٩ شنشنة : طبيعة .

يَنْتَقِي زَيْنَ جِنَّةٍ جُنَيْتٍ يَنْقِي شَيْنَ ضِنَّةٍ بَغْيِي^١
غَيْثٌ فَيْضٌ يَنْقِي فَيَنْبُتُ فِي قُنْنٍ بَغْيَةٍ بِذِي قُنْنٍ^٢

فقال : حياك الله يا بُني ، وأقر بك عيني . ثم نادى : يا صلعة بن قلمعة ،^٣
أين الأبيات الملمعة ؟ فوثب يافع من الأنباط ، معتدل الشطاط . وأنشد :

أَسْمَرُ كَالرَّمَحِ لَهُ عَامِلٌ يُغْضِي فَيَقْضِي نَخْبٌ شَيْقُ^٥
مِسْكٌ لِمَاهُ عَاطِرٌ سَاطِعٌ فِي جِنَّةٍ تَشْفِي شَجٌّ يَنْشَقُ^٦
أَكْحَلُ مَا مَارَسَ كَحَلًّا لَهُ جَفْنٌ غَضِيضٌ غَنَجٌ ضَيْقُ^٧
دُرٌّ دَمُوعٍ حَوْلَهُ كَاسِدٌ فِي جَنْبِ زَيْفٍ بَيْنَ يَنْفُقُ^٨
لَا لِعُهُودِ الرَّدِّ رَاجٍ وَلَا فِي شَجْنٍ ذِي فِتْنَةٍ يُشْفِقُ^٩
مَا مَالَ إِلَّا رَاعٍ أَحْلَامَهُ خِفَةٌ شَنْفٍ خَنْثٌ يَخْفُقُ^٩
وَلَا حَ سَطْرُ الْآسِ أَكَامُهُ بَيْنَ شَفِيقٍ غَضَّةٍ تُفْتَقُ^{١٠}

١ ضنة : بخل . أي هو يختار أطيب الفنون التي يمكن اجتناؤها وتحصيلها ولا يبخل بإفادة
الناس منها لأن يبخل يشين النبي فهو يتجنبه لتلايماب به .

٢ غيث : مطر . قنن : أعالي الجبال .

٣ صلعة بن قلمعة : كناية عن لا يعرف نسبه .

٤ الملمعة : التي شطر منها مهمل من النقط وشرط معجم كما ترى . الأنباط : قوم ينزلون سواد
العراق . الشطاط : حسن القامة .

٥ عامل : سنان . أراد به عينه الشبيهة بالسنان في الهيئة والمضاء . يفضي : يكسر جفنه . نخب :
رجل لا قلب له .

٦ اللمي : سمرة مستحسنة في الشفة يشبهونها بالمسك . ساطع : فاتح الرائحة . جنة : كناية
عن وجهه . شج : أراد به المحب المشتغل القلب : وحذف الياء منه في حال النصب تجوزاً .

٧ أكحل : أهداب عينه سوداء خلقة .

٨ زيف : غش . ينفق : أي دموع المحبين التي يذرفونها حوله كالدر كاسدة بإزاء غش الوشاة
الذي هو نافع عنده .

٩ راع : جملة يعجب . أحلامه : جمع حلم وهو الأناة والعقل . شنف : حلية تعلق في أعلى
الأذن . يخفق : يقول إن له تعقلاً ووقاراً فإذا مال اضطرب شنفه في أذنه فتعجب وقاره منه .

١٠ سطر : صف . الآس : كناية عن عذاره وهو ما نبت من الشعر في صفحة وجهه . أكمامه :
جمع كم وهو غلاف الزهر . تفتق : أي تنشق .

فقال : عِشْتَ وَنُعِشْتَ ، يا زهرةَ البَنَجكِشْتِ^١ . ثم قال : قم يا أبا
 الهيفاء ، وأنشد الأبيات الخِفاء . فقام فتى ميمون النقيبة ، أنقى من مرآة^٢
 الغريبة . وأنشد :

ظبيةٌ أدماءٌ تُفني الأملأ خيَّبت كلَّ شجيٍّ سألأ
 لا تقي العهدَ فتشفيني ولا تُنجِزُ الوعدَ فتشفي العِملأ
 عَضَّةُ العودِ تثنتُ مرَّحاً بضَّةُ اللسِ تجنَّت مملأ^٣
 تقتضي أحكامَ بغيٍ طالما نفَّدت أحكامها بين الملا
 يجيبين كهلالي فتنتُ كلُّ ذي علمٍ يزِينُ العَمَلأ
 في لساها بنتُ كرمٍ تحتشي سكرَ جفنِ حُكمه نقضُ الولأ^٤
 بينَ وردٍ شفةٌ واردها يتبغي الماءَ فيجني العَسَلأ
 دُررٌ بيضٌ لها في أحمرٍ في سوادٍ بين مسكٍ في طِلا^٥
 فتنةٌ صماءٌ يثني وصلها فتنةُ الداءِ فتبغي حِولأ^٦
 شتفتُ سمعَ شجيٍّ كلِّما قبضتُ عوداً ففتنتُ رَمَلأ^٧

١ البنجكشت : القرنفل .

٢ الخِفاء : التي كلمة منها منقطة وكلمة بلا نقط . مأخوذ من خيف العينين وهو أن تكون
 الواحدة سوداء والأخرى زرقاء . ميمون النقيبة : مبارك النفس . أنقى من مرآة الغريبة :
 مثل يضرب في النقاء لأن المرأة الغريبة لا تزال تتعهد مرآتها وتجلوها .

٣ تثنت : تمايلت . بضة : رخصة . تجننت : من الجنابة .

٤ بنت كرم : خمرة . يريد أن جفنها شديد الإسكار حتى إن الخمرة تخاف أن يسكرها .
 ٥ ورد : عبارة عن خدها .

٦ كنى بالدرر عن الأسنان . وبالأحمر عن اللثة . وبالسواد عن اللمي أي السمرة في الشفة .
 وبالمسك عن النكهة وهي رائحة القم . وبالطلا أي الأحمر عن الريق .

٧ صماء : شديدة . يثني : يرد . فتنة : بلية أو عذاب . أي أن وصلها يدفع فتنة الداء وتتحوّل
 عن المريض .

٨ الرمل : نوع من ألحان الفناء مركب من النوى والعراق .

قال : عافاك وشفاك ، ولا فض فاك . ثم نادى : يا أبا الشطاء ، عليّ
بأبياتك الرقطاء . فوثب غلامٌ من الخواص ، كدرّة الفواص . وأنشد :

ونديمٍ باتَ عندي	ليلةٌ منهٌ غليلٌ ^٢
خافَ من صنع جميلٍ	قلتُ : لي صبرٌ جميلٌ
قرّةٌ لي ميلٌ قلبٍ	منك يا غصناً يميلُ
سيّدي رِقٌّ لذليّ	سيّدي عبدٌ ذليلٌ ^٣
قلبه قد ذاب من وجدٍ	به ظلٌّ يسيلُ
لذّي لي حجّجٌ قديمٌ	تحتَ هجرٍ يستطيلُ ^٤
قاتلي وجهٌ بديع	زاجري عنه قليلُ

فلما استتمّ الإنشاد، وقف الشيخ بالمرصاد . وقال : أعيدكم بالله من أعين
الإنس وأنفس الجن ، فقد خرج من أفواهكم اللؤلؤ والمرجان . ولقد أباهي
بكم كلٌّ من نطق بالضاد ، حتى يقال ابن العين من الصاد . قال سهيل^٥ :
فلما انتهت الكِنانة إلى الأهزاع ، ولم يبق في القوس متزوع . وثب الشيخ^٦
ميمون ، كأنه ريب المنون . وقال : ما بالك ذكرت اللجين وتركت^٧
اللجين^٨ ، أين عاطل العاطل الذي لا نقطة في اسمه ولا مُسمّاه كالدال دون

١ الرقطاء : التي حرف منها مهمل وحرف معجم .

٢ غليل : حرارة العطش .

٣ عبد : أي أنا عبد .

٤ حجر : حبس عن التصرف .

٥ العين : الذهب . الصاد : النحاس .

٦ الكِنانة : الجمعة التي توضع فيها السهام . الأهزاع : آخر سهم في الكِنانة . متزوع : مصدر
قولهم تزوع في القوس إذا جذب وترها .

٧ المنون : حوادث الدهر . اللجين : الزبد الذي يخرج على شدة البعير .

٨ اللجين : الفضة . أي ما لك ذكرت الخسيس وتركت النفيس .

العين؟ قال: هيئات ذلك بما يخال، ولا يقال، حتى يصاغ من الحاتم خلخال،^١
فإن استطعته جعلناك حالي الحالي في الحال. فصوب الشيخ نظره^٢ وصعد،^٣
ثم افعنسس^٤ وأنشد^٥:

حَوْلَ دُرٍّ حَلٍّ وَرَدُّ هَلْ لَهُ لِلْحُرِّ وَرَدُّ^٦
لِحَصْرِ حُلُوِّ وَصَلِّ وَرَدُّهُ^٧ لِلصَّحْرِ طَرْدُ^٨
وَلَهُ صَوْلٌ وَطَوْلٌ^٩ وَلَهُ صَدٌّ وَرَدُّ^{١٠}
دَهْرُهُ حَرٌّ صُدُورٍ هَلْ لَهُ لِلَّهِ حَدٌّ^{١١}

قال: فلما اعتبر الجماعة، سرت تلك الصناعة. تكأ كأوا^١ عليه من الأمام
والخلف، وقالوا: رُبُّ واحد يُعدَّلُ بآلف. وإنَّا لنراك شامع الوطن،
واسع الدِطن. فخذ هذه النفقة عدًّا، وإن شئت أن تقيم معنا أجرينا عليك^٢
مائة عدًّا. قال: حبذا لولا دينٌ أثقلَ حاذي، وحال دون نفاذي. وهذا^٣
غريمي قد لصقَ بي كالقار، ولو هبطتُ إلى النار، حتى أسعى له بمائة الدينار.^٤

١ العاقل: هو الحرف الذي لا نقطة له. مأخوذ من عطل المرأة وهو خلوها من الحلي. ونقيضه

الحالي وهو المنقطع. مأخوذ من الحلية وهي ما يترين به من الذهب والفضة.

٢ حالي الحالي في الحال: أي لا ينظم شعر من هذا النوع ولا يبنى كلام حتى يصاغ من الحاتم
خلخال. صوب: أحدر. صعد: رفع.

٣ افعنسس: أخرج صدره وأدخل ظهره.

٤ در: عبارة عن الأسنان. حل: نزل. ورد: عبارة عن الحد. هل له للحز ورد: هل
للرجل الكريم وروود إليه.

٥ يعني أن هذا الدر والورد لشخص حصور أي بخيل ضيق الخلق.

٦ صول: سطوة. طول: غلبة.

٧ أي كل أيامه حرارة لصور المخيين فهل له حد يقف عنده.

٨ تكأ كأوا: اجتمعوا.

٩ عدًّا: معدودة أي محصورة في عدد معلوم.

١٠ عدًّا: لا ينقطع. أي جعلناك نفقة جارية مستمرة. حاذي: ظهري.

١١ غريمي: الإشارة إلى سهيل. يدعي أنه هو غريمه الذي له الدين. حتى أسعى له بمائة الدينار:
أي بمائة الدينار المهوود. إشارة إلى أن له عليه هذا القدر.

قال : فتقدوني مائة ندرى ، وقالوا : قد صادفتَ قدراً ، فاتخذ لوردكاً صدرأ^٢ . فشكر الشيخ ذلك الامتتان ، وأنشد بصوت مرنان :

ساعدوني على جميلِ الشاءِ عن جميلِ أضع حقَّ الوفاءِ
وهبوني قلباً يقومُ أمامي ، فأنا قد تركتُ قلبي ورائي !
بشروا بزوجتي وأمي وأختي ، وغلامي براحةٍ وهناءِ !
فعلى الرملة ابنتيتُ عهودي ، وعلى الدرس قد عقدتُ ولائي^٤

قال : فأعجبَ القومُ بأبياته المخيلة ، ولم يأبهوا لما فيها من الدخيلة^٤ . ثم ضرب الشيخ لهم موعداً ، وودعهم مرتعداً ، وخرج من بينهم وعداً . فلما بنا ، وأمننا . قال : بينك المغنمُ البارد ، فرب ساعٍ لقاعد . وإن الحسناتُ يذهبن السيئات ، فاعتقير ما فات . لكن اغربُ إلى حيث لا مناقش^٦ ، لئلا يفرضَ منك بادرة فتجني على أهلها براقيش^٧ . وأنا غداة غديرٍ أخرجُ من

١ يقال : أعطاه مائة ندرى أي أخرجها له من ماله . قدراً : عناية من الله .

٢ صدرأ : رجوعاً . أي اكفف عن ملازمته .

٣ يحتمل أنه يراد بالرملة اسم البلد فيكون البناء صحيحاً . وقطعة الرمل فيكون ساقطاً . وكذلك الدرس يحتمل أن يكون من مراجعة القراءة فيشير إلى حفظ العهد . ومن المحو كما في قولهم درست الريح رسم الدار فيشير إلى نكته .

٤ المخيلة : المهومة . الدخيلة : الدسيمة الباطنة .

٥ بنا : أبعداً . أمنا ، من الأمن : أي أمنا أن يطلع أحد على ما نتكلم به . المغنم البارد : الغنيمة التي نلتها بلا تعب يعني الدنانير . رب ساعٍ لقاعد : أي رب شخص يسمى لأجل آخر قاعد عن السعي .

٦ مناقش : محاسب .

٧ بادرة : ما يسبق به اللسان . مثل أصله أن قوماً كانوا هارين من وجه أعداءهم وكان لهم كلية يقال لها براقيش . فبينما هم يسرون ليلاً نجت وكان الأعداء بالقرب منهم يفتشون عنهم فاهتلوا إليهم بنباح الكلية وأوقعوا بهم فسار بها المثل . يقول لسهيل أن يعتزل إلى مكان لا يخشى فيه رقيباً يحاسب عليه في مكره لئلا يسقط بكلمة فيعرف القوم أنه قد مكر بهم .

المحيط ، وأدعُ القوم ينتظرون حتى يرجعَ نَشِيط . ثم كَبَّرَ واستغفر ،
وأَنشد حينَ أدبر :

رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ قَامُوا عَلَى زُورٍ وَبِهْتَانِ !
فَلَا يَرْعَوْنَ مِيثَاقاً ، وَلَا حُرْمَةَ إِحْسَانِ !
فَإِنْ رَاعَيْتَ إِنْسَاناً فَمَا أَنْتَ بِإِنْسَانِ

قال سُهَيْلٌ : فتركتهُ وانطلقتُ من هناك ، ولم أدْرِ ماذا فتَكَ بعد
ذاك .

١ أخرج من المحيط : أخذه من محيط الدائرة . أي اخرج من دائرة البلد . نشيط : بناء
بني لزياد ابن أبيه داراً بالبصرة وانصرف إلى مرو قبل إتمامها ، فكان ينتظر
رجوعه وكلما قيل له تم دارك ، يقول : حتى يرجع نشيط من مرو . فذهب قوله
مثلاً .

المقامة السادسة عشرة

وتعرف بالصورية

قال سهيل بن عبّاد : لفظني الثغور، إلى مدينة صور . فحللتها شهراً^١
أجرّد ، في سنة جرداء ، وكنت يومئذ فتى أمرّد ، فطفت كلّ شجراً^٢
ومرداء . حتى دخلت يوماً إلى حديقة ، في إبان وديقة . وإذا القاضي جالس^٣
على قطيفة ، كأنه الإمام أبو حنيفة . فبينما طارحته تحية الأدباء ، وأخذت^٤
مجلساً على تلك الحصباء . إذ دخلت امرأة سادلة القناع ، سابقة اللقاع ،^٥
فاسترعت السماع ، وقالت :

يا قاضي العدل الكريم المنصفا ، إنّ أبي في جورهِ قد أمرّفا!
أقمّدني عن الزواج عنفا ، وليس يكفيني ولو نقشفا^٦
فانظر لنا حكماً إلى الله صفا ، أو لا ، فإنّ الله حسبي وكفى !

- ١ لفظني : طرحني . الثغور : مواضع الحرس من العدو .
- ٢ أجرّد : كاملاً . جرداء : جديبة مقحطة . شجراً : أرض ذات شجر .
- ٣ مرداء : أرض لا شجر فيها . إبان : معظم . وديقة : شدة حر .
- ٤ قطيفة : دثار مخمل . أبو حنيفة : هو النعمان بن ثابت الإمام الأعظم في علماء الفقه .
- ٥ الحصباء : الحصى . سابقة : طويلة . اللقاع : ما تلتف به .
- ٦ استرعت السماع : طلبت أن يسمع لها .
- ٧ عنفاً : قهراً . نقشفاً : كفافاً من القوت .

قال: وكانت بين ذلك تخطير كالمهري^١، وتفتن^٢ في إنشادها كالبحتري^٣.
 ففتنت بافتنانها من حصر^٤، واستهوت^٥ القاضي فجعل يخالسهما النظر. فلما
 فرغت من إنشادها أطرق إطراق المرتاب^٦، وقال: شرُّ أهرَّ ذا ناب^٧، فمن
 هذا الظالم الذي لا يعرف السئة والكتاب؟ قالت: هو شيخ^٨ يفن^٩، قد
 صار جلده كالسفن^{١٠}، بضئي إلى أضلاع له كالنمش فتغشاني لحيته كالكتفن^{١١}.
 ولقد خطبني كيرام^{١٢} الأصهار، فأبى إلا أن أكون منه معقد الإزار^{١٣}.
 وهو فقير^{١٤} يتمنى الفلّس^{١٥}، وتغلبه عزّة النفس. فيعتقد، ولا يسترفد^{١٦}.
 ويدوب غليلاً^{١٧}، ولا يستسقي خليلاً. ويغضي على القدي^{١٨}، ولا يشكو الأذى^{١٩}.
 ويتبلّغ بالثويناء^{٢٠}، على الهويناء. ويقنع^{٢١} من الشراب، بالسراب. فتراه^{٢٢}
 يكظم الغيظ، ويتبود بالقيظ^{٢٣}، ويرضى من البيض بالبيظ. وأنا فتاة غضة^{٢٤}

١ المهري: الرمح، نسبة إلى سهر وهو رجل كان يقوم الرماح. تفتن: تأخذ في طرق مختلفة. البحتري: شاعر مشهور.

٢ استهوت: دعت إلى الهوى.

٣ الهرير: صوت الكلب إذا فزع من شيء. وذو الناب هو الكلب هنا. والعبارة مثل، والمعنى: ما جعل الكلب يهر إلا شر عرض له. أي أن هذه الجارية ما جعلها تشكو. هذه الشكوى إلا ضيق أصابها.

٤ يفن: بال.

٥ السفن: هو جلد خشن غليظ يحمل على قوائم السيوف.

٦ مثل يكنى به عن القرب.

٧ يعتقد: يغلق بابه عليه حتى يموت جوعاً ولا يسأل الناس. يسترفد: يستعطي.

٨ غليلاً: عطشاً. يستسقي: يطلب الماء. يغضي: يغمض جفنيه. القدي: ما يقع في العين من غبار ونحوه.

٩ يتبلغ: يقات. الثويناء: ما يرش من الدقيق تحت المعجين عند رقه على اللوح. الهويناء: السهولة. السراب: ما تراه نصف النهار كأنه ماء.

١٠ القيط: حر الصيف. البيظ: بيض النمل. غضة: رطبة.

الشباب ، لا تُشعني كُشي الضباب ، ولا أرضي بخلق الجلباب . ولطالما
 حرصتُ على برِّه ، فطوبته على غره ، وكلفتُ نفسي كتم سرِّه . حتى^٢
 صرتُ أهزلَ من الجوزل ، وأجوعَ من كلبة حومل . فاعتبر ما جرى^٣ ،
 واحكم بما ترى . فأكبر القاضي شكواها ، وأوى لبواها . وقال : يا أمة
 الله صبراً ! فإن مع العسر يسراً . وما أتمَّ كلامه إلا وأبواها قد أقبل ،
 وقال : يا مولاي لا تكن كقاضي جبيل . وأنشد :

ما كذبت ولا بها من عار !	لكن ذاك ليس باختياري
فإنها من أحسن الجواري	بديعة في أعين النظار !
كالشمس في رائعة النهار	فصنتها كدرة البحار !
حتى أرى كفاً من الأصار ،	وإنني شيخ غريب الدار
صفر من الدرهم والدينار	أنتظر العفو من الأحرار ^٧
وأحسن الصبر على الأقدار	فاحكم بما ترى ، ولا تمار !

ولما فرغ الشيخ من أبياته ، قال : شهد الله أن موت الذليل خير من

- ١ كشي : جمع كشية وهي شحمة تكون في أحشاء الضب . الضباب : جمع ضب وهو دويبة صغيرة .
- ٢ بره : حسن القيام بحقه علي وهو ضد العقوق . الفر : أفر الطي في الثوب . يقال طويت الثوب على غره أي على مكسره الأول .
- ٣ الجوزل : فرخ الحمام قبل أن ينبت ريشه . حومل : امرأة من العرب كان لها كلبة تربطها في الليل لتحرس بيتها وتطردها في النهار لتلتصق لها طعاماً . فلما طال عليها ذلك أكلت ذنبها من الجوع فصارت مثلاً .
- ٤ أكبر : عظم . أوى : رق .
- ٥ جبيل : اسم مدينة كان بها قاض يحكم للخصم الواحد إذا حضر مجلسه ، فإذا جاء الآخر ينتقص حكمه الأول ويحكم بخلافه .
- ٦ رائعة النهار : معظمه وأفضله .
- ٧ صفر : خال . العفو : ما يأتي بنير طلب .

حياته . واني قد كنتُ نُشْبَةً، فصرت عُقْبَةً . وطالما كنتُ اكللُ القِصاعِ،^١
وأجهمُ الكَيْلِجَةَ والصاعِ^٢ . حتى استولتِ النُّحُوسُ ، وخلصتُ قِدْرُ بني
سَدُوسِ . فأُنكرني الصِّمِمْ والحَمِمْ ، وجفاني السِّمِيرَ والنَّدِيمَ ، فيا ليتني متُّ^٣
قبلَ هذا البلاءِ العَظِيمِ . قال : وكان القاضي قد أُشْرِبَ قلبُهُ حُطْبًا فتاته ، لما
رأى مني بلاغتها وسَمِعَ من صِفاتِها . فقال : يا هذا إنك قد أثمتَ بحبْسِكَ
هذه الحرَّةَ ! أما سَمِعْتَ أنْ امرأةٌ دخلتِ النارَ في هَرَّةٍ ؟^٤ فخذ هذه الخمسَ
المِثِينَ ، ودَعِ الفتاةَ عندي في قرارِ مكين ، إلى أن يأتيَ اللهُ بالفتحِ المِينِ .
فأذعنَ الشيخَ لحكمه ، على رِغْمِهِ . وقال : عَلِمَ اللهُ أني ما كنتُ لأرضى
بِيدُونِ^٥ ، ولكن إذا لم يكن ما تريدُ فأردُ ما يكون . ثم انثنى إلى وداعِ
ابنته ، ودَمَعَهُ يسيلُ على وجنته . وأنشد :

لله يا ليلى اذكري أباك إذا رأيتِ فقره أغناكِ^٦
أثني على القاضي الذي أحياكِ بلطفه ، فإنه مولاك !
واني هياتِ أن أراك !

- ١ . كنتُ نُشْبَةً فصرت عُقْبَةً : مثل . أي كنتُ إذا نشبتُ برجلِ أصبته بما شئتُ واليوم قد
أعقبتُ ورجعتُ . يقال قصعة مكللة إذا كانت مفضاة بقطع اللحم .
- ٢ . أجم المكيال : ملاء إلى رأسه . والكيلجة : مكيال يأخذ أربعة أرتال . والصاع : مكيال
يأخذ ثمانية .
- ٣ . بنو سدوس : قبيلة من العرب كان لهم قدر عظيمة تسع جزورين . وكان الطم بن عياش
السُدُوسِي يطبخ فيها ويطعم الناس حتى مات فلم يخلفه أحد في ذلك قِئِيلِ : خلتُ قدر بني
سدوس . الصِّمِمْ : الخالص النسب .
- ٤ . هو حديث يقول : إن امرأة دخلت النار في هرة حبستها فلا أظمتها ولا تركتها تأكل
من خشاش الأرض .
- ٥ . دون : شيء دني .
- ٦ . أي أنها قد اتصلت إلى البعادة عند القاضي بسبب فقر أبيها .

قال سهيل^١ : وكان الشيخ قد تنكّر فاستنبت^٢ ، إلى أن ذكر ليلى^١
فانتبّهت . لكنني ضربت^٣ عنه صفحاً ، لعلّي أرى لذلك المتن شرحاً . فلما
انصرف أشار القاضي إلى بعض حشّته ، أن ينطلق بالفتاة إلى دار حرّمه . فبوأها
صهوة مهرة غراء ، وأخذ بها يخرق الغبراء . حتى إذا مرّت على دسكرة^٤ ،
وقفت مستنكرة . وقالت : يا فل^٥ قد أنكني اللغب ، وأهلكني السغب^٦ .
فهل تتركني ربّما أستجم^٧ من القلق ، وتدرّكني بما يمسيك الرّمق ! فلبس^٨
وانطلق . قال : وكنت قد تبعتها بناقتي عن كئيب ، حتى لم يكن بين السرج
والقتب ، إلا كما بين الرتب والعتب . فلما لوى عذاره قالت : يا سهيل^٩
تلقت^٩ مني ، وأبلغ الغلام عني :

شيخ أسد جنوناً	من دقة بن عبابه ^٦
قد خاتلته فتاة	واستجهلته صبايه ^٧
فحي شيخك عني ،	وقل متى جئت بابه :
ميعادنا يوم حشر	إذا استجدت شبابه ! ^٨

- ١ تنكر : غير زيه . ذكر ليلى : حين قال : يا ليلى اذكري أباك .
- ٢ دسكرة : مزرعة .
- ٣ يا فل : يا فلان ، وهو يستعمل في النداء . اللغب : التعب . السغب : الجوع .
- ٤ أستجم : أستريح . الرّمق : القوة .
- ٥ القتب : أي قتب ناقتي وهو رحلها . الرتب : ما بين السباية والوسطى ، والعتب : ما بين
الوسطى والبصر . لوى عذاره : أي أمال وجهه عنها .
- ٦ رجل يضرب به المثل في شدة الجنون .
- ٧ خاتلته : خدعته . استجهلته : جعلته جاهلاً . صباية : شوق .
- ٨ تقول لغلام القاضي أن يقول له إنها لا ترضى به ، وهذا على سبيل التهم .

ثم عصفت بمطيتها كما انتشب السهم ، أو كما خطر الوهم . فعلمت^١
الآبيات في رُفعة ، وأودعتها تلك البقعة . وانطلقت في أثر الفتاة إحضاراً،^٢
فلم ألحق لها غباراً ، ولا عرفت لها قراراً . فخرجت من الديار الشامية ،
وأنا أحتسب الله على الفتيان الخزامية .^٣

١ عصفت : أسرع . الوهم : الفكر .

٢ إحضاراً : ركضاً شديداً .

٣ أحتسب : أي أقول الله حسبي بمعنى أنني أستعبد به . الخزامية : المنسوبة إلى ميمون بن خزام وصاحبيه .

المقامة السابعة عشرة

وتعرف بالحكمة

أخبر سهيلُ بنُ عبَّاد قال : خرجتُ في قافلة ، بعِصَابَةٍ حافلة . فكُنَّا نَصِلُ الإسَّادَ بالتَّأويبِ ، ونزَّارِحُ بين الإهذابِ والتقريبِ . حتى أفضت بنا الرِّحْلَةُ ، إلى ساطِئِ دِجْلَةٍ . فنزلنا القِضَّ والقُضِيضَ ، في أكثافٍ ٢ ذلك الحُضِيضِ . فراقبتنا فاكهتهُ وفكاهتهُ ، وشاقتنا زهتهُ ونزاهتهُ . فأقمنا ثلاثاً ٣ نجتني قُطُوفُ أفنانهِ الميلاءِ ، ونشربُ صافيَ تلكِ الحُجَيْلاءِ . حتى إذا أَرِفَ ٤ الرِّحِيلُ ، وزُمَّتِ الهِجْمَةُ والرِّعِيلُ . قيل : هذا يومُ النيروزِ ، ولا بدُّ للناسِ ٥ من البروزِ . فلبَّدَ القَيروانُ عِجَاجتهُ ، وبلَّدَ جِلاجتهُ . ولما أَلقت الغزاةُ لعابها ، ٦ وضربتِ الضُّحَى أطنابها . نفرَّ القومُ ثُبَّاتٍ في تلكِ الرباعِ ، وانتشروا ٧

١ الإسَّادُ : سير الليل كله . التأويبُ : سير النهار كله . الإهذابُ : الركض الشديد . والتقريبُ : المشي السريع دون الركض .

٢ فنزلنا القِضَّ والقُضِيضَ : أي بأجمعنا . ويقال : القِضُّ ، الحصى الصغار والقُضِيضُ الحصى الكبار ، وهكذا مأخوذ منه أي نزلنا صغارنا وكبارنا . أكثافُ : جوانب .

٣ فكاهته : طلاوته . نزاهته : نظافته .

٤ نجتني قُطُوفُ أفنانهِ الميلاءِ : نقطف ثمار أغصانه المائلة ثقلاً . الحُجَيْلاءُ : الماء الذي لا تصيبه الشمس .

٥ الهجمة : جماعة الإبل . الرِّعِيلُ : جماعة الخيل . النيروزُ : موسم يكون في أيام الربيع فيخرج الناس فيه للتنزه .

٦ لبِد القَيروان عِجَاجته أي سكنت القافلة غبارها . وهو مثل . يقال : لبِد فلان عِجَاجته أي عدل عما كان قد عزم عليه . بلدُ : من البلادة وهي ضد الحدة . لعابها : شعاعها .

٧ الضُّحَى : جمع ضحوة وهي ارتفاع النهار . نفرَّ : انتشر . ثُبَّاتٍ : جماعات . الرباعُ : جمع ربيع .

مثنى وثلاث ورباع . فلما انتظمت الفِئام ، وجلست القِيَامُ في الحِيَامِ .^١
نَحَرَتِ الجُرُورُ وشَبَّتِ النار ، وفاحَ العُثَانُ والقُنْتَارُ . وأخذَ القومُ في^٢
تداولِ الأَحَانِ ، وتناولِ بنتِ الحَانِ . إلى أن نثرَ الأَصِيلُ على نورِ الشمسِ^٣
نورَ البَهَارِ ، وكادَ جُرْفُ النهارِ ينهار . فنهضنا ، من حيثِ ربَّضنا ، وأقبلنا ،^٤
إلى حيثِ قابلنا . وإذا موكِبٌ من الرجالِ ، قد ازدحموا على شيخٍ يالِ
رَثِ الجسمِ والسربالِ ، وهو قد أنْ من شدَّةِ الكلالِ ، وشرعَ يوصي رجلاً
بين يديه فقال : يا بني لا تسلِّمَ نفسك إلى هواك ، ولا تستودعَ سِرِّكَ
سِوَاكَ . ولا تقوِّضْ أمرَكَ ، إلا لمن يعرفُ قدرَكَ . ونزَّهَ : نفسك عن
الحسائِسِ^٥ ، وقلبك عن الدسائِسِ . واحفظَ لسانَكَ من الخللِ ، قبل أن تحفظَ
رجلكَ من الزللِ . واقتصد ، في ما تعتمد . ولا تستعجل ، في ما تستعمل .
ولا تهريف^٦ ، بما لا تعرف . ولا تطمع ، في ما تجمع ، ولا تصدقَ كل ما تسمع .
ولا تنقلَ القدمَ ، إلى ما يُعقِبُ الندَمَ . ولا تمشِ في الأرضِ مَرَحاً^٧ ، ولا
يستفزك^٨ الدهرُ فرحاً أو ترحاً^٩ : ولا تمتنِ الضعيفَ الساقطَ ، ولو كان
ماقطَ بنِ لاقط . ولا يكنِ حبُّكَ كلفاً^{١٠} ، ولا بغضُكَ تلفاً^{١١} . وإذا استغثتَ

١ الفِئام : الجماعات .

٢ نَحَرَت : ذبحت . العُثَان : الدخان . القُنْتَار : ما يفوح من بخار اللحم على النار .

٣ بنت الحَان : الحمره . الأَصِيل : آخر النهار بعد العصر .

٤ النور : الزهر . والبهار : نبات له زهر أصفر . كنى بذلك عن اقتراب زوال الشمس .

الجرف : المكان المرتفع الذي أخذ السيل جوانبه . ربضنا : جلسنا .

٥ أي إلى المكان الذي قابلناه .

٦ السربال : الثوب .

٧ الحسائِس : الأمور الدنية .

٨ لا تهرف : أي لا تتكلم .

٩ مرحاً : نشاطاً ويطراً .

١٠ يستفزك : يستخفك .

١١ يقولون فلان ماقط بن لاقط أي خسيس دني . واللاقط هو العبد الممتق . والمماقط عبد اللاقط

فيكون عبد العبد . كلفاً : غراماً . لا يكنِ حبُّكَ كلفاً ولا بغضُكَ تلفاً : أي إذا أحببت

فلا تكن عاشقاً ، وإذا أبغضت فلا تكن عدواً . يريد التوسط في ذلك .

فلا تبتَطِرْ ، وإذا افتقرت فلا تضرَجِرْ . وإذا ابتليت فاصطَبِرْ ، وإذا رأيت
العيرة فاعتبر . وإذا أردت أن تطاع ، فسل ما يُستطاع . وإذا حدثت
فعليك بالإيجاز ، ولا تلبس الحقيقة بالمجاز ، ولا تعد إلا وأنت قادرٌ على
الإيجاز . ولا تبادرِ بالجواب ، قبل استيفاء الحُطاب . ولا تقضِ الدينَ بالدينِ ،
ولا تطلب أثراً بعد عين . واعلم أن لكلِّ حارمٍ نبوة ، ولكلِّ جوادٍ
كبوة ، ولكلِّ عالمٍ هفوة^٢ . ولكلِّ مقامٍ مقال ، ولكلِّ دهرٍ رجال . ولكلِّ
قضاءٍ جالب ، ولكلِّ درٍّ حالب . ومن حسنت سريره ، حميت سيرته .
ومن أطاع غضبه ، أضاع أدبه . ومن تأتى ، نال ما تمنى . ومن سعى ،
رعى . ومن جال ، نال . ومن قل ، ذل . والحُرُّ حرٌّ ، وإن مسَّهُ الضَّرُّ^٣ .
والكذبُ داءٌ ، والصدقُ شفاءٌ . وطعنُ اللسان ، كوخزِ السنان . وظنُّ
العاقل ، أصحُّ من يقينِ الجاهل . والظَّمُّ القامح ، خيرٌ من الرِّيِّ الفاضح^٤ .
وعليك بالمحاجة ، قبل المناجزة . وبالإيناس ، قبل الإبساس . وبالعتاب ،
قبل العقاب . واستعذ بالله من الشيطان الخناس^٥ ، الذي يوسوسُ في صدور
الناس . قال : فلما استتمَّ كلامه قال : انه من سليمان ، وانها لمن وصايا لقمان^٦ .

- ١ ولا تطلب أثراً بعد عين : مثل قوله مالك بن عمرو العاملي عندما عرض عليه قاتل أخيه أن يأخذ مائة من الإبل ويتركه . صارم : سيف قاطع . نبوة : كلال . جواد : فرس كريم .
- ٢ كبوة : عثار . هفوة : زلة .
- ٣ رعى : صادف المرعى . جال : طاف في الأرض .
- ٤ الظَّمُّ : العطش . والقامح : اسم فاعل من قولهم قمع البعير أي اشتد عطشه حتى فتر شديداً .
- ٥ المحاجة : الممانعة . المناجزة : المبارزة والقتال . أي عليك بالمسألة قبل المعالجة في الشر . الإبساس : هو أن يقال للناقعة عند الحلب بس بس لتسكن وتدر . والمعنى عليك بالمؤانسة لصاحب الحاجة قبل طلبها .
- ٦ الخناس : الذي عادته أن يخنس أي يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه .
- ٧ إنه من سليمان : أي أن هذا الكلام الذي تكلم به هو من سليمان بن داود صاحب الحكمة الشهيرة . يريد أن يشبه نفسه به . لقمان : حكيم العرب . أوصى بنيه عند وفاته وصية جليلة .

فادرُسها كلما شهدتَ الشهر ، واذكر شيخك الذي اعتركَ الدهر ، وقلِّبْ
 أهلهُ البطنَ والظهر ، فعرِف منهم السرَّ والجهر . ثم تاب إليه بعضُ الرمقِ
 فتجلَّد ، ورأراً بجدِّ قتيه١ وأنشد :

إني لقد جرَّبْتُ أخلاقَ الورى حتى عرفتُ ما بدا وما اختفى
 كلُّ يذمُّ الناسَ ، فالذي نجى من ذمِّه يدخلُ في ذمِّ الملا^٢
 والمرءُ مطبوعٌ على البخلِ إذا جادَ ، فجوِّدهُ عن العِرضِ فدى
 يُريدُ أن يعترفَ البحرَ ولا يتوكَّ منه قطرةٌ تُروى الطما
 ينسى من المحسنِ طوداً قد رسا ، وليس ينسى ذرَّةً تمَّن أسا
 ولا يُحبُّ غيرَ نفسه فما أحبهُ فهو إلى النفسِ انتهى^٣
 يعرفُ كلُّ حاله في ما مضى إلا الذي كان دنيئاً فارتقى
 وكلُّ علمٍ يُدرِكُ المرءَ سوى عرفانِ قدرِ نفسه كما اقتضى
 بالعقلِ والدينِ له كلُّ الرضى ، أمّا بما له وجاهه فلا
 وكأما عقلُ الفتى قلَّ اكتفى به كما ظنَّ فسرَّ وازدهى^٤
 قد طُبِّعَ الناسُ على الظلمِ ! فما سلِّمَ أمرٌ لامرئٍ إلا بنى !
 يؤذي الجهولُ نفسه ، فإن جنى يوماً عليك لا يُسلمُ بالأذى
 ويُدخِرُ الشيخُ الدهرَ ، ويرى بعينه الموتَ لدى البابِ استوى

١ . تاب : رجع . الرمق : بقية الروح في المريض . رأراً : نظر نظراً مضطرباً .

٢ . أي كل واحد يذم الناس مستثنياً نفسه . ولكنه يدخل في هذا الذم متى تكلم
 غيره به .

٣ . يقول : إن الإنسان لا يجب غير نفسه محبةً صحيحةً لذاتها ، فإن أحب غير نفسه فإنما ذلك
 لعلاقة تعود إلى نفسه .

٤ . ازدهى : تكبر وافتخر .

يُنْعَمُ البعضُ بما لا يُحْتَسِبُ ،
مَنْ عاشَ بالتَّقْتِيرِ من ذَوِي الغنى ،
كُلُّ يَعْدُ خَفْسَهُ نِعْمَ الفتى ،
لو عَرَفَ الإنسانُ عَيْبَهُ ، لَمَا
وَكُلُّ عَيْبٍ كانَ من طَيِّ الحشى ،
لا يَشْعُرُ الجاهِلُ بالجهلِ ، كما
لا يَعرِفُ الصَّحيحُ قِيَمَةَ لِمَا
لا يَحْمَدُ القومُ الفتى إلا متى
لو كانَ كُلُّ يَعرِفُ الحَقَّ سَوَى ،
من قالَ : لا أَغْلَطُ في أمرٍ جَرى ،
وقَلِّمًا أبصرتَ نِعْمَةً على
وقَلِّمًا كانَ شُجاعاً في اللِّقا
وَكُلُّ ما في غيرِ مَثَواهُ ثَوَى

وبعضُهُم يبدلُه في ما اشتهى
فإنه أفقَرُ مَنْ فوقَ الثرى
فمَنْ هوَ اللِّيمَ منّا يا ثرى !
رأيتَ عيباً فيه ، ما طال المدى
في المرءِ ، ينمو فيه كلما نشأ^١
لا يَشْعُرُ السكرانُ إلا إن صحا
كانَ من الصَّحَّةِ حتى يَبْتلى^٢
ماتَ ، فيُعْطى حَقَّهُ تحتَ البلى
اكانَ كُلُّ الناسِ أهلاً للقضا^٣
فإنها أوَّلُ غلطةٍ تُرى
شخصٌ ، ولا تقول : قد ضاعت هنا
إلا عَزِيزُ النفسِ والجودِ كذا^٤
يَسْجُجُ في العينِ ويؤذي من رأى^٥

١ من طلي الحشى : أي من أصل الحلقة .

٢ حتى يبتلى : حتى يبلى بالمرض .

٣ سوي : مستقيماً . أهلاً للقضا : يصلح أن يكون قاضياً .

٤ أي قل من يقوم بحق النعمة إما لقصوره عن حسن التصرف بها وإما لبخله مع السعة المستفادة منها فتكون قد ضاعت عنده .

٥ يعني أن الشجاعة تستلزم عزة النفس ، فليس أحد يحب الموت ويكره الحياة . ولكن الشجاع لعزة نفسه وشهامته يخاطر بنفسه ويتعرض للقتل حتى لا يقال إنه جبان ضعيف . وكذلك الكريم يبذل ماله لا كراهة للمال ولكن حتى لا يعاب بالبخل .

٦ كل شيء نزل في غير موضعه يكون قبيحاً في العين ومؤذياً في النفس .

وكلُّ ما عن منهجِ الطبعِ التوى ، تُنكرهُ النفسُ ولو نفعاً جنى^١
 وكلُّ مَنْ تاهَ دلالاً وادعى مستكبراً ، فذاك ناقصُ الحجى^٢
 وكلُّ من شابَ على خُلُقٍ فلا تنصحه ، فهو ليس من أهلِ الهدى^٣
 وكلُّ من لا خيرَ منه يُرتجى ، إن عاشَ أو ماتَ على حدِّ سوا

فلما فرغ من أبياته استهلَّت دموعه من المآقي ، وقال : سُبحانَ الحى^٤
 الباقي ، ثم سبجاً على مضجعه حتى خيلَ أنَّ روحهُ قد بلغتِ التراقي . فأخذت^٥
 القومَ الشفقة ، وقالوا لعلامه : خذ هذه الصدقة ، إن مات فللتجهيز ، وإن^٦
 عاشَ فللدقيقة . ثم ولَّوا الأدبار ، وهم يَضجُّونَ بالدعاء له والاستغفار .
 قال سهيل^٧ : فلما خلونا وانتفتتِ التقيَّة^٧ ، نقض عن نفسه غبارَ المنيَّة . وقال :
 يا غلامُ اذهبْ بهذه الدستجة ، فحشنا بما نشربُ المفتجة^٨ . فابتهجتُ بإرجاء
 حينه ، وقأملتُهُ فإذا هو الخزاميُّ بعينه ، فعجبتُ من ريائه ومينه . وقلت :
 يا أبا ليلى ، كيف تُعظُّ بما ذكرت ، وتصفُ الناسَ بما أنكرت ؟ فأشاحَ
 بوجهه خجلاً ، ثم أنشد مرتجلاً :

وصفتُ الناسَ بالسكرِ ، وإني لستُ بالناسي

١ صحیح : طريق .

٢ تاه : تكبر . الحجى : العقل .

٣ أي كل من بلغ المشيب وفيه خصلة منكبة لم يغيرها فلا تطمع في تركه إياها بعد ذلك .

٤ استهلَّت : سالت . المآقي ، جمع المأق : وهو مقدم العين مما يلي الأنف .

٥ سبجاً : شخص يبصره . التراقي : أعالي الصدر .

٦ التجهيز : قضاء حوائج دفنه .

٧ التقيَّة : الحذر .

٨ الدستجة : الزجاجاة الكبيرة . المفتجة : سبعة أسابيع من الأيام .

٩ بإرجاء حينه : بتأخير موته . مينه : كذبه .

ولكن نَسِيَ الغافلُ أُنِي أَحَدُ الناسِ !

ثم قال : يا أبا عبادة ليسَ من العدل ، سُرعَة العدل . ومن لا يؤخذ بالأشعيية ، فخذهُ بالشُّغريية^١ . وإني قد أفدتُ من الحِكم والأمثال ، ما لا يُعادَلُ بدرهمٍ ولا مثقال^٢ . فإما أن تبذلَ كما بذلَ القوم ، وإلّا فالسكوتَ عن اللوم . قال : فأمسكتُ عن معاذيره الملقّقة ، وإن لم يتصلَّ دُرَيْصٌ^٣ نفقه^٣ . ولبتُ في صُحبتِه بالعِراق ، إلى أن قضى اللهُ بالفِراق .

١ من لا يؤخذ بالأشعيية : من لا يطمع في معروفه . الشغريية : حيلة تكون بين المتصارعين بأن يعثر أحدهما الآخر حتى يصرعه .

٢ مثقال : من الفضة والذهب .

٣ يقال ضللت المسجد والدار أي لم أعرف موضعهما . ودريص ولد الفأرة واليربوع ، والنفق الحجر . وهو مثل يضرب لمن يعنى بأمره ويمسك لخصمه حجة ثم ينساها عند الحاجة .

المقامة الثامنة عشرة

وتعرف بالرجية

حكى سهيل بن عبَّادٍ قال: نزلتُ بقومٍ من العرب ، في أثناء رجبٍ ١ .
وكانوا قد ارتبطوا القنابل ، واعتزلوا الصوارم والذوابل ، واجتمعوا حتى ٢
اختلطَ الحابلُ بالنابل . فرأيتُ جيشاً كأولادِ فارزٍ وعققان ، قد تألَّف ٣
من أسودٍ بيِّشةٍ وظبَاءِ عُسْفانٍ . فلبثتُ عندهم بضعة أيام ، في بعض أطراف
الحيام . وكنت كلَّ يومٍ أشهدُ المحافلَ ، وأتخلَّلُ الجعافل . وأسمعُ الشاعرَ ،
والناثر . وأطربُ للشادي ، والحادي . حتى إذا كنتُ يوماً ببعض الأندية ،
وقد سالتُ الشعابُ والأودية . أقبلَ شيخٌ ضئيلٌ ، تلبَّه امرأةٌ أكبرُ من
عجوزِ بني إسرائيل . فلما وقفَ بنا قال : حيَّا الله الموالِي ، وأعزَّ بهم المعالي ٤
والعوالي . انني طالما أيمنتُ وأشأمتُ ، وأنجذتُ وأتممتُ ، وأحجرتُ ٥

١ رجب: الشهر المعروف. وكانت عادتهم أن يتركوا الحرب فيه حتى إذا لقي الرجل قاتل أبيه لا يتعرض له . ولذلك يقال له الأسم لأنه لا يسمع فيه صهيل الخيل ولا رنة السلاح ولا جلبة القتال .

٢ القنابل : الخيل . الصوارم : السيوف . الذوابل : الرماح .

٣ اختلط الحابل بالنابل : مثل يضرب للاشتباك . فارز : جد النمل الأسود . عققان : جد النمل الأحمر . أي رأيت جيشاً كثيراً كالنمل .

٤ بيِّشة : واد بطريق اليمامة يوصف بالأسود . عسفان : مكان يوصف بالفزلان . والمراد بالأسود رجالهم وبالفزلان نساؤهم .

٥ عجوز بني إسرائيل : يقال هي مريم أخت موسى . وهو مثل عندهم في الكبر . الموالِي : السادات . المعالي : المراتب العالية .

٦ العوالي : أسة الرماح . أيمنت : أتيت اليمن . أشأمت : أتيت الشام . وهكذا ما يليه .

وأعرت ، وغرّبتُ وشرّقتُ . وشهدتُ الولايم والوضائم^١ ، وشاهدتُ العزائم والعظام . ورُضتُ الرجال ، وخُضتُ الآجال . ولقيتُ السراء والضراء^٢ ، ومارستُ الحسنة والحسنة . وأترعتُ العساس والجفان ، وملأتُ الثبين^٣ والأردان . وأجزتُ الخطباء والشعراء ، وأحسنتُ إلى العفاة^٤ والفقراء . وها أنا الآن قد صرتُ فحساً مستمراً ، لا أملكُ نفعاً ولا ضرراً ، ولا أذكرُ بما لقيتُ حلواً ولا مرراً . حتى كآني الآن قد ولدتُ على هذا البساط ، تُدرجني هذه الحيزبون بالقياط . فاعتبروا بما رأيتم وسمعتم ، وخذوا الأبهة لأنفسكم ما استطعتم . فإن الزمان ، ليس فيه أمان . والدنيا القرور ، لا يتم فيها سرور . والحياة ظلٌّ زائل ، والنعم لونها حائل . والسعيد من نظر لنفسه ، قبل حلول رمسه . وكفّر عن ذنبه ، قبل لقاء ربه . فلما فرغ الشيخ من كلامه اعتمد على عصاه ، وبرزت المعجوز كالسعلة^٥ . وقالت : يا كرام العرب إن الله قد أمر بالمرور عباده ، كما أمر بفروض العبادة . فعليكم بالمروءة والكرم ، ورعاية الذمم والحرم^٦ . وحافظوا على الوفاء ولو أفضى إلى الحسف ، واحدسوا لو فدمكم ولو بسطفنة الرضف . فإن بئس^٧

١ الولايم : أطعمة المنايح .

٢ رضت : من ترويض الخيل . الآجال : أوقات الموت .

٣ العساس : الأقداح العظيمة للشراب . الجفان : آنية الطعام . الثبين : جمع ثبنة وهي ذيل الثوب إذا عطفته ووضعته فيه شيئاً .

٤ العفاة : القصاد .

٥ تدرجني : تلتفني . الحيزبون : المعجوز الكبيرة .

٦ السعلة : أنثى الغول .

٧ الحرم : كرامات الناس .

٨ الحسف : المشقة وتحمل المكروه . احدسوا : من الحدس وهو اضجاع الشاة للذبح . لو فدمكم : للقدامين عليكم . الرضف : الحجارة تحمي ويلقى عليها اللحم . ومطفنة الرضف : النعجة المهزولة التي تطفئ الرضف بما يسيل منها من المائبة . أي اكرموا ضيفكم ولو بمثل هذه النعجة . وهو مثل .

الرّذفُ لا بعدَ نعمٍ ، والكثيرُ خيرٌ من القليلِ والقليلُ خيرٌ من العدمِ . قال :
 فرضخوا^٢ لهما بما حضر ، وقالوا : خيرُ الناسِ من عذر . فتناول الشيخ ميسورهم
 وقال : اني قد قبلتِ برّكم بالجنان^٣ ، لا بالبنان ، وحقّ عليّ مدحك بالقلب
 لا باللسان . ثم دنا فتدلى ، وأنشد وهو قد ولّى :

حلّموا فما ساءت لهم شيمٌ سمحوا ، فما شعثت لهم مننٌ^٤
 سلّموا ، فلا زلت لهم قدّمٌ رشّدوا ، فلا ضلّت لهم سننٌ

قال : وكان في الموقف فتى شديدُ الحُنزُرِ وانه ، قد انتصب كالأسطوانة .^٥
 فلما أدبر الشيخ قال : إني لأعرفُ هذا الحيث ، وقد رابني ذكره القلب في
 الحديث . فاقبلوا البيتين ، لعلّ بهما شيئاً من الشين . فابتدر رجلٌ إلى قلبهما ،
 بعد كتبهما ، وإذا هو يقول بهما :

مننٌ لهم شعثت ، فما سمحوا شيمٌ لهم ساءت ، فما حلّموا
 سننٌ لهم ضلّت ، فلا رشّدوا قدّمٌ لهم زلّت ، فلا سلّموا

فلما سمع القوم ذلك استشاطوا غضباً ، وقالوا : من لنا بردٌ هذا الرجيم
 فنجمه للناس أديباً ؟ قال الفتى : أنا لها فإني أعلمُ مهبّ ريجهِ ، ومدبّ طليجه .^٦
 فأركبوه متن طميرّة ، وقالوا : هلا يا ابنَ الحرّة ! قال سهيلٌ : وكنت^٧

١ الردف : الراكب خلف الراكب . أي بشئ الأشياء المتعاقبة أن تقول لا بعدما قلت
 نعم .

٢ رضخوا : أعطوا قليلاً .

٣ الجنان : القلب .

٤ شيم : أخلاق . منن : نعم .

٥ الحنزوانة : الكبرياء . الأسطوانة : العمود .

٦ أنا لها : أي أنا لهذه المهمة . الطليح : الحمل الذي جهده السير . يريد أنه أعلم الناس بمسالكه
 وطرقه .

٧ طميرة : فرس كريمة . هلا : كلمة تزجر بها الخيل حثاً على السير .

قد عرفت سريرة تلك الصناعة^١ ، فانسلت في أثر الفتى من بين الجماعة . فما أدركته إلا على بريد^٢ ، وإذا هو قد جلس بين الحزامي^٣ وابنته على ذلك الصعيد ، فلما رأني وثب إلي وقال : لا يقل الحديد إلا الحديد . فاهتز الشيخ تها^٤ ، وأنشد بديهاً :

هذا غلامي لا تسل عن خيبي ان الشراك قد من أديبي^٥
لما رأني الحي إلى زعيبي ، قصر في الوفاء عن تعليبي
تلقف المهرة لا من شومي ، لكن ليضي الدين من غريمي^٦

ثم قال : يا أبا عبادة إن الله لم يختص برزقه ، أحداً من خلقه ، فمن ظفر بشيء فقد أخذه بحقه . لكن أخاف أن القوم لا يأخذون بهذه الفتوى ، فلنصرف قبل أن تحل بنا البلوى . ثم نهض إلى بعيه المعقول^٧ ، وهو يقول :

أنا ابن أم الدهر يا ابن المنجبي رزقت بين الناس حظ الغلبه
بكل وادٍ أثر من ثعلبه^٨

قال سهيل : فسرت في صحبته على حدّ ، ولبثنا في اجتماعنا إلى أن فرقنا القدر .

١ أي عرف الأشخاص الذين كانوا يتداولون هذه الوقائع وعلم أنها حيلة منهم .

٢ بريد : أربعة فراسخ وهي اثنا عشر ميلاً .

٣ يقل : يكسر . لا يقل الحديد إلا الحديد : مثل معناه أنه لا يفعل بالشيء إلا ما كان كفواً له . تها : كبراً .

٤ غلامي : هو غلامه رجب كان معه وهم لا يدرون أنه غلامه . خيبي : طبيعته وخلقه . الشراك : سير يشد به التعل . قد : قطع طولاً . من أديبي : أي من الجلد الذي قد منه الشراك . وهو مثل يضرب للمتقاربين في الأمر .

٥ تلقف : أخذ بسرعة . شومي : أي رداوته .

٦ القوم : العرب أصحاب المهرة .

٧ المعقول : المقيد .

٨ أي في كل مكان مكيدة مني . وهو مثل .

المقامة التاسعة عشرة

وتعرف بالخطيبية

حدثنا سهيل بن عبّاد قال: ارتبعت ربيعاً بالبادية، أصفى من ماء غادية^١.
فما تركت حياً ولا نادياً، ولا جبلاً ولا وادياً. إلا سعت إليه على قدمي،
وخاطرت في اعتباره بدمي. فبينما أنا في حلّة إذ قام منادٍ على كئيب^٢،
يقول: حيّ هل^٣ على الخطيب. فوفدت إليه في من وفد، وإذا شيخٌ أكبر
من لبّد، عليه حلّة من سبّد. فلما تألّب الجيش، وسكن الطيش^٤.
كبر واستغفر، وقرأ ما تيسر. ثم قال: الحمد لله الذي جعل العرب في
وجنة العباد شامة، كما جعل أرضهم على بدن البلاد هامة^٥. أما بعد فإنكم يا
معاشر العرب أكرم الناس نسباً، وأفضلهم حسباً. وأفصحهم لساناً،
وأثبتهم جناناً^٦. وأضربهم بالسيوف، وأقراهم للضيوف. وأكثرهم ابتداءً
للمكارم، واحتمالاً للمغارم، واعتقالاً بالرماح واشتالاً بالصوارم. ولكم حفظ^٧

١ الغادية: السحابة المنتشرة صباحاً.

٢ اعتباره: قصده. حلة: منزلة قوم.

٣ حي هل: اسم فعل مركب كخسة عشر يستحث به على الإقبال.

٤ لبّد: اسم نسر من النسور السبعة التي اختارها لقمان بن عاد على ما يزعمون عاش دهرأ
طويلاً فضرب به المثل في الكبر. سبّد: شعر. وهو لباس الزهاد. تألّب: اجتمع.

٥ من القرآن.

٦ جعل العرب في وجنة العباد شامة: أي جعلهم زينة للناس كما تزان الوجنة بالشامة. هامة:
رأساً.

٧ جناناً: قلباً.

٨ المغارم: ما يلتزم الرجل به من الدية والكفالة وغيرهما. الاعتقال: وضع الرمح بين فخذ
الفارس والسرّج. الاشتمال: وضع السيف تحت الثوب.

العبود ، وإنجاز الوعود ، . ومراعاة الجوار ، والفرار من العار . وحماية الأرباض^١ ، وبذل النفوس دون الأعراض . وخوض الليل ، بالرجل والحيل . ولكم الخطاب المفعم ، والجواب المفهم . والنظم البديع ، والنثر النبهي^٢ . والقلوب الجريئة ، والنفوس الأبية . لا تدينون لسُلطان ، ولا يَتِيَمُكم هوى الأوطان . ولا تتركبون الدنيا ، ولا تبالون بالمنايا . ولا تروءكم الأهوال ، ولو أنها من الأغوال . ولا تقبلون الهوان ، ولو جاء بالهليل والهلمان^٣ . بلادكم أفضل الأرض تربة ، وأرفعها هضبة . وأحلاها ماء ، وأصفاها هواء . وأطيبها جرعى^٤ ، وأخصبها مرعى . وأطولها نخلة ، وأسننها رِخلة^٥ وسخلة . وغلأمكم^٦ أحكم من كهول الناس ، وأفتك^٧ من فتياهم صبيحة الباس . وفتاتكم^٨ أحذق من فحول الرجال ، وأفصح^٩ منهم في المقال . وشاعركم المرتجل ، أبلغ^{١٠} من شاعرهم المحتفل . وعضلوكم^{١١} المعسِر ، أجود^{١٢} من أميرهم الموسِر . وفيك^{١٣} الكاهن^{١٤} والعائف ، والحكيم والقائف . والفقهاء والخطيب ، والمنجم والطبيب . ومنكم^{١٥} التباينة والمناذرة^{١٦} ، والأبطال^{١٧} والجبابة . والكرام الذين تسير^{١٨} بهم الأمثال ، ويعز^{١٩} لهم المثال . فجدوا^{٢٠} في جدد^{٢١} الفخر ، وتواصوا بالصبر ، على

١ الأرباض : ما حول الدار .

٢ المفعم : الذي يملأ المسامع . النبهي : الذي يذكر بين الناس .

٣ الجريئة : من الجرأة . تدينون : تخضعون . يتيمكم : يستعبدكم .

٤ بالمال الكثير والخيرات العظيمة .

٥ جرعى : أرض ذات نبات طيب الرائحة . الرخلة : النعجة ، والسخلة ولدها .

٦ الباس : يوم الحرب .

٧ المحتفل : المستعد اهتماماً . عضلوكم : فقيركم .

٨ الكاهن : الساحر . العائف : الذي يتفاهل بأسماء الطير ومساقطها وأصواتها . القائف : الذي يتتبع الآثار فيعرف أصحابها من هبتها . وهي قيافة الأثر .

٩ التباينة : ملوك اليمن . المناذرة : ملوك العراق .

١٠ الجدد : الأرض الصلبة . وهي أحسن المسالك عندهم فإنهم يقولون من سلك الحدد أمن العشار .

نوايب الدهر . وحافظوا على ما لكم من المآثر والآثار، واشطروا شطراً
من تقدمكم من خوالي^١ الأعصار، واذكروا أيامهم المخلدة في بطون الأسفار،
لتكون لأنفسكم كالربحان والعزائم كاللضمار^٢ . قال: فانبري له^٣ شيخ
كالأفعوان ، عليه حلة^٤ أرنجوان. وقال: يا مولاي قد مدحت فأكرمت،
ونصحت فأحكمت . ولكن ما هي أيام العرب التي أشرت إليها ،
ومواقعها المنصوص عليها ؟ ففكر ، ثم قدر ، ثم قال: قد أنساها الشيطان
فذكر إن كنت بمن تذكر . فأطرق برهة^٥ وهو ينكت في الأرض ،
ثم قال : تعالوا أتل^٦ عليكم ما يبقى ذكره إلى يوم العرض . وأنشد :

قد ذكر القوم لأيام العرب	مواقعاً تدعى بهن ^١ كاللقب
من ذلك :	الكديد ^٢ والبيداء
كذا كلاب ^٣ منعج الجفار	والحجر ^٤ والزخيج والستار
شمطة ^٥ والزور ^٦ غبيط المدره	كذا الغيطان اللوى وبثره
جوه ^٧ نطاع ^٨ ذو طلوح ^٩ والعنب	دُرني ^{١٠} الكحيل ^{١١} والغدير ^{١٢} ذو نجب
نحلة ^{١٣} فيف ^{١٤} الريح ^{١٥} قرن ^{١٦} قلنج ^{١٧}	طوالة ^{١٨} وقبسي ^{١٩} زرود ^{٢٠} المريج ^{٢١}
عويرض ^{٢٢} الحدائق ^{٢٣} النصار ^{٢٤}	قشاوة ^{٢٥} كفافة ^{٢٦} سنجار ^{٢٧}
ذرحرح ^{٢٨} خوخوي ^{٢٩} داب ^{٣٠}	عين ^{٣١} أباغ ^{٣٢} قادم ^{٣٣} إراب ^{٣٤}
عراعر ^{٣٥} النهي ^{٣٦} الربيع ^{٣٧} ملتهم ^{٣٨}	نجران ^{٣٩} والعينان ^{٤٠} غول ^{٤١} رقم ^{٤٢}

١ يقال شطرت شطره إذا قصدت قصده .

٢ بخوالي : مواضي .

٣ المضمار : الميدان الذي تراض به الخيل .

٤ مواقعها : الأمكنة التي وقعت فيها .

٥ ينكت : يضرب بإصبعه .

٦ العرض : القيامة .

ذو الاثل ذات الرمرم النشاش
واردادات الجنو رحرحان
شعب خزازي والعظالي حاطب
جبلة الفرعاء والصليب
أوارة لهابة ذو قار
شعواء والهباة المرتقب
بسيان والهرير ذو أحبال
عبيزة عقبية أعشاش
والدرك السوبان والسلان
قراقير الدثينة الذنائب
ظهرة وذات الحرمل الكتيب
أقرن وج حيرة سفار
قطن ذو حسي الفروق بحسب
وما عسى نحصي من الرمال

قال سهيل : فكبر القوم وقالوا : حدثت عن البحر ولا حرج ٢ ،
إنك لأحفظ من حماد وأجمع من أبي الفرج . قال : علم الله أني لست
من الأفاضل الكملة ، ولكن عرف حميق جملة . فسقط في يد الخطيب
واستكان ، وقال : قد قُدِّرَ فكان . ولقد أبنت فأحسنت ، فمن ومن
أنت؟ قال : إن كنت لا ترضى ، أن تأكل الجبين عرضاً . فأنا سرندل
ابن عرندل ، من بني الشمر دل ٧ . فعجيب القوم من براعته ورقاعته ،

١ هذه الأسماء لأمكنة وقعت فيها الحروب بين العرب فنسبت إليها .

٢ مثل يضرب لمن توسع في الأمر .

٣ حماد : هو حماد بن ميسرة الديلمي الكوفي . كان أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها
ولغاتها فقبل له حماد الراوية . أبو الفرج : هو علي بن الحسين بن الهيثم الأموي المعروف
بأبي الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني الذي وقع الاتفاق على أنه لم يكتب في
بابه مثله .

٤ عرف حميق جملة : مثل معناه أن الأحقق مهما كان ناقص العقل يعرف جملة . سقط في يد
الخطيب : ندم على خطبته .

٥ استكان : خضع وذل .

٦ أي لا تسأل عن عمله .

٧ قوله فأنا سرندل بن عرندل أراد بذلك أن يموه عليه ولا يعرفه باسمه ونسبه . وأما بنو
الشمر فلا تعرف قبيلة بهذا الاسم .

وأكبروا مِرَّ صِنَاعَتِهِ . وقالوا : هل تُسْمِي علينا ما أنشدت ، وسنجزيك بما
أفدت . قال : إن لي كاتباً أجرى من السيل ، في الليل^١ . ثم قال : هلْمْ
يا سهيل . فلما أقبلت عليه قال : اكتب يا بُني ، وأخذَ يُسْمِي علي^٢ . فلما
فرغنا من الإملاء والتعليق ، أفرغوا علينا ما يليق ، واعتذروا من الإجحاف
بالخليق . قال : وكنت قد عرفت أن الشيخ صاحبنا ابنُ الحزام ، فما
صدقتُ أن أفلتَ من الزَّحَام ، حتى تعقبتُهُ وهو يعدو في أخريات^٢ الحيام .
فاستوقفته فأبى ، وقال موعداً مَهَبُ الصَّبَا . فرجعتُ بين الحبيبة والظفر ،
إذ حرمتُ صُحْبَتَهُ ورزقتُ نَفَقَةَ السُّفَر .

١ مثل يضرب للماضي في أموره .

٢ أخريات : أطراف .

المقامة العشرون

وتعرف بالبصرية

حدثنا سهيل بن عباد قال : قدمت البصرة ذات العويم^١ ، في ركنب من بني الهجيم^٢ . فجمعت أطوف^٣ بها ما أطوف ، حتى انتهت إلى مربدها^٤ الموصوف . وإذا في ساحته قوم قد توسدوا ثراها ، وهم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها^٥ . فطارحتهم سنة التسليم ، وقلت : هل في الكأس حظ^٦ لنديم^٧ ؟ قالوا : قد أتيت أهلاً ، ونزلت سهلاً . فجلست لديهم جلوس التلاميذ ، بحضرة الأساتيد . وأخذوا يتداولون الفنون ، ويبرزون كل مكنون . حتى خاضوا في فن^٨ البديع ، وأفاضوا في التجنيس والتنويع^٩ . وكان في صدر الحلقة شيخ^{١٠} أفتس^{١١} العرتبة^{١٢} ، كأنه أحد الأعرية^{١٣} . فقال : قد علمت أيها الناس ، أن أعظم الجناس ، ما لا يستحيل بالانعكاس^{١٤} . فمن

١ ذات العويم : في بعض الأعوام .

٢ بنو الهجيم : بطن من بني تميم .

٣ المرید : ساحة تحبس فيها القوافل . وكانت العرب تجتمع إليها من الأقطار فكانوا يتناشدون الأشعار ويبيعون ويشترون كما يفعلون بسوق عكاظ .

٤ سئلت فاطمة بنت الحوشب الأتمارية عن أفضل أولادها فقالت الربيع ، لا بل عمارة ، لا بل فلان ! ثم قالت : ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل . هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها . أي هم كالدائرة لا يدرى أولها من آخرها .

٥ أي هل لي نصيب في مجالستكم .

٦ التنويع : الجناس اللفظي والمنوي .

٧ العرتبة : الأنف . الأعرية : أي أعرية العرب وهم سودانهم سوا ذلك لسوادهم .

٨ هو جناس يقال له المقلوب المستوي أيضاً .

ظفيرة بفرائده الحُسنى ، فاز بالمقام الأسمى ، وسُلِّمَ لهُ البديعُ لفظاً ومعنى .
 قالوا : نراك من أهل النار ، وفُرسان المِضمار . فحدثتُ بنعمة ربك ،
 ولا تكتم ذخيرة لبيك . قال : نعم كنتُ قد نظمتُ أبياناً منه في الصبَاء ،
 وهي معجزةٌ عند الأدباء . قالوا : إن رأيتَ أن تُنشدنا إياها فلك المِنَّة ،
 وقد دفعتَ عن نفسك الظنَّنة . فتلا : « إن بعض الظنِّ إثم » ، ثم قال :
 اسمعوا يا أولي العلم . وأنشد يقول :

قَمَرٌ يُفْرِطُ عَمَدًا مُشْرِقُ رَشَّ مَاءً دَمَعُ طَرْفٍ يَرْمُقُ^١
 قُرْطُهُ يَفْدِي جِلَاهُ أَيَمَسُ مِنْ مِيَاهِ الْجِيدِ فِيهِ لَمُرُقُ^٢
 قَبَسٌ يَدْعُو سَنَاهُ إِنْ جَفَا فَجِنَاهُ أُنْسُ وَعَدِي يَسْبِقُ^٣
 قَدْ حَلَا كَاذِبٌ وَعَدِي تَابِعٌ لَعِبًا تَدْعُو بِدَاكِ الْحَدَقُ^٤
 قَرَّحَتْ ذَا عِبْرَاتٍ أَرْبَعُ إِذْ تَحْرَقُ أَرْبَعُ^٥
 قَرَّحَتْ ذَا عِبْرَاتٍ أَرْبَعُ إِذْ تَحْرَقُ أَرْبَعُ^٦

- ١ الفرائد : جمع فريدة وهي الدرة الكبيرة في العقد . الأسمى : الأثيرف .
- ٢ قوله يفراط أي يتجاوز الحد ، ويرمق ينظر . أي أن العين التي تنظره ترش دمعها في محبته .
- ٣ القرط : ما يعلق في أسفل الأذن . والجيد . العنق . يعني أن قرطه المعلق في أذنه اليمنى يكون فداء لبقاء بدنه لأنه أنقى منه . وأراد بالمياه المضافة إلى الجيد ما يكون في نصل السيف من الفرند تشبيهاً لجيده بالسيف في البياض واللمعان .
- ٤ القَبَسُ : شعلة النار . وسناه : نوره . أي أن نوره هذا للقبس يدعو الناس إليه كما تدعو الأضياف نار القرى . فإن جفا كانت الفائدة منه التعلل بما سبق من وعد هذه النار بالضيافة .
- ٥ الإشارة في قوله بذلك إلى اللعب من باب وضع المظهر موضع المضمّر كما في قول الشاعر تريدين قتلي قد ظفرت بذلك . أي قد حلا وعده الكاذب الذي يتبع تلاعب أحداقه التي تدعو به إلى الهوى .
- ٦ قوله ذا عبرات أي صاحب دموع يريد به العاشق . وذكر أنها أربع لأن كل عين يسيل منها عبرتان من طرفها . وقوله إذ تحرق لأن دموع الحزن حارة فهي تفرح بحرارتها .

قَلِقٌ يَلْتِمُ نَادِي عَبْلَةَ لَبْعِيدٌ ، إِنَّ مِثْلِي قَلِقٌ ١
 قَيْفَرَةُ الرَّبِيعِ أَهَالَتْ فَيْثِيَةَ قَتَلَهَا عَيْبَرٌ لَا تَرَفُقُ ٢
 قَدَحَاهَا رَكْبُ لَيْلٍ حَافِظٌ فَاحَ لَيْلٌ بِيَكْرَاهَا مُحَدِّقٌ ٣
 قَرَّ فِي الْفِئِ نَدَاهَا قَلْبُهُ بَلِّقَاهَا دَنْفٌ لَا يَفْرَقُ ٤
 قَطَنْتُ هَيْفَاءُ فِيهِ آمِنًا إِنَّمَا هَيْفَاءُ فِيهِ تَنْطِقُ
 قِفٌ أَلَا قَاضٍ فَإِنِّي ضَاقَ بِي رَيْبٌ قَاضِيْنَا فَضَاقَ الْأَفْقُ ٥
 قَلَمٌ يَجْرِي سَيْلَقَى ضَرَمًا مُرٌّ ضَيْقٌ لَيْسَ يُرْجَى مَلَقٌ ٦
 قِيلَ : إِفْتَحْ بَابَ جَارٍ تَلْقَهُ ، قَلْتُ : رَاجِ بَابَ حَتْفِ الْبَيْتِ ٧
 قَلَّ طَعْمٌ دُونَهُ رُدٌّ بِكُمْ كَسِيدٌ رَهْنٌ وَدَمْعٌ طَلِقٌ ٨

- ١ النادي : المجلس . والعبلة : المتلثة البدن . وبعبدة صفة لموصوف محذوف . أي يقبل أرض نادي امرأة هذه صفتها . وهذا النادي لصاحب بعبدة كناية عن رحيل قومها بها .
- ٢ يقول : إن هذه الحبيبة قد أفرقت دارها لرحيلها فألقت هولاً على الفتيان الذين يتصببون بها فجرت وراءها منهم دموع متواترة لا تتلطف بهم ولا تكف عن سيلانها .
- ٣ أي أنها مصونة تحميها فرسان في الليل عند نومها . ثم يقول : إن الليل الذي تنام فيه يتعطر بأنفاسها فتفوح روائحه .
- ٤ نداها : جودها . والدنف : المريض المجهود . ويفرق : يخاف . أي أن هذا العاشق المريض كان قد استقر قلبه من الخفقان عند الفته على جودها باللقاء فكان طيب القلب لا يخاف .
- ٥ يقول لصاحبه : قف علي أليس قاضٍ آخر ينصفني فإن بغي قاضينا نحن العاشق قد جعلني في ضيق حتى ضاقت علي جوانب الأرض .
- ٦ المراد بالضرم النار وبالملق التلطف . أي أن قلم هذا القاضي الذي يجري في الحكم علينا سيلقى ناراً من عذاب الله .
- ٧ حاصل ما في البيت أنه يقول : قد أشير علي باستبدال هذه الحبيبة البعبدة بغيرها من حولي من الجيران ، فقلت : إن الراجي لفتح باب الموت أجمل من الراجي لفتح باب الاستبدال .
- ٨ انصرف في هذا البيت إلى خطاب أحبته فقال : إن الطعم الذي يؤدي في محبتهم إلى فك كبده المرهونة وكف دمه الطلق هو قليل لا يمتد به . أشار بذلك إلى الحنف المذكور في البيت السابق . وفي قوله رد بكم على كلا الوجهين استخدام لا يخفى .

فلما فرغَ من أبياته صَفَّقَ القومَ ، وقالوا : لا عَهْدُ لنا بمثل هذه قبل اليوم . فإن هذا الجناس كالعدد المعدول ، لم يتجاوز أربعة في المنقول^١ . قال سهيل^٢ : فانبوى له رجلٌ أشمطُ العارضين^٣ ، يكادُ يشربُ الرافدين . وقال : يا هذا إن الفخرَ بالأثير^٤ ، لا بالكثير . وإنما يُناقَسُ في الثمين ، لا في السمين ، فكم فِئَةٍ قليلةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كثيرةً بإذن الله واللهُ مع الصابرين . قال : صدقتَ إن خيرَ الكلامِ ما قلَّ وجرَّ ، ولكن من ادعى بلا بيئته فقد زلَّ وذلَّ . قال : أعود بالله من زلَّةِ العمدِ^٥ ، وسفاهةِ العبدِ . إني نظمت بيتين لبعض الأُمراء ، طردُهما مديحٌ وعكسهما هجاءٌ . فكان يُنظَرُ إليهما بعين الأُحول^٦ ، ويقصرُ عنهما الباعُ الأطول . قال : فهلُمَّ بما فتح الله عليك ، قال : لبَّيك وسعديك ! وأنشد^٧ :
 باهي المَراحِمِ لابسٌ كَرَمًا تَقديرٌ مُسندٌ^٨
 بابٌ لكلِّ مؤمِّلٍ غنمٌ لعمرك مُرْفِدٌ^٩

١ العدد المعدول في نحو جاء القوم أحد ومثى ونحوهما أي واحداً واحداً واثنين اثنين وهو لم يسمع من العرب إلا إلى الأربعة وكذلك هذا الجناس فإنه لم ينظم منه أكثر من أربعة أبيات وهي التي نظمها الشيخ الحريري في مقاماته .

٢ أشمط : مختلط السواد بالبياض . العارضين : صفحتي الوجه .

٣ الأثير : النفيس .

٤ زلة العمد : أي الزلة التي صدرت عن قصد .

٥ طردهما : نقيض العكس . ينظر إليهما بعين الأُحول : يقال إن الأُحول يرى المنظورات مضاعفة فيرى الواحد اثنين والاثنتين أربعة وهلم جرأً . فيقول إن هذين البيتين إذا عكسا يحصل من عكسهما بيتان غير الأولين بخلاف الأبيات السابقة فإن البيت منها إذا عكس يكون الحاصل منه ذلك الكلام بعينه . وعلى هذا فيكون كل بيت منهما بيتين أحدهما مديح والآخر هجاء ، وهي صناعة غريبة لم يسبق إليها أحد من الشعراء .

٦ لبَّيك : إجابة بعد إجابة . سعديك : مساعدة بعد أخرى .

٧ قوله باهي المَراحِمِ أي حسن المَراحِمِ بناءً على أنها تقع منه بحيث تحسن الرحمة لأن من المَراحِمِ ما ليس بحسن لوقوعه حيث يجب القصاص . وقوله لابسٌ كَرَمًا أي أن الكرم قد صار لباساً له لشدة اشتماله عليه . وقوله مسند صفة لتقدير كالقيد له لأن التقدير إذا لم يكن مسنداً للناس فلا خير في قدرته .

٨ الغنم بالضم : ما تناله بغير مشقة . والمرفد : المعين .

ثم عمَد إلى قلبهما ، فإذا هو يقول بهما :

دَنَسٌ مَرِيدٌ قَامِرٌ كَسِبَ المَحَارِمَ لَا يَهَابُ
دَقِيرٌ مُكِيرٌ مُعَلِّمٌ تَغِيلُ مُؤَمِّلٌ كُلُّ بَابٍ

قال : فاستفزت القوم تلك الصنعة العذراء^٣ ، وقالوا : عَلِمَ اللهُ أنها لأغرب من العنقاء. ثم أقبلوا على الرجل يَرجمونه بالأحداق، وقالوا : فذاك أهل العراق ! فمن أنت ومن أي الآفاق ؟ فتنهَد ، ثم أنشد :

أقبلتُ من أرضِ اليمامةِ أبغى العراقَ على استقامته^٥
جبتُ الدلامسَ بالعرا مسٍ في التعمامةِ كالنعمامةِ^٦
زُرْتُ الكرامَ لأنني قد كنتُ من أهلِ الكرامه
أتلقتُ مالي في التدي أنلقتُ الصبايةَ والمُدامةِ
أقري الضيوفَ وأقري حملةَ الجمالةِ والغرامه^٧

- ١ المرید : العاتي المتجبر . والقامر : الذي يلعب بالقمار .
- ٢ الدفر : التنين . ومكر : من الكرير وهو صوت المخنوق أي دفر محدث للكرير بجثته . والمعلم : من وسم نفسه بعلامة الحرب . والنغل : الفاسد النسب وهو يعود إلى الرجل المهجو ، فكأنه يقول هو دفر شديد وهو نغل أيضاً .
- ٣ استفزت : استخفت . العذراء : التي لم يسبق إليها أحد .
- ٤ العنقاء : طائر يضرب به المثل في الغرابة لعظم جثته واقتداره . يرمونه بالأحداق : تراكم أبصارهم عليه .
- ٥ اليمامة : مدينة قديمة على ست عشرة مرحلة من البصرة إلى نحو الحجاز . استقامة : على خط مستقيم .
- ٦ جبت : قطعت . الدلامس : الظلمات . العرامس : الثياق الشديدة . التعمامة ، بالكسر : المفازة . النعمامة ، بالفتح : تحتل الطائر المعروف وفرس الحرث بن عباد التي مر ذكرها في المقامة الحزرجية .
- ٧ أقري : أتبع . الجمالة : ما يتحملة الرجل عن القوم من الدية ونحوها .

وأسدٌ خَلَّةٌ مُقْتَرٍ ١
 وأجيزٌ كلُّ مُقَرَّطٍ ٢
 قسَّمتُ مالي في المَلا ٣
 وسَقَّيْنَهُم مائي قَرُح ٤
 بَرَحَ الخُفَا فَنَدِمْتُ ل ٥
 دَرَجَ الصَّبَا والمَالِ وَالل ٦
 عَذَّبْتُ نَفْسِي بِالْفَنُو ٧
 قَد كُنْتُ أَطْمَعُ فِي الغِنَى ٨
 وأرْدُ لَهْفَةً ذِي ظِلَامَةٍ ١
 عن كلِّ شِعْرٍ أو مَقَامَةٍ ٢
 ونسبتُ سَهْمِي فِي الحَتَامَةِ ٣
 ت كَأَنِّي كَعْبُ بنِ مَامَةٍ ٤
 كُن حَيْثُ لَا تُجْدِي النَّدَامَةَ ٥
 نَفْسُ العَزِيزَةِ والشَّهَامَةِ ٦
 طِ وَعَذَّبْتَنِي بِالمَلَامَةِ ٧
 وَاليَوْمَ أَفْنَعُ بِالسَّلَامَةِ ٨

فلما انتهى إلى هذا البيت أن كالمريض، وقال حال الجريض، دون القريض،
 وأثرت شوونه تقيض . فرثى القوم لبواه ، فثأوا ما جاش من جواه .
 وقالوا : جمع الله شملك ، فأين خلقت أهلك ؟ قال : قد خلقت
 الجربة ، في الشربة ، لا يملكون حبة . وهم ينظرون لإبائي على الأثر ،

- ١ وأسد خلة مقتر : أي أقضي حاجة فقير .
- ٢ وأجيز كل مقرط : أي أعطي كل مادم جائزة .
- ٣ الحتامة : ما بقي على المائدة من الطعام . أي قسمت مالي بين الناس ونسيت أن أترك لنفسي حصة من بقية هذا المال .
- ٤ كعب بن مامة : هو الذي سقى رفيقه التمري نصيبه من الماء ومات عطشاً .
- ٥ برح الخفا : أي ظهر المكتوم .
- ٦ درج : ذهب .
- ٧ حال : أعترض . الجريض : الريق يفص به . القريض : الشعر وهو مثل أصله أن رجلا كان له ابن نبيغ في الشعر فنهاه عنه ، فجاش به صدره ومرض حتى أشرف على الموت فأذن له أبوه حينئذ في قول الشعر فقال : حال الجريض دون القريض . أي أن غصة الموت حالت بينه وبين قول الشعر .
- ٨ أثرت : شرعت . شوونه : مجاري دموعه . فثأوا : سكنوا . جاش : يقال جاشت القدر إذا غلت . جواه : حرقته .
- ٩ الحربة : العيال يأكلون ولا يتفنون . الشربة : مكان في بلاد العرب .

كما تنتظر الأرضُ وسمي المطر. فجمعوا له قبضةً من العين ، وقبضةً من اللجين^٢ . وقالوا : إن الكريم أولى بالكرم ، قال : نعم ، وأهل الحرمة يرعون الحرم . قال سهيل^٣ : وكنت قد عرفت أنه الخزامي عند نظري إليه ، لكنني أنكرتُ إغبرار عارضيه^٣ . فلما فصلنا عن المكان قلتُ : حيا الله أبا ليلى ! قال : وميمون^٤ يفدي سهيلا ! قلت : عهدي بك شيخاً فكيف رجعت كهيلا ؟ فأنشد^٥ :

لا تُكِرْنَ ما تَرَى من الشَّمَطِ إن السوادَ والبياضَ إذ وَخَطَهُ
من طرفِ الأمورِ فاخترتُ الوَسَطَ

فانكفتُ عليه انعكافَ المُفرَم الكَلَفِ^٦ ، واعتنقتُهُ اعتناقَ اللام للألف . فإخذ يسايرني على رسله^٧ ، حتى انتهى بي إلى رحله . وأقمت^٧ في صحبته قرير العين ، إلى أن نعبَ بيننا غرابُ البين .

-
- ١ الوسمي : مطر الخريف . قبضة : ما يؤخذ بين الأصابع . العين : الذهب . قبضة : ما يقبض باليُكف .
٢ اللجين : الفضة .
٣ لم يشك معرفته لأنه يمهدده أشيب فرآه بين الشيب وسواد الشعر لأنه كان قد خضب لحيته .
٤ كهيلا : متوسط السن .
٥ الشمط : اختلاط السواد بالبياض . وخط : ظهر .
٦ الكلف : المولع .
٧ اعتنقتهُ اعتناق اللام للألف : باعتبار الخط عند اجتماعهما معاً . رسله : مهله .

المقامة الحادية والعشرون

وتعرف بالدمشقية

أخبر سهيل بن عباد قال : نحوت^١ من بعض الأنحاء ، نحو دمشق الفيحاء . فجعلت أتتبع الرياح الدوارس ، وأنفق الأكار الطوامس^٢ ، وأنهدت الأندية والمجالس ، حتى انتهيت إلى إحدى المدارس . فتخللت حلقة الطلبة ، وقد سكنت الأبصار وسكنت الجلبة . وأخذ القوم يتذكرون هنالك ، حتى جرى ذكر خلاصة ابن مالك^٣ . فقال الأستاذ : لا جرم إنما لإحدى الكبر^٤ ، وعبرة العبر . ولكن قد كان ذلك إذ الناس ناس ، لا يلهجون بعذار الآس ، وحبب الكاس^٥ . قال : وكان شيخنا ميمون بن خزام ، قد ربص في ذلك المقام ، فاندب من مجشه^٦ كالصصام^٧ . وقال : يا قوم إن المعترف بالفضل لهذا الإمام المشهور ، كالمعترف للشمس بالنور ، أو للطود بالظهور^٨ . وأما في هذا الزمان فقد بقي من إذا سئل يجيب ، وإذا تجشم الإنشاء^٩ يُصيب ، فللأرض من كأس

١ نحوت : قصدت .

٢ الدوارس : التي تمحو الآثار . الطوامس : المختفية .

٣ خلاصة ابن مالك : هي الألفية المشهورة . وعلى ذلك قوله في آخرها أحصى من الكافية الخلاصة .

٤ الكبر : جمع كبرى .

٥ عذار الآس : كناية عن حب الجمال . حبب الكاس : ما يطفو على وجه الكاس من الفقاقع .

٦ مجشه : مجلسه .

٧ الصصام : السيف الصارم الذي لا ينثني .

٨ يعني أن ذلك معلوم عند الجميع لا يستطيع إنكاره فلا فضل للمعترف به .

٩ تجشم : تكلف .

الكِرَامِ نَصِيبٌ . قالوا : ما نرى ذلك إلا كالكِبْرِيْتِ الأحمرِ ، يذُكُرُ ولا يُبْصَرُ . فإن لم يكن ذلك حديثاً يُفْتَرَى^٢ ، لا تَطْمِئِنُّ قُلُوبُنَا حَتَّى نَرَى . قال :
 أَشْهَدُ اللهُ إِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُتَّصِفِينَ ، وَاللهُ بِشَهِدٍ أَنِي لَسْتُ مِنَ الْمُرْجِفِينَ^٣ .
 ان عِنْدِي آيَاتًا مُعْتَصَاةٌ ، جَامِعَةُ الْبَاكُورَةِ وَالْحُصَاةُ ، خَلِيقَةٌ بِأَنَّ تَدْعَى^٤
 خُلَاصَةَ الْخُلَاصَةِ ! قالوا : إِنَّا نَتَوَقَّعُ سَمَاعَ مِثْلِهَا ، فَإِنْ شِئْتَ فَاسْتَجَلِّهَا^٥ .
 فَهَبْ كَعَاصِفَةِ الْقَبُولِ^٦ ، وَانْدَفِعْ يَقُولُ :

بِسَائِطِ الْكَلَامِ حِينَ يُبْنَى إِسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ مَعْنَى^٧
 وَالْحَرْفِ وَاسْمًا مِثْلَهُ وَالْفِعْلَ لَا كاسِمٍ بَنَوْا وَأَعْرَبُوا مَا فَضِّلًا^٨
 وَاسْمًا كَفِعْلٍ مِثْلَ فِعْلِ كاسِمٍ إِفْتَحَ لِمَنْعٍ صَرْفِهِ وَضَمٌّ^٩
 رَكِبَ وَزِنَ وَاعْدَلَ وَأَنْثَتْ وَاجْمَعَ وَزِدَ وَصِفَ وَأَعْجِمَ وَعَرَفَ تَمْنَعٌ^{١٠}

١ فلأرض من كأس الكرام نصيب : مثل . أي أن العلماء الأوائل قد تركوا فضلا للتأخرين
 كما أن الكرام إذا شربوا من الكأس يتركون فضلا يفرغونها على الأرض . الكبريت الأحمر :
 مثل يضرب لما لا يوجد .

٢ يفترى : يخلق .

٣ المرجفين : يقال أرجف القوم إذا أكثروا من الأخبار الكاذبة .

٤ معتاصة : ممتعة . الباكورة : أول الفاكهة . الحصاصة : ما يبقى في الكرم بعد قطافه .

٥ استجلها : أظهرها .

٦ العاصفة : الريح الشديدة . القبول : ريح الشرق .

٧ أراد ببسائط الكلام أجزاءه التي يركب منها . وقيد الحرف بإضافته إلى المعنى احترازاً عن
 حرف الهجاء فإنه لا يؤتى به للمعنى .

٨ يقول : إن العرب قد بنوا الحرف والاسم الذي يشبه الحرف وهو الضمائر والموصولات
 والإشارات وأسماء الأفعال والاصوات والكنائيات وبعض الظروف والمركبات . والفعل
 الذي لا يشبه الاسم وهو الماضي والأمر . وأعرّبوا ما بقي من الألفاظ وهو الاسم الذي لا
 يشبه الحرف وهو المتمكن في الاسم . والفعل الذي يشبه الاسم وهو المضارع .

٩ الاسم الذي يشبه الفعل وهو ما لا ينصرف بحري في الإعراب مجرى الفعل الذي يشبه الاسم
 وهو المضارع ، فيفتح ويضم فقط ولا يكسر ولا ينون كما في الفعل وإنما قال لمنع صرفه
 تمييزاً له عما فيه شبه الفعل كاسم الفاعل ولكنه لا يجري هذا المجرى لكونه منصرفاً .

١٠ لما ذكر منع الصرف في البيت السابق ذكر العلل المانعة وهي التسع المذكورة في هذا البيت .

وأطلق المصروف ثم نون والجزم خذ للفعل واترك ما بُني^١
وكلُّ إعرابٍ بلفظٍ حاصلٍ أو نيّةٍ حيثُ دعاهُ العاملُ^٢
فالرفعُ في اسمٍ للذي قد أُسنداً إليه والمُسندُ منه اعتمداً^٣
وهو إذا جُرّد لفظاً يُعتَبَرُ بالمبتدأ والمُسندُ التالي خبيرٌ
أو لا فإن كانَ أقامَ فعله ففاعلٌ أو لا فنائبٌ له^٤
والنصبُ للملابسِ الفعلِ على ما دون إسنادٍ إليه جعلاً^٥
فإن يَكُن نفسَ الذي تعلقاً به فمفعولٌ يُسمّى مُطلقاً^٦
أو إن يُصيَبُ فهو مفعولٌ به أو لا فمَعَهُ إن يَكُن من صحبهِ^٧
أو لا فمَعَهُ إن يَكُن من صحبهِ^٨

١ أجر على الاسم المنصرف جميع الحركات منوناً واجعل الجزم للفعل واترك المبنيات فإنها ليست في شيء من الإعراب .

٢ يقول إن كل إعراب يكون باللفظ وهو الظاهر . أو بالنية وهو ما كان تقديرأ أو محلاً وإنما يكون ذلك حيث يدعوه العامل فإذا فقد العامل فقد الإعراب .

٣ أي أن الرفع في الاسم يكون للمسند إليه . ويدخل تحته المبتدأ والفاعل ونائبه . والمسند أيضاً . ويدخل تحته خبر المبتدأ والصفة التي يبتدأ بها نحو هل قائم أخواك فإنها مسندة إلى ما بعدها . وذلك بحسب الوضع فلا يشكّل بما تخلف عنه لعارض . وفي قوله اعتمد إشارة إلى ذلك .

٤ الاسم إذا جرد لفظاً فهو المبتدأ والمسند الذي يليه خبر له . أراد بقوله لفظاً ما يقوم به الابتداء وهو التجرد عن العوامل اللفظية . واحترز بقوله التالي عن المسند السابق في نحو هل قائم أخواك فإنه ليس بخبر . ولا يشكّل بنحو قائم زيد لأن العبارة بالوضع .

٥ المسند إليه إذا لم يكن مجرداً فإن كان فعله قد قام به فهو فاعل وإلا فهو نائب الفاعل .

٦ يقول إن النصب لما تعلق به الفعل على غير جهة إسناده إليه . ويدخل تحت ذلك كل ما سوى الفاعل ونائبه من متعلقات الفعل .

٧ إن كان ذلك الاسم هو نفس الفعل الذي تعلق به في المعنى فذلك هو المفعول المطلق نحو ضربت ضرباً . فإن الضرب في المعنى هو نفس الفعل المتعلق به .

٨ إذا وقع الفعل على الاسم الملايس له فهو مفعول به . وإلا فإن وقع الفعل بمصاحبه فهو المفعول معه .

أَوْ لَا فِقْبِهِ أَوْ لَهُ أَوْ دُونَهُ إِنْ كَانَ ذَاكَ وَبِهِ يَدْعُونَهُ^١
أَوْ لَا فَمَا يُبَيِّنُ الصِّفَاتِ حَالٌ وَتَمْيِيزٌ مُبِينٌ الذَّاتِ^٢
وَإِخْفَاضٌ قَدْ خُصَّصَ بِالْمُضَافِ إِلَيْهِ مُطْلَقًا بِلا خِلَافٍ^٣
وَتَابِعٌ مَآرٍ إِنْ يُقْصَدُ حَصَلَ بِالْحَرْفِ عَطْفٌ وَبِلا حَرْفٍ بَدَلٌ^٤
أَوْ لَا فَتَأْكِيدٌ لِتَقْرِيرٍ وَمِنْ وَصْفٍ لِكَشْفِ صِفٍ وَمِنْ ذَاتِ ابْنِ^٥
وَيُرْفَعُ الْفِعْلُ إِذَا تَجَرَّدَا وَهُوَ جَمِيعًا عَامِلٌ مُطَرِّدًا^٦
وَحَيْثُمَا اخْتَصَّ بِجُمْلَةٍ نَصَبٌ مَا بَعْدَ مَرْفُوعٍ لَهُ كَيْفَ انْقَلَبَ^٧

١ إن لم يكن كذلك فإن كان قد وقع الفعل فيه فهو مفعول فيه . أو لأجله فهو مفعول له .
أو كان قد وقع خلواً منه فهو المفعول دونه أي المستثنى وهي عبارة الجوهري . وذلك لأن
قولك قام القوم إلا زيدا يفيد قيامهم دونه وهو ظاهر .

٢ إن لم يكن شيء من ذلك فما يبين الصفة منه فهو الحال . وما يبين الذات فهو التمييز . واعلم
أن الذات أعم من أن تكون مذكورة أو مقدره فيشمل تمييز النسبة .

٣ يقول إن الإخفص يختص بما يضاف إليه مطلقاً أي على كل حال . فيدخل تحته المضاف إليه
اللفظي والمعنوي والجمل المضاف إليها كقمت حين قام زيد . فإن الجملة مخفوضة المحل
بإضافة الظرف إليها .

٤ يقول : إن التابع لهذه المذكورات إن كان مقصوداً بالنسبة بواسطة حرف فذلك هو العطف
نحو جاء زيد وعمرو . فإن عمراً مقصوداً بنسبة المجيء إليه أيضاً وذلك بواسطة الواو .
وإن كان مقصوداً بدون حرف فهو البدل نحو قام أخوك زيد . فإن زيدا مقصوداً بالنسبة
ولكن بدون حرف .

٥ أي وإن لم يكن كذلك فإن أفاد تقريراً فهو التوكيد لأنه يقرر النسبة أو الشمول . وإن أفاد
إيضاحاً فإن كان صفة فهو النعت . وإن كان ذاتاً فهو عطف البيان .

٦ الفعل المعرب يرفع إذا تجرد عن الناصب والجازم . واستغنى عن تقييده بالمعرب هنا لمسا
سبق في أول الأبيات . والفعل جميعه عامل قياساً مطرداً . فلا يخلو من عمل في مذكور أو
مقدر سواء كان معرباً أم مبنياً ، مشتقاً أم جامداً .

٧ يقول إن الفعل الذي يختص بدخوله على الجملة وهي المبتدأ والخبر يرفع ما أسند إليه
وينصب ما يليه كيف كان . والمراد بذلك الأفعال الناسخة للابتداء فإنها تختص بالدخول
على الجمل الاسمية .

فإن كفاه واحد فهو خبر^١ أو لا فمفعول على نسخ الاثر^١
والحرف عامل إذا اختص^٢ فما بمفرد اسم خص جرأ لزم^٣
أو جملة فإن يكن كالفعل^٣ ينصب فيرفع بخلاف الأصل^٣
وشبه فعل النفي مثله جعل^٤ فإن نفي الجنس على العكس حمل^٤
وما يخص الفعل بما غيرا^٥ زمانه ولبس كالجزم يرى^٥
إن يكفه مستقبل دون طلب^٥ ينصب ، وبقية به الجزم وجب^٥
والاسم إن ضمن معنى عامل^٦ سواء يعمل مثله كالحامل^٦

١ هذا تفصيل لمعاملات هذه الأفعال . يقول : إن كانت تكتفي بمعمول واحد بعد المرفوع فهو خبر وذلك في باب كان وكاد . وإن طلبت معمولين أو ثلاثة نصب ما تطلبه على المفعولية بناء على نسخ أثر الابتداء والخبرية .

٢ يقول : إن الحرف يعمل بشرط اختصاصه . فما اختص بالاسم المفرد عمل فيه الجر وهو الاعراب المختص بالاسم . فإن لم يختص كهل ونحوها لم يعمل .

٣ أي أن الحرف إذا اختص بدخوله على الجملة فإن كان يشبه الفعل ينصب ما يليه ويرفع الآخر عكس عمل الفعل فإنه يرفع ثم ينصب . والمراد بهذه الأحرف إن وأخواتها فإنها تشبه الأفعال في معناها وهيئتها لأنها على ثلاثة أحرف فصاعداً وهي مفتوحة الأواخر ، ولذلك يقال لها الحروف المشبهة بالأفعال .

٤ أراد بشبه فعل النفي ما ولا التافيتين المشبهتين بليس وما حمل عليهما وهو إن ولات . فإن هذه الأحرف تعمل عمل ليس في رفع الاسم ونصب الخبر . وقوله فإن نفي الجنس إشارة إلى لا ، فإنها إذا أريد بها نفي الجنس تعمل عكس هذا العمل فتنصب الاسم وترفع الخبر .

٥ يقول في هذين البيتين : إن الحروف التي تخص الفعل مما يغير زمانه وليست كالجزم منه هي التي تعمل فيه . لأنها إن لم تغير معناه بتحويل زمانه لا تغير لفظه بتحويل إعرابه . وإذا كانت كالجزم منه مثل سين الاستقبال لا تعمل فيه ولو غيرت زمانه من الشروع إلى التخصيص لأن جزء الكلمة لا يعمل فيها . ثم يفصل هذا العمل فيقول إن هذه الحروف إذا كانت تكتفي بفعل مستقبل خالية من معنى الطلب كما في أن المصدرية تنصبه . فإن تخلف قيد الاكتفاء بالفعل الواحد كما في إن الشرطية أو قيد بقاء الاستقبال كما في لم أو قيد الحلو عن الطلب كما في لام الأمر عملت الجزم .

٦ يقول إن الاسم ليس له حق في العمل . غير أنه إذا تضمن معنى عامل غيره يعمل عمله كأنه حامل له . وذلك في الصفات والمصادر وأسماء الأفعال فإنها تتضمن معنى الفعل وتعمل عمل ما تضمنت معناه منه . وفي أسماء الشرط فإنها تتضمن معنى ان الشرطية وتعمل عملها .

ورُبَّمَا أُعْمِلَ بِالتَّشْبِيهِ مَا لَيْسَ لِلْإِعْمَالِ حَقٌّ فِيهِ ١
 وَجُمْلَةٌ حَلَّتْ مَحَلَّ الْمَفْرَدِ لَهَا بِإِعْرَابٍ مَحَلًّا ٢ قَلْدٌ ٣
 وَقَلٌّ مَا نَدَّ ، وَهَذَا يُعْتَمَدُ كَأَحْرَفِ الْمِجَاءِ حَتَّى فِي الْعَدَدِ ٣

قال : فعجيب القوم من ذلك الجمع الضابط ، والسرد الرابط . وقالوا :
 علم الله الذي أنزل الفروض ، إنما لأجمع من قولهم كل شرفاء ولود وكل
 سكاء بيوض . فمن ضارب هذه الحديقة ، وناسج هذه البردة الصفيقة ؟
 قال : هو صاحبكم الذي لا يصحب بنات غير . وقد صرفت عليها سنة ٥

١ يقول : إن الغير العامل قد يشبهه بالعامل فيعملونه . كالاسم الجامد الواقع مبتدأ فإنه
 يرفع الخبر في الأصح . وإنما عمل فيه لأنه طالب له طلباً لازماً وأصل العمل للطلب . فشبهوه
 بما يعمل فأعملوه . وكذا الواقع في باب التمييز نحو ملكت عشرين عبداً . فأنهم شبهوا ذلك
 بالضاربين زيدا فأعملوه . ومن ذلك الصفة المشبهة فإنهم يمتنعون عمل اسم الفاعل لشبهها
 به . وهي لا تستحق العمل لدالتها على الثبوت بخلاف الفعل .

٢ يقول ان الجملة التي تحمل محل المفرد يعطى محلها من الاعراب ما يستحقه ذلك المفرد كالواقعة
 خبراً أو حالاً أو مضافاً إليها وغير ذلك .

٣ أي قل ما شرد من هذه الخظيرة . وذلك إما باعتبار الفروع كأحكام المنادى ، أو باعتبار
 الضوابط كخروج واو المصاحبة عن عمل الجر مع اختصاصها بالاسم المفرد . ثم يقول :
 إن هذه الأبيات تعتمد كالأحرف الهجائية في كونها واقعة بحيث تتألف منها مسائل شتى
 في النحو كما يتألف الكلام من الأحرف الهجائية . وقد تم هذا الشبه بكونها موافقة لأحرف
 الهجاء في العدد ، وهي تسعة وعشرون في الصحيح ، وقد جمعها بعضهم بقوله :

غيث خصب طوق عز ظله تاج ذكر ضد مفش أحسن

وكذلك هذه الأبيات باعتبار أن كل شطرين منها بيت كما جرى عليه شرح الخلاصة
 وغيرها حيث يقولون حاصل ما في البيت مثلاً ويعنون به الشطرين كليهما .

٤ الشرفاء : الطويلة الأذن ونقيضها السكاء . يعنون بذلك أن ما كان لها أذن من إناث الحيوانات
 فهي تلد . وما ليس لها أذن تبيض . وهو ضابط يجري على كل أنثى من الناس والبهائم
 والطيور . فيقولون إن هذه الأرجوزة قد جمعت من مسائل النحو فوق ما جمعت هذه العبارة .
 ضارب : مقم . الصفيقة : المتلذزة المتينة .

٥ صاحبكم : يعني نفسه . لا يصحب بنات غير : أي لا يأخذ كلام غيره .

كحوليات زهيراً . لكنني طالما كتبتُها عمَّن لا يعرفُ قدرَها، ولا يؤدي مَهْرَها . قالوا : قد استكرمتَ فارتبِطَ، وقد جتَ سهامُك فارتبِطَ^١ . لكن ذلك يُرتب ، على أن تملئها فتكتب^٢ . قال : نعم فاكتب يا بُني، واندفق في إملأها علي^٣ . حتى إذا فرغنا من تعليق الأساطير ، انهالت علي^٤ الدراهم^٥ وعليه الدنانير . فلما أفعم الإناء ، ودع القوم وأحسن الشفاء ، فشيءوه^٦ إلى الفناء . وخرج بي بعدو كالطريد ، حتى انتهينا إلى باب البريد^٧ ، فقال : كيف أنت وقصة من تُريد^٨ ؟ قلت : على ما تريد . فدخل بي إلى غرفة أبي من قصر غمدان ، على ودقة^٩ أهبج من شعب بوان . وقال : يا ليلي الهاجدة^{١٠} ، قد تلوت لك سورة النجم فعليك بسورة المائدة . فقالت :

أهلاً بمن زارَ دارَ أهل ، وهوَ لنهرِ الجزورِ أهل^١
تطابقَ الضيفُ مع قِراه^٢ ذاك سهيل^٣ وذاك سهيل^٤

قال : فابتدَرتها بالتغلية ، وقلت من غير تروية^٥ :

- ١ زهير : هو زهير بن أبي سلمى المزني لم يكن يشهر قصائده حتى يأتي عليها حول . ولذلك لقيت بالحوليات .
- ٢ قد استكرمت فارتبِط : مثل . يعني قد نزلت على كرام فارتبِط مطيبتك . فلجت : فازت وظفرت . فاغتبط : من الغبطة وهي حسن الحال .
- ٣ أي لكن هذه الكرامة لك تتوقف على أن تملئ علينا هذه الأرجوزة فتكتبها .
- ٤ الفناء : ساحة الدار . باب البريد : مكان بدمشق .
- ٥ تُريد : طعام من اللحم واللبن والحبز .
- ٦ قصر غمدان : قصر باليمن يوصف بالرونق والزخارف . ودقة : روضة خضراء . شعب بوان : مرج ببلاد فارس .
- ٧ الهاجدة : المصلية ليلا .
- ٨ قالت ذلك لأنها لما قال أبوها قد تلوت لك سورة النجم عرفت أن المراد بذلك سهيل .
- ٩ التغلية : السلام من بعيد . تروية : تفكير .

بعضُ السَّهَيْلِينَ زَارَ لَيْلَى فِي اللَّيْلِ ، وَالْبَعْضُ زَارَ لَيْلَى
فَذَا سُهَيْلٌ وَذَا سُهَيْلٌ ، وَذَلِكَ لَيْلَى وَتِلْكَ لَيْلَى

قالت : حياك الله يا أبا عبادة ، ومنتعنا منك بالوفادة^٢ . انت في ضيافة
الوالد والولد ، ما دمت حيا لهذا البلد . فمكثنا ريثما انقضى شهرا قمحا^٣ ،
وقال السفر : حي على الفلاح . فاستوى كل على مطيته ، وعاد لطيته^٤ .

١ مفعول به لا فيه . جعل ظهوره في الليل بعد خفائه بمنزلة قدوم الزائر بعد غيبته .

٢ الوفادة : الزيارة .

٣ الولد : تريد نفسها . شهرا قمحا : أشد الشتاء برداً . وهما في مقابله شهري ناجر في الصيف .

٤ حي على الفلاح : طاب السفر . مطيته : ركوبته . لطيته : للمكان الذي يقصده .

المقامة الثانية والعشرون

وتعرف بالسوجية

أخبر سهيل بن عبّاد قال : أردتُ الخروجَ إلى سَروج^١ . لعلني أجِدُ
لأبي زيدٍ أثرًا أتيمّن به^٢ ، أو أعرُ على أحدٍ من عقبه . فحسرتُ عن ساقِي^٣
ويدي ، وقلتُ : سَروجَ ياناقَ فسيري وخدي . وما زلتُ أستغرقُ اليوم^٤
رَمَلًا ، وأتخذُ الليلَ جَمَلًا . حتى كنتُ في ليلةٍ أُغِيرُ وأنجِدُ ، وأسترشدُ^٥
ولا مُرشدٍ ، وإذا راكبٌ يُنشد :

أبئها الناقه^٦ إن طال السفر لا تجزعي منه ، فقد طال الحضر
أقمت شهرَ صفرٍ حتى صفرَ وقد أتى شهرُ ربيعٍ واشتهر^٦
فبادري لا تقفي إلى السحر وصابري فإنني بمن صبر
سيان عندي كلُّ وردٍ وصدرٍ وكلُّ نومٍ عند جفني ومهَر^٦

١ سروج : مدينة في أرض الجزيرة بين الفرات ودجلة . وإليها نسبة أبي زيد السروجي الذي
بنى الشيخ الحريري مقاماته عليه . وهو المراد بقول سهيل لعلي أجسد لأبي زيد أثرًا
كما سترى .

٢ عقبه : نسله . حسرت : شعرت .

٣ خدي : أي اسرعني . وهو تضمين من أبيات الحريري في مقاماته . استغرق : يقال استغرق
الشيء إذا أحاط بجملة .

٤ الرمل : بين المشي والركض . يقال : اتخذ الليل جملا : أي ساره كله . أغير وأنجد : أي
أهبط إلى الغور وهو المكان المنخفض ، وأصعد إلى النجد وهو المكان المرتفع .

٥ صفر : فرغ .

٦ سيان : مثنى سي وهو المثل . الورد : القدوم على الماء . الصدر : الرجوع عن الماء .

أطوى وليس للطوى بي من أثر وأخبط الليل على غير حذر^١
يؤنسي سهيل إن غاب القمر^٢

قال : فلما سمعت هذه الأبيات الحماسية ، استنشيت منها النجعة^٣
الجزامية^٤ . فقلت :

سهيل أرض أم سهيل الفلك يا أيها اللابس ثوب الخلك^٥
إنك عندي ملك في ملك^٥

فنزل الرجل وقال : ما لنا وسرى الليل ، إذا طلع سهيل ، رُفِع
كيلٌ ووضع كيل . فوثبت إليه كأي فراس ، وإذا كلتنا في فراسته^٦
إياس . وقضينا غابر ليلتنا في تلك البطح ، إلى أن تبلج وجه الصباح ،^٧
فنهض وقال : أين الوجهة يا صاح ؟ قلت : قد ملكت دهرآ ، فأدلني^٨
شهرآ . قال : أنا إمعة لك في هذه المرة ، ولو نزلت بي على أبي مرّة !^٩
فسرت بين يديه كالليل ، وسار في إثري كالليل . وأخذنا نحترق الأدغال

١ أطوى : أجوع .

٢ سهيل : نجم صغير .

٣ يريد أنه استنشق منها رائحة ميمون الجزامي .

٤ الخلك : شدة السواد . كنى به عن سواد الليل الذي كان يستره .

٥ أي أنك عندي واحد من الملائكة قد حل في جسم ملك من البشر .

٦ رفع كيل ووضع كيل : مثل يريدون به أن هذا النجم إذا طلع تنقضي أيام الحر وتقبل
أيام البرد فيتركون حوائج ذلك ويأخذون في حوائج هذا . وهذا الرجل يقول المثل
مريداً به ترك السفر وأخذ النزول في ذلك المكان . أبو فراس : الأسد . الفراسة : صدق
النظر والظن .

٧ إياس : هو إياس بن معاوية الذي يضرب به المثل في الفراسة والحذاقة . غابر : باقي .
البطح : الأراضي المنخفضة .

٨ يا صاح : يا صاحب . فأدلني : أي فاعطني الدولة .

٩ إمعة : تابع مطيع . أبو مرّة : إبليس .

والشواحين ، ونزِدُ العَذْبَ والآجِنَ ، حتى دخلنا سَرُوجَ في صُبْحِهِ يومٌ^١
 داخِلٌ . فترجَلْنَا عن أنضائنا الطليحة ، ونزلنا في غرفةٍ مَفسِيحة . ولَسْنَا هناك^٢
 بِضِعاً من الليالي ، نتفقَدُ البرجَ المشيدَ والطللَ البالي ، ونلتَمِسُ آثارَ من^٣
 كان في العَصْرِ الحَالِي حتى كان يومُ المِهْرَجَانِ ، فَضَبَّتْ مَخَالِبُ الشَّيْخِ^٤
 بالصَوْرَجَانِ ، وقال : هذا يومٌ يَجْتَمِعُ فيه الإنسُ والجَان . وخرج بي في
 صَدْرِ ذلك اليوم ، حتى انتهينا إلى مُنتَدَى القوم . فوجدنا هناك فِجَاجاً^٥ ،
 وماءً ثَجَاجاً ، وناساً يدخلون أفواجاً . فتوسَّمُ الشَّيْخُ أوجُهَ الناسِ ، وجلس^٦
 عن جانب أوجِههِ الجُلَاسِ . فلما سَكَنَتِ الضَّوْءُ ، أعرَضَ بوجهِهِ إلى
 الفِضَاءِ . وقال : يا أبا عُبَادَةَ إني قد أزمعتُ السَّفَرَ ، ولا أدري هل يجمعُ بيننا
 القَدَرُ . فخذتُ عني ما أَلْقِيهِ إِلَيْكَ ، واللهُ خَلِيقَتِي عَلَيْكَ . قُلْتُ : أَطْرِفُ بما
 عندَكَ ، لا ذَفْتُ فَمَقْدَكَ ، ولا حَمَيْتُ بَعْدَكَ . فقال : يا بُنِي إِذَا رَكِبْتَ
 متنَ الصَّحْرَاءِ ، فَاطْلُبْ خَدَّ العَذْرَاءِ . وَإِذَا نَمَتَ فَاعْتَنِقِ الصَّبِيَّ ، ولا تُصَلِّ^٧
 على النبيِّ . واقنَعِ بالسَّمْرَاءِ ، إِذَا عَزَمْتَ البِيضَاءَ . واثمَبِ من كَأْسِ الفَاجِرِ ،^٨

- ١ الشواحين : الأودية الكثيرة الشجر . الآجين : الماء المتغير الطعم . اللون
- ٢ يوم داخن : فيه غيوم . أنضائنا : ركائبنا المهزولة . الطليحة : التي جهدها السير .
- ٣ المشيد : المرفوع . الطلل : رسم الدار . نلتمس : يقال التمسه أي طلبه مفتشاً عنه .
- ٤ المهرجان : موسم يكون في أيام الحريف تخرج الناس فيه للتزوه . وهو من أعياد الفرس كالنيروز . ضببت : علقت . المخالب : أظفار السباع استعارها له تشبيهاً بها في الافتراس .
- ٥ الصورجان : عود منعطف الرأس .
- ٦ فجاجاً : طرقات واسعة بين جبال .
- ٧ ثجاجاً : مندفعاً . توسم الشَّيْخُ أوجه الناس : تفرس فيها .
- ٨ أوجه : أفضل .
- ٩ متن الصحراء : البرية . والمراد إذا سافرت . خد العذراء : لقب الكوفة . وإنما أمره بطلبها لأنها مدينة العراق الكبرى . الصبي : السيف .
- ١٠ النبي : الطريق . السمراء : الخنطة كناية عن الخبز . عزت : قل وجودها . البيضاء : الفضة . الفاجر : مستنبت الماء من ينبوع .

لامن كأس التاجر. وتصدق على الأمير ، بجنى غرس الفقير. وإذا كلتفت^١
حمل الجنازة، فاطلبُ المفازة. وإذا اعتمدت السلب في الليل، فعليك بنهب^٢
الحيل . وإذا دخلت الحلقة فاحذف السلام ، واقتصر على ما كذب من^٣
الكلام . وحرّم الصبر على الأسير ، والجبر على الكسير . واقطع السواعد،^٤
ولا تتبع القواعد . واختر من النساء العليلة المنتصفة ، واحذر المتجملة^٥
المتعفة . وأعرض عن الشافع ، إلى الدافع ، وانحر الشاري كالبايع .^٦
واضرب الساعي ، بعصا الراعي. وفضل القوافل ، على النوافل . والغريب،^٧
على النسيب . والإجارة، على الإمارة. وقدّم زيارة الميت، على حج البيت .^٨
واحذر لنفسك من الصوم، وادخل السوق عند النوم . واتبع ملاح الجوّاري، ولا^٩

- ١ التاجر : بائع الخمر . الأمير : قائد الأعمى . غرس الفقير : حفرة ترك حول النخلة الصغيرة ليجتمع فيها ماء المطر .
- ٢ الجنازة : زق الخمر . المفازة : النجاة أو الفلاة . السلب : السر .
- ٣ نهب الحيل : نوع من الرقص . أي اسرع لثلاث يدركك سوء . احذف السلام : خففه ولا تطل به . كذب : وجب . ومنه قول الإمام عمر : كذب عليكم الحج أي وجب .
- ٤ الصبر : الحبس إلى أن يموت المحبوس . الجبر : القهر والاعتصاب . اقطع السواعد : اعبّر مجاري المياه .
- ٥ القواعد : النساء اللواتي لم يتزوجن . العليلة : المطيبة مرة بعد أخرى . المنتصفة : المستترّة بالصيف وهو الخمار . المتجملة : التي تأكل الشحم .
- ٦ المتعفة : التي تشرب فضلة اللبن . الشافع : الشامة في الخد . كناية عن المنظر الحسن . الدافع : الناقة التي يدر لبنها من نفسه . الشاري : واحد الشراة وهم طائفة من الكفار . البائع : ولد الظبي .
- ٧ الساعي : النمام . الراعي : الوالي . القوافل : الرفاق في السفر . النوافل : أولاد الأولاد . الغريب : يريد الغريب من الكلام .
- ٨ النسيب : التنزل في النساء . الإجارة : من قولهم : أجاره إذا حمّاه من يطلبه بسوء . الإمارة : من قولهم أماره إذا أعطاه زاداً . الميت : المريض بنحو العشي والصرع . حج البيت : زيارة القبر .
- ٩ الصوم : القيام بلا عمل . النوم : الكساد . الملاح : الريح التي تجري بها السفينة . الجوّاري : السفن .

تتبع الكاتب والقاري ، واطرِدِ اللابس وأكرمِ العاري . وافترس الليل^١
والنهار، حتى يتيسر لك الفرار. واحرص على الأعراض دون الجواهر، واعدل^٢
عن المسلمات إلى الكوافر . وكُنْ من العواطل ، ولا تحاول قطع خيط^٣
الباطل . وأنكر الشهادة، حيث لا ترى الإفادة . واضرب كبد الإمام ،
واستعد الله^٤ ما بقيت والسلام . قال : وكان القوم قد أرعوه سماعاً ،
فأنكروا عليه إجماعاً . لكنهم اعتصموا بالحزم ، فصبروا كما صبر أولو العزم^٥ .
حتى إذا فرغ من توصيته ، أخذوا بناصيته . وقالوا : أولى لك^٦ يا سؤلة
عدوان ، وهيلة غطفان ، قد أمرت بالسوء ونهيت عن الإحسان ! فأرغى^٧
الشيخ وأزبد، وقال : ما أشبهكم بولد الخليل بن أحمد^٨ . لو كنتم تعلمون

- ١ الكاتب : الذي يخرز القرية إذا انشقت . القاري : صانع الضيافة . يريد أنه إذا ركب البحر مبتعداً فذلك خير له من اتباع هذين لئلا يظن أنه قد تبعهما طمعاً في الطعام والشراب . اللابس : المدلس . العاري : الضيف . الليل : ولد الكروان . وهو طائر .
- ٢ النهار : ولغة الحبارى . وهو طائر آخر . الفرار : حماز الوحش : أي اتنع بالقليل حتى يتيسر لك الكثير . الأعراض : جمع عرض بالكسر . الجواهر : الحجارة الكريمة .
- ٣ المسلمات : اللواتي يبتدان للرجال . الكوافر : المستترات . العواطل : الذين تركوا الأعمال .
- ٤ خيط الباطل : ما يدخل من الكوة من شعاع الشمس كالخيل . أي كن متعتلاً فارغاً من العمل ولا تعمل عملاً لا فائدة فيه ولا أثر له كمن يريد قطع هذا الخيط . أنكر : لا تقبل . الشهادة : الحضور . اضرب : اقرع . كبد : وسط . الإمام : الطريق . أي اسلك في وسط الطريق غير منحرف إلى أحد الجانبين .
- ٥ استعد الله : استعن به .
- ٦ اعتصموا : تمسكوا . الحزم : ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة . أولو العزم : قيل المراد بهم : نوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف وأيوب وموسى وداود وعيسى .
- ٧ أولى لك : كلمة شتم وتهديد .
- ٨ شولة عدوان : جارية كانت لبني عدوان وكانت تصحبهم فتعود نصيحتهما عليهم وبالا ، فصارت مثلاً . هيلة غطفان : عزة كانت عند بني غطفان تنطح من يأتيها بالعلف وتأنس بمن يجلبها . كنى بذلك عن معاكسة الواجب .
- ٩ هو الخليل بن أحمد الفراهيدي مستنبط علم العروض .

ما وراء القدماء ، من صفوة المدام ، لتتكص عليكم الملام . قالوا : فارفع^١
 الغشاء^٢ ، ولك عندنا ما تشاء . قال : علم الله أنكم لو دخلتم البيوت من
 أبوابها ، لكنتم أهلها وأولى بها . أما الآن وقد لقيت منكم الأمرين ، وجاوز^٣
 الحزام^٤ الطبيين ، فلأصليبتكم بنارين ، ولا أبيعكم العبارة إلاً بدينارين^٥ .
 فأذعن القوم لحكمه ، إذ رأوا طليعة عليه ، وقالوا : قد كتبك الصيد^٥
 فارمه . حتى إذا فتق ، ما كان قد رتق^٦ . صاحت الجماعة : الله أكبر !
 قد نشر السروجي^٧ قبل يوم المحشر . قال : إننا قد أحصينا كل ذلك عدداً ،
 ولو شئنا لجئنا بثله مدداً . فنفعوه بالدنانير ، وألقوا إليه المعاذير . قال^٨
 سهيل^٩ : فلما تلقف المال أشار إليّ ، وقال : إن كنتم قد نسيتم الراشن فعلي^٩ .
 فحصبوني بدريهمات ، وقالوا : لا تأس على ما فات . فخرجنا نجر^{١٠}
 الذبول ، وراح الشيخ يقول :

يارب يوم قد قرعت الظنوب مندققاً فيه اندفاق الشؤبوب^{١١}

- ١ القدماء : ما يوضع في فم الإبريق ليصفي به ما فيه . المدام : الخمر . نكص : رجع .
- ٢ ارفع الغشاء : أي اشرح لنا .
- ٣ لو دخلتم البيوت من أبوابها : أي لو طلبتم ذلك بالطريق المأنوس . الأمرين : أي الجهد والبلاء ، وهو مثل .
- ٤ جاوز الحزام الطبيين : مثل ، أي بلغ الأمر غايته . والطبي حلمة الضرع من الخيل وغيرها . أصليبتكم : أحرقتكم .
- ٥ الطليعة : مقدمة الجيش . أي لما سمعوا كلامه الذي يدل على بلاغته كما تدل الطليعة على قدوم الجيش . كتبك : قاربك .
- ٦ رتق : خاط . أي شرح ما كان قد أهدم .
- ٧ نشر : عاد إلى الحياة . السروجي : يريدون أبا زيد الذي بنى الحريري مقاماته عليه . وذلك مبالغة منهم في التشبيه .
- ٨ مدداً : كثيراً . نفعوه : أعطوه .
- ٩ الراشن : ما يعطى لتلميذ الصانع حلواناً .
- ١٠ حصبوني : أصابوني . تأس : تحزن .
- ١١ الظنوب : عظم الساق . وذلك كناية عن الجد والإسراع . الشؤبوب : الدفعة من المطر .

أشربُ بالزَّقِ وأسقي بالكوب ، والناسُ بينَ غالبٍ ومغلوبٍ^١
أنا أبو ليلى وسيفي المعلوب^٢

فقلت :

أنتَ الحزَامِيُّ الذي يشفي الضنَى طافَ بك المدحُ ، فمن رامَ الثنا
لقبَ أو سمى وإن شاء كُنْتِي ،^٣ أرسلَكَ اللهُ حديقهً لنا
فيها نِزَاهَةٌ وظِلٌّ وجنَى !^٤

قال : أكرمتَ يا سهيل ، فشمرَ الذيلَ ، وبادرِ الليل . قلت : إني لك^٥
أطوعُ من ثوابٍ ، وأتبعُ من البادية لمواقع السحاب . وخرجتُ في صحبته^٦
تلك الليلة إلى السواد ، وكننتُ أوْدُهُ لو أصحمه إلى بركِ العِمَادِ .^٧

١ الزق : إناء للخمر من جلد الكوب : الكوز الذي لا عروة له . يريد أنه لا يزال متغلباً
على الناس ينال منهم الكثير ولا ينالون منه إلا قليلاً .

٢ المعلوب : سيف الحرث بن ظالم المري . قتل خالداً الكلابي بثأر زهير العبيسي فلحقت به
جنود الملك الأسود فقاتلهم . وقتل منهم وجرح فكفوا عنه . فمضى لسبيله وهو يقول :
أنا أبو ليلى وسيفي المعلوب .

٣ لأن في جميع أسمائه ثناء عليه : الحزَامِيُّ ، ميمون ، أبو ليلى .

٤ جنى : ثمر .

٥ وبادر الليل : اسبق قبل أن يدجي علينا .

٦ ثواب : هو رجل بن العرب سافر سقراً طويلاً ثم أنقطع خبره ، فنذرت امرأته إن جاء
أن تخرم أنفه وتجيء به إلى مكة . فلما قدم أخبرته بذلك ، فأطاعها عليه ، فضرب به المثل .
أتبع من البادية لمواقع السحاب : ذلك لأن العرب يتبعون في زروطم الأراضي المطورة
طلباً للمراعي .

٧ السواد : أي سواد العراق . برك العِمَاد : يقال إنها آخر معمورة في الأرض .

المقامة الثالثة والعشرون

وتعرف بالموصلية

قال سهيل^١ بن عبّاد: شخصت^٢ من حَلَبَ الشهباء، إلى الموصِلِ الحدباء^١.
حتى إذا دخلتها أتيت^٢ الحان ، وإذا شيخنا الحزامي^٣ في حجرة على الحوان .
فلما رأني وثب^٢ عن الطعام، وابتدرني بالسلام. فابتهجت^٢ به ابتهاج الساري^٢
بالقمر ، ونسيت^٢ ما مر^٢ بي من بوارح^٣ السفر . ثم جلسنا نتناول^٢ ما طهت^٢
ليلي من الألوان ، وهي تختلف^٤ إلينا باللحوم والألبان . فقال الشيخ : قد
جمعنا بين ليلي وعمّها ، أفلا نجتمع بين ليلي وأمتها ؟ فما لبثت أن جاءت^٥
بزوجة بيضاء ، فيها سلاقة^٦ سوداء . وقالت : ما أحسن الليل ، إذا اجتمع
بسهيل إقال: وكان في الحضرة فتى من ركب القيروان ، عليه مطرف^٧
من الأرجوان . فعلق^٨ الجارية^٨ وافتتن^٨ بها ، لما رأى من ظرفها وأدبها .
فقال : ليس في الموصِلِ ، إن شاء الله ، إلا صلة^٩ الحبل^٩ ، واجتماع الشمل .

١ الشهباء : لقب حلب . الحدباء : لقب الموصل .

٢ ابتدرني : سبقني . الساري : الماشي ليلاً .

٣ بوارح : شدائد .

٤ تختلف : تتردد مرة بعد أخرى .

٥ عمها : أي سهيل . ليلي وأمتها : أراد الخمر السوداء لأنهم يقولون لها أم ليليل .

٦ سلاقة : خمر .

٧ القيروان : القافلة . مطرف : ثوب .

٨ علق الجارية : تعلق قلبه بها .

٩ صلة الحبل : يريد اتصاله بها تفاؤلاً باسم الموصل وهو قد أضمر في نفسه الزواج بها .

فقلت : إذا اجتمع الرجلُ بأهله ، فسيُغنيه اللهُ من فضله . ففطنَ الشيخُ ذو الهول والغول ، لما دارَ بينهما من لحنِ القول . وقال : قد قضى اللهُ باليسرى ، فلكَ البشرى . واعلم أنه قد خطبَ إليَّ أكرمُ الأصهار ، على ٢ مَهْر ألف دينار . فلم يسمح بفراقِ جَنَّتِي جناني ، ولم يَطِبْ عن روعي وراحي ورَجائي . غير أنَّ البيعَ مُرتَخَصٌ وغال ، فلا يجوزُ بيننا المال . ٣ قال : إن في يدي مائةَ دينارٍ إن كانت تكفيها ، فبُورِكَ لك فيها . قال : هيئات ، ولكن هات ! فلما قبضَ المال قال : جُعِلَ مُباركاً أبنا كان ، ولكن تُنظِرُنِي ، هُنَيْهَةٌ من الزمان . فتواعدا إلى أجلٍ مُسمًى ، وذهبَ الفتى جَدَّ لَانَ بِكشَفِ العَمَى ، وانكشافِ المعَمَى ٥ . قال : فلما حان أَجَلُ الرَّفَافِ ، أَقبلَ الفتى كالغُذافِ ٦ . فوجدَ الشِمْخَ يتأهَّبُ للرحيلِ ، ويودِّعُ من هناك من أبناء السبيلِ ٧ . فأجفَلَ الفتى أَيَّ إِجفَالٍ ، وقال : ما بالسِّمِّ ترمون الجمال ؟ قال : يا بُنِي ! إنِّي قد صرفتُ الدنانيرَ بين الجفانِ والكؤوسِ ، ٨ فلم يبقَ لي ما يقومُ بتجهيزِ العروسِ . فأردتُ أن أتحوَّلَ إلى الحِلَّةِ ٩ إذ ذاك ،

- ١ الغول : من قولهم غاله إذا أخذه من حيث لا يدري . القول : ما تخاطب به صاحبك بحيث يفهمه دون غيره .
- ٢ اليسرى : نقيض العسرى .
- ٣ راحي : خمرتي . الریحان : النباتات الطيب الرائحة . البيع مرتخص وغال : مثل قاله أحيحة ابن الجلاح الأوسني لقيس بن زهير العبسي لما طلب إليه أن يبيعه بذرعه ليثار لأبيه من بني عامر ، فقال : يا أبا عبس ليس مثلي يبيع السلاح ولا يفضل عنه .
- ٤ تنظرنِي : تمهلي .
- ٥ المعسى : الكلام الغامض . أراد به ما كان يضره ويناجي الجارية به .
- ٦ الغذاف : النسر الكثير الريش .
- ٧ أبناء السبيل : المسافرين .
- ٨ ترمون الجمال : كناية عن الرحيل . صرفتُ الدنانير بين الجفان والكؤوس : أي بين الطعام والشراب .
- ٩ الحلة : مدينة على غربي الفرات .

لأَقْضِي حَقَّهَا بِتَكْلِيَّةٍ لِي هُنَاكَ . فَأَشْهَدَ الْفَتَى أَنْ لَيْسَ لَهُ عِنْدَهُ عَرَضٌ ١ وَلَا نَقْدٌ ، وَقَالَ : هَلُمُّ إِلَى الْقَاضِي لِإِمْضَاءِ الْعَقْدِ . فَاَنْطَلَقَ مَعَهُ الشَّيْخُ وَالْجَارِيَةُ ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَهَا وَلَوْ بَقْرُطَيْ مَارِيَّةٍ ٢ . فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ الْقَاضِي قَالَ الشَّيْخُ : يَا مَوْلَايَ إِنْ هَذَا الْفَتَى قَدْ خَطَبَ أَمْرَأَتِي إِلَيَّ ، وَهِيَ غَيْرُ مُطْلَقَةٍ مِنْ عَصْمَتِي وَلَا مُطْلَقَةٍ مِنْ يَدِي . فَاعْقِدْ لَهُ عَلَيْهَا إِنْ رَأَيْتَ ، وَإِلَّا فَقُلْ لَهُ : اذْهَبْ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتَ ! فَقَالَ الْفَتَى : كَلَّا يَا مَوْلَايَ إِنَّمَا سَلِمْتُهُ ، لَا حَلِيمَتُهُ . فَقَالَ الْقَاضِي : إِنْ جِئْتَ بَيِّنَةً لِذَلِكَ ، وَإِلَّا فَقَدْ سَقَطَتْ دَعْوَاكَ . وَلَمَّا نَظَرَ الْقَاضِي إِلَى تَوَقُّفِهِ ، أَمَرَ بِطَرْدِهِ عَنْ مَوْقِفِهِ ، وَأَخَذَ يُعْتَفُّ الشَّيْخَ عَلَى سَوْءِ تَصَرُّفِهِ . فَتَبَاكَى الشَّيْخُ وَتَنَهَّدَ ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْقَاضِي وَأَنْشَدَ :

قد رَجَمَ الدهرُ بشهبِ النخسِ	حتى هَمَمْتُ بِفِرَاقِ عِرْسِي
خَوْفًا عَلَيْهَا مِنْ حُلُولِ الرُّمَسِ	لشِدَّةِ العَيْشِ وَضَنْكِ النِّفْسِ !
مَا بَرِحَتْ ، مُذْ أَرْبَعٍ أَوْ خَمْسٍ ،	تُصْبِحُ فِي مَجَاعَةٍ وَتُحْسِي !
وَلَا أَرَى فِي رِاحَتِي مِنْ فُلْسٍ	يَقُومُ بِالطَّعْمِ لَهَا وَاللَّبْسِ
وَهِيَ فَتَاةٌ مِنْ سِرَاةِ عَيْسٍ ،	أَخْوَالُهَا مِنْ آلِ عَبْدِ شَمْسٍ ٥
مَعْتَادَةٌ نَحَرَ الْمَهَا بِالْأَمْسِ ،	وَشَرِبَ أَلْبَانَ الْعِشَارِ الدُّخْسِ ٦
وَمَلَبَسَ السَّنْدُسَ وَالْدَمَقْسَ ،	لَكِنَّمَا مِنْهُ طَيْبِ ذَاكَ الْفَرَسِ ٧

١ تلية : بقية دين . عرض : واحد العروض وهي الأسباب والأمتعة .

٢ مثل يضرب في الشيء الثمين .

٣ رجم : رمى . الشهب : هي ما يظهر في الليل كأنهم نارية . ومن الناس من يتشاءم بها . عرسي : زوجتي . يريد أن يري القاضي أنه كان يريد حقيقة أن يعطي الفتى إياها .

٤ ضنك : ضيق .

٥ سراة : أشراف .

٦ المهها : بقر الوحش . العشار : النياق الوالدة . الدخس : السمان المكتنزات اللحم .

٧ السندس : الديقاج . الدمقس : الحرير . الفرس : الأصل .

قد أنفقت من ارتكاب الرجس ، فأنكرت خروجها من حبسي
وقد شكوتُ عِدَّتِي للنطسِ عساهُ يسقيني شرابَ الورسِ^١
فيكتفي الناقهُ شرَّ النكسِ^٢

ولما فرغ الشيخ من الإنشاد ، رق له القاضي حتى استهل دمه أو كاد .
وقال : أيها الشيخ لا عجب ، إذا أدركتكَ حِرقةُ الأدب . فاعتصم الآن^٣
بهذه الدُرِّيمات على أمر نفسك ، وأنفق بما رزقك أنه حلالاً طيباً واتق
الله في أمر عرسِكَ . فأخذ نَحْلَةَ القاضي وأثنى عليه بما استحق ، وقال :
مثلك من قضى الحق ، وقضى بالحق . قال سهيل : فلما فصلنا عن باحة^٤
القضاء ، وحصلنا في ساحة القضاء . قال : يا بُني أقرُب ، وخذ هذه الرُقعة
واكتب :

قلْ للذي رامَ الفِقاءَ المِحصنةَ : إن كنت تبغي شركةً عن يمينه ،
فلتنتهاياً سنةً بعدَ سنةً ، لكن هذا العامَ يقضى لي أنه^٥

١ الرجس : الدنس والإثم .

٢ النطس : الطبيب الخادق . يريد به القاضي . الورس : ثمر شجر بلون الزعفران يقع في بعض تراكيب الأدوية . كنى به عن الذهب .

٣ النكس : الرجوع إلى المرض . أي فلا يحتاج أن يفعل مثل هذا بعد ذلك .

٤ حِرقةُ الأدب : صناعته . اعتصم : استمن .

٥ نَحْلَةُ : عطية .

٦ قضى : وفى . باحة : ساحة الدار .

٧ المِحصنة : المصونة .

٨ فلنتهاياً سنة بعد سنة ، يقول : إن هذه زوجتي فإن كنت تريد أن تشاركني فيها شركة شرعية فلتكن لي سنة ولك سنة ، وهو المراد بقوله فلنتهاياً . والمهاياة من أحكام الشريعة في ما لا يحتمل القسمة كالعبد ونحوه . وهذا وما يليه من باب التهمك والسخرية على الفتى . أنه : أي أنا ، بإبدال الألف هاء .

إذ قد بدأت فيه بعض أزمته، حتى إذا ما تفدّت هذي الهته زففتها حالة مزبته، إليك إذ تبغي، بأي الأمكنة لكن على شريطة معبته تبذل لي من مهرها نصف الزنه! ثم قال: يا فلان، قد استحييت من دخولي الحان. فأرى أن تتروك الجواد وتتساب، وتأخذ ما لي هناك من الأسباب، وتلصق هذه الرقعة بالباب. ثم توافيني إلى باب المدينة، لترحل من هناك بالظعينة. قال: ففعلت كما أمر، لكنني لم أجد إلا خفًا بالياً فوافيته به على الأثر. حتى إذا أفضيت إلى الميعاد، لم أجد الشيخ ولا الجواد. فانتنيت أريد الدخول، وإذا رقعة على الرتاج قد كتب فيها يقول:

ألا قل لابن عباد بن صخر: عليك تحية، ولك البقاء
 تركت ركوبة وأخذت أخرى فراحلة براحلة سواء!
 قال: فرجعت حينئذ بخف ميمون، واستعدت بالله من مكر كل
 خؤون.

- ١ إذ قد بدأت فيه بعض أزمته: يقول إذا تهايانا فلتكن هذه السنة لي لأنني قد ابتدأت فيها فتلبث عندي إلى فراغها. فعدت: فرغت.
- ٢ يقول: متى فرغت هذه المدة اليسيرة الباقية من السنة أرسل المرأة إليك لابسة حلاها مزينة في الزمان والمكان اللذين تريدهما.
- ٣ نصف الزنة: نصف الدراهم التي وزنتها لأجل مهرها.
- ٤ الأسباب: الأمتعة.
- ٥ الظعينة: الحارية.
- ٦ أفضيت: انتهيت.
- ٧ الميعاد: باب المدينة الذي واعدته إليه.
- ٨ الرتاج: الباب العظيم وعليه باب صغير. والمراد به باب المدينة.
- ٩ كأنه يعزبه عن فقد الفرس.
- ١٠ الركوبة: الفرس. الأخرى: الخف.
- ١١ خف ميمون: إشارة إلى خفي حنين. يقول: إنه رجع بخف ميمون كما رجع الأعرابي بخفي حنين.

المقامة الرابعة والعشرون

وتعرف بالمعربة

حدثنا سهيل بن عبادٍ قال : أتيتُ معرَّةَ النُّعمانِ ، في ما مرَّ من الزمان . فطفقتُ أجوبُ في شوارعها ، وأجولُ بين أجارِها . وأنا أنسَم أخبارَ العلماءِ والشيوخِ ، وأنفقُ آثارَ بني تنوخٍ^١ . حتى دُفِعتُ إلى ضريحِ أبي العلاء^٢ ، وإذا حوله جماعةٌ من الفضلاء . وهم يُحدِّقون إلى شيخٍ عليه شارةُ الجلالِ ، كأنه من بقيةِ الأبدال . فجعلتُ أخترقُ الجمع ، وأسترقُ^٣ السَّمع . وإذا هو قد بسطَ ذراعيه ، وخلَّلَ عذارِيه^٤ . وقال : الحمدُ لله الذي جعل الحياةَ الدنيا ، طريقاً إلى جنَّةِ العليا . أما بعدُ يا أهلَ الكتابِ ، أفتعلمون ما تحتَ هذا الترابِ ؟ إن تحتَهُ رِمَمَ الأمراءِ والكُبراءِ . والعلماءِ والعُظماءِ . وذوي الجاهِ والسطوةِ ، وأربابِ السَّعةِ والثروة . وذواتِ الحُسْنِ والجمالِ ، وربَّاتِ الفضلِ والكمالِ . فإذا رفعتَ هذه الرِّضامَ ، واستنبتُم هذا الرِّغامَ . فهل لكم أن تمسُّوا تلكَ الجماجمَ ، بإحدى البراجمِ ؟ أو تتأمَّلوا^٥

١ أجارها : جمع أجرع وهو أرض ذات نبات طيب .

٢ حي من بني قضاة من عرب اليمن خرجوا من مدينة مأرب ونزل أناس منهم بمعرة النعمان وهو النعمان بن بشير الأنصاري فأقاموا بها .

٣ أبو العلاء : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي كان شاعراً أديباً مشهوراً بالذكاء .

٤ شارة : هيئة . الأبدال : قوم من الصالحين فإذا مات أحدهم أبدله الله بآخر .

٥ عذاريه : جانبي لحيته . يقال : خلل لحيته أي أدخل أصابعه بين فروجها .

٦ الحسَن يلاحظ ملاحه اللون ، والجمال يلاحظ ملاحه شكل الأعضاء . الرضام : الحجارة العظيمة . استنبتُم : نبثُم .

٧ الرغام : التراب المختلط بالرمل . البراجم : مفاصل الأصابع .

تلك الضلوع، بقلب لا يخامرُهُ الهلوع^١؟ أو تنظروا بقايا تلك الأعضاء، بعين لا يغلبُها الإغضاء^٢؟ وهل تعرفون المالك من المملوك، والغني من الصعلوك؟ والبيج، من السبيج؟ والكريم، من اللئيم؟ وهل تميزون أبا العلاء، من راعي الإبل والشاء؟ وماذا ترون من عهده، بلزومه وسقط زنده^٣؟ وأين صحّة فكره، وسلامة ذكره؟ بل أين عِزّة لسانه القائل: إني لآت بما لم تستطعه الأوائل؟ هيهات قد ضار الجميع قوماً بوراً، وجعلهم الدهر هبَاءً منثوراً! فاضمحلّت محاسنهم، واشمعلت خزائنهم، ونشلت^٤ كنائسهم^٥، وأصبحوا لا ترى إلا مساكينهم! فلدينتبيه الغافل، ولا يشتبه الغافل. وليعتبر كلُّ جبارٍ عنيد، ويذكّر من كان له قلب^٦ أو ألقى السمع وهو شهيد. واعلموا أن الله قد أرسلني إليكم نذيراً، وأقامني بينكم سراجاً منيراً، لأذكركم يوماً عبوساً قمطريراً^٧. فلا تغفلوا عن ذكر شرب تلك الكاس، وهول ذلك اليوم المجموع له الناس. واتعظوا بمن^٨

١ الهلوع : الخوف .

٢ الإغضاء : الغمض .

٣ لزومه : اسم ديوان له . سقط زنده : ديوان آخر له .

٤ كان يوصف بقوة الذكر وله في ذلك نوادر كثيرة .

٥ إني لآت بما لم تستطعه الأوائل : هذا عجز بيت يقول في صدره : وإني وإن كنت الأخير

زمانه . قيل إنه لقي ذات يوم غلاماً فسأله عن الطريق فدلّه . وسأله الغلام عن اسمه فعرفه

به . فقال أنت القائل : وإني وإن كنت الأخير . . . ؟ قال : نعم . فقال : يا جاهل ،

إن الأوائل وضعوا تسعة وعشرين حرفاً فهل لك أن تزيد عليها حرفاً واحداً ؟ فسكت وقال

لصاحبه : إن هذا الغلام لا يعيش لحدة ذهنه . بوراً : هالكين .

اشمعلت : تبيدت . نشلت : استفرغت .

٧ كنائسهم : جماب سهامهم .

٨ قلب : أي عقل .

٩ قمطريراً : شديداً .

١٠ الكاس : كأس الموت . اليوم : يوم القيامة .

تقدّمكم من القُرُون والأقران ، ومن درَج أمامكم من العِيُون والأعيان .^١
وتوبوا إلى بارئكم واندموا على ما فات ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده
ويعفو عن السيئات . واعتصموا بحفظ الفروض والسُنن ، ولا تكلّوا^٢
على خضراء الدّامن^٣ . فإن المحافظة على الصلّوات لا تُفقد من يتبع الشهوات ،
في الخلّوات . ومُكابدة الصوم ، لا تنفع من يؤذي القوم . وتجشّم^٤ الحج^٥
والعمرة^٥ ، لا يُزكّي شارب الحرة . فليس البرّ أن تؤكّلوا وجوهكم
سَطْرَ المسجد الحرام ، ولكن البرّ أن اتقى والسلام . ثم أطرق^٦
وتهدّ ، وكبّر وتشهد ، وأنغض رأسه وأنشد^٧ :

قد غفّلَ الناسُ عن اليقينِ ، وأخذوا بالوهم والظنّونِ !
لا يذكرونَ غمرةَ المَنونِ ، وموقفَ الحسابِ يومَ الدينِ^٨
وهولَ ذلك العذابِ الهونِ ، يلبثونَ بالغادةِ والميسونِ^٩

١ الأقران : جمع قرن بالكسر وهو الكف، في الحرب . العيون : أهالي البلدان . الأعيان : الرؤساء .

٢ تلووا : تعطفوا .

٣ ما تليد من آثار الدار كالمزابل ونحوها ، وهو مثل . أي لا تغفروا بالنبات المزهر على مزبلة خبيثة ؛ يريد به زخارف الدنيا .

٤ تجشّم : تكلف .

٥ العمرة : من مناسك الحج وهي الحج الأصغر .

٦ أي صاحب البر على تقدير المضاف المحذوف .

٧ كبر : قال الله أكبر . تشهد : قال أشهد أن لا إله إلا الله . أنغض : حرك .

٨ غمرة المنون : شدة الموت .

٩ الغادة : المرأة اللينة الناعمة . الميسون : الغلام الجميل .

وبالجَزورِ الْوَدَكِ السَّمِينِ ، والراحِ وَالْقَيْئَةِ والقانونِ ١
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ ائْهَضُوا فِي الْحِينِ ، وَاصْفُوا لِنُصْحِ الْمُنْذِرِ الْمُبِينِ
 لَا تَشْتَرُوا دُنْيَاكُمْ بِالْءَدِينِ ، وَلَا تَبَاهُوا بِالْحَمَا الْمَسْنُونِ ! ٢
 وَلَسَيَدْعُ كُلُّ خَاشِعٍ رَزِينِ ، بِقَلْبِ عَبْدٍ خَاضِعٍ حَزِينِ
 يَا رَبِّ خُذْ مِنِّي بِالْيَمِينِ ، وَاْمُنْ بِرُوحِ الْقُدُسِ الْأَمِينِ
 عَلِيٌّ ، وَاَقْبَلِ تَوْبَةَ الْمَسْكِينِ

قال: فلما فرغ من أبياته نكس القوم الرؤوس والأبصار، وخضعوا بين يديه كالأسرى بين أيدي الأنصار^٣. فتهلّل الشيخ بوجه صبح، وصدر مشروح، وقال: الله أكبر! قد تنزلت الملائكة والروح. فالطف، اللهم، بعبادك وكن لهم هادياً ونصيراً، وحامياً حساباً يسيراً، واكفهم خطب يوم كان شره مستطيراً. فازداد القوم على وهنهم وهناً، وصارت جبال قلوبهم عنهناء. حتى إذا أزمع المسير، عن أمّد يسير، نبدوا إليه صرة من الدنانير، وبسطوا لديه المعاذير. وقالوا: إننا ممن يطعم الطعام على حبه^٦، ويكرم الكريم على ربه. فشكر وأثنى، فرادى ومثنى، وانصاع^٧

١ الودك: الدسم. الراح: الخمر. القينة: الجارية المغنية. القانون: آلة طرب أنشأها الشيخ أبو النصر محمد الفارابي وقدم بها على سيف الدولة علي بن حمدان العدوي؛ فجرى بينهما حديث طويل أفضى إلى أن ضرب بها فأضحك كل من حضر في المجلس، ثم ضرب فأبكاهم، ثم ضرب فأنامهم وتركهم نياماً وانصرف، وكان أكبر فلاسفة المسلمين.

٢ المسنون: الطين الذي عركته الحوافر والأخفاف.

٣ الأنصار: أعوان الملك.

٤ مستطيراً: فاشياً منتشرأ. فازداد القوم على وهنهم وهناً: على ضعفهم ضعفأ.

٥ العهن: الصوف. كنى به عن اللين.

٦ على حبه: مع حبه له.

٧ الكريم على ربه: أي الذي له كرامة عند ربه. انصاع: رجع مسرعأ.

وهو يدعو بالاسماء الحسنی^١ . قال سهيل^٢ : وكنت قد عرفت الحرام
 بأنفاسه ، وإن كان قد نكّر من لباسه . فقفونته^٣ حتى أدركته عن
 كئيب ، وإذا به قد جلس بين ليلى ورجب ، وهو يقسم دنانير الذهب .
 فيقول : هذا للجزور وهذا للشراب ، وهذان للعود والرباب ! فقلت :
 تأمرون الناس بالبر^٤ ، والله يعلم السرّ ؟ فنظر إليّ بعين دحرش ،
 وزجرني بصوت دهرش^٥ . وقال : قد أردت أن أودع الدنيا ، فإني قلما
 أحيأ . وأما أنت ففي ريعان الصبا وصحّة المزاج ، فاقضم الصلصال^٦
 وتوجّر الأجاج . فأمسكت عنه مستكفياً شره^٧ ، وسدكت به حتى
 خرجنا من المعرّة .

١ الأسماء الحسنی : أسماء الله .

٢ قفوته : تبعته .

٣ بعض آية من القرآن . والأصل « تأمرون الناس بالبر وتتسون أنفسكم » فاكثف
 بما ذكره .

٤ دحرش ودهرش : من آباء الجن .

٥ اقضم : من القضم وهو أكل الشيء اليابس . الصلصال : الطين اليابس .

٦ توجر : يقال توجر الدواء إذا شربه جرعة بعد أخرى لكرهته . الأجاج : الماء الذي
 فيه ملوحة . سدكت به : لزمته .

المقامة الخامسة والعشرون

وتعرف بالتميمية

حكى سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال : رحلتُ رِحْلةً إلى البادية ، في مفازة^١
صادة . فبذلت وجهي للهجير ، ونضوي للعجارير . حتى إذا نَضَبَ الماءُ ،^٢
وقد تهلَّل وجهُ السماء ، أخذتني رِعدةُ الظِّماء . فوصلتُ السيرُ بالسُّرى ،^٣
لعلتي أظفرُ ولو بالصُّرى ، أو أبلغُ بعضَ القُرى . وبينما كنتُ أخْبُ^٤
وأخذ ، وأنا أجِدُ ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجِد . إذا راكبٌ علي^٥
أثري يحدو ، وهو يشدو :

ذَكَرتُ ليلي ! فاستهلَّ مدمعي حتى سَقَى رَحْلي ، وبُلَّ مضجعي

ما لي وحَمَلَ شَكْوَةَ الماءِ معي ؟^٦

فوقع كلامُهُ مني مَوْقِعَ البُرءِ من أيوب ، أو بشرى يوسفَ من

١ مفازة : فلاة لا ماء فيها .

٢ صادية : أي معطشة . الهجير : شدة الحر . نضوي : مطيئ المهزولة . العجارير : خطوط الرمل .

٣ تهلَّل وجه السماء : كناية عن الصحو وشفاء الجو بحيث لا يرجى المطر . الظماء : العطش .

٤ الصرى : الماء المتن . أخب : من الخيب وهو سير متوسط في السرعة .

٥ أخذ : من الوخذ وهو أشد من الخيب . أجِد ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجِد : حكاية قول أعرابي قيل له : كيف أنت ؟ فقال : أجِد ما لا أشتهي . . . الخ .

٦ يحدو : يسوق بعيره

٧ شكوة : قرية .

يعقوب . فزوّفتُ إليه زفيفَ الرال ، حتى أدركتهُ على ناقتهِ المِرقال ،^١
وهو قد التثم برِيطَةٍ واشتاذَ بعِقال^٢ . فسَلَّمت عليه تسليمَ الصديق الأخص ،
وقلتُ : أَعِثْنِي بِشُرْبَةِ ماءٍ وَلَا تَقُلْ جاوزتُ شُبَيْثًا والأحص^٣ . فقال :
إنَّ أخوا الهِجاءِ من يسمى معك ، ومن يَصُرُّ نفسه لِنَفْعِكَ . واعلِّمَ أُنِي لا
أريدُ أن أسومَكَ الأثقال ، فأقنَعُ منكَ للجُرعةِ بمنقال . قلتُ : كَلِّ^٤
الحِذاءِ بِحِتْذِي الحافيِ الوقِع ، فاحتكِم بِحَيْثُ لا تَكْثِفُنِي ما لم أستطع .^٥
فلما انعطَفَ إلى الشُّكوةِ انحلَّ اللثام ، وإذا هو صاحبنا الميمونُ بنُ الحُزام .
فوجدتُ من الدهش ، ما أذهَلَنِي عن العَطَشِ . واستلمتُ^٦ يَدَهُ البيضاء
استلامَ الحجرِ الأسود ، وضَمَمْتُهُ إلى ضمِّ العينِ للمِرِّوَد . وبِتُّ تلكَ^٧
الليلةَ تحتَ رايتهِ ، متمتعاً بروايتهِ ورؤيتهِ . إلى أن لاحَ ذَنبُ
السُّرحانِ ، ونَدَعَبَ غُرَابُ الصَّحْصَحانِ . فادُلجنا في تلكَ السِّبَاريتِ ،^٨

١ فوقع كلامه مني موقع البرء من أيوب ، أو بشرى يوسف من يعقوب : ذلك لأنه سمع ذكر
الماء منه . زفتت : أسرعت . الرال : فرخ النعام . وأصله بالهمز . الناقه المرقال : السريعة
السير .

٢ ريطه : ملاهه . اشتاذ : تعمم .

٣ قوله : أعثني بشربة ماء ، هذا قول كليب بن ربيعة لجساس بن مرة حين رمده ووقف فوق
رأسه . وقوله : جاوزت شبيثاً والأحص ، هو جواب جساس لكليب لما طلب أن يسقيه ،
وشبيث والأحص مهلان معروفان في تلك الديار .

٤ مثل يضرب في مساعدة الرجل لصاحبه مع إضراره بنفسه .

٥ أسومك : أكلفك . مثقال : أي من الذهب .

٦ الحافي : الذي يمشي بلا نعل . الوقع : الذي رقت قدمه من كثرة مروره على الحجارة .
وهو مثل يضرب للررضى عند الحاجة بما لا يرضى . احتكمت : اطلب ما أردت .

٧ استلمت : صافحت .

٨ الحجر الأسود : هو الذي في البيت الحرام يقولون إنه من جواهر الجنة كان أبيض ساطعاً
ثم أسود لكثرة لمس الحجاج وتقبيلهم له . المرود : ميل الكحل .

٩ من قولهم ماء رواء أي كثير مرو .

١٠ السرحان : الفجر الكاذب . الصحصحان : المكان المستوي . ادلجنا : يقال ادلج بتشديد
الدا ل إذا سار من آخر الليل فإن سار من أوله قيل ادلج بالتخفيف . السباريت : القفار .

وهو ينزو نزوان المصاليت ، ويُقدِّمُ إقدامَ الحراريت . وما زلنا كذلك حتى أقبلنا على ديارِ بني تميم ، في غَسَقِ الليلِ البهيم . فنزلنا في أطيبِ جَرَعِي ،^٢ وتركنا مطاياتنا ترعى . ثم أفضنا بين الحَيِّ واللَّيِّ^٣ ، في حديثِ بُذْهِلِ غَيْلانَ عن مَيِّ . حتى لَجَّتِ السَّنَةُ ، وتلجلجت الألسنة . فهجعنا هزيعاً من الليل ، ثم قمنا نُشَمِّرُ الذَّيْلَ ، وإذا ناقةُ الشيخِ قد نَدَّتْ^٥ فدعا بالحَرْبِ والويل . فقلت لعلها قد نَزَعَتْ إلى بعضِ أعطانِ القومِ ، ولعلنا نُصَيِّبُها قبل انقضاءِ اليومِ . وسرنا نتعاقبُ مرَّةً وتراودُ أخرى ، حتى أتينا الحِلَّةَ وإذا هي بين الإبلِ شاخِصَةَ الذَّفْرِي . فلما رآها الشيخُ صاح : الله أكبر ، ووثبَ إليها وثبَةَ الذَّئْبِ الأَغْبَرِ . فدفعهُ بعضُ الرُّعَاةِ وقال : لا تُعَرِّضْ نفسك للهِدْمَةِ ، ولو كنتَ السُّلَيْكَ بنَ سُلْكَةٍ^٩ . قال : عِلْمَ الله أنها ناقتي الشاردة ، وغنيمتك الباردة . فقال : كَذَبْتَ يا سِظَاظَ البادية ،^{١٠}

١ ينزو : يثب . المصاليت : الرجال الماضين في الأمور . الحراريت : جمع خريت وهو الدليل الخاذق .

٢ الليل البهيم : الأسود الخالص . أي الذي ليس فيه بياض للنجوم . جرعى : أرض طيبة النبات .

٣ الحَيِّ : الحق . اللَّيِّ : الباطل .

٤ غيلان : هو غيلان بن عقبة الملقب بذي الرمة . كان يهوى مي بنت مقاتل المنقري . وكان شديد الشغف بها فصار مثلاً . السنة : النعاس . تلجلجت : عجزت عن الإفصاح . هجعنا : نمنا . هزيعاً : قطعة .

٥ نددت : ضلت .

٦ الحرب : من قولهم حربيت الرجل إذا أخذت ماله وتركته بلا شيء . الاعطان : مبارك الإبل .

٧ نتعاقب : نركب واحداً بعد واحد . تراودف : نركب كلانا معاً .

٨ الحِلَّةُ : مأزلة القوم . الذفري : قفا الرأس مما يلي الأذن .

٩ السليكة بن سلكة : هو أحد محاضير العرب ومغاويرهم .

١٠ الباردة : التي جاءت بلا تعب . سظاظ : هو رجل من بني ضبة نضرب به المثل في التلصص فيقال ألس من سظاظ .

بل هي من تِلَادِ صَعَصَعَةَ بنِ نَاجِيَةَ . فتمادى بينهما اللجاج ، حتى كاد يُفْضِي^١
إلى الشَّجَاجِ . ورأى الشيخُ أذنهُ ينفخُ في رَمَادٍ ، وأن دونَ بُعَيْتِهِ خَرَطُ^٢
القَتَادِ . فقال : يا أَبْدَلُ من حاتمٍ ، وأَبَلُ من حَنِيفِ الحَنَاتِمِ . إن لي حاجة^٣
بالجِفَارِ ، ولا أَتَمِّنُ بغيرِ هذه المِعْثَارِ ، فأنا أَسْتَأْجِرُها كل يومِ بدينارٍ^٤ .
وهذا غلامي رهنٌ في يَدَيْكَ ، حتى أَرُدَّها عليك . قال : أمَّا هذا فغيرُ
مَحْظُورٍ ، على أن تُوعِدَني إلى أَجَلٍ منظورٍ . فَضَرَبَ له الأَجَلَ ، وَضَرَبَ^٥
بها على عَجَلٍ . قال : وكانَ قد أَلَاحَ إلى فاعتزلتُ ، حتى إذا توارى^٦
أَقْبَلْتُ ، وأردتُ الخروجَ من حيثُ دَخَلْتُ ، فجمعُ^٧ الرَّجُلِ بي
كصاحبِ السَّجْنِ ، وقال : هياتِ قد غَلِقَ الرهنُ^٨ ! إلى أن يَتَوَّبَ مولاك
من الظَّنِّ^٩ . فقلتُ : إن صحَّ رهنُ المرءِ ما ليس له ، فقد رَهَنْتُكَ كُلَّ
ما في هذه المَنْزَلَةِ . وأصرَّ^{١٠} الرَّجُلُ على الغيِّ ، حتى رافَعْتُهُ إلى أميرِ الحَيِّ .
فلما أَتَيْناه سُمِّلْتُ عن المسألةِ ، فقلتُ : قد رهنني صاحبُ تلكِ الِيعْمَلَةِ^{١١} ، كما باع

١ تلاد : ما ولد عندك من المال . صعصعة بن ناجية : هو صعصعة بن ناجية التميمي جد الفرزدق الشاعر المشهور . اللجاج : الخصام .

٢ إلى الشجاج : أي إلى أن يشج كل منهما رأس صاحبه . ينفخ في رماد : مثل يضرب في العمل بلا فائدة .

٣ خرط القتاد : أن تقبض أعلى الفصن ثم تمر يدك عليه إلى أسفله لتزح ورقة . والقتاد : شجر له شوك كالإبر . وهو مثل يضرب في عسر الوصول إلى الحاجة . حنيف الحناتم : رجل يضرب به المثل في رعاية الإبل وحسن القيام عليها .

٤ الجفار : منهل لبني تميم في نجد . المشار : الناقة الغزيرة اللبن .

٥ ضرب : ذهب .

٦ ألاح : أشار بكمه . اعتزلت : تنحيت إلى مكان .

٧ جمع : أمسك .

٨ غلق الرهن : أي استحققه المرتهن .

٩ الظنن : المسير .

١٠ أصر على رأيه : تشدد في التمسك به .

١١ اليعملة : الناقة .

نُعَيْمانُ سُوَيْبِطَ بنَ حَرَمَلَةَ . فهِلْمُ بِالشَيْخِ لِيُثْبِتَ امْتِلاكِي ، وإِلا
فلا سبيلَ إلى إِمساكِ . قالَ الرَّجُلُ : هِيَّاتِ إِنَّهُ قد سارَ أَمْرَعُ من ظَلِمٍ^٢
الدَّوِّ ، فَصارَ أَمْنَعُ من عِقابِ الجَوِّ . فقالَ الأَميرُ : مَن هذا الشَيْخُ ومَن^٣
أين ؟ فَإني أَراهُ أَحْيَلُ الثَّقَلَيْنِ . قلتُ : أبيتُ اللعنَ يا مولاي ! إني لا
أَعرفُ له مَنبِتَ أَسْلَةٍ ، ولا مَضْرِبَ عَسَلَةٍ . لكنني لقيتهُ سَهْمًا حايِبًا^٤
عندَ إِشرافنا على المَعْهَدِ ، فحَنَّ إِلَيْهِ وأنشد :

هذا حِمى قومٍ تَميمٍ فاخْتَلَسَ فيه الخَطى من هَيْبَةٍ كالمَحْتَسِ
فقد حَمَاهُ كُلُّ لَيْثٍ مُفْتَرَسٍ ، لَيْسَ بِهَيْبَابِ الوَعَى ولا نَكْسِ^٥
يَنْسِبُهُ العِرْقُ الكَرِيمُ المَنْبِجِسُ إلى كَرِيمٍ ، ذَكَرَهُ لا يَنْدُرِسُ^٦
مُحْيِي الوَثِيدَاتِ الَّذِي لم يَبْتَسِسْ بِمالِهِ المَبذُولِ دُونَ المَلْتَمَسِ !^٧

١ نعيمان : هو نعيمان بن عمرو أحد الصحابة . سويبط بن حرملة : رجل من العرب باعه نعيمان بعشر نياق .

٢ ظلم : ذكر النعام .

٣ الدو : الفلاة . صار أمنع من عقاب الجو : مثل يضرب في صعوبة الحصول على الأمور .

٤ الثقلين : الإنس والجن . أبيت اللعن : كلمة كانت تقال للملوك العرب في الجاهلية معناها الدعاء بالبراءة من التناقض . أي لا فعلت ما تلعنك الناس بسببه .

٥ أسلة : شجرة . لا أعرف له منبت أسلة : أي لا أعرف من أي مكان هو . ولا مضرب عسلة : لا أعرف له أباً ولا قوماً . سهماً حايباً : لا يعرف راميهِ . وأصله أن يرسل السهم فيذهب على الأرض حبواً أي زحفاً فلا يشعر بانطلاقه .

٦ إشرافنا : إقبالنا . المههد : المنزل الذي إذا تركه القوم عادوا إليه .

٧ نكس : منقلب أو مطأطأ رأسه .

٨ العرق : الأصل . المنبجس : من انبجاس الينابيع وهو انفجارها بالماء .

٩ الوثيدات : يقال وأده إذا دفنه حياً . ومحبي الوثيدات هو صعصعة بن ناجية الذي كان يشتري البنات الوثيدات ويربيهن في أبياته حتى اشتري أربعاً بنت . وبنو تميم يفتخرون به . يبتس : يحزن .

عَلِمْتُ ما مجدُ تميمٍ ملتبسٍ نَعَمَ ، ولا رِفْدُ تميمٍ مجتبسٍ
 يا نَافِتي هاتيكِ نارُ المقتبسِ ، فإن بلغتِ الحَيَّ فالبشرى لكسِ
 قال : فاهتزَّ الأميرُ عَجَباً وَعَجَباً ، حتى كاد يُصَفِّقُ طَرَباً . وقال :
 شَهِدَ اللهُ كَأَنَّهُ أبو فِرَاسٍ ، قد قامَ وَعَمراً في بُردَةِ أخماسٍ . ثم قال ٢
 للرجل : يا هذا إن اللقطة قد راحت كما جاءت ، فهبَّها لا أحسنت ولا ٣
 أساءت . والآن فعاودِ إيلك ، وأحسِنِ عَمَلَك ، واقنع بما قسمَ اللهُ لك .
 ثم قال : عَلِمَ اللهُ العظيم ، اني لقد وجدت في هذا الشيخ رائحة تميم . فخذ له
 هذه الناقة الأخرى ، واذهب فقد يسررتك للبشرى ، لئلا يضيع قول
 شاعرنا : إِننا نَفَكُ الأَسْرَى . قال سهيل : فقسَّمتُ تلك الذُعَلِبة ٥
 القوداء ، وضربتُ بها في عرض البيداء . وكانت ليلة بدرها قد أثار ، حتى ٦

١ المقتبس : طالب النار . والعرب يفتخرون بكثرة النيران لأنها تدل على كثرة الأطعمة
 ولأنها تكون دليلاً للضيوف حتى يقصدها . لكس : أي لك . جرى على لغة بني تميم أيضاً
 في إلحاق السين لكاف خطاب المؤنث في الوقف محافظة على كسرة الكساف الفارقة بين
 المذكر والمؤنث .

٢ أبو فراس : كنية الفرزدق شاعر بني تميم . وعمراً : الواو للمعية وعمرو اسم شيطان
 الفرزدق . بردة أخماس : يقال هما في بردة أخماس كناية عن الاجتماع وشده الملائمة
 يقول : كأن هذا الشاعر الفرزدق وقد قام مع شيطانه في بردة واحدة يلقنه شعره

٣ اللقطة : الناقة التي التقطتها . هبها : احسبها .

٤ ذلك من حنينه إلى منزلهم ومدىحه لهم .

٥ إننا نفك الأسرى : كان الفرزدق في مجلس سليمان بن عبد الملك ، وكانوا قد قدموا إليه
 أسارى من الروم ، فأمر الفرزدق أن يضرب عنق أحدهم ، ودفع إليه سيفاً ليضربه به فقال :
 أنا لا أضرب إلا بسيف مجاشع ، يعني سيفه . ثم ضرب الأسير فلم تؤثر ضربته شيئاً . فعيره
 جرير بذلك فأجابه الفرزدق :

وما نقتل الأسرى ، ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

تسمنت : تسم البعير إذا علا سنامه . الذعبلية : الناقة السريعة .

٦ القوداء : الطويلة الظهر والعنق . ضربت : ذهبت . البيداء : الفلاة .

أَلْبَسَهَا جِلْبَابَ النَّهَارِ . فَبَيْنَمَا أَنَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ، إِذَا الشَّيْخُ قَدْ تَدَثَّرَ
بِبِرْجُدٍ صَفِيْقٍ ، وَهُوَ يَبْغِطُ كَالْفَنِيْقِ : فَتَوَلَّتُ عَنِ النَّاقَةِ ، وَكَتَبْتُ فِي^١
بِطَاقَةٍ :

قُلْ لِأَبِي لَيْلِي : أَنَا فَتَاكَ ، رَهْنَتِي فِي نَاقَةٍ هُنَاكَ !^٢
وَقَدْ عَفَا الْأَمِيرُ بَعْدَ ذَاكَ ، أَطْلَقَنِي بِنَاقَةٍ وَرَاكَ
أَهْدَاكَهَا ، فَتَعْنَمَ مَا أَهْدَاكَهَا ! لَكِنِّي أَخَذْتُهَا فَكَأَكَ^٣
فَبِي فِدَائِي وَأَنَا فِدَاكَ

ثُمَّ أَلْقَيْتُ الْبِطَاقَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَوْفَضْتُ وَأَنَا أَتَلَفْتُ إِلَيْهِ . فَفَجَّوْتُ مِنْ
بَنَانِهِ^٤ ، وَلَمْ أَنْجُ مِنْ لِسَانِهِ .

١ تَدَثَّرَ بِبِرْجُدٍ صَفِيْقٍ : تَعَطَّى بِثَوْبٍ غَلِيْظٍ مَكْتَنَزٍ . الْفَنِيْقُ : الْفَحْلُ الْكَرِيْمُ مِنَ الْجَمَالِ .

٢ أَنَا فَتَاكَ : أَيُّ أَنَا غَلَامُكَ الَّذِي تَمْلِكُهُ .

٣ يَقُولُ : إِنَّكَ قَدْ رَهْنَتِي فَصَارَ يَحِقُّ عَلَيْكَ أَنْ تَغْتَرَمَ فَكَأَكِي . وَهَذِهِ النَّاقَةُ قَدْ أَخَذْتُهَا نَظِيرَ
الْفَكَالِكِ الَّذِي يَلْزِمُكَ .

٤ أَوْفَضْتُ : أَسْرَعْتُ .

٥ فَفَجَّوْتُ مِنْ بَنَانِهِ : أَيُّ مِنْ يَدِهِ .

المقامة السادسة والعشرون

وتعرف باللفزية

حدث سُهَيْلُ بْنُ عَبْدِ قَالَ : أدنفتي^١ هم ناصب ، بليت منه بعيش شاصب ، وعذاب واصب . فأجَلتُ القِداح ، في استِخارة البراح . وخرجت^٢ أعدو الرَهَقَى ، على فرسٍ زَهَقَى . وجعلتُ أعتسف على غير هُدَى ، لعلي^٣ أجلو بعض الصِّدا . فلما تَمَادَى السفر ، وأنسَ ما كان قد تَقَر . نَزَعَت نفسي إلى مُعاوَدَةِ الحَيِّ ، ولكن أَعَيْتِ اللِّهنةُ عليَّ . فأخذتُ أتفقَدُ المشاهدَ جَلَاةَ يومي^٤ ، لعلتي أظفرُ بما أطرف به قومي . إلى أن سَقَطْتُ على محفلِ حافل ، يستوقف النِّعامَ الجافل . فجلستُ في أخريات الناس ، كأنني طِفيلٌ

١ أدنفتي : أوقعتني في الدنف وهو المرض الثقيل الملازم .

٢ عيش شاصب : فيه مشقة وعسر . واصب : شديد . القداح : سهام لا نصل لها ولا ريش . كانوا يتخذون ثلاثة قداح يكتبون على أحدها : أمرني ربي ، وعلى الآخر : نهاني ربي ، ويتركون الثالث غفلاً ؛ فإذا أرادوا أمراً يجلبون هذه القداح في خريطة ويخرجون منها واحداً ، فإن كان هو الأمر مضوا على الأمر الذي أرادوه ، وإن كان هو الناهي عدلوا عنه ، فإن خرج الغفل أجالوها ثانية حتى يخرج أحد المكتوبين . هذه القداح توضع عند سدنة الأصنام ، ويقال لها قداح الاستقسام أو الاستخارة .

٣ الرهقى : نوع من السير السريع . زهقى : تسبق الخيل . أعتسف : أمشي على غير طريق .

٤ أعييت عليه الحاجة : أعجزته . اللهنة : ما يهديه المسافر عند قدمه .

٥ جلاء يومي : أي طول النهار .

٦ محفل حافل يستوقف النعام الجافل : يضرب المثل في شدة إجمال النعام . يقول : إن النعام

الجافل إذا مر على هذا المحفل يلتهمي بالنظر إليه متفرجاً فيقف عن إجماله . في أخريات

الناس : في أطراف المجلس .

الأعراس ، وأجَلتُ طِرْفَ طِرْفِي بين الجلّاس . وإذا شِخُّ قد اشتمل^١
 الصَّمَاءُ ، واعتمَ الميلاء . والقوم قد تكاوسوا حولَ مجْهِهِ ، حتى حالوا دون^٢
 تَوَسُّمِهِ . وبيناهم يتداولون أطرافَ الأسانيد ، ويناولون أَلطافَ^٣
 الأناسيد . إذ دخلَ غلامٌ أَشْهَلُ الأحداق ، كأنه من رهط شِنِقناق^٤ .
 فألقى رُقعةً ما كخطَ ابنِ مقلّة ، وقال : لا يُنْبِتُ البقلة ، إلاّ الحلقة^٥ .
 فنصفَح الرُقعة^٦ قارِها ، وإذا فيها :

ما اسمٌ ثلاثيٌّ بهِ اجتمعت كلُّ المقاطعِ غيرَ ذي جسمٍ^٧
 مهابتُ تقلِّبتِ الحروفُ بهِ ، يأتي بمعنى صادقِ الرسمِ
 وإذا نظرتَ إليه منتهياً ، فجميعُ ذلك تراه في الحُلمِ

فطَفِقَ القومَ بَصُوغُونَ وَيَكْسِرُونَ ، وَيَرِدُونَ ثم يَصْدُرُونَ ، من^٨
 حيث لا يَشْعُرُونَ . حتى صَفِرَتِ الوِطابُ ، واختلطَ الليلُ بالترابِ^٩ .

- ١ طفيل الأعراس : هو طفيل الكوفي الذي كان يأتي الولائم بلا دعوة . الطرف بالكسر : الفرس الكريم ، وبالفتح : ما يتحرك من أشجار العين .
- ٢ اشتمال الصماء : لبسة عند العرب . واعتم الميلاء : نوع من الاعتماد . تكاوسوا : اجتمعوا .
- ٣ توسمه : النظر إليه لأجل معرفته . الأسانيد : الأحاديث المسندة إلى من سمعت منه .
- ٤ أشهل الأحداق : في عيابه حمرة . شنقناق : يزعمون أنه رئيس من رؤساء الجن .
- ٥ بها كخط ابن مقلّة : أي بها خط كخط ابن مقلّة وهو وزير الإمام المقتدر بالله . يضرب به المثل في حسن الخط . لا ينبت البقلة إلا الحلقة : مثل . يعني أن هذه الرقعة ليس لها إلا هذا المحفل .
- ٦ تصفح الرقعة : نظر في صفحتها .
- ٧ المقاطع : مقاطع الحروف .
- ٨ يصدرون : نقيض يردون .
- ٩ صفرت : فرغت . الوطاب : جمع وطب وهو سقاء اللين من جلد . اختلط الليل بالتراب : مثل يضرب في استهزام الأمر وارتبائه .

فقالوا قَدِ ابْتَلَانَا الْحَبِيثَ بِأَحْرَءٍ مِنْ دَمَعِ الصَّبِّ، وَأَعْقَدَ مِنْ ذَنْبِ الصَّبِّ^١.
فلو أن لنا من يقوم بحملته ، لَعَرَفْنَا فَضْلَ مَحَلِّهِ . فَبَرَزَ ذَلِكَ الشَّيْخُ
المُحِبُّ ، وَقَالَ : أَنَا عُدِّيَقَهَا الْمُرَجَّبُ . وَأَنْشُدُ :

قَدِ فَسَّرَ الْكَاتِبُ فِي نَظْمِهِ ، وَقَصَّرَ الْقَارِيءُ فِي فَهْمِهِ^٢
لَوْ فَطَنُوا لِلْحَلْمِ فِي قَوْلِهِ ، لَعَرَفُوا اللَّغْزَ عَلَى رَغْمِهِ^٣

فلما رأوا ما خامرهم من تَوْرِيَةِ الْعِشَاءِ ، كَبَّرُوا وَقَالُوا : إِنْ اللَّهُ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ . فَاهْتَزَّ الشَّيْخُ عَجَبًا وَقَالَ : إِنِّهَا لِإِحْدَى الْمَنَاتِ
الْمَهْيَنَاتِ ! وَلَوْ سَنِتُ جَلِسْتُ بِمَا فَوْقَ ذَلِكَ مِنَ الْحَسَنَاتِ الْمُحْصَنَاتِ^٤ . قَالُوا :
ذَاكَ لَكَ وَإِلَيْكَ ، وَفِيهِ مِنَّةٌ عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ^٥ . فَشَمَخَ بِأَنَّهُ كَأَنَّهُ مَدِّكَ أَوْ
مَدِّكَ ، وَأَنْشُدُ مُلْغِزًا فِي الْفَلَكِ :

مَا عَدَمْتُ فِي الْحَقِّ ، لَكِنْ تَرَى مِنْهُ وُجُودًا حَيْثَا اسْتَقْبَلَكَ^٦

- ١ الصب : العاشق . الضب : دويبة برية في ذنبا عقد كثيرة يضرب بها المثل .
- ٢ العذيق : تصغير العذق وهو انخلة يحملها . والمرجب : الذي وضعت له دعامة لئلا تنكسر أغصانه . وهو مثل يضرب للرجل يعرض نفسه لما هو كفو له .
- ٣ نظمه : لأنه قال تراه في الحلم .
- ٤ يقول : إنهم لو انتهوا لقوله فجميع ذلك تراه في الحلم لعرفوا اللغز رغماً عن قائله لأن الحلم هو المراد بهذا الاسم الذي يسأل عنه فإنه من ثلاثة أحرف . وقد اجتمعت فيه مقاطع الحروف لأن الجاء حلقية واللام لسانية والميم شفوية . وكلما قلبت حروفه بالتقديم والتأخير يحصل منها اسم مستعمل ، فيجتمع منه ستة أسماء وهي : الحلم والحمل والملح واللحم والمحل والملح .
- ٥ خامرهم : داخلهم . تورية : تغطية .
- ٦ الهنات : الأمور اليسيرة .
- ٧ المحصنات : المصونات .
- ٨ المنة بالنظر إليهم بمعنى الجميل وبالنظر إليه بمعنى النعمة .
- ٩ أي أن الفلك الذي هو مدار النجوم هو في الحقيقة عدم لأنه خلاء . ولكن الناظر يرى منه أمراً وجودياً لأنه ينظره كالقبة .

ذلك لله بإجماله ، فإن قطعنا رأسه فهو لك^١
ثم حدّج^٢ القوم بالبصر ، وأنشد ملفزاً في القمر :

ومولودٍ بدونِ أبٍ وأمٍّ بلا قوتٍ يعيشُ ، ولا يموتُ
لهُ وجهٌ وليسَ لهُ لسانٌ ، فيُخبِرُنَا ويَلزِمُهُ السُّكوتُ^٣

ثم قال : دونكم يا بني الحالة ، وأنشد ملفزاً في الهالة :^٤

ما قولكم في مُحَيِّزٍ حَسَنٍ ليسَ لهُ أوَّلٌ ولا آخِرٌ^٥
في قلبِهِ نِقْطَةٌ مُشْكَلَةٌ قد جَانَسَتْهُ بِشَكْلِهَا الظَاهِرُ^٦

ثم أشار إلى بعض الصحاب ، وأنشد ملفزاً في قوس السحاب :

ماذا تَرَى ، يا ابنَ الكرامةِ ، في قوسِ بلا سهمٍ ولا وترٍ
تلقاهُ في بعضِ النهارِ ، ولا يبقى لهُ في الليلِ من أترٍ

ثم جعل يَنْضِضُ كالأيم ، وأنشد ملفزاً في الغيم :^٧

حُلِّلْ بلا صبغٍ مُلَوَّنَةٍ تَرْتَدُّ عنها كَفٌ لا مِسِيهَا

١ أراد برأسه أوله ، وهو الفاء فإن حذفها منه كان الباقي « لك » .

٢ حدّج : رمى .

٣ يريد أنه يخبرنا بحساب الأوقات وهو ملازم السكوت .

٤ الهالة : الدائرة التي تكون حول القمر .

٥ المحيز : الذي ينحصر في مكان . وهذا لا بد أن يكون له طرفان بخلاف هذا المحيز الذي ذكره فإنه ليس له أول ولا آخر كما هو شأن الدوائر .

٦ قوله : في قلبه أي في وسطه ، والمراد بالنقطة القمر . وقوله مشكلة أي ذات شكل ، وهو عبارة عن الطول والعرض والعمق ، وهذه بخلاف نقط الدوائر فإنها وهمية لا شكل لها . وقوله جانسته بشكلها الظاهر يريد به أن القمر مستدير أيضاً مثل دارته وذلك على حسب ما نراه ظاهراً .

٧ ينضض : يرد لسانه في فمه . الأيم : الحية .

مرفوعة' الأذبالِ بالية' في البردِ تعرقُ دونِ لابسها

ثم رفع طرفه' إلى السماء ، وأنشد ملفزاً في الماء :

يُميتُ ويحيي وهو مَيِّتٌ بنفسه ، ويمشي بلا رجلٍ إلى كلِّ جانبٍ
يرى في حضيضِ الأرضِ طوراً، وتارةً نراهُ تسمى فوقَ طورِ السحابِ^٢

ثم قالَ : وهذه خاتمة الأسرار ، وأنشد ملفزاً في النار :

أيُّ صغيرٍ ينمو على عجلٍ يعيشُ بالريحِ وهني تَهْلِكُهُ
يَغْلِبُ أقوى جِسمٍ ، ويغلبُهُ أضعفُ جِسمٍ بحيثُ يَدْرِكُهُ^٣

قال : فلما فرغ من جلائل الألفاظ ، وألقى عليهم دلائل الإعجاز .
تأبط عصاً له كالحفص^٤ ، ثم نهض من بيت ربض . فتعلقوا به وقالوا :
نراك تزيد أن تجرح وتسرح ، فهيات أن تبرح حتى تشرح ! فحولت^٥
واستتب على نفثاته ، وأفاض في شرح نفثاته . فلما كشف الغطاء ، مالوا^٦
عليه بالعطاء . قال سهيل^٧ : و كنت إذ برز لصحيفة الغلام^٨ ، قد عرفت أنه^٩
شيخنا ابن الخزام . فهمت بالجئوح إليه ، فنهاني برمز شفثيه ، ونهنتني^{١٠}

١ مرفوعة : مرفعة . يريد بلبسها الجو فإنها هي التي تعرق دونه ، والمراد بعرقها المطر .

٢ أي أنه يرى مرة في قرار الأرض ومرة يعلو فوق السحاب كناية عن ماء المطر .

٣ يريد أن النار تنمو بإصابة الريح لها ولكنها تفتى سريعاً بالريح .

٤ أقوى جسم : كالحديد ونحوه . أضعف جسم : يريد به الماء .

٥ جلائل : جمع جليلة . دلائل الاعجاز : علامات الغلبة .

٦ الحفص : عمود الخيمة .

٧ حولت : قال لا حول ولا قوة إلا بالله .

٨ استتب : جلس متمكناً . نفثاته : ركبته . نفثاته : كلماته .

٩ أي لما برز من بين الجماعة عند إلقاء الغلام تلك الرقعة .

١٠ الجئوح : الميل . نهنتني : كفتني .

عن التسليم عليه . فلما قضى الإبانة ، واقتضى اللبانة^١ . أشار إليّ وقال : إني لأرى عليك سمة الغريب ، وكلُّ غريبٍ للغريب نسيب . فخذ هذا الدينار^٢ الساعة ، واشكُرْ نعمة الجماعة . فغلب على القوم الحياء ، وتداولوني بالحباء^٣ . حتى إذا اجتمعنا الفِرصاد ، خرجنا فإذا الغلام بالمرصاد . فوثب إليه الشيخ ، يَعدُّو الجَمَزَى ، وأنشد مرتجزاً^٥ :

جَزَيْتَ خَيْراً يَا غَلَامِي رَجَباً ، دَعَوْتُكَ ابْنًا لِي ، فَتَدْعُونِي أَبَا !^٦
 بَادِرٌ إِلَى أُخْتِكَ لَيْلَى فِي الْحَبَاءِ ، وَقُلٌّ : رُزِقْتَ نَزْهَةً وَمَرْكَباً ،
 وَمَلْبَسًا وَمَطْعَمًا وَمَشْرَبًا ، وَسَتْرَيْنَ مِنْ سُهَيْلٍ كَوَكَبًا ،
 فَاسْتَقْبَلِي الضَّيْفَ وَقُولِي : مَرْحَبًا !

ثم قال : يا بُنَيَّ مَنْ حَادَ عَنْ الْكَيْدِ ، عَادَ بِلا صَيْدٍ . فاذهب معي الليلة^٧ للمبيت ، وكن من الشاكرين ما بقيت . فانطلقتُ أتبعُ ظِلَّهُ ، حتى أتينا المظلة . وأحياننا ليلتنا بالسمر . حتى انبتق السمر . فودعني وقال : اذهب إلى أهلك باليسرى ، وأنا أذهبُ في ارتياد فترةٍ أخرى . فخلقتُ لهم^٩ في تلك الديار ، وعدتُ إلى أهلي بالدرهم والدينار .

١ اللبانة : الحاجة .

٢ سمة : علامة . وكلُّ غريبٍ للغريب نسيب : شطر بيت لامرئ القيس أوله :
 أجارتنا إنا غريان هاهنا

٣ الحياء : العطاء .

٤ الفِرصاد : التوت الأحمر كثر به عن الذهب . الغلام : أي الذي ألقى الرقعة وهو غلام الشيخ . المرصاد : مكان الرصد . أي ينتظرنا مراقباً لنا .

٥ الجمزى : مشية سريعة . مرتجزاً : ناظماً من بحر الرجز .

٦ رجباً : منصوب على أنه عطف بيان . فتدعوني أبا : خبر في معنى الإنشاء أي فادعني أبا .

٧ الكيد : المكر . من حاد عن الكيد ، عاد بلا صيد : لأن الصيد لا يؤخذ إلا بالمكر والمخاطلة .

٨ المظلة : الخيمة . انبتق : انفجر .

٩ اليسرى : التوفيق وسعة الحال . ارتياد : طلب . الفترة : ما يستتر به الصياد من حجر أو شجر لتلا يراه الصييد .

المقامة السابعة والعشرون

وتعرف بالساحلية

قال سهيل بن عبّاد: ألقنتي الرواحل، إلى بعض السواحل. وكان عودي يومئذٍ رطيباً، وفودي غريبياً. فطُفْتُ المعالم والمجاهل، ووردت^١ الحياضَ والمناهل. وشهدت المحاشد، وافتقدت المشاهد. حتى إذا كنت^٢ بمجلس بعض الأمراء، وقد حفّت^٣ به العلماء والشعراء. دخل شيخ عريض اللثام، قد أخذ بتليب غلام^٤. وقال: أعزّ الله الأمير إني ربّيتُ هذا الغلام مُدْ دَبًّا، إلى أن شب^٥. واتخذته لي عمدةً وعمدةً، في كل رِخاءٍ وسدّة. واستأمنته في كل مِلْمَةٍ، على كل مِهْمَةٍ. فلما كان بعض الأيام المواضي، أرسلته بتقريظ^٦ إلى القاضي. فاستبدل القوافي، وحوّل ما في الأبيات من المديح الصافي، إلى الهجاء الجافي^٧. فحكم القاضي عليّ بالحبس، وقال: المال

١ وكان عودي يومئذٍ رطيباً : أي كنت في نضارة الشباب . فودي : جانب رأسي . غريبياً : أسود حالكأ . المعالم والمجاهل : الأماكن المألوفة والمجهولة .

٢ الحياض : برك المياه . المناهل : العيون . المحاشد : المجمع . المشاهد : المحاضر .

٣ حفّت : أحاطت .

٤ جمع ثيابه عند صدره ومجره ساحباً إياه .

٥ أي مذ كان طفلاً إلى أن صار شاباً .

٦ ملمة : نازلة من نوازل الدنيا .

٧ تقريظ : مديح .

٨ الجافي : الحشن الغليظ .

فِدَاءُ النَّفْسِ ، فَخَرَجَتْ لَأَدْرِهِمْ مَعِي وَلَا فَلَئْسَ . فَسَمِرَ الْغَلَامُ أَنْ يُعْطِيَنِي
حَقَّ الْجِنَابَةِ عَلَيَّ ، وَيُعَوِّضَنِي مَا فَتَقِدَ عَلَيَّ مِنْ يَدَيْ . فَقَالَ الْأَمِيرُ :
وَمَاذَا كَتَبْتَ مِنَ الْآيَاتِ ، وَكَيْفَ بَدَّلَ الْحَسَنَاتِ بِالسَّيِّئَاتِ ؟ قَالَ : أَمَّا
الْمَدِيحُ الْمَكْتُوبُ ، فَعَلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ :

أَرَى الْقَاضِيَ أَبَا حَسَنِ ، إِذَا اسْتَقْضَيْتَهُ عَدَلًا
وَإِنْ جَاءَتْهُ مَسْأَلَةٌ لَطَالِبِ رِفْدِهِ بَدَلًا
إِمَامٌ لَا نَظِيرَ لَهُ ، نَرَاهُ بَيْنَنَا جَبَلًا
قَدْ اسْتَهْرَتْ خَلَائِقُهُ ، فَأَصْبَحَ فِي الْوَرَى مَثَلًا

وَأَمَّا التَّبْدِيلُ الَّذِي طَرَأَ ، فَكَمَا تَرَى :

أَرَى الْقَاضِيَ أَبَا حَسَنِ ، إِذَا اسْتَقْضَيْتَهُ ظَلَمًا
وَإِنْ جَاءَتْهُ مَسْأَلَةٌ لَطَالِبِ رِفْدِهِ لَوْ مَا^٢
إِمَامٌ لَا نَظِيرَ لَهُ ، نَرَاهُ بَيْنَنَا صَنَمًا
قَدْ اسْتَهْرَتْ خَلَائِقُهُ فَأَصْبَحَ فِي الْوَرَى عَدَمًا

فَقَالَ الْأَمِيرُ لِلْغَلَامِ : أَفَ لَكَ يَا عَقْقُ ، يَا ابْنَ شَارِبِ الْفَلَقِ ! أَتَجْزِي^٣
جَزَاءَ سَنِمَارٍ ، وَلَا تَخَافُ مِنَ الْعَارِ ؟ قَالَ : يَا مَوْلَايَ إِنِّي غَلَامٌ غَرٌّ ،^٤

١ جيل : عظيمًا .

٢ لؤم : بخل .

٣ عقق : الذي لا يفي أباه حق التربية . الفلق : فضلة اللبن . والعرب يعيرون بها .

٤ سمنار : رجل من الروم بنى للملك النعمان بن امرئ القيس قصره المعروف بالخورنق في
ظهر الكوفة . فلما فرغ منه ألقاه من أعلاه لثلاثين مثله لغيره ، فسقط ميتاً فضرب المثل
بجزائه . غر : غبي .

لا أعرفُ الهرَّ ، من البرِّ^١ . غيرَ أنَ هذا الشيخَ قدِ استخدَمني بضَعِ
سِنينَ ، وهو لا يُطعميني ولا يَسقِيني^٢ . فلما أتيتَ القاضي بكتَابِهِ ، شكوتُهُ
إلى بعضِ حُجَّابِهِ . فقال : لا ظالمٌ إلا سيُبلى بأظلم^٣ ، وأخذ الأبياتَ فحرقَها
واللهُ أعلمُ . فإن شئتَ فمُرِّ بسجني ، لعلني أملاً بطني . فقال الشيخُ : بل
فاسجِنًا جميعًا ، فإنني أشدُّ منه جوعاً . وكان بينهما فتاةٌ ، كصدرِ القناة .
فقلتُ : يا مولايَ أرى أن تدفعَ إليهما ، ما ستُنْفِقُهُ في السِّجْنِ عليهما ،
واغتمِ الراحةَ من كليتيهما . قال : لا جرَمَ ان ذلك أحزَمُ ، وحَصَبُ
كلِّ واحدٍ منهما بمائةِ درهمٍ . قال سهيلٌ : و كنتُ قد استروحتُ ربحَ
الحزَمِ ، وعرفتُ الشيخَ والقناةَ والغلامَ . فلما انصرفوا خرجتُ على الأثرِ ،
وإذا الشيخُ يُنشدُ على حدَّارٍ :

هذا أبو ليلى وهذه ليلاهُ
بجُومِ في طلبِ رِزقِ مولاهُ
كطائرٍ وأنثاهُ جناحاهُ^٤

فزلفتُ مبتدراً إليه ، وقبِلتُ مفرقةً وبديهِ . وقلتُ : يا مولاي^٥
ألم يَنُ لك أن تسلكَ الجددَ ، وتتركَ اللددَ ؟ فحملقُ إليَّ كالغولِ^٦ ،

١ مثل يضرب في الجهالة .

٢ حذف ياء المتكلم كما ورد في القرآن حيث يقول : هو الذي يطعمني ويسقيني وإذا مرضت فهو يشفين .

٣ شطر بيت يقول فيه :

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيبل بأظلم

٤ حصب : رمى .

٥ يريد بهما ليلى والغلام ، شبه نفسه بالطائر الذي يحوم في طلب رزقه ، وشبههما بجناحي الطائر اللذين لا يتم سعيه إلا بهما .

٦ زلفت : تقدمت . مفرقة : مقدم رأسه حيث يفترق الشعر .

٧ الجدد : الأرض الصلبة . يشير إلى قولهم في المثل : من سلك الجدد أمن العثار . اللدد : الحصام . حملق : فتح عينيه ونظر شديداً .

وأنشد يقول :

للناس طبع البخل ، وهو يقودني كرهاً لخلقٍ عَصِيبةٍ ونفاقٍ
فَدَعِ الجماعةَ يتركونَ طِبَاعَهُمْ حتى تراني تاركاً أخلاقِي^١

ثم قال : يا بُنيّ ذاكَ المسجدُ إن كنتَ خطيباً ، وإلا فلا تُداوِ طبيباً.^٢
واعلم أن الصيد لا يُؤخَذُ إلا بالحثل ، ولا يُدرَكُ إلا بالنبل . والفرصة^٣
لا تُضاع ، والمتعنت لا يُطاع . فراعِ المصادرَ والمواردَ ، وكن مارداً على
كلِّ ماردٍ ، ودعِ الناسَ يضرِبونَ في حديدٍ باردٍ . قال سهل^٤ : فأمسكت
عن مِرَائِهِ ، وسِرَّتُ من ورائِهِ ، وأنا أعجَبُ من سَفَاهَةِ رَائِهِ^٥ .

١ عَصِيبة : كذب .

٢ يقول : إن طبيعة البخل التي في الناس تضطره إلى طبيعة المكر لأنهم لا يؤخذون إلا به ،
فإذا تركوا هذه الطبيعة يترك طبيعته لأنه لا يعود يحتاج إليها .

٣ أي أن الطبيب يداوي الناس فلا يفتقر إلى مداواتهم له . يريد أنه أعلم منه بالمواعظ فلا
وجه لوعظه إياه .

٤ الحتل : الحديعة . النبل : النشاب . أي أنه لا يدرك باليد ولا يصاد بالسهولة من مأخذ
قريب .

٥ المتعنت : الذي يلومك لا لوجه ولكن لطلب زلة يرميك بها . راعِ المصادرَ والمواردَ : أي
لاحظ حالة الناس الذين تقدم عليهم وكيف ترجع عنهم لتعرف كيف تتصرف معهم .

٦ دعِ الناسَ يضرِبونَ في حديدٍ باردٍ : مثل يضرب للعمل الذي لا أثر له .

٧ مِرَائِهِ : جداله . رَائِهِ : لفة في الرأي المهموز العين .

المقامة الثامنة والعشرون

وتعرف بالفلكية

حَدَّثَ سَهْلُ بْنُ عَبَّادٍ قَالَ: نَدَّتْ^١ لِي نَاقَةٌ بِالْبَادِيَةِ ، فِي لَيْلَةٍ هَادِيَةٍ
فَخَرَجْتُ أَنْشُدُهَا تَحْتَ الْغَاسِقِ الْوَاقِبِ ، كَأَنِّي شِهَابٌ ثَاقِبٌ . وَكَأَنَّهَا^٢
تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ، فَوْقَ السَّحَابِ ، أَوْ تَحْتَ التَّرَابِ . فَخَفْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِالْقَارِظِ^٣
الْعَنْزِيِّ ، أَوْ الْمُنْخَلِّ الْيَشْكُرِيِّ . وَلَبِثْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي بِالْإِحْجَامِ ،^٤
وَهِيَ تَحْدِثُنِي بِالْإِقْدَامِ . حَتَّى نَصَبَ ضَحَضَاحُ الرَّجَاءِ ، وَاسْتَبَهَمَتِ شِعَابُ^٥
الْأَرْجَاءِ . فَانْقَلَبْتُ عَلَى أَحَدِ جَانِبِي ، وَأَزْمَعْتُ الْأُوبَةَ إِلَى الْحَيِّ . فَمَا
شَعَرْتُ إِلَّا وَأَنَا بَيْنَ قَوْمِ ثُبَيْنَ ، يَنْفِرُونَ إِلَى الدَّاعِي مُهْطِعِينَ . فَقَفَوْتَهُمْ^٦
إِلَى الْمَشْهَدِ الْمَشْهُودِ ، لِأَسْتَطْلِعَ طَلِعَ الْأَمْدِ الْمَأْمُودِ . وَإِذَا شَيْخٌ أَطْوَلَ^٧
مِنْ شَهْرِ الصَّوْمِ ، قَدْ قَامَ فِي صَدْرِ الْقَوْمِ . وَهُوَ يُقَسِّمُ تَارَةً بِالْخُنْسِ ،^٨

١ نددت : شردت .

٢ الغاسق : الليل المظلم . الواقب : الداخل . ثاقب : مضيء .

٣ القارظ : الذي يجني القرظ وهو نبات يدينغ به . والمراد به رجل من غزاة خرج لذلك ولم يرجع .

٤ المنخل اليشكري : رجل من العرب كان هوى المتجردة امرأة الملك النعمان . فلما أنكر عليه أرسله في طريق لم يرجع منها . وقيل حبسه ثم غمض خبره . الإحجام : التأخر .

٥ الضحضاح : الماء القليل . استبهمت : أشكلت . الشعاب : الطرق في الجبال .

٦ ثبين : جمع ثبة بالتخفيف وهي الجماعة . ينفرون إلى الداعي : أي إلى الرجل الذي دعاهم . مهطعين : مسرعين . قفوتهم : تبعهم .

٧ المشهد : المحضر . لأستطلع طلع الأمد المأمود : لأعرف حقيقة الغاية المنتهى إليها .

٨ أطول من شهر الصوم : مثل يضرب في الطول . الخنس : الكواكب .

وطوراً بالجواري الكُنس^١ . ويلهج مرّةً بمواقع النجوم ، وأخرى بفواقع
الرحوم . وفي خِلالِ ذلكِ يَتَفَقَّدُ الغُضونَ والأساري ، ويرجُمُ بغُيوبِ^٢
التقادير . فصَمَدٌ إليه رَجُلٌ أدرم ، كأنه القضاة المبرم . وقال : الله أكبر^٣ ،
إن البغاث قد استنسر^٤ . إن كنت من علماء الفلك ، فأفدنا ما سيارَة^٥
النجوم والفضل لك . فلم يكن إلا كحلّ عقال^٥ ، حتى أنشد فقال :

تلك الدراري : زحلّ^٦ فالمشتري وبعده ميرنجها في الأثر^٦
شمس^٦ فزهرة عطارد^٦ قمر ، وكلها سائرة على قدر^٧

قال : ذلك من أجوبة العلماء ، فما هي أبراج السماء ؟ فنظر إليه نظرة
الصلّ الأصم^٨ ، وقال اسمع وخلاك ذم^٨ :

من البروج في السماء الحَمَلُ تنزل فيه الشمس إذ تعتل^٩
والثور^٩ والجوزاء نِعَمَ المتزله ، ومسرطان أسد^٩ وسنبله
كذلك الميزان ثم العقرب^٩ ، قوس وجدني دَلْوُحوت يشرب^٩

١ الكنس : النجوم السيارة .

٢ فواقع الرجوم : الشهب التي ترشق في الجو كأهمهم من نار . الغضون : مكاسر الجلد .
الأساري : خطوط الكف والجهة .

٣ يرجم بغيوب التقادير : يقضي بالمغيبات التي يقدرها الله . صمد : قصد . رجل أدرم : سمين
أو متفتت الأسنان .

٤ البغاث : طائر دميم ضعيف . استنسر : صار نسرأ . وهو من قولهم في المثل : إن البغاث
بأرضنا يستنسر .

٥ العقال : ما تشد به يد البعير وهو بارك لثلا ينهض من نفسه .

٦ الدراري : الكواكب المضيئة .

٧ أي على منهج محكم .

٨ الصل : حية خبيثة . الأصم : الذي لا يقبل رقية الحاوي . خلاك ذم : سقط عنك الذم .

٩ كنى بذلك عن زولها به في أول الربيع بين خروجها من البرد ودخولها في الحر فيكون
ذلك في شهر آذار . ومن ثم يعلم تعيين بقية الأبراج بقية الأشهر على الترتيب .

قال: أراك من أرباب النظر ، فهل تعرف منازل القمر ؟ فأَنْفَضَ^١ رأسه واستطال ، وأنشد في الحال :

الشَّرْطَانِ أَوَّلُ الْمَنَازِلِ وبعدهُ البُطَيْنُ في القَوَابِلِ^٢
ثم العُرَيَّا الدَّبْرَانُ المَقْعَلَه ، كذلك الذَّرَاعُ بعد المَنْعَه
نَمْرَةٌ طَرْفٌ جَبْهَةٌ غِرَاءُ وزُبْرَةٌ وَصَرْفَةٌ عَوَاءُ
ثم السَّيَاكُ العَقْرُ والزُّبَانِي كذلك إِكْلِيلٌ وَقَلْبٌ بَانَا
والشُّوْلَةُ النِّعَامُ البَلْدَةُ مع تلكَ وسعدُ ذابِحٌ سعدُ بُلْدَع
سعدُ السُّعُودِ ثمَّ سعدُ الأَخْبِيَه وفرَّغَهَا المَقْدَمُ المِسْتَلِيَه^٣
وبعدَ ذاكَ فَرَّغَهَا المُوَحَّرُ كذلك بطنُ الحوتِ حَتْمًا يُذْكَرُ

قال : حياك الذي سواه ، فهل تعرف ليلية المساء؟ فنظر نظرة في السماء ، ثم تلا : إن هي إلا أسماء ، وأنشد :

أما ليليه فتلك الغررُ ونُقِلٌ وتَسْعُ وعِشْرٌ^٤
وبعدهنَّ البيضُ ثم الدُّرْعُ وظلِّمٌ حادِسٌ تَسْتَتِيعُ^٥

١ أنفض : حرك .

٢ في الليالي القادمة . وهو بدل من الظرف أي وبعده ذلك في القوابل البطين وما عطف عليه .

٣ المستتلية : المستتمة له .

٤ سواه : الضمير للقمر . المساء : التي وضعوا لها أسماء .

٥ إن : نافية . إن هي إلا أسماء : بعض آية من القرآن حيث يقول : إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم .

٦ الغرر : الثلاث ليال الأولى من الشهر . وهكذا ما يليها من الأسماء كل واحد ثلاث ليال حتى تنتهي إلى المحاق وهو اسم للثلاث ليال الأخيرة .

وبعدھا الدَّادِيءُ المِحاقُ كلُّ ثلاثٍ في اسمها وِفاقُ^١
والغُرَّةُ الأولى وصدْرُ البِيضِ عَفْرَاءُ فالبلدَاءُ في التبعيضِ^٢
كذا المِحاقُ صدرُهُ الدَّعْجاءُ وبعدها الدَّهْماءُ فالدلَّالْماءُ^٣

قال : قد عرفتَ سَعُودَ القمرِ ، فهل تعرفُ السعُودَ الأخرَ ؟ فأُنشد :

هانيكَ سعدُ مَلِكِ سعدُ مَطَرُ سعدُ المِمامِ والبِهامِ في الأثرِ^٤
وسعدُ بارِعٍ وسعدُ نائِثِرَةٍ وذاكَ عِدَّةُ السُّعُودِ العاشِرَةِ^٥

قال : قد عرفتَ طِوَالِ الأضواءِ ، فهل تعرفُ غِوَارِبَ الأنواءِ ؟

فَأُنشد :

أوَّلُ نَوءِ السَّنَةِ البِدريُّ وبعدهُ الوَسْمِيُّ فالوَلِيُّ^٦
ثمَّ القَمِييرُ ثمَّ بُسْرِيُّ خَوَى وبارِحُ القِيطِ وإِحراقُ المِوَأِ^٧

١ أي كل ثلاث من هذه الليالي الشهرية تسمى باسم من هذه الأسماء . فيكون الشهر عشرة أقسام كل قسم منها ثلاث ليال كما ترى .

٢ يقول : إن الليلة الأولى من ليالي القمر يقال لها الغرة . وأول الليالي البيض التي ذكرها وهي الليلة الثالثة عشرة يقال لها العفراء . وبعدها البلداء وهي ليلة البدر . وقوله في التبعيض أي يقال ذلك في التكلم على أبعاض هذه الليالي أفراداً لا إجمالاً كما مر في الأبيات الأولى .

٣ أي أن أولى ليالي المحاق وهي ليلة الثماني والعشرين يقال لها الدعجاء ، والليلة التي بعدها الدهماء ، والأخرى الدماء وهي الأخيرة .

٤ سعُود النجوم عشرة . منها أربعة في برج الجدي والدلو ينزلها القمر . ومنها ستة ليست من المنازل وهي التي يذكرها هنا . وهي كواكب متناسقة وكل سعد منها كوكبان . وبين كل كوكبين مقدار ذراع .

٥ والبهام : عطف على الممام أي وسعد البهام .

٦ وهذا السعد الأخير هو العدد العاشر من السعُود .

٧ الأنواء : جمع نوء وهو سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيه من المشرق .

٨ خوى : يقال خوى النجم إذا سقط ولم يمطر في نوته . وصفه بذلك لوقوعه بين حزيران وتموز . المِوَأُ : يريد المِوَأُ بالمد فقصره للضرورة .

قال سهيل^١ : فلما رأوه عارضاً مستقبلاً أوديتهم ، وتياراً مستفراقاً^٢
أنديتهم . قالوا : شهيد الله إنك لقطب الأرض والسماء ، فانظر لنا^٣
واتق الله إنما يخشى الله من عباده العلماء . فقام يستقري^٤ الصفوف ،
ويتوسم الجبابة والكفوف . ويستطلع الطوالع والمواليد ، ويفرق بين الشقي^٥
والسعيد . حتى خيّل للقوم أن عنده علم الغيب فهو يرى ، وأنه يعلم ما في
السماء وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى . فاحرّنجموا^٦ عليه بالعطايا ،
كما تخرجنهم على الماء المطايا . فلما قبض نهض ، ثم نكص^٧ فرَبض . وقال :
قد تطيرت من نحس هذا الكابج ، فأخرجوه على هذه الناقة الشوهاء فإنها^٨
ضريبة^٩ له في المقابح . وهو بين ذلك ينظر^{١٠} مرة إلى كالعائف ، ومرة إلى^{١١}
الأرض كالعائف . فأطلقوا إلى الناقة وقالوا : اغرب عنا إلى النار ، وجعل^{١٢}
الشيخ يرمي الحصاة في أثري كما تُرمى الحمار^{١٣} . فلما صرت^{١٤} بمعزل ، عن

- ١ عارضاً : سحاباً . تياراً : موجاً .
- ٢ أنديتهم : جمع النادي أو الندى . فانظر لنا : أي فانظر لنا في سعدنا ونحوسنا وعواقب أمورنا .
- ٣ يستقري : يتتبع .
- ٤ احرنجموا : اجتمعوا .
- ٥ نكص : عاد .
- ٦ تطيرت : تشامت . الكابج : ما استقبلك مما يتطير منه . الشوهاء : ذات العيوب .
- ٧ ضريبة : نظيرة . أخرجوه على هذه الناقة الشوهاء فإنها ضريبة له في المقابح : يقول إنه بعدما قبض المال وانصرف رجع كأنه لم يكن قد رأى سهيلاً قبل ذلك وقال إنه قد تطير من نحسه . وكأنه تطير أيضاً من نحس ناقة لهم فأمرهم أن يعطوه إياها لأنها مثله في المساوية ويخرجهما عنهم لئلا يصيبهم النحس بسببها وإنما ذلك حيلة منه لكي يسعى لسهيل بإعطاء الناقة . العائف : الذي يزجر الطير ويتفادل أو يتشامم بها .
- ٨ العائف : الذي يتفقد الآثار في الارض من أقدام المشاة فيعرف الغريب من الأهلي والرجل من المرأة .
- ٩ يقول : إن الشيخ جعل يرمي بالحصى في أثره كأنه يريد أن يطرده ويحشه على السرعة . وإنما يريد أن ينصرف هو أيضاً بهذه الحجة . والحمار جمع جمرة وهي مجتمع الحصى . والمراد بها جمرات منى ، وهي ثلاث ، بين كل جمرتين مقدار غلوة ، ترميها الحجاج بالحصى ، وذلك من مناسك الحج .

المنزل . إذا الشيخ في أثري كالغول ، وهو يقول :

إني خلقتُ لأحيا حتى يشاء القضاء
ولي فؤادٌ لبيبٌ يجولُ حيثُ يشاءُ^١
إن ضاقت الأرضُ دوني فما تضيق السماءُ!^٢

ثم قال : خذ من جذعٍ ما أعطاك ، ولا تقل : كيف ذلك؟ وانطلق^٣
ينهبُ الأرضَ بجوادهِ ، حتى غمضتُ عين سوادهِ^٤ . فأنشبتُ مُبِيناً
بتلك المناحيس ، وتمعجباً بما عندهُ من ترهات البسائس .^٥

١ لبيب : عاقل .

٢ يريد بها الفلك . أي إذا لم يعد لي سبيل للاحتيال على معيشتي في الأرض اتخذت لذلك سبيلاً في السماء .

٣ خذ من جذع ما أعطاك : أي خذ من القوم الناقة . وهو مثل يضرب في اغتنام ما يجود به البخيل . ولا تقل كيف ذلك : ولا تسألني عما فعلت من المخرفة .

٤ أي اختفت ذات شخصه .

٥ الترهات : الطرق الصغيرة تتشعب من الطريق الأعظم . والبسائس : القفار . وهم يكونون بذلك عن الحرافات والأباطيل .

المقامة التاسعة والعشرون

وتعريف بالمصرية

قال سهيل بن عبّاد: أزمعتُ الشُّخُوصَ إلى الكِنانة^١ ، في رَكْبٍ من بني كِنانة^٢ . فلما فرغتُ من الأهبة أتيت القافلة ، في اتِّخَاذِ الرَّاحلة . فعرَّضَ لي رجلٌ أدم ، وقال: آجرتُكَ هذا المُطَهَّم^٣ ، كلُّ يومٍ بدرهم . فرضيتُ باسْتِراطِه ، ولم أبتئسْ باسْتِطاطِه^٤ . وخرجنا نطوي الوهاد والرُّبَى ، بين الحَيْرَى والمِهْدَبَى . حتى حللنا تلك الدِّيار ، فنزلنا عن الأكوار ، إلى الأوكار . وأحفظني صاحبُ المطية ، فنقمتُ منه بهضم العطيّة . حتى إذا تعذّر التراضي ، ولجّ في التقاضي ، نافذته إلى القاضي . فبينما أتيناها عن كَسْب^٥ ، أقبل الخزاميُّ ورَجَب . فتقدّم الغلام ، وقال : حيّا اللهُ الإمام ! إن هذا الشيخ أجَدَبُ من رَملة ، وأحرصُ من نَملة . وأسألُ من فلحس ، وأبرد^٦

١ الكِنانة : لقب مصر .

٢ بني كِنانة : قبيلة من مصر .

٣ المطهّم : الفرس التام الحلقة .

٤ ولم أبتئسْ باسْتِطاطِه : أي ولم أجد بأساً بتجاوزه الحد .

٥ الحَيْرَى : مشية متناقلة . المِهْدَبَى : مشية سريعة . الأكوار : رجال الجمال .

٦ الأوكار : أي الأبيات . أحفظني : أغضبني . المطية : الفرس . فنقمتُ منه بهضم العطيّة : فانتقمتُ منه بتنقيص الأجرة .

٧ ولجّ في التقاضي : قبض الذي له . نافذته : رافعته .

٨ أسأل : أطلب للعطاء . فلحس : رجل من بني شيبان كان سيّداً عزيزاً يطلب سهماً من غنيمة الجيش وهو في بيته لم يباشر الفزو فيعطى ، ثم يطلب لامراته فإذا أعطي طلب أيضاً لبعيره فسار به المثل .

من عَضْرَس . يَذْخَرُ الرَّمْصُ ، وَيَضْنُ بِالغَمْصِ . وَيَبْلُغُ بِالْقَضَاعَةِ ، فِي
 إِبْطَانِ الْمَجَاعَةِ . وَقَدْ اسْتَعْبَدَنِي لِظَاظًا ، لَا أَلْبَسُ لَهُ طِحْرِيَّةً وَلَا أَدْوِقُ لَهُ^٢
 لِمَاظًا^٣ . وَهُوَ يَكْلِفُنِي حَمْلَ الْأَنْقَالِ ، وَيُسَمِّي ذُلَّ السُّوَالِ . فَأَنَا أَعُولُ
 نَفْسِي وَإِيَّاهُ ، حَتَّى كَأَنِّي مَوْلَاهُ . فَمُرُهُ أَنْ يَقُومَ بِحَقِّي ، أَوْ يَنْخَلِي عَن
 رِقِّي^٤ . وَإِلَّا قَتَلْتُ نَفْسِي ، وَخَلَصْتُ مِنْ حَبْسِي . قَالَ : فَلَمَّا فَرَغَ الْعِلَامُ
 مِنْ قِصَّتِهِ ، مَالَ الْقَاضِي عَلَى مَنَصَّتِهِ ، وَجَعَلَ يَتَأَفَّفُ لِعُصَّتِهِ . ثُمَّ سَأَلَ^٥
 الشَّيْخَ فَتَنَّهُدُ ، وَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ بِالْدموعِ وَأَنشَدَ :

قَدْ صَدَقَ الْعِلَامُ فِي مَا يَدْعِي ، فَإِنَّهُ مُذْ أَشْهَرُ لِمَ يَشْعُرُ !
 مَزْمَلٌ فِي السَّمَلِ الْمُتْرَقِعِ ، مُوسَدٌ فَوْقَ الْحَصَى وَالْيَرْمَعِ^٦
 بَيْتٌ طَوْلَ لَيْلِهِ لَمْ يَجْعِ ، يَدْعُو إِلَى اللَّهِ بِقَلْبٍ مُوجِعِ
 لَكِنِّي شَيْخٌ شَدِيدُ الزَّمْعِ^٧ إِذَا نَهَضْتُ بَكْرَةً مِنْ مَضْجَعِي ،
 أَمْشِي كَمَا تَمْشِي ذَوَاتُ الْأَرْبَعِ ! قَدْ بَيْعْتُ حَتَّى إِنِّي لَمْ أَدْعِ^٨
 سِوَاهُ عُنْدِي مِنْ جَمِيعِ السَّلْعِ ، فَصِرْتُ كَالطِّفْلِ الصَّغِيرِ الْمُرْضَعِ^٩
 لَا زَادَ فِي بَيْتِي وَلَا مَالَ مَعِي ، فَإِنْ أُرِدْتُ بَيْعَهُ لَمْ يَقْشَعِ

- ١ عَضْرَس : البرد والتلج . الرمص : الوضر الأبيض الحامد في موق العين . الغمص :
 الوضر السائل من موق العين . يتبلغ : يتقوت . القضاعة : غبار الرحي .
 ٢ لظاظًا : أي ملازمة . طحربة : قطعة من ثوب .
 ٣ لماظًا : يسيراً من الطعام .
 ٤ رقي : عبودي .
 ٥ منصته : كرسيه . لعصته : لمصيبته .
 ٦ مزمل : ملتف . السمل : الثوب البالي . اليرمع : حجارة رخوة .
 ٧ الزمع : الارتعاد .
 ٨ أدع : أترك .
 ٩ السلع : الامتعة .

لي في الحياة بعده من مطعم ، فهور أنيسي في الحلاء البلقع^١
 وسندي في عثرة أو مصرع^٢ ، أراه في حديثه كالأصمعي^٣
 وفي الدهاء كقصير الأجدع^٤ ، وفي المضاء مثل سيف تبع^٥
 يقوم بالأمر قيام المسرع^٦ ، وهو إذا ولت قريب المرجع
 ويحفظ الود بلا تصنع كحفظه سرائر المستودع^٧ ،
 فانظر إلى ما نحن فيه واسمع !

قال : فلما فرغ من أبياته نظر إليه القاضي سزراً ، وقال : إن لك في
 أمر نفسك عذراً ، ولكن عليك في أمر الغلام وزراً^٨ . فإن رأيت أن تبعه^٩
 وتستخرم بثمنه ، ولا تبكي على أطلال الربيع ودمنه ، فليس للمرء ثقة^{١٠}
 من زمنه . وكان الشيخ قد أغرى^{١١} بالغلام من حصر ، عندما ذكر من
 صفاته ما ذكر . فقام في المجلس بعض حاضريه ، وقال : إن كنت تبعه^{١٢}
 فأنا أشتريه . فبكى الشيخ حتى اخضل^{١٣} عارضاه^{١٤} ، وقال : هل من يبيع روحه^{١٥}
 براضاه^{١٦} ؟ لكنني قد سئمت العيش المديد ، كما سئمت ليده . فضع الفأس ،

١ البلقع : المقفر .

٢ مصرع : سقطه .

٣ الدهاء : جودة الرأي . قصير الأجدع : هو قصير بن سعد اللخمي أحد جنود جزيمة
 الأبرش . والأجدع : المقطوع الأنف . تبع : هو تبع بن حسان الحميري من ملوك اليمن
 كان له سيف طويل أخضر كاليفل لكثرة مائه يلقب بلسان الكلب .

٤ وزراً : إثماً .

٥ تستخدم : أي تستأجر خادماً . الأطلال : رسوم الدار . دمنه : جمع دمنة وهي ما تلبس من
 آثار التدار .

٦ أغرى : أولع .

٧ اخضل : ابتل . عارضاه : جانبها لحيته .

٨ ليده : هو ليده بن ربيعة السامري أحد أصحاب المغلقات ، عاش عمراً طويلاً فقال في
 أواخر حياته :

ولقد سئمت من الحياة وطولها ، وسؤال هذا التامس كيف ليده ؟

في الرأس ، وحيَّهَلْ هذه الكأس . فابتدر الرجل صَفْقَةَ العَقْد ، وقضى^١
على أثرها بالنقْد . وقال للغلام : هَيَّا ، فَإِنَّ الفَرَجَ قد تهيأ . فلما نهض به^٢
لينطلق ، أجهش الشيخ بصوتٍ صَهْصَلِقٍ . وانعكف على الغلام يودِّعُهُ^٣ ،
ثم خرج بِشِيعُهُ . وأنشد :

لَا تَنْسَنِي ، يَا مَنْ لَهُ النِّفْسُ فِدَى ! فَلَيْسَتْ أَنْسَاكَ وَلَوْ طَالَ المَدَى
إِنْ نَكُنْ اليومَ افْتِرَقْنَا قَدَدَا ، فمِوَعِدُ اللِّقَاءِ بَيْنَنَا عَدَا
والدهرُ لَا يَبْقَى لِحَيِّ أَبَدَا

قال : فلما قضى وداعه ذهب الرجلُ جُلُجِلًا يَهْرُولُ ، وتركه وهو يُعْوِلُ .
فرثى له قلب كل جبار ، وجبر قلبه كل واحدٍ بدينار . فلما أحرز المال
انقلب على عَقْبِيهِ ، وهو يمسح مدامع جَفْنَيْهِ ، واختمس نفسه بحيث لا
أهتدي إليه . فبت تلك الليلة بين شوقٍ إلى نَظَرِهِ ، وتوقٍ^٤ إلى استطلاع
خَبْرِهِ . ولما كان العَدُ خرجتُ أتخلَّلُ المواكب ، وأنفقْتُ الدهاليز^٥
والمساطب . حتى رأيتُ والغلامُ بجانبه ، وقد لبس كلُّ منهما بزيَّةً صاحبه^٦ .

١ ضع الفأس في الرأس : مثل يضرب في طلب العجلة وإنجاز الأمر . حيل : أعجل . هذه
الكأس : يريد كأس الموت لأنه قد أيقن به بعد ذلك . صفقة : تقابض المتبايعين بالأيدي .
العقد : البيع .

٢ النقْد : دفع الثمن . هيا : أسرع .

٣ أجهش : تهيأ للبكاء . صهصلق : شديد .

٤ قدداً : قطعاً . غدا : يشير في ظاهر العبارة إلى يوم البعث ، وهو في الباطن يريد غد
ذلك اليوم .

٥ يعول : يرفع صوته بالبكاء .

٦ توق : ميل نفس .

٧ المواكب : الجماعات المتشاقلة في المشي لازدحامها . الدهاليز : ما بين الأبواب والدور

٨ المساطب : مقاعد الدكاكين . بزة : ثياب . أي أنه لبس ثياب الغلام وألبسه ثيابه لكيلا
يعرفهما أحد .

فلما رآني هَشَّ إليَّ وبَشَّ ، وأنشد بصوتٍ أجَشَّ :

قد خالف الشرعَ الشريفَ فاشتري حُرّاً بجهلِ نفسه ، وما دَرَى^١
ففرَّ منه جَنَحَ ليلٍ وسرَى في طاعةِ الرحمنِ بمشيِ القَهْقَرَى^٢
وإني علِمْتُه بما جرى كيف يداري نفسه بين الوَرَى
فحقُّ لي ما نلته كما أرى^٣

قال سهيلٌ : فقلت إن كل العجب ، بين ميمونٍ ورجبٍ . وانصرفت
وأنا أصفق من بلابلٍ سحره ، وأستعيد بالله من زلازلٍ مكره .

- ١ يريد به الرجل الذي اشترى الغلام لأن الشرع لا يجيز بيع الأحرار .
- ٢ سرى في طاعة الرحمن : أي في السلوك على حسب شريعة الله التي تأمر بإبطال بيع الحر .
- ٣ يريد أن يبرر نفسه في ذلك بأنه قد علم الرجل كيف يتصرف بين الناس أي أنه لا يباشر أمراً مجهولاً حتى يتحقق صحته فيسلم من الخديعة والغش ، وبحسب ذلك يكون قد أخذ المال منه بحق التعليم .
- ٤ هذا مثل قوله في المقامة الموصلية فرجعت بخف ميمون . ورجب : اسم الغلام .

المقامة الثلاثون

وتعرف بالطيبة

حكى سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال : خرجتُ على فرسٍ جمُوحٍ ، إلى نِيئةٍ طَروح . فأزعجني إهماجاً وخمبياً ، وأرهقني صعداً وصبباً . حتى تمكنتُ اللُّغوب ، وأعياني الرُّكوب . فنزلتُ لأقيل ، وأستقيل . وإذا ناقةٌ ترعى ،^١ وهي تنسابُ كالأفعى . فوفقتُ أستشرفُ الهضابِ والوهاد ، وأنا أريدُ أن أبدلها بالجواد ، وإذا شيخٌ قد انقضَّ عليَّ كدُمُسرٍ لقمان بنِ عاد ، وقال : هلكتَ ولو كنتَ سهيلَ بنِ عبَّاد . فتوسَّيتُهُ من تحت اللثام ، وقلتُ : قاتلكَ اللهُ ولو كنتَ ميمونَ بنِ غزام ! فضحك ثم كبر ، وقال : الاجتماعُ مُقدَّر . ثم قال : الطعام ، يا غلام ! فأحضرَ ما تَسْتَى ، ثم اندفع فتغنَّى .^٢

- ١ فرس جموح : يفلب فارسه . نية : جهة ينوى السفر إليها .
- ٢ طروح : بعيدة . الإهماج : أشد الركض ؛ والخبب : ركض مضطرب . أرهقني صعداً وصبباً : حملني فوق طريقي صعوداً وانحداراً .
- ٣ نهكني اللغوب : أضعفني التعب الشديد . أعياني الركوب : عجزت عنه . أقيل : أنام نصف النهار . أستقيل : أطلب الإقامة من الجهد .
- ٤ أستشرف : أنظر ويدي فوق حاجبي .
- ٥ يقال : إن لقمان كان يعطي بترية النور فربى سبعة منها وهلك إلا واحداً كان أشدها وهو لسد .
- ٦ هلكت ولو كنت سهيل بن عباد : قال ذلك وهو قد عرفه ولمح أنه يريد أن يأخذ الناقة . توسته : عرفته بعلاماته .
- ٧ مقدر : يكون بأمر الله وقضائه . تسى : تهاى .

قال : فكان عندي أنسُ ذلك اللقاء ، أطربَ من شدوِ سلامة الزرقاء^١ .
 وبتُ معه ليلةً من ليالي الدهر ، أحسبُها خيراً من ألف شهر . حتى اشتعلَ
 رأسها شيباً ، وعطَّ الصباحُ لديجورها جيباً . فاستوى الشيخ على القتب^٢ ،
 وقال : أجيئوا داعيَ الله إلى ما كتب . فأوقضنا في مفازةِ صلدة^٣ ، حتى
 أفضينا إلى بلدةٍ ، بها مدرسةٌ للطبِّ عن الحرث بن كلدة^٤ . فحللناها حولَ
 النون في القفار ، أو الضبِّ في البحار . ولما انجابت وعكة السفر ، خرج
 الشيخ في ارتيادِ الظفر . حتى أتينا المدرسة وهي حافلةٌ بالطلبة ، وقد قام
 في صدرها شيخٌ طويل الأرنبة ، عظيم العرنبية^٥ . فقال : الحمد لله الذي
 شرفَ علم الأبدان ، حتى قدّمَ على علم الأديان^٦ . أما بعدُ فإن هذا العلم
 أفضل علوم الدنيا جميعاً ، لأنه أشرفُها موضوعاً . وهو أدقُّها نظراً ،
 وأجلُّها خطراً . وأقدمُها وضماً ، وأعظمُها نفعاً . وأغضُّها سريرةً ،
 وأوسعُها حظيرةً . وهو يستطلعُ الحبايا ، ويستوضحُ الحفايا^٧ . حتى قيل : إنه

- ١ سلامة الزرقاء : هي تجارية حسنة الصوت غنت يوماً بحضرة من بن زائدة الشيباني وروح
 ابن حاتم المهلبى وابن المقفع . فأفرغ من بين يديها بدرة من المال ، وفعل روح كذلك ،
 ولم يكن عند ابن المقفع مال فأعطاها صكاً فيه عهدة ضيعة له .
- ٢ عط : شق . ديجورها : ظلامها .
- ٣ أسرعنا في فلاة صلبة .
- ٤ الحرث بن كلدة : هو رجل من بني ثقيف كان طبيب العرب وكان حاذقاً في صناعته .
- ٥ النون : الحوت . الضب : دوية برية . يعني أننا نزلنا بها غرباء لأنها ليست مكاناً لنا .
 انجابت : انكشفت وزالت .
- ٦ ارتياد : طلب .
- ٧ الأرنبة : طرف الأنف . العرنبية : طرف الحجاب الذي بين المنخرين .
- ٨ ورد في الحديث : العلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان .
- ٩ خطراً : شرفاً . أغضها سريرة : لأنه يتعلق بالحفايا المكونة في بواطن الأجسام .
- ١٠ لأنه يكشف الأمراض الباطنة بالدلائل الخارجية ويهتدى به إلى قوى الأدوية وطرق
 المعالجات .

وَحَيٍّ قَدْ هَبَطَ عَلَى الْأَطْبَاءِ ، كَمَا هَبَطَ الرَّحْمِيُّ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ . وَصَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ، أَرْوَجُ^١ النَّاسَ بِضَاعَةٍ . وَأَرْبِحُهُمْ تِجَارَةً ، وَأَشْهَامُ زِيَارَةٍ . وَأَكْسَبُهُمْ أُجْرَةً وَأَجْرًا ، وَأَنْفَذُهُمْ نَهْيًا وَأَمْرًا^٢ . وَعَلَيْهِ مَدَارُ الْأَعْمَالِ وَالْمِهْنِ ، وَقِيَامُ الْفُرُوضِ وَالسُّنَنِ ، فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِصِحَّةِ الْبَدَنِ . وَطَالَمَا كَانَ هَذَا الْفَنُّ أَعَزَّ مِنْ جِبَةِ الْأَسَدِ ، حَتَّى اغْتَالَهُ الْجَهْلَاءُ فَأَوْتَقُوا جِيْدَهُ بِجِلْدٍ مِنْ مَسَدٍ^٣ . فَوَاهَا لَهُ كَيْفَ ثُلٌّ عَرَشُهُ ! وَوَاهَا لَعَلِيْلِهِمْ كَيْفَ قَلْبٌ نَعَشُهُ ! قَالَ :^٤ وَكَانَ فِي الْحَضْرَةِ فَتَى بَاهِرٌ بِالطَّافَةِ ، ظَاهِرٌ الْقِضَافَةِ^٥ . فَقَالَ : يَا مَوْلَايَ إِنِّي قَدْ مُنِّيتُ بِجِلْدِ الْمُنْتَطَبِيِّينَ الرَّعَاعِ ، الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ الصَّافِنَ مِنْ حَبْلِ الذَّرَاعِ^٦ . فَلَعَلَّكَ تَوْصِيئِي بِمَا يَكُونُ غُنْيَةً لِلْيَبِ ، عِنْدَ غَيْبَةِ الطَّيِّبِ^٧ . فَأَطْرَقَ هُنَيْبَةً^٨ لِلتَّرْوِيَةِ ، ثُمَّ هَبَّ^٩ فِي التَّوْصِيَةِ . فَقَالَ : يَا بُنَيَّ لَا تَجْلِسْ عَلَى الطَّعَامِ إِلَّا وَأَنْتَ جَائِعٌ ، وَقَمِ وَأَنْتَ بِمَا دُونَ الشُّبْعِ قَانِعٌ . وَبَاكِرٌ فِي الْغَدَاءِ ، وَلَا تَتَمَسَّ فِي الْعِشَاءِ ، وَالزَّمِ الرِّيَاضَةَ عَلَى الْخَلَاءِ ، وَاجْتَنِبْهَا عِنْدَ الْإِمْتِلَاءِ . وَلَا تُدْخِلْ طَعَامًا عَلَى طَعَامٍ ، وَلَا تَشْرَبْ بَعْدَ الْمَنَامِ . وَلَا تَكْثُرْ مِنَ الْأَلْوَانِ^٩ ، عَلَى الْحَيَّوَانِ . وَلَا تَعْجَلْ فِي الْمَضْغِ وَالْإِزْدِرَادِ ، وَاجْتَنِبْ كُلَّ مَا لَمْ يَنْضَجْ وَمَا بَاتَ مِنَ الطَّعَامِ فَهُوَ مَجْلَبَةٌ لِلْفَسَادِ^{١٠} . وَإِذَا أَمَكَّنْتَ الْوَجْبَةَ ، فَهِيَ أَفْضَلُ نَخْبَةٍ .

١ أروج : أنفق .

٢ على المرضى .

٣ أعز من جبهة الأسد : مثل في العزة والمنعة . جيده : عنقه . مسد : ليف .

٤ ثل : كسر أو هدم . عرشه : كرسيه . قل : رفع .

٥ القضاة : نخافة الجسم .

٦ المتطبيين : المدعين بالطب . الرعاع : الأحداث السفلة . الصافن : عرق في الرجل .

حبل الذراع : عرق في اليد .

٧ غنية اللبيب عند غيبة الطيب : أي يكون غنية للعاقل عند غيبة الطيب الصحيح . وهو اسم

كتاب في الطب .

٨ التروية : التفكير . هب : شرع .

٩ الألوان : أصناف الطعام .

١٠ مجلبة للفساد : لفساد الطعام في المعدة لعسر هضمه فلا تحسن التصرف فيه .

واقطع العادة المضرة ، مرةً بعد مرةً . وعليك بتنقية الفضول ، في^١
مُعَدَّلاتِ الفُصولِ وإذا مَرَضتَ فقابلِ السببَ^٢ ، واحرص على القوة فإنها
إلى الحياة سبب^٣ . وبالغ في الدواء ، ما شَعَرْتَ بالداءِ ، ودَعَهُ متى وثقتَ
بالشِّفاء . وإذا استغنيتَ بالمُفْرَداتِ^٤ ، فلا تَعَدِلْ إلى المركِّباتِ . وإذا
اكتفيتَ بالأغذية ، فلا تتجاوزْ إلى الأدويةِ . وإذا تعاطم العَرَضُ ،
فاشغل به عن المرضِ^٥ . واعتمد الحِميةَ الواقيةَ ، ما دامت العِلَّةُ باقيةً .
واحذرِ دواعي التَّكْسُ ، فإنه شرٌّ من العِلَّةِ بالأمس . واعلم أن التجربة
خطرٌ ، فكن منها على حذرٍ . والعلاج بين استفراغ الحاصل ، وقطع الواصل^٦ .
والصِّعَّةُ تُحْفَظُ بالشِّبهِ وتُسْتَرَدُّ بالنقيضِ ، والحِميةُ للصحيح كالتهليل^٧
للمريض . واستعمال الدواء حيث لا يُحتاجُ ، كتركه عند حاجة العلاج .
والمُضِرُّ اليسيرُ ، خيرٌ من النافع الكثيرِ . وكلُّ ما عَسَرَ قَضَهُ ، شقَّ هَضَمَهُ^٨ .
ومن كَثُرَتْ نَجِيصَتُهُ ، تقافم سَقَمَهُ . وأكثر الأوصابِ ، يكون من
الطعام أو الشراب . فاحفظ عني هذه المواعظ ، واحفظ بها والله الحافظ .

١ مرة بعد مرة : بالتدرج . الفضول : الأخطا .

٢ قابل السبب : انظر إلى السبب وعالجه بصدده كما إذا كان المرض عن حرارة فعالجه بالبارد .

٣ سبب : وسيلة . قالوا إن القوة للمريض كالزاد للمسافر .

٤ أي بالدواء المفرد البسيط .

٥ أي إذا حدث عرض شديد يخشى منه سقوط القوة فاشتغل بعلاجه حتى يزول ، ثم ارجع إلى علاج المرض .

٦ واعلم أن التجربة خطر : يريد تجربة الأدوية المجهول أمرها فإنها خطر على المريض يخشى هلاكه بها أحياناً . والعلاج بين استفراغ الحاصل وقطع الواصل : أي أن العلاج يكون باستفراغ ما قد تولد منه المرض أولاً ومنع تجدده ثانياً .

٧ الصحة تحفظ بالشبه وتسترد بالنقيض : أي أن الصحيح يحفظ صحته بما يوافق مزاجه ، وإذا زالت يسترجمها بما يناقض مزاج المرض . التهليل : ضد الحمية . قالوا إن اثنين لا يصحان : المريض المخلط والصحيح المحتمي .

٨ قضمه : مضغه . شق : عسر .

٩ تخمه : جمع تخمة وهي فساد الطعام في المعدة . الأوصاب : الأمراض .

قال : فلما فرغ من كلامه الموضوع^١ ، برز شيخنا الميمون . وقال : إني لأراك من أهل الفضل والفصل ، وأرباب العقل والنقل . ولقد عثرتُ على مسائل ، في كتب الأوائل . فهل تأذنُ بدفع الظنَّة ، ولك المنة ؟ قال : حبَّذا ! فقلْ إذا . قال : ما هو الدَّشْبَدُ ؟ وكم هي الدلائل التي تؤخِّدُ^٢ وما هو أعدلُ الأعضاء ، بالنسبة إلى بقية الأجزاء^٣ ؟ فأخذ الأستاذ في قلب رأيه ، حتى أفرطَ في لأبيه^٤ . ثم قال : إن الإنسان ، مَوْضِعُ النسيان ، فهل من مسائلٍ أخرى ، لعلِّي أصادفُ بها الذَّكْرَى ؟ قال : قد رميتك بالفصيح فاستعجم ، فهل تفرِّقُ من صوت الغراب وتفرِّسُ الأسدَ المُشْبِمَ^٥ هيهاتُ إن العلم بتحقيق القضايا ، لا يتنمقُ الوصايا ! فقلب على الرجل الوجوم ، ولعبت بالقوم الرجوم^٦ . حتى قالوا للشيخ : مثلك من يستحقُّ الإمامة ، فهل لك عندنا من إقامة ؟ قال : قد علمتُ أن النقلة ، ثقلة . ولا سيبا مع تطارح الشقَّة ، وتطاوح المشقَّة . فإن خفَّتم عني بالإمداد ، أنبتكم كوزي^٧

١ الموضوع : السرود .

٢ فقل إذا : أي فقل إذن ، قلبت نونها ألفاً للوقف . الدشبذ : هو مادة غضروفية تنبت على طرف العظم المكسور ليلتحم بها . الدلائل التي تؤخِّد : قالوا : إن الدلائل ثلاث : إحداهما المذكورة ، وهي التي تذكر الطبيب بما مضى من الأعراض فيستدل به على سبب المرض وكميته . والثانية الحاضرة ، وهي التي تسدل على حقيقة المرض الحاصل . والثالثة المنذرة ، وهي التي تدل على ما سيحدث .

٣ قالوا : إن أعدل الأعضاء مزاجاً بالنسبة إلى غيره من أجزاء البدن هو الجلدة التي على طرف السبابة من اليد .

٤ لأبيه : إبطائه .

٥ تفرق : تخاف . المشم : من الشبام وهو عود يعرض في فم الجدي لثلا يرضع . استعمل ذلك للأسد كناية عن شدة الجوع . وهو مثل يضرب لمن يقدم على الأمر الخطير وينزع من اليسير .

٦ تنمق : زخرقة .

٧ الرجوم : الظنون .

٨ تطارح الشقَّة : تباعد المسافة . تطاوح : تقاذف . الإمداد : الإسعاف . يريد الإسعاف بالمال ليستعين به على مهمات السفر .

الزناد . فنفعوه بعدة من الدنانير ، وقالوا : استعين بالله والله على كل شيء قدير . قال سهيل^١ : فلما فصلنا عن المكان أخذ الشيخ مجلساً مكتوماً ، ثم برز فناولني طرساً^٢ محتوماً . وقال : إذا أصبحت فألقه إلى القوم ، ولا تغريب^٣ عليك ولا لوم . فأجبتُهُ إلى ما طَلَبَ ، وإذا به قد كَتَبَ :

أنا ذاك الطبيب ، وإن طيبي نفسي ، لا لزبدٍ أو لعرو
وما عاجتُ سقمَ الناس يوماً ، ولكني أعالجُ سقمَ دهري
إذا ما مسني ضحك ، فعندي جوارش حيلة وشراب مكر!

فلما وقفوا على أبياته ، تعوذوا بالله من آفاته . وقالوا : إن لم يكن طبيباً ، فكفى به لييباً ! فهل لك أن تردّه علينا لظرفه^٤ ، إن لم يكن لعرفه^٥ ؟ قلت : ذلك مما لا يقرب ، فإنه أجول من قطرب . ورجعت إلى موعِدنا أمس ، فوجدت أنه قد أفل قبل الشمس .

١ وري الزناد : سقوط الشرار من الزند عند اقتداحه . نفعوه : أعطوه .

٢ طرساً : قرطاساً مكتوباً

٣ تغريب : توبيخ .

٤ ضحك : ضيق . جوارش : سفوف .

٥ ظرفه : ظرفته .

٦ عرفه : علمه . قطرب : دويبة تجوب الليل كله لا تنام .

المقامة الحادية والثلاثون

وتعرف بالعبسية

روى سهيل بن عبّاد قال : أُلجئت^١ في الحجازِ إلى العرب ، وأُنبيتُ
أن بني عبسٍ من جمّراتِ العرب . ففررت إلى ديارهم ، معتصماً بجوارهم^٢ .
ولبيتُ عندهم ردحاً من الزمان ، تحت ظلّ الأمان . حتى كنت يوماً
بحضرة الحكم^٣ ، على بعض الأكم . وإذا الخزاميُّ قد أقبل تُزِيدُ شفتاهُ ،
وخلفه فتاته وفتاهُ . فلما وقف بنا استدعى الجمّع ، واسترعى السّمع .
ثم قال : الحمد لله الذي شرّف الحجاز وأهله ، وأذلّ لبني غطفان حزنه^٤
وسهله . أما بعدُ فإنكم يا بني عبس آية البشر في البشر ، ولنزيلكم حقّ
التّيه والأشْر . وفيكم المآثر التي تُذكّر ، والآثار التي لا تُنكر . ومنكم^٥

١ أُلجئت : اضطرت .

٢ جمّرات العرب : هم بنو عبس وبنو ضبة وبنو الحرث ، قيل لهم ذلك لشدة بأسهم في الحرب . معتصماً : متمسكاً بمن يطلبني .

٣ الحكم : القاضي .

٤ فتاته وفتاه : ابنته ليل وغلّامه رجب .

٥ بنو غطفان : هو غطفان بن سعد بن قيس عيلان ، وهو جد بني عبس وفزارة وغيرهم من هذه الطائفة . الحزن : نقيض السهل .

٦ آية : علامة .

٧ الأشْر : البطر . يعني ان نزيلكم يحق له أن يستكبر ويبطر لأنه قد صار عندكم كريماً عزيزاً لا يناهه أحد . المآثر : المفاسد .

الرجال الذين سالت بذكركم البطحاء، كقيس الرأبي وعترة الفلحاء، والكملة الأصحاء. وعنكم تروى حرب السباق، التي بلغ عجاجها السبع الطباق^٢. ولكم الرفعة بمصاهرة الدؤال، والشركة في شرف السبع الطول^٣. وإنني شيخ كاسف البال، مشارف الوبال. قد سألت الله ولداً حسناً، فكان لي عدواً وحزناً^٤. يوسعي زجرأ، ولا يطيع لي أمراً، وإذا ضجعت زادني وقرأ^٥. فلينظر المولى إلي، ويحكّم لي أو علي. فأقم الفتى بحرمة الحرّمين، لقد نطق الشيخ بالمين. وقال: هو يسألني برامتين سلجماً، ثم يفترني علي حديثاً مرجماً. فأشكل بين القوم ذلك الحصام، وقالوا: قربة^٦ شدت بعصام. فإمّا أن تصرّحاً لدى المولى، وإلا فالصمت أولى. قال: فعلت الفتاة الحبوّة، وثارت كاللبّوة. وقالت: أنا أجعل خادعتيما رتاجاً^٧.

١ البطحاء: مسيل واسع فيه دقاق الحصى، والمراد هنا بطحاء مكة حيث تجتمع القبائل في أيام الحج. قيس الرأبي: هو قيس بن زهير بن جذيمة العبسي. عترة الفلحاء: هو عترة ابن شداد بن قراد العبسي المشهور. والفلحاء تأنيث الأفلح: وهو المشقوق الشفة السفلى. قيل له ذلك لأنه كان أفلح.

٢ الأصحاء: الأبرياء من العيوب. حرب السباق: هي حرب كانت بسين بني عبس وبني فزارة. السبع الطباق: السماوات.

٣ بمصاهرة الدول: ذلك لأن البعض من ملوك العرب كانوا قد تزوجوا بنساء من أشرف بني عبس. السبع الطول: هي القصائد السبع المعروفة بالمعلقات، وكانت العرب تفتخر بها فكان لبني عبس نصيب في هذا الفخر.

٤ كاسف البال: منكسر القلب. مشارف الوبال: مقارب الهلاك.

٥ أي فأعطاني ولداً فكان لي عدواً.

٦ الوقر: الحمل الثقيل. وهو مثل يضرب لمن يتضجر من ثقل ما تكلفه إياه فتزیده ثقلاً.

٧ المين: الكذب. رامتان: مثنى رامة وهي مكان جديب لا يثبت شيئاً. والسلجم: اللفت. وهو مثل يضرب لمن يطلب الشيء من غير موضعه.

٨ يفترني: يختلق. حديثاً مرجماً: على حسب الظن لا على حسب الحقيقة.

٩ قربة شدت بعصام: سير تشد به القربة، وهو مثل يضرب للأمر المجهول. المولى: القاضي.

١٠ حلت الفتاة الحبوّة: كناية عن ابتذال ما كانت قد أمسكت نفسها عليه. خادعتيما رتاجاً: الخادعة الباب الصغير يفتح في باب آخر كبير. والرتاج هو الباب الكبير الذي تفتح فيه الخادعة.

وقفلها زلاجاً . ثم أفرجت عنها اللفَاع ، وانتفجت كاليفَاع . وأنشدت :

هذا البريدي أبو العباس قد كان بين الناس كالنبراس^١
يُحَفُّ بالقيام والجلّاس ، ما زال بين طعام وكاس^٢
مككّل الجفان صافي الكاس ، حتى دهته ضربة في الرأس^٣
رمته بالإقتار والإفلاس ، وحاجة الطعام واللباس^٤
فصار من شدة ما يقاسي يكلف ابنه سؤال الناس^٥
فينفر الفتنى الشديد الباس من ذلك الذل ، ولا يؤاسي^٦
وتلك دعواه بلا التباس !

فلما رأى الفتى انتهاك سره ، وانتهاك ستره . نشط من اعتقاله^٧
كما ينشط البعير من عقاله . وقال : أمّا وقد برح الحفاه ، وطرح الرفاه^٨
فإنني رجل عزيز النفس ، كأنني من سراة عبس . وقد ربيت في الخير

١ الزلاج : ما يفلق به الباب لكنه يفتح باليد بلا مفتاح . اللفَاع : ما تلفت به المرأة .

انتفجت : من قولهم نفع الندي القميص إذا رفعه . اليفَاع : ما ارتفع من الأرض .

٢ أبو العباس : موته عليهم بتغيير لقبه وكنيته .

٣ يحف : يحاط .

٤ مككّل : يقال جفنة مككلة إذا كان عليها قطع من اللحم . ضربة في الرأس : مثل الضربة المهلكة .

٥ الإقتار : ضيق العيش .

٦ ادعت أن هذا الغلام ابنه وأنه يكلفه أن يستعطي .

٧ يؤاسي : يعامل بالإصلاح .

٨ انتهاك : من قولهم نهكت الثوب أي لبسته حتى يبل . نشط : اجتذب نفسه وخرج اعتقاله : احتباس نفسه .

٩ ينشط : يحل . برح الحفاه : مثل يضرب في ظهور الأمر . الرفاه : الاتفاق .

والمثير ، كأنني مالك بن زهير . وكان هذا الشيخ يقري الضريك ، ويعول^١
الضنيك ، كأنه عروة الصعاليك . فابتزّه^٢ الدهر الخؤون القاسط ، كما فعل بقميس^٣
حين لحق بالتمر بن قاسط . فلما قوض^٤ الدهر مناره ، وأخذ الفقير ناراً ،
أنكرته المعارف ، وضائق عليه المخاريف . فدار حابله على نابله ، ورضي^٥
بالطلّ بعد وابله . فصار يشتهي نضاضة الحفّال ، ويتسنى نفاضة الثفّال ،
وجعل يسومني ذلّ السؤال ، ويحملني على استسقاء الآل . وقد صارت^٦
الفتيان حُمماً ، وأصبحت الكرام ربماً . فلا يُطمَع منهم بذبالة ، ولا^٧
يؤخذون بمجالة ، وذلك ضيفت على إبالة . ولعلّ الله قد ساقه إلى حياكم ،
وأحيا مسابحة بجياكم . فإنكم غيب الجود ، وغيب المنجود . ومحط^٨

- ١ المير : يوزل الطعام للناس . مالك بن زهير : هو سيد بني عبس . وكان مالك أعز أولاده عنده . الضريك : الفقير البائس .
- ٢ الضنيك : المتضايق . عروة الصعاليك : هو عروة بن الورد العبسي كان يجمع الفقراء في حظيرة ويقسم عليهم مما يفتنمه فقيل له عروة الصعاليك . ابتزّه : سلبه . القاسط : الظالم . قميس : هو قميس بن زهير العبسي صاحب حرب السباق ، افتقر في آخر أيامه فكبرت نفسه عن الإقامة في قومه فخرج عنهم وزلّ ببني التمر بن قاسط . وقيل إنه احتاج حتى صار يأكل الحنظل ولا يخبر أحداً بحاجته فمات من ذلك .
- ٣ قوض : هدم .
- ٤ المخاريف : الطرق . فدار حابله على نابله : المراد بالحابل السدى وبالنابل اللحم . وهو مثل يضرب في انمكاس الأمور .
- ٥ الطلّ : المطر الخفيف . الوايل : المطر الكبير القطر . نفاضة : فضلة . الحفّال : رغبة الحليب على وجه الإناء حين يحلب . نفاضة : ما يبقى من فضلة لا خير فيها فينفض على الأرض . الثفّال : ما يبسط تحت رحي اليد من جلد ونحوه .
- ٦ يسومني : يكلفني . استسقاء : طلب السقي . الآل : ما ترآه نصف النهار كأنه ماء . أي يكلفني أن أطلب البر من لا خير عنده .
- ٧ اللحم : الرماد والفحم وكل ما احترق بالنار . ربماً : جنثاً بالية . ذبالة : فتيلة .
- ٨ مجالة : شرك صيد . ضفت : حزمة من الحشيش . إبالة : حزمة من الحطب . وهو مثل معناه بلية على بليسة .
- ٩ السباغ : جمع سبغة وهي أرض لا تحرث ولا تتمر . حياكم : مطركم . المنجود : المكروب . المحط : المكان الذي يقصد للزول .

القوافل والقوافي ، فلبس القوادم كالحوافي . ثم أنشد : ١

إِذَا لَوِّمَ الدَّهْرُ فِي نَفْسِهِ فَلِلنَّاسِ فِي حَدْوِهِ المَعْدْرَةَ
وإن كَانَ ذلِكَ ذنباً لَهُ فإنَّ بني عيسِ المَغْفِرَةَ

قال : فسَدَ الشَّيخُ كمدًا ، وتنفَّسَ الصَّعداءُ ومدًا ، ثم مال على عصاه^٢
معمداً . وأنشد :

أشكو إلى الله صُرُوفَ الدهرِ فقد رماني بالرزايا الغُبرِ^٣
أصابني بهرَمٍ وفقرٍ وأخذَ الكرامَ أهلَ اليُسْرِ
فلم أصادفَ جابراً لكسري جزاءهُ مولايَ جزاءَ الغدرِ
كما جرى البُغاةَ آلَ بدرٍ ، إذ سفَّكتَ دِماؤهم في الجفْرِ^٤

فأوى القومُ لشكيتِهِ ، ورتبوا لبلبيتهِ . وتصدَّقوا عليه بـذَوْدٍ^٥ ،
وأجازوا الفتى بعودِهِ . فشكراهم على تلك الجَدْوَى ، وانقطعتَ بينهما الدعوى^٦ .
فهرَّتَ الفتاةُ واكفهرَّتْ ، وأنشدتَ وقد اسمهرَّتْ^٧ :

- ١ القوافل : الركبان . القوافي : أي الأشعار . يعني أن الشعراء يقصدونهم لكرمهم .
القوادم : مقادير ريش الطير وهي عشر ريشات في كل جناح ويقال لها القدامى أيضاً .
والحوافي : ما دون القوادم من الريش .
- ٢ سد : حزن متخشعاً . الومد : شدة الحر .
- ٣ صروف : حوادث . الغبر : السود .
- ٤ آل بدر : يزيد حذيفة بن بدر وأصحابه في حرب سباق الخيل . الجفر : مستنقع ماء في بلاد
غطفان بمكان يقال له الهباة ، قتل فيه بنو عيس حذيفة وأخويه .
- ٥ أوى : رقى . الذود : ما بين الثلاث والعشر من النياق .
- ٦ العود : الجمل الذي يبلغ من عمره عشر سنوات . الجنوى : العطية .
- ٧ هرت : من هرير الكلب وهو صوت غليظ دون النباح يردده لخوف أو برد ونحو ذلك .
اكفهرت : عيست . اسمهرت : تصلبت واشتدت .

نلومُ الزمانَ إذا ما أخلَّ بنسوبةِ الرزقِ في أهلهِ
وها نحنُ نفعلُ فعلَ الزمانِ فكيفَ نلومُ على فعلهِ ؟^١

قالوا : صدقتِ أيتها الحرّةُ ، لقد حققتِ لكِ المجرّةُ . وجبروا قلبها
بشيءٍ من المالِ ، فانقلبَ الجميعُ بحسنِ المالِ .^٢

١ تقول : إن الناس يلمون الزمان لأنه لا يساوي بين أهله في الرزق وهم يفعلون كذلك
فكيف يلمونه . وذلك تعريض منها بأن القوم أعطوا الشيخ والغلام ولم يعطوها شيئاً
٢ المال : العاقبة والمرجع .

المقامة الثانية والثلاثون

وتعرف بالعاصمية

قال سهيل بن عباد : جمعتني وأبا ليلى الأقدار، في بعض الأسفار. وهو قد لبس الطيلسان^١، ولزم تلاوة القرآن. فمررتي ما رأيت به من الثقى، أكثر من ذلك الملتقى. وسار القوم يستضيئون بنيراسه، ويقيمون بركات أنفاسه. وهو يتداول الأدعية والأوراد^٢، ويقص علينا قصص الأفراد، حتى دخلنا عاصمة البلاد. فنزلنا حيث تنزل أبناء السبيل، وبات^٣ الشيخ بطرفنا مجدith أسهى من السلسيل. فانعكفت عليه أخلاط الزمر^٤، كأنه بينهم عثمان أو عمر، ولم يصبح إلا وهو أشهر من القمر. وصار ذكره عند دهقان^٥ القوم، يتردد اليوم بعد اليوم. حتى حمله الشوق إلى لقائه، على استدعائه. فلما حضر هش إليه هشاشة الصديق، ثم قال : أوصني أيها الصديق. فأطرق برأسه من الحشوع، واستهلت عيناه بالدموع. ثم قال : يا مولاي اشكر نعمة الله لك لا يغيرها عنك، وكن خائفاً منه كما تخاف الناس منك. وإياك الكبير والتبیه، فإن غضب الله على

١ الطيلسان : ثوب تلبسه المشايخ وهو من ملابس المعجم .

٢ الأوراد : جمع ورد وهو الجزء من القرآن .

٣ الأفراد : الخواص الذين لا نظير لهم . عاصمة البلاد : المدينة التي هي قاعدة البلاد . حيث تنزل أبناء السبيل : في الخان .

٤ السلسيل : الحمر . الزمر : الجماعات .

٥ الدهقان : رئيس الإقليم .

من يأتيه^١ . وكُنْ في اللَّيْنِ والشَّدَّةِ بَيْنَ بَيْنٍ ، فَإِنَّ النَّاسَ لَا يُؤْخَذُونَ
بِالْمَحْضِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ^٢ . وَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِي الشَّدَائِدِ ، فَإِنَّهُ لَلْفَرَجِ نِعْمَ الْقَائِدُ .
وَلَا تَكُنْ مَرِيحَ النَّقَمِ ، لِثَلَا تَسْقُطَ فِي النَّدَمِ . وَبِالْبَإِغِ فِي الْبَحْثِ عَمَّا اسْتَبَهَ ،
وَلَا تَتَّقِ بِأَحَدٍ قَبْلَ التَّجَرُّبَةِ . وَاجْتَنِبِ الطَّمَعِ وَالشَّرَاهَةَ ، وَاتَّقِ الْبُخْلَ
فَإِنَّهُ مُجَلَّبَةُ الْكِرَاهَةِ . وَاعْتَوَّلِ الشَّرَابَ ، فَإِنَّهُ آفَةُ الْأَبَابِ . وَاحْذَرِ
الْعَجَلَ ، فَإِنَّهُ مَوْطِنُ الزَّلَالِ . وَارْفَعْ شَأْنَ الْعُلَمَاءِ ، فَإِنَّ لَهُمْ شَرَفًا مِنَ
السَّمَاءِ . وَاقْتَصِرْ عَلَى مَجَالَسَةِ الْحَكِيمِ ، فَإِنَّهُ يَهْدِيكَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . وَكُنْ
قَلِيلَ الصَّخْبِ^٣ ، بَطِيءَ الْغَضَبِ . وَارْحَمْ ذِلَّةَ الشَّاكِيِّ ، وَعَبْرَةَ الْبَاكِيِّ .
وَاحْكُمْ بِالْحَقِّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ ، فَضْلًا عَنِ أَبْنَاءِ جَنْسِكَ . وَلَا تَفْرُقْ بَيْنَ
الْأَغْنِيَاءِ وَالصَّعَالِيكِ ، وَالسَّادَاتِ وَالْمَمَالِيكِ . وَلَا تَبِعِ الْحَقَّ بِالْمَالِ ، فَذَلِكَ
بِئْسَ الْأَعْمَالُ . وَالزَّمِ الرُّصَانَةَ وَالْوَقَارَ ، لِتُهَابَ فِي أَعْيُنِ النَّظَّارِ . وَلَا
تَكُنْ عَبُوسًا فَتَنْفِرَ مِنْكَ النَّاسُ ، وَلَا ضَحُوكًا فَتَزْدَرِيَ بِكَ الْجُلَّاءُ .
وَلَا تَعْتَدْ بِنَفْسِكَ فِي الْمُلِيمَاتِ ، وَلَا تَسْتَبِدْ بِرَأْيِكَ فِي الْمُهَيَّمَاتِ . وَلَا
تَغْفُلْ عَنِ إِصْلَاحِ الْهِنَاتِ بِمَا فَسَدَ ، فَإِنَّ الْبَعُوضَةَ تُدْمِي مَقْلَةَ الْأَسَدِ^٤ .
وَلَا تَشْتَفِلْ بِالدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ نُصْبَ عَيْنِكَ فِي كُلِّ حِينٍ .
وَاعْلَمْ أَنَّ كَثْرَةَ الْحِلْمِ ، ضَرْبٌ مِنَ الظُّلْمِ . وَالرُّخْصَةُ فِي تَأْدِيبِ الْعَاصِي ،
مُسَاعَدَةٌ عَلَى الْمَعَاصِي . وَالْإِغْضَاءُ عَنِ الصَّغَاوِرِ ، تَوْرِيظٌ فِي الْكِبَارِ . وَالرَّحْمَةُ
لِلْمَرَدَةِ الْأَشْرَارِ ، كَالْجَوْزِ عَلَى الْعَبْدَةِ الْأَبْرَارِ . وَدَفْعُ مَنْزِلَةِ اللَّثَامِ ، كَخَفْضِ
شَأْنِ الْكِرَامِ . وَرِزْقٌ مَنْ لَيْسَ مُسْتَحَقًّا ، كَهَرْمَانٍ مِنْ يَسْتَحِقُّ رِزْقًا .

١ أفرد الضمير بناء على أن الأول هو المراد بالحديث والثاني تابع له .

٢ أي لا يؤخذون باللين الخالص ولا بالشدة الخالصة .

٣ الصخب : الضجيج .

٤ الهنات : الأمور اليسيرة . تدمي مقلة الأسد : مثل يضرب للشيء الحقير يتأذى به العظيم .

٥ الرخصة : التساهل .

٦ العبدية : جمع عابد .

واعتبر: أن الرعايا من الإنسان ، ليست كالرعايا من سائر الحيوان . فاجتهد في سياستهم بجيالك ورجلك، واعتقد أنك قد خلقت لأجلهم وهم لم يخلقوا لأجلك . ولا تحسب أن الإنسان يتورك سدى ، ولن يحاسب غداً ، والسلام على من اتبع الهدى . فارقم هذه الوصايا على صفحات قلبك ، واكتب بها إلى أقرانك وصحبك . وأنا زعيم لك بقرّة العين ، والسعادة في الدارين . قال : فلما سمع الوايي هذه النصائح استجادها واستحلاها ، ثم استعادها واستملاها . وأمر بتوزيعها في اثنتا الجوانب ، على كل عاملٍ ونايب . ثم أمر للشيخ بخلعة صوفية ، ودنانير كوفية . وقال : اذهب الآن بهذه الجدوى ، ولا تكن كبارح الأروى^٢ . قال سهيل : فلما خرجنا من مجلس الدهقان ، وأتينا منزلاً بالخان . جعلت أحمد الله على تلك الهداية ، وأغبط الشيخ على حسن النهاية . فضحك بي كالساخر ، وقال : ما أشبه الأول بالآخر . ثم أنشد :

علمت أني من رجال الدهر أنظر في أمري بعين الفكر
متى فشا ذكري وشاع مكثري غالطت من يدري كمن لا يدري
بأية من الصلاح تسري بين الورى مثل نسيم الفجر
لبيستقيم في البلاد أمري

قال : فعلت أنه لا يحول عن شينته الأخرمية^٣ ، ولا يزول عن سنته الخزامية . ولبيثت في صحبته ما شاء الله ، وأنا أبكي لدينه وأضحك لدنياه .

- ١ خلعة صوفية : من ملابس أهل التصوف . دنانير كوفية : أي ضرب الكوفة . الجدوى : العطية .
- ٢ كبارح الأروى : المراد بالبارح الذي يكون في البراح وهو الفضاء المتسع . والأروى : الإناث من الوعول . وهو مثل يضرب لمن تطول غيبته ، فكانه يقول له : اذهب ولكن لا تطل غيابك عنا .
- ٣ الشنثة : الخلق والطبيعة . والأخرمية : نسبة إلى أخزم الطائي ، كان يضرب أباه ، ثم مات وترك بنين فكانوا يضربونه أيضاً كأبيهم ، فقال :
إن بني ضرجوني بالدم شنثة أعرها من أخزم

المقامة الثالثة والثلاثون

وتعرف بالرشيدية

أخبر سهيل بن عبّاد قال : بينما كنت يوماً في رشيد ، جالساً في صرحٍ^١ مشيداً^٢ . إذ لمحتُ شيخنا الحزّامي في بعض الأسواق ، فكادتُ أطير إليه بأجنحة الأسواق . وما لبثتُ أن بادرتُ إلى التماسه ، لأنقع^٣ ظمّامي بزلال كاسه . فما وجدتُ له من أثر ، ولا رأيتُ من عليه عثر . وما زلتُ أجري كآني رُميتُ عن قسيّ البنادق ، حتى أفضيتُ إلى بعض الفنادق . وإذا في عرصة الحان ، شيخٌ أعجزُ من قتل الدخان^٤ . والناس قد أطبقوا عليه ، ووقفوا حوايه . فتخلّلتُ ذلك الغمام ، لأنظرَ ما وراء الصّمام . وإذا الحزّامي وابنته يشترجان ، وهما يشترجان ، ولا يزدجران . فلبا رأيتُ^٥ تكأكؤ الناس عليه كنتكأ كؤهم على ذي جنة^٦ ، خرج عن آداب الكتاب والسنة . وقال : شقماً لك ياروق الوعل ، وشسنع النعل^٧ ،^٨

١ رشيد : مدينة على شاطئ النيل . صرح : قصر .

٢ مشيد : مطلي بالشيد وهو الكلس ونحوه .

٣ أنقع : أروي .

٤ قتل الدخان : هو رجل أوقد ناراً في بيته فطفح عليه الدخان ولم تكن له همة أن يتحول عنه حتى مات ، فضرب به المثل في العجز .

٥ الغمام : عبارة عن ازدحام الناس حتى صاروا كالسحاب . الصمام : سداة القارورة .

٦ يشترجان : يتخاصمان . يشترجان : يلتهبان بجملة الغضب . يزدجران : يرتدعان .

٧ لما رأى اجتماعهم عليه كاجتماعهم على مجنون .

٨ شقماً : قبحاً . الروق : القرن . والوعل : وحش طويل القرن في قرنه شعب متعرجة .

الشسع : سير يشد به النمل .

وَعَصَّةُ الْأَهْلِ وَالْبَعْلِ ! مَنْ أَنْتِ مِنْ شِرَاةِ الْعَقَائِلِ ، وَمَنْ قَوْمِكِ مِنْ سِرَاةِ
الْقَبَائِلِ ؟ إِنَّكَ لِأَخْسَ النَّاسِ أَجْمَعَ أَبْصَعَ ، وَأَبُوكِ الْأَمُّ مِنْ ابْنِ الْقَرِصَعِ !^٢
فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلٌ كَالسَّارِيَةِ ، وَقَالَ : مَا خَطْبُكَ^٣ ، وَهَذِهِ الْجَارِيَةُ ؟ قَالَ : هِيَ
امْرَأَةٌ جَرَى لِي بِهَا الْقَلْمُ ، فَبَدَّلْتُ لَذَّاقِي بِالْأَلْمِ ، وَمَنْ اسْتَرَعَى الذَّنْبَ فَقَدْ
ظَلَمَ ! قَالَ : أَرَأَيْكَ قَدْ أَكْثَرْتَ شَحْنًا ، وَأَضْرَبْتَ لِحْنًا ، وَإِنِّي لِأَسْمَعُ^٥
جَمْعَةً^٦ وَلَا أَرَى طِحْنًا . فَأَبِينُ عَمَّا فِي نَفْسِكَ ، لِنَظَرِ بَيْنِكَ وَبَيْنَ عَرْسِكَ^٦ .
فَقَالَ : إِنَّهَا هَلْقَامَةٌ نَهْمَةٌ ، جَشَعَةٌ مَلْتَهْمَةٌ ، مَتْرَفَةٌ مَتْنَعْمَةٌ ، مَتْنَعْرَمَةٌ^٧
مَتْعَطْمَةٌ . تَطْلُبُ بَيْضَ الْأَنْوُقِ ، وَالْأَبْلَقَ الْعَقُوقِ^٨ . وَتُحِبُّ التَّبْذِيرَ
وَالْإِسْرَافَ ، كَأَنَّهَا مِنْ بَنَاتِ الْأَشْرَافِ . وَيَهْوَنُ عِنْدَ جَوْفِهَا دَمُهَا ، وَتُصْبِحُ
ظِمَانَةً فِي الْبَحْرِ فَمَهَا . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : يَا لِلْفَلَيْقَةِ حَشْفٌ وَسَوْءٌ كَيْلَةٌ !^٩

- ١ شِرَاةٌ : خِيَارٌ . الْعَقَائِلُ : جَمْعُ عَقِيلَةٍ وَهِيَ الْمَرْأَةُ الْكَرِيمَةُ فِي الْحَيِّ .
- ٢ أَبْصَعَ : اتَّبَعَ لِأَجْمَعَ . ابْنُ الْقَرِصَعِ : رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي اللُّؤْمِ
وَالْحَسَاسَةِ .
- ٣ خَطْبُكَ : شَأْنُكَ .
- ٤ أَيُّ زَوْجَةٍ قَسَمَ اللَّهُ لِي بِهَا .
- ٥ مَنْ اسْتَرَعَى الذَّنْبَ فَقَدْ ظَلَمَ : يَرِيدُ أَنْ مِنْ اتَّخَذَ لَهُ امْرَأَةً مِثْلَ هَذِهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ، وَهُوَ مِثْلُ
شَحْنًا : مِنْ شَحْنِ السَّفِينَةِ أَيُّ وَسَقَهَا . اللَّحْنُ : كَلَامٌ يَفْهَمُهُ الْمُخَاطَبُ دُونَ غَيْرِهِ .
- ٦ الْجَمْعَةُ : صَوْتُ الرَّحَى . الطَّحْنُ : الدَّقِيقُ . عَرْسُكَ : زَوْجَتُكَ .
- ٧ هَلْقَامَةٌ : وَاسِعَةُ الشَّدَقِينَ شَدِيدَةُ الْإِبْتِلَاعِ . جَشَعَةٌ : شَدِيدَةُ الْحَرَصِ عَلَى الْأَطْعَمَةِ .
مَتْنَعْرَمَةٌ : مَتَكْبِرَةٌ .
- ٨ الْأَنْوُقُ : طَائِرٌ يَتَّخِذُ أَوْكَارَهُ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ وَالْأَمَاكِنِ الْبَعِيدَةِ الصَّعْبَةِ فَلَا يَنَالُ بَيْضَهُ .
وَالْمُرَادُ بِالْأَبْلَقِ الْفَرَسَ الذَّكَرَ وَالْعَقُوقَ الْحَامِلَ . وَالذَّكَرُ لَا يَكُونُ حَامِلًا . وَكِلَاهُمَا مِثْلُ
يُضْرَبُ فِي طَلَبِ مَا لَا يَوْجَدُ .
- ٩ يَهْوَنُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ عِنْدَ إِشْبَاعِ جَوْفِهَا .
- ١٠ تُصْبِحُ ظِمَانَةً فِي الْبَحْرِ فَمَهَا : مِثْلُ يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَكْتَفِي بِالنَّعْمَةِ وَهُوَ غَارِقٌ فِيهَا . الْفَلَيْقَةُ :
الدَّاهِيَةُ . وَهِيَ كَلِمَةٌ تَقَالُ عِنْدَ التَّمَجُّبِ . حَشْفٌ وَسَوْءٌ كَيْلَةٌ : الْحَشْفُ أَرْدَاؤُ التَّمْرِ ، وَالْعِبَارَةُ
مِثْلُ يُضْرَبُ فِي اجْتِمَاعِ أَمْرَيْنِ مَكْرُوهَيْنِ .

وشيخٌ أكذب من سهيلة^١ . فسألوه ماذا اقترفت ، وبماذا أسرقت ؟ قال :
 إنها تريد جرّ دقاً^٢ كل مساءً ، ولا ترضى بالحبز والماء ، وتأنف من المشي بلا
 حذاء ، والنوم بلا وطاء^٣ ، حتى كأنها ماء السماء ، أو فاطمة الزهراء . وأنا^٤
 شيخٌ فقير ، أتبلغ بالقوت اليسير . وأنتظر زكاة العيد ، من أمدٍ بعيد .
 فلا قبل لي بهذه السعة ، ولو حكمت بها الأيمة الأربعة^٥ . ثم شرّق
 بالبكاء ، حتى صار نجيبه^٥ كالمسكاه . وأنشد :

ألان لي الدهر بأماً شديداً فكان كناراً ألانت حديداً
 وأظماني كلّ ظمٍ و فليماً وردت سقاني ماءً صديداً^٦
 أحبال فطال وصال فحال وجال فمال وغال العديداً^٧
 وغادرني بعد بذل الصلات لقصد الجوائز أنشي القصيدا
 فريداً وحيداً طريداً شريداً فقيداً عميداً بعيداً حريداً^٨
 وأنساني الأمس حتى كأني خلقت به اليوم خلقاً جديداً
 كأني لم أركب الخيل يوماً ، ولم أمتلك في العباد العبيداً

١ سهيلة : رجل يضرب به المثل في الكذب .

٢ جرّ دقاً : رغيفاً .

٣ وطاء : فراش . ماء السماء : هي أم المنذر ملك العراق . فاطمة الزهراء : هي زوجة الإمام
 علي بن أبي طالب .

٤ الأيمة الأربعة : يراد بها أئمة المذاهب .

٥ النجيب : صوت البكاء . والمسكاه : صوت النافع في يده ، أي انقطع صوته حتى صار كالمسكاه .

٦ الظم : ما بين الوردتين أي ما بين الشرب الأول والشرب الثاني . ويكون أياماً متعددة
 مختلفة المقادير في الكثرة والقلة يستعملونه للجمال . والصديد : ماء الجرح المختلط بالدم .

٧ أحال : غير . طال : تغلب . صال : وثب واستطال . مال : جار . والمراد بالعديد
 الرجال المملوذة أو المال المملود . غاله : أخذه من حيث لا يدري .

٨ العميد : المجهود . الحريد : المنفرد عن الحي .

ولم أقرِ ضيفاً ولم أنفِ حيفاً ، ولم أنضُ سبفاً ولم أطوِ بيدياً
ولكنني قد أتيتُ رشيداً فألفيتُ ذاكَ سيلاً رشيداً
لَقِيتُ الكِرَامَ الأُولَى بِالأَوْنِ بدأً بالتدنى ويُحَلُّونَ جيداً
طِوالَ الأيادي نِقالَ الغواذي ضِثالَ الأعادي غطاريِفِ صيدا^٢
وهبني سفينةَ نوحٍ ، فلبسَ على البحرِ وقُرُ فيمِشي ويُيدا^٣

فلما فرغَ من افتتانه ، افتتنَ القومَ بفكاهةِ لسانِهِ ، ونباهةِ جَنانِهِ ،
وجعلوا يَدُمُونُ لَهُ صرُوفَ زمانِهِ . ثم حباهُ كلَّ واحدٍ ديناراً ، وبسطَ لَهُ
اعتذاراً . فأثنى جميلًا وشكر ، وقال الحمدُ لله إِرغامًا لمن كَفَرَ . ثم انقلبا
بِتمشيانِ كَنَسيمِ الحِزْرِ رَجٍ ، في مَنابِتِ العَرَفِجِ . قال : فلما خلا بِنفسِهِ ،
وثابَ إلى وَقارِهِ وأَنسِهِ . دخلتُ عَلَيْهِ مُهَلِّلاً ، فقابِلني مُتَهَلِّلاً . وقال :
لولا مِنةُ الحِلاَقِ ، ودَمائَةُ الأَخلاقِ ، لَفَرَطتَ مِني بادرَةَ^٤ الطِلاقِ . ولكن
الحِلمَ أَهتأُ المناهِلَ ، وإن كانَ الحِلمُ مَطِيبَةً الجاهِلِ^٥ . قلتُ : مثلكَ من يَدُرِكُ

- ١ الحيف : الظلم والجور . لم أنض : لم أسل . لم أطو : لم أقطع . البيد : الفلوات .
- ٢ الأولى على وزن العلى بمعنى الذين ، تكتب الواو فيها ولا تقرأ . يحلون : يلبسون حلية .
الجيد : المنق .
- ٣ الغواذي : السحائب المنتشرة غدوة . وثقلها كناية عن حملها المطر المكثي به عن العطاء .
الضثال : النحاف الضعفاء . الغطاريِف : السادة الأشراف . الصيد : الأسود .
- ٤ يقول : احسبني ثقيلاً كسفينة نوح فإن هؤلاء القوم بحار والبحر إذا كان فوقه حمل ثقيل
لا يتناقل به فيتوانى في حركته . يريد أن القوم لا يزعجون بحمل أثقاله ولو كانت كثيرة .
- ٥ الحزرج : ريح الجنوب . العرفج : شجر ينبت في السهول .
- ٦ مهلا : قاتلا لا إله إلا الله .
- ٧ البادرة : الكلمة يسبق اللسان إليها .
- ٨ مثل يراد به أن الجاهل يطعم في الحلم حتى يجعله مركوباً له .

القُصَى ، ولا تُقرَع له العصا. فاحتَمِلْ أوصابك، واصبِرْ على ما أصابك^١.
فشمَخَ واستكبر ، وأنشد وهو قد أدبر :

أنا السِّقَّاحُ ذو الفَنكِ بدیعُ المکرِ والإفكِ !
أنا النارُ التي غَلَبَتْ على الجُلُودِ بالسبكِ
أشدُّ الناسِ طائِلَةٌ وأشهرُ من « قفا نبيك »^٢
ولكنَّ الزمانَ بَعَى ففاضَ العِقْدَ بالسِّلِكِ^٣
وجارَ عليَّ مهتضاً كبيتِ الشعرِ بالنَّهْكِ^٤
تَقادِفُنِي لهُ لُججٌ كأني نوحٌ في الفُلِكِ
على أنِّي حَمِدْتُ اللهَ في سَعَةٍ وفي ضَنكِ
ومن يَرْضَى بعبثته فذلك صاحبُ المُلِكِ

قال سهيل: "فلبستُ معه برهةً من الزمان، كأني في حديقةٍ من الجنان،
فيها فاكهةٌ ونخلٌ وورمانٌ. حتى إذا أزمع الفراق تسنمُ ناقةٌ كالعضر فوط،"^٥
وقال : موعِدُنَا مَنفَلُوطُ^٦.

١ القصي : جمع قصوى . أي يدرك الغايات البعيدة . مثلك من يدرك القصي ولا تقرع له
العصا : مثل أصله أن عامر بن الظرب العدواني شاخ حتى ضمف عقله فقال لابنته : إذا أنكرت
من عقلي شيئاً عند الحكم فاقري لي الترس بالعصا لأنتبه . فكانت تفعل كذلك فذهب مثلاً .
أوصابك : أمراضك وأوجاعك .

٢ إشارة إلى معلقة امرئ القيس التي يقول في مطلعها : قفا نبيك من ذكرى حبيب ومنزل .

٣ السلك : الخيط الذي ينظم العقد به .

٤ مهتضاً : يقال اهتضمه إذا كسر حقه وانتقصه . النهك في الشعر : أن يحذف الثلثان من
أجزاء البيت فيبقى منه الثلث .

٥ تسنم الناقة : أي علا سنامها ، وهو ما شخص من ظهرها . والعضر فوط : يقولون إنها مطية
من ركائب الجن .

٦ منفلوط : مدينة في الديار المصرية .

المقامة الرابعة والثلاثون

وتعرف بالأديبة

حَدَّثَ سَهيلُ بنُ عبَّادٍ قال : ترامت بي سفرةٌ شاسعة ، في مَوْمأةٍ^١ واسعة . وكنت قد انضويتُ إلى صَحْبِ أَحْمَى من الجمرات ، وأكرم^٢ من الطَّلَحات^٣ . فسرتُ بينهم ناعم الببال ، آمِنَ البلبال . وما زلنا بين تصويبِ وإصعاد ، حتى هبطنا بطنَ واد . وإذا خيمةٌ شِماءُ ، على صفاةٍ^٤ صماء . وفيها قومٌ نسمع لهم رِكزاً ، ولا تُدرِكُ منهم رمزاً . فنزَلنا عن الأقتاد ، لنُريحَ الأكتاد ، ونُخمدَ غليلَ الأكباد . ثم نصبنا الاطيمة ، كما تُنصَبُ في الوليمة . وقمنا كالنُدُلِ حول النار ، ونحن نتلهن بالعمسم القفار^٥ . حتى أنزلتِ الهيطة ، وأحضرَ المهجمُ والنوفلة . فجلسنا لتتهم ما حضر^٦ ، حتى لم نُبقِ ولم نُدَر . وبينما فرغنا إذ تراءى لنا شُبَّيح^٧ ، وهو يُنشد من

١ موماة : فلاة .

٢ انضويت : انضمت . أحمى : تفضيل من الحماية . الجمرات : أراد جمرات العرب وهم بنو ضبة والحارث وعبس .

٣ الطلحات : رجال من كرام العرب .

٤ تصويب : انحدار . صفاة : صخرة ملساء .

٥ صماء : صلبة . ركزاً : صوتاً خفياً .

٦ الأقتاد : أخشاب الرحال . الأكتاد : جمع كتد وهو ما بين الكاهل إلى الظهر . الاطيمة : الموقدة .

٧ الندل : خدام الضيافة . نتلهن : نأكل شيئاً نبتل به إلى أن يحضر الطعام . العمسم : الحبز اليابس . القفار : الذي بلا إدام .

٨ الهيطة : القدر من النحاس . المهجم : القدح الضخم . النوفلة : المملحة .

٩ شُبَّيح : تصغير شبح .

وراء الحجاب بصوت بُدِيح^١ :

كَمْ بَطَّلِ مُدَجِّجٍ غَلَابٍ قَهْرْتُهُ بِأَسْمَرٍ صَلَابٍ^٢
مَعْتَدِلِ الْأَوْصَالِ وَالْكَعَابِ لَا يَعْرِفُ الطَّعْمَانَ بِالْأَعْقَابِ^٣
ظَمَّانٌ لَا يَرَوِي مِنَ الشَّرَابِ سِنَانُهُ أَمْضَى مِنَ الشَّهَابِ
يَجْحُضُ فِي الْأَحْشَاءِ وَالْأَلْبَابِ وَيَنْفُثُ السُّمُومَ كَالْحُبَابِ^٤

قال : فَأَوْجَسْنَا خَيْفَةً فِي أَنْفُسِنَا ، وَتَوَاصَيْنَا بِالْحَرَسِ عَلَى مُعَرِّسِنَا .
وبتنا نُرَاعِي الْجَمَالَ وَالْحَيْلَ ، إِلَى أَنْ مَضَى ذَهَلٌ مِنَ اللَّيْلِ . وَإِذَا بِالرَّجُلِ^٥
يَقُولُ : يَا غَلَامُ ادْنُ مِنِّي ، وَخُذِ الْأَدَبَ عَنِّي . ثُمَّ قَالَ : يَا بُنَيَّ عَامِلِ النَّاسَ
مَا اسْتَطَعْتَ بِالْإِحْسَانِ ، وَكُنْ بَيْنَهُمْ عَفِيفَ الطَّرْفِ^٦ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ . وَقَابِلِ
الْتَّمَعَةَ بِالشُّكْرِ ، وَأَخِي الْجَمِيلَ بِالذِّكْرِ . وَحَافِظِ عَلَيَّ الصَّدِيقِ ، وَلَوْ فِي
الْحَرِيقِ . وَإِيَّاكَ الْغَيْبَةَ ، فَهِيَ بِيئْسَ الرِّبِيَّةِ . وَانظُرْ إِلَى مَعَايِبِكَ ، قَبْلَ
مَعَايِبِ صَاحِبِكَ . وَاجْتَنِبِ الْمُزَاجَ ، فَإِنَّهُ يَخْفِضُ الْجَنَاحَ^٧ . وَلَا تَكُنْ
إِذَا سَأَلَتْ ثَقِيلًا ، وَلَا إِذَا سُئِلْتَ بَخِيلًا . وَلَا تَطْلُبْ مَا فِي يَدِ النَّاسِ ، وَلَوْ
طَاقَةً مِنَ الْأَسِّ . وَإِذَا جَلَسْتَ فَاعْرِفْ مَقَامَكَ ، وَإِذَا حَدَّثْتَ فَانْتَقِذْ كَلَامَكَ .
وَإِذَا تَكَلَّمْتَ لَيْلًا فَاخْفُضْ ، وَإِذَا تَكَلَّمْتَ نَهَارًا فَانْفُضْ^٨ . وَإِذَا دُعِيتَ إِلَى

١ بصوت بديح : بصوت مثل صوت بديح . وهو رجل حسن الصوت .

٢ مدجج : متسلح . أسمر : صفة للرمح .

٣ الأوصال : ما بين الكعاب . الكعاب : الأنايب . الأعقاب : جمع عقب وهو المؤخر
من كل شيء . كانوا يطعنون بعقب الرمح إذا لم يقصدوا القتل .

٤ الحباب : الحية .

٥ المرس : مكان النزول ليلا . أي خافوا منه على أمتعتهم ومواشيهم أن يسطرو عليها .

٦ تراعي : تراقب . ذهل : جزء نحو الربع أو الثلث .

٧ الطرف : العين .

٨ يخفض الجناح : يقلل الحرمة .

٩ انفض : أي التفت . يقول إذا تكلمت في الليل فاخفض صوتك لئلا يكون أحد يسمعك
ولا تراه ، وإذا تكلمت في النهار فالتفت إلى ما حولك لترى هل أحد يسمع حديثك ،
وهو مثل .

الولائم ، فكن آخِرَ جالسٍ وأوَّلَ قائمٍ . وأكبرِمِ الناسَ فتكرمَ ، ولا
تَغْتَمِ الزبارةَ فتسأمَ . ولا تجالسِ الحسيسَ ، فإنه يُزري بالجليس . والزَمِ
الوداعةَ والحياةَ ، واجتنبِ الرياءَ والكبرياءَ . واحذرِ الكسلَ ، فإنه آفةُ
العملِ . ولا تَطْلُبِ العِنيَ ، بالمئني . واطلبِ النوى^١ ، عن الهوى . واقصر
الطَّماحَ^٢ ، إلى الراح . ولا تدخل في الفضولَ ، فتخرجَ عن القبولِ . وإذا
غَضِبْتَ فاتركِ بقيةً من الرضى ، ولا يذهلكَ ما قد حضر عن ذكرِ ما
مضى^٣ . واطلبِ الإفادةَ جهدكَ ، ولا تدعِ بما ليس عندك . واعتزلِ البخلَ
الذميمَ ، والكرمِ الوخيمَ . وإذا دُعيتَ فشمِّرِ الذئيلَ ، وحينما انقلبتَ فلاه
تملِ كلَّ الميلِ . ولا تأتِ ما يلجئُك إلى المَعذرةِ ، فتسلمَ من كلِّ خُطيةٍ
مُكْرَمةً^٤ . واعلمِ أن الأدبَ ، أشرفُ من النسبِ ، واكتسابُ العلمِ خيرٌ من
اكتسابِ النُشبِ^٥ . والعلمُ بلا عملٍ ، كالنحلِ بلا عسلِ . وصدقُ بَصْرُهُ ، خيرٌ
من كذبِ بصرِهِ . وانتِشَابُ المناسباتِ ، أيسرُ من ارتكابِ الدنایا . واقنعامِ
النارِ ، أهونُ مِنَ التحافِ العارِ . وداءُ الأسدِ^٦ ، أسلمُ من داءِ الحسدِ .
والقناعةُ ، نِعْمَ الصناعةُ . وحبُّ السلامةِ ، عنوانُ الكرامةِ . والنظرُ في العواقبِ ،
من أحسنِ المناقبِ . فأتَمِرْ بما أمرناكَ ، واحذرْ بما حذرناكَ ، واذكُرنا
كما ذكرناكَ . قال : فراعتنا آدابُهُ الباذخةُ ، إلا أن تكونَ كعباءَ مارخةً^٧ .

١ تغم : تكثر .

٢ النوى : البعد .

٣ من قولهم : طمح بصره إليه أي ارتفع .

٤ أي لا تنس الصداقة الماضية بسبب الغضب الحاضر .

٥ الوخيم : هو ما يكون في غير موضعه . إذا دعيت فشمِّر الذئيل : كناية عن الاستعداد للإجابة .

٦ يقول : لا تفعل شيئاً تحتاج إلى الاعتذار عنه لمن اطلسع عليه فتسلم من جميع المنكرات .

٧ النشب : المال .

٨ داء الأسد : الجذام .

٩ راعتنا : أعجبتنا . الباذخة : السامية . مارخة : امرأة كانت كثيرة الحياء .

وبتنا نَعَجَبُ من صفته ، ونهفوا إلى معرفته . حتى إذا رقت حاشية الظلماء ،
 وشققت غاشية^٢ السماء . برز الرجل من حجابهِ المصون ، وإذا هو شيخنا
 الميسون . فحدق القومُ إليه بالنظر ، وقالوا : قد عرفناه وهل يخفى القبر ؟
 ووثب كلُّ إليه وثبة السَّمْعِ الأزل^٣ ، وحياءُ نحيمة الرئيس الأجل . ثم
 أهبنا به إلى رحالنا ، وتربصنا عن ترحالنا . وأقمنا معه يوماً أعذب من
 معتقة الدير ، وأقصر من حسو الطير . فلما تَبَوَّأ للرحيل طميرته^٥ ،
 اعتقل مِخْصَرْتَهُ ، وقدم بين يديه أسرته^٦ . فقلت : يا أبا ليلى أين رُمحك^٦
 العسال^٧ ، الذي قهرت به الأبطال ؟ فأشار إلى قلبه وقال :

وَيْكَ هَذَا رُحِي ، وَهَذَا سِنَانِي مُنْذُ يَوْمِي أَعْدَدْتُهُ لِلطَّعَانِ !
 لَيْسَ يَرَوِي مِنَ الْمِدَادِ وَقَدْ يَنْفُثُ سَمَّ الْهَجَاءِ كَالْأَفْعْوَانِ
 وَهُوَ قَدْ خَاضَ فِي الْمَجَابِرِ حَتَّى خَضِبْتَ رَأْسَهُ خِضَابَ الْبِنَانِ

قال : فقلت له لله درُّك ما أَلْعَبَكَ بالقلوب ، وأبصرَكَ بكل أسلوب .
 فهل تَأْذَنُ لي في التحوُّلِ إلى صُحْبَتِكَ ، ولو فاتني وَطْرِي في سبيل مَحَبَّتِكَ ؟

١ نهفو : نشاق جداً .

٢ غاشية : حجاب . كنى بذلك عن انفجار الصبح .

٣ السمع : حيوان يتولد بين الضبع والذئب ، يضرب به المثل في السرعة . الأزل : الذي لا
 لحم على ألبه .

٤ أهبنا به : دعواناه . تربصنا : أمسكنا .

٥ معتقة الدير : الحمرة المعتقة . حسو الطير : أي شربه . وهو مثل يضرب في القصر . ويوم
 السرور يصفونه بالقصر كما يصفون يوم السوء بالطول . طميرته : فرسه المستعدة
 للسدو .

٦ اعتقل : وضع بين فخذه وسرجه . مخصرته : عصاه . يقول إنه اعتقل مخصرته مكان الرمح
 أسرته : جماعته .

٧ العسال : المضطرب ؛ يشير إلى الرمح الذي ذكره في أوائل المقامة .

٨ يقول إن هذا القلم هو رمحه الذي وصفه في الأبيات .

قال : يا بُنيَّ قد وطئتُ نفسي هذه النوبةَ على الصِّراعِ ، وآليتُ أن لا
أتركَ رأساً بلا صداعٍ ، لِمَا رأيتُ في الناس من لؤم الطَّبَّاع . فأخشى إذا
طَمى الوادي أن يَطْمُمَ على القَرِيِّ^٢ ، فيلتحقَ ذنب السقيم بالبريِّ . ثم ولى
بجوادهِ يَنْهَبُ الطريق ، وأذاقني ببِعادهِ عَذَابَ الحريق .

١ الصراع : معاركة الناس .

٢ يقال : طَمى الوادي إذا ارتفع الماء فيه وفاض . والقري : مجرى الماء في الروض . والشيخ
يريد أن يصرف سهيلاً عن صحبته بحجة فذكر له سوء نيته على الناس وحذره عاقبة الأمر
ليكيف عن مصاحبته .

المقامة الخامسة والثلاثون

وتعرف بالانطاكية

قال سهيل بن عبّاد : شخصت إلى انطاكية الروم ، في عصابة كزهر
النجوم . فكُنّا نقطع الأوقات بالتوادر ، كما نقطع الطُرقات بالبوادر^١ .
وما زلنا نَطأ الكناس والعرينة ، حتى دخلنا المدينة . فأُتيتُ مجلسَ القاضي^٢
إذ ذاك ، لمُراثة^٣ لي هناك . وإذا شيخنا الميمون ، تتقدّمه لي كالناقة
الأمون^٤ . فدَهَيْتُ عند إقباله ، واحتفزتُ لاستقباله . فأعرضَ عني مقطّباً ،
واقتمع الحضرة مُغضباً . حتى إذا وقف بالمحراب^٥ ، انقضت الفتاة كالعقاب .
وقالت : يا مولاي إن هذا بعلي شيخُ علندي ، أظلم من الجلندي^٦ .
وهو فقيرٌ وقير ، لا يملكُ شرّوى نقير . إذا غسل ثيابه لبسَ البيت^٧ ،
وإذا رأى الجِنَازة حسَدَ الميت . واقد أسرّني في بيت له كالغار ، لا أرى
فيه غير الروافد^٨ والجدار . وهو على ذلك مرّ المذاق ، إلى ما لا يُطاق .

١ البوادر : الرواحل السريعة .

٢ الكناس : مأوى الفزال . العرينة : مأوى الأسد .

٣ مراثة : حق صغير .

٤ الناقة الأمون : الشديدة .

٥ المحراب : صدر المجلس .

٦ علندي : جاف غليظ . الجلندي : هو ملك عمان يضرب به المثل في الظلم .

٧ الشروى : المثل . والنقير : الشق الذي في نواة التمرة . أي لا يملك شيئاً . إذا غسل ثيابه
لبس البيت : أي ليس له ثياب ليلبسها فيلبث في البيت مستراً به كأنه يلبسه .

٨ الروافد : خشب السقف .

هييت ساعبا، ويصبح عاصبا، ولا يزال عابا. يد لسري ومن الفطحل،
ويُنَجِزُ الوعدَ بالطل. وأنا فتاةٌ غريضة الصِّباءِ، لا أعيشُ بالهَبَاءِ، ولا^٢
ألبسُ غزلَ عينِ ذُكَاةٍ^٣. ولقد خطبني كرام الرجال، وبدلوا في مهجري غَدَقاً^٤
من المال، إذ رأوا عليّ لمحةً من الجمال. فأبى القَدَرُ المتناح، إلا أن أحومَ^٥
عليّ ورد هذا المتناح. فمرّه أن يقوم بأودي، أو يُطَلِّقني ويُطَلِّقني^٦
إلى بلدي، وإلا قتل نفسي بيدي. فنار الشيخ كالمجنون، وهو واجفُ^٧
السودل والعشون. وقال: يا لكاع! تَدَكُرِين العنوق، وتُنَكِرِين^٨
الثوق. أنسيت أيام السندس والديباج، والفالوذ والسكباج؟ واللحوم^٩
والألبان، والغوالي والأدهان. والمرجل والموائد، والحناذ والثرائد.^{١٠}
أما الآن وقد نَضَبَ الغدير، وأفقرَ السدير. وبدلَ الحورَ نَتَقَ، بنسج^{١١}
الحَدَرِ نَتَقَ^{١٢}. فماذا ترين في شيخٍ قد فلذَ الدهرُ كبيده، وابتزَّ سبده^{١٣}
ولسبده؟ وابتلاه بالحوور، بعد الكور. ورماه بالغيض، بعد الفيض.^{١٤}

- ١ ساغباً : جاتماً . زمن الفطحل : هو زمن قبل أن يخلق الناس . والمراد أنه لا يزال يذكرها بأمر قديمة . وهو مثل لما تقادم عهده .
- ٢ غريضة : طرية . الهباء : الغبار يظهر في جبال الشمس .
- ٣ ذكاه : من أسماء الشمس . وغزل عينها ما تراه يضطرب من نورها عند شدة الحر .
- ٤ لم يرد قضاء الله المقدر .
- ٥ الورد : عين الماء . المتناح : العطشان .
- ٦ واجف السودل والعشون : مضطرب الشارب واللحية . لكاع : كلمة شتم .
- ٧ العنوق : الإناث من أولاد المعز . وهو من قولهم في المثل : العنوق بعد النوق . يضرب لمن كانت حاله حسنة ثم ساءت . السندس والديباج : هما من الثياب الثمينة . الفالوذ : من أطايب الحلوى . السكباج : من أطايب الطعام .
- ٨ الغوالي : جمع غالية ، وهي طيب يستعمل للزينة . الحناذ : المشاوي ، والثرائد : أطعمة من اللحم واللبين .
- ٩ السدير والخورنق : قصران عظيمان في العراق .
- ١٠ الحدرنق : بيت المنكبوت .
- ١١ السبد : الشعر ، واللبد : الصوف . يكونون بهما عن المواشي . الحور : النقص . الكور : الزيادة . الغيض : غاض الماء إذا غار في الأرض .

حتى صارت نارُهُ شَرَاراً، وعاد طَعَامُهُ بُلْغَةً وشَرَابُهُ نَشْحاً ونومُهُ غِرَاراً^١.
فإن كنتِ من رُوَادِ الغَيْثِ، فاذهبي إلى حيث^٢. وإلّا فائتبي على الحَرَجِ،
إلى أن يَمُنَّ اللهُ بِالْفَرَجِ. قالت: معاذ اللهُ لا أَفْتَرِشُ رَذَّةَ الجُنْدَلِ^٣،
ولا أَصْبِرُ على النارِ كَالسَّمْنَدَلِ^٤! فإِذَا إمسَاكُ بِمِرْوَفٍ أو تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ،
كَمَا نَطَقْتَ بِهِ آيَةُ القُرْآنِ. قال: فلما وَقَفَ القَاضِي على كُنْهِ أَمْرِهِمَا، حَارَ
بَيْنَ لَوْمِهِمَا وَعَذْرِهِمَا. وكانت الفَتَاةُ قد هَجَلَتْهُ^٥ بِإِفْتِنَانِ كَلِمَتَيْهَا، وَتَنَسَّى
قَوَامِهَا. فَنَاقَتْ نَفْسُهُ إلى اسْتِخْلَاصِهَا، بَعْدَ خِلَاصِهَا. وقال للشيخ: قد
عَلِمْتُ أَنَّ سَوَاءَ الجِوَارِ، أَمْرٌ من عَذَابِ النارِ. فَأَرَى أَنَّ تَسْتَبْدِلُ بِهَا من
تَوَافِقِ هَوَاكَ، وَتَرْتِي لِبُلُوَاكَ، وَفِي ذَلِكَ صَلاَحٌ لِدِينِكَ وَدُنْيَاكَ. قال: هِيَ بَاتِ
مَنْ يَنْزِلُ بِقَاعِ صَلْقَعٍ بَلْقَعٍ، أو يَتِيَمُنُ بِالعَرَابِ الأَبْقَعِ؟ فدعا القَاضِي^٦
بِالهِمِيَانِ، وَأَبْرَزَ لَهُ نِصَاباً من العَمِيَانِ. وقال: أَطْلِقِ هَذِهِ الأَسِيرَةَ من^٧
حَبْسِكَ، وَاسْتَعِينِ بِهَذِهِ الدنانيرِ على أَمْرِ نَفْسِكَ. فَأَشْهَدَ عَلَيْهِ بِالطَّلَاقِ،
وقال: حَبِّدَا هَذَا الفِرَاقَ! وَلَوْ فَعَلَّ لِي مَا فَعَلَ البَاهِلِيُّ بِعِفَاقٍ. فَأَقْبَلَتْ^٨
الفتاة على القَاضِي بالدُّعَاءِ، وَأَجْمَلَتْ لَهُ التَّناء. فَتَناوَلَهَا بِيَمِينِهِ، وَأَوَلَّجَهَا إلى
عَرِينِهِ. وانصرف الشيخ بين زَفيرٍ وشَهيقٍ، وَهُوَ يَرْفِسُ بِرِجْلِهِ الطَّرِيقَ،
كَأَنَّهُ الصَّيْلِمُ الحَنَفَقِيُّقِ. فلما أَبْعَدَ نَحْوَ عَشْرَةِ عَشْرِينَ، إلى خَلْوَةٍ. قال: ^٩

- ١ البلغة من العيش: قدر ما يقتات به. النشح: الشرب دون الري. الغرار: النوم القليل.
- ٢ مقتطع من قولهم: إلى حيث ألفت رحلها أم تشعم. كناية عن النار.
- ٣ الجندل: رجمة الصخور.
- ٤ السمدل: طائر هندي يقال إنه لا يحترق بالنار.
- ٥ هجلته: استهوته.
- ٦ قاع: أرض سهلة بين الجبال. صلقع: قفر. بلقع: خال من الأهل. الأبقع: ما فيه بياض بين سواده وهم يتشاهمون به. ومراد الشيخ أنه فقير نحس لا يجد امرأة تقبله.
- ٧ الهميان: كيس النفقة. نصاباً: عشرين ديناراً. العميان: الذهب.
- ٨ عفاق: هو عفاق بن مري أخذه الأحدب بن عمرو الباهلي في أيام قحط فشواه وأكله.
- ٩ الصيلم: الداهية. الحنفقيق: الشديدة.

مَوْعِدُنَا الحَانِ يَا سَهِيلَ ، وَاللَّيْلِ أَخْفَى لِلوَيْلِ . قَالَ : فَلَمَّا جَنَّ الظَّلَامُ أَتَيْتُهُ
 فِي الحَانِ ، وَإِذَا لَيْلِي بِجَانِبِهِ وَقَدْ لَبَسْتُ مَلَابِسَ العِلْمَانِ . فَقَالَ : هَذِهِ بِضَاعَتُنَا
 رُدَّتْ إِلَيْنَا ، وَقَدْ حَقَّ صَفْعُ المَانَوِيَّةِ عَلَيْنَا ١ . فَهَلْ لَكَ فِي السَّفَرِ ، قَبْلَ
 السَّحَرِ ؟ قُلْتُ : إِنِّي لَكَ أَتْبَعُ مِنَ الصَّفَةِ لِلْمَوْصُوفِ ، وَأَلْزَمُ مِنَ العَاطِفِ
 لِلْمَعْطُوفِ . وَأَخَذْتُ لَيْلِي تُحَدِّثُنَا بِاخْتِلَاسِ نَفْسِهَا ، بَعْدَ ثِقَةِ القَاضِي بِأَنْسِهَا .
 فَقُلْتُ : اللهُ أَكْبَرُ ، إِنَّهَا مِنْ بَنَاتِ أَوْبَرَ ٢ ! فَتَاهُ الشَّيْخُ دَلَالاً ، وَأَنْشَدَ
 ارْتِجَالاً :

عَرَّجَ عَلَى القَاضِي وَقَتْلُ وَلَا حَرَجَ . جَمَعْتُ مَالاً بِالرِّيَاءِ وَالعِوَجَ ،
 مِنْ كُلِّ مَنْ دَبَّ وَكَلَّ مِنْ دَرَجَ ، وَالْمَالُ لَا يُخْرَجُ حِينَمَا خَرَجَ
 إِلَّا مِنَ البَابِ الَّذِي مِنْهُ وَلَجَ !

قَالَ سَهِيلٌ : ثُمَّ هَمَمْنَا بِالزِّيَالِ ، وَخَرَجْنَا نَزْفٌ ٣ كَالرِّثَالِ ، فَمَا أَصْبَحْنَا إِلَّا
 وَنَحْنُ عَلَى أَمْيَالٍ . وَمَا زِلْتُ أُسِيرُ مِنْ وِرَانِهِ ، مَسْتَسْقِيًّا بِرَوَانِهِ ، وَأَسْتَظِلُّ
 بِبِلَوَانِهِ ، مَعْتَصِماً بِوَلَانِهِ . إِلَى أَنْ بَلَّغْنَا أَرْقَةَ العِرَاقِ ، فَكَانَتْ طَرْفَةً ٤
 الفِرَاقِ .

١ الصفع : ضرب القفا باليد . والمناوية : أصحاب ماني المنوي الذين يقولون إن الشر كله من
 الظلمة .

٢ بنات أوبر : الدواهي .

٣ أي من دب كبيراً ودرج صغيراً .

٤ بالزيبال : أي بمفارقة البلد . نزف : نزع . الرثال : أفراخ النعام .

٥ الأرقه : الحد بين الأرضين . الطرفة : الأمر الحادث .

المقامة السادسة والثلاثون

وتعرف بالطائفة

حكى سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال : حلتُّ بلادَ اليمنَ ، في سالفِ الزمنِ ، وأنا
غضيبُ الصَّبَاءِ غريضُ الفَنَنِ . فجعلتُ أتردُّدُ في بواديها ، بين شِعْبِها وواديها .^١
وما زلتُ أطوفُ الحَيَّ بعد الحَيِّ ، حتى دُفِعتُ إلى أحياءِ بني طَيِّ .
فرأيتُ بها ما شاء اللهُ من خِيامٍ مبنوثةٍ ، ونيرانٍ مشبوبةٍ ، وجِفَانٍ^٢ مصفوفةٍ ،
وخيلٍ مشدودةٍ ، ورماحٍ مراكوزةٍ . وجمالٍ كالرُثْبِيِّ ، وسِخَالٍ كالِدَبِيِّ ،^٣
وجوارٍ كالظُّبَاءِ وغِلْمَانٍ كالظُّبِيِّ . فكان الناظرُ حينما سمَّتُ ، يرى عَجَباً ،
بمَّا صأى وصمَّتْ . قال : وكان يومئذٍ موسمُ الحجيجِ ، وقد استنبتك
الضجيجُ ، واحتبك العجيجُ ! فبينما القومُ في هِيَاطٍ ومِيَاطٍ ، على أضيَّقٍ من^٤
سُمِّ الحِيَاطِ . إذ قلَّصتِ الزماجرُ ، ونشَّصتِ المحاجرُ . وارفَضُ القومُ^٥

١ غريضُ الفننِ : رخصُ الفننِ . الشعبُ : الطريقُ في الجبلِ .

٢ جِفَانٍ : قصاعُ .

٣ الدبِيُّ : الجرادُ الصغيرُ .

٤ الظُّبِيُّ : حدودُ السيوفِ . سمَّتْ : قصدُ نظرهِ .

٥ صأى : من قولهم صأى الفرخُ ونحوه إذا أبدى صوتاً . أي يرى عجباً من المسالِ
الناطقِ والصامتِ .

٦ احتبك : تلاحمُ . العجيجُ : هديرُ الفحولِ من الجمالِ . الهِيَاطُ : التقاربُ ، والمِيَاطُ :
التباعدُ .

٧ سُمُّ الحِيَاطِ : ثقبُ الإبرةِ . قلَّصتِ : من قولهم قلص الظل إذا انقبض ونقص . الزماجرُ :
جمعُ رُجْمَةٍ وهي الصَّحْبُ والجلبةُ . نشَّصتِ : ارتفعتُ . المحاجرُ : ما حولِ العينِ .

يُنْفِضُونَ ، كأنهم إلى نُصْبٍ يوفضون . فسرت كما ساروا ، إلى أن صيرت^١
 حيث صاروا . وإذا شيخ في سَمَلَةٍ ، قد قام على دِعْصِ رَمَلَةٍ . وقال :^٢
 الحمد لله ذو رَفَعِ الحِضْرَاءِ ، وبَسَطِ العِبْرَاءِ . والسلام على انبيائه الأقطاب^٣ ،
 الذين أوتوا الحكمة وفصل الحِطَابِ . أما بعد يا معاشِرَ جُلُهِنَةٍ ، فإنكم
 أرباب الخيل المُطَهَّمَةِ ، والبرودِ المُسَهَّمَةِ . ولكم الكتيبة السمرَاءِ ، والراية^٤
 الصفراء . ومنكم حبيبٌ وحاتمٌ وثعلبٌ ، الذين يُرْسَلُ بهم المثل . وإني شيخ^٥
 قد طعنتُ في سِنِّي ، حتى وهنَ العظمُ مني . وقد قطعتمُ الفدافدَ والمهامه^٦ ،
 وطويتُ الجداجدَ واللّهالَه . وعرفتُ الشعوبَ والقبائلَ ، والعمائرَ والفصائلَ^٧ .
 وأدركتُ الأحكامَ والحقائِقَ ، وكشفتُ الأسرارَ والدقائقَ . وقيدتُ
 الأوابدَ ، وجمعتُ الشواردَ . وأحصيتُ لغاتِ العربَ ، واستطلعتُ ما
 أغربَ منها وما غرَبَ^٨ . فكُنْتُ من أصحابِ الدَّوْلَةِ ، وأربابِ الصَّوْلَةِ .
 وكان يثنى إليّ العِنانُ ، ويشارُ نحوي بالبَنانِ . أما الآن وقد فُتِدَ من
 يعرفُ مساوِيَةَ الشعرِ من محاسِنِهِ ، ويفرُقُ بينَ مَنْ يرمي الكلامَ على

١ ينفضون : يقطعون الأرض . النصب : ما يجعل علماً أو يعبد من دون الله . يوفضون :
 يمشون مسرعين .

٢ سَمَلَةٌ : ثوب من أكمة العرب . دِعْصُ : قطعة مستديرة من الرمل .

٣ الحِضْرَاءُ : السماء . العِبْرَاءُ : الأرض . الأقطاب : السادات الذين يدور عليهم الأمر .

٤ فصل الخطاب : الفصل بين الحق والباطل .

٥ المُطَهَّمَةُ : التامة الخلق . البرود المسهمة : الثياب المخططة وهي من نسج اليمن . السمرَاءُ :
 القائمة لشدة الزحام وكثرة ما يعلوها من سواد الحديد .

٦ الصفراء : كانوا يفتخرون بها لأنها راية الملوك في اليمن . وكانت الرايات الحمراء لأهل
 الحجاز . حبيب : هو حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام الشاعر . ثعلب : هو ثعلب
 ابن عمرو بن طي كان حاذقاً في رمي النبال .

٧ طعنت في سني : يكئى بالسن عن الشيخوخة والكبر . وطعنت أي دخلت . الفدافد :
 الأراضي المستوية . المهامه : المغاوز البعيدة .

٨ الجداجد واللّهالَه : الأراضي الصلبة والواسعة .

٩ الأوابد : المتفرقات .

١٠ قوله أغرب من معنى الغرابة . وغرب من معنى الغروب .

عواهنه . ومن يستنبث الرِّكَاز من معادنه . فقد وَلَّتِ المرتبة ، وحلَّتِ
المرتبة . حتى اضطُررتُ أن أعفّرَ خَدَيَّ ، ليجدَ جَدِّي . وأُحَلِّقُ^٢
ديباجتي ، لأظفّرَ بجاجتي . قال : فصمَدُ له فتى أجمل من بدر التمام ،^٣
وأطولُ من ليل التمام . وقال : شهِدَ ربُّ الكَعْبَةِ الحرام ، لقد تَبَاوَى^٤
الرُّهَامَ . وإني لأعجمُ عودَكَ ، واستمطرُ رُعودَكَ . فإن كنتَ أغلَطَ^٥
من دالِقٍ^٦ ، قَدْ فَتَكَ من حالقٍ . وإلّا فأنا زعيمٌ لك عند القوم ، أن يكون
عليك أيمنَ يومِ نافتَرَ^٧ الشيخِ افتِرارَ المُجُونِ ، وقال : قد تحرّشَ الحُوَارُ^٨
الزَّفُونُ ، بالبازلِ الأُمُونِ . فهاتِ ما ترمي من الحُطَيِّ ، وخذ ما تُرْمِي^٩
به من اللُّطَيِّ . قال : هل تعرف ما تَأْتِي ، من قيودِ جماعاتِ شَتَى^{١٠} ؟
فأطرقُ كالشُّجاعِ الشُّجَمِ ، ثم اندفق كالوادي المفعَمِ ، وانشد :^{١١}
زُجَلَةٌ ناسٌ حاصِبُ الرِّجَالِ ، وهكذا كوكِبَةُ الخِيَالِ^{١١}

- ١ يرمي الكلام على عواهنه : أي لا يبالي أصاب أم أخطأ . يستنبث : يستخرج . الرِّكَاز :
- ما في المعدن من ذهب أو فضة .
- ٢ المتربة : الفقر . أعفّر خدي : أي أمرغه في السراب . وهو كناية عن الإذلال . ليجد
جدي : أي لينجح سميي .
- ٣ أخلق ديباجتي : أي أبوح بجاجتي وأتذنب للناس . صمَد : قصد .
- ٤ ليل التمام : أطول ليالي الشتاء . تباوى : تكلف أن يجعل نفسه بازيًا .
- ٥ الرهام : ما لا يصيد من الطيور . وإني لأعجم عودك : من قولهم : عجم العود أي عض
عليه ليختبر من أي شجر هو .
- ٦ دالق : لقب عمارة بن زياد العمي يقال إنه كان كثير الغلط .
- ٧ تحرش به : إذا تعرض له وحركه . الحوار : ولد الناقة .
- ٨ الزفون : الأعرج . البازل : البعير ابن تسع سنين . الأمون : الشديد الوثيق الخلق . الحطى :
- جمع حظوة وهي سهم صغير تلمب به الصبيان .
- ٩ اللطى : النار . قيود : خصائص لفظية .
- ١٠ الشجاع : نوع من الحيات . الشجيم : الطويل .
- ١١ الرجالة : المشاة . وهكذا كوكبة الخيالة : أي أن الجماعة من الناس مطلقاً يقال لها
زجلة ومن الرجالة حاصب ومن الخيالة كوكبة . وهلم جرأ في بقية الجماعات .

رَهْطٌ رِجَالٌ لُئِمَةٌ النساءِ رَعِيلٌ خَيْلٌ وَقَطِيعُ الشَّاءِ
 وَرَبْرَبٌ الْمَهَا صِوَارُ الْبَقَرِ حَيْلَةٌ مَعَزٌ عَانَةٌ مِنْ حُمْرٍ
 وَصِرْمَةٌ مِنْ إِبِلٍ وَعَرَجَلَةٌ مِنْ السَّبَاعِ قَدْ حَكَّتْهَا النَّقْلَةَ
 خَيْطُ النَّعَامِ وَمِنْ الْجَرَادِ رِجْلٌ وَسِرْبٌ مِنْ ظِبْيَاءِ الْوَادِي
 وَهَكَذَا عِصَابَةُ الطَّيْرِ وَرَدٌ وَخَشْرَمٌ النَّحْلُ نَتِيبَةٌ الْعَدَدُ

قال : إن كنت سابع الذئيل ، فما مراتب عدو الحيل ؟ فقال : إيه !
 وأنشد بلاء فيه :

أَقْلُ عَدُوِّ الْحَيْلِ يُدْعَى خَبَبًا عَلَيْهِ تَقْرِيْبٌ فإِحْضَارٌ وَبَاءٌ
 ثُمَّ ابْتِرَاكٌ فَوْقَهُ الْإِهْذَابُ قَدْ رَتَّبَ وَالْإِهْمَاجُ غَايَةُ الْأَمَدِ

قال : إن كنت من ذوي الكمال ، فما مراتب سير الجمال ؟ فاهتز
 وطرب ، وأنشد بلسان ذرب :

أَوَائِلُ السَّيْرِ الدَّيْبُ لِلْإِبِلِ ثُمَّ الذَّمِيلُ فَالرَّسِيمُ قَدْ نَقِلُ
 فَالْوَحْدُ فَالْعَسِيجُ فَالْوَسِيجُ ثُمَّ الْوَجِيفُ بَعْدَهُ يَسِيجُ
 وَبَعْدَهُ الْإِجْمَارُ فَالْإِرْقَالُ وَالْإِنْدِفَاقُ جُهْدٌ مَا تَنَالُ

قال : قد أجدت الوشي ، فهل لك في قيود مطلق المشي ؟

١ المهَا : بقرة الوحش .

٢ سابع : طويل . إيه : أي زد .

٣ ربا : زاد .

٤ ذرب : حاد .

٥ الوشي : من وشي الثوب وهو نقشه وتحسينه .

فخازَرَ جَفْنِيهِ ، وَأَتْلَعَ جِيْدَهُ إِلَيْهِ . وَأَنشَدَ :

قَد دَرَجَ الصَّبِيُّ وَالشَّيْخُ دَلَفٌ وَخَطَرَ الْفَتَى وَذُو الْقَيْدِ رَسَفٌ
وَمَشَتْ الْمَرْأَةُ وَالْمَرْءُ سَعَى وَقَد حَبَا الرُّضِيعُ بِبَغْيِ الْمُرْضِعَا
وَدَرَمَ الَّذِي عِلَاهُ الثَّقَلُ وَفَرَسَ جَرَى وَسَارَ الْجَمَلُ
وَهَدَجَ الظُّلُمُ وَالغُرَابُ يَحْجُلُ حَيْثُ حِيَّةٌ تَنَسَابُ
وَنَقَزَ العُصْفُورُ حَيْثُ العَقْرَبُ دَبَّتْ ، وَكَلَّتْهَا قِيودُ تَكْتَبُ

قال : وهل تعرف ما يُذكر ، من ترتيب جماعات العسكر ؟ فروا^٢ ريثما تفكر . ثم أنشد :

أَقْلُ جَمْعَ العَسْكَرِ الجَرِيدِ وَبَعْدَهَا السَّرِيَّةُ المَزِيدِ
وَفَوْقَهَا كَتِيْبَةٌ تَمِيْسُ فَالجَيْشُ فَالفَيْلَقُ فَالجَيْشُ^٣

قال : ما أراك في البادية بالدخيل^٤ ، ولا في الإفادة بالبخيل ، فهل تعرف مراتب النخيل ؟ فاستطال اختيالاً ، وأنشد ارتجالاً :

فَسَيْلَةٌ قَبْلَ لَصُغْرَى النَخْلِ وَفَوْقَهَا قَاعِدَةٌ تَسْتَعْلِي
جَبَّارَةٌ عَيْدَانَةٌ وَالبَاسِقَةُ فَوْقَهَا ثَمَ السَّحُوقُ الشَّاهِقَةُ

قال : أحياك الله السمر^٥ والقمر ، فهل لك في ترتيب ما للنخل من الثمر ؟ قال : اسمع فترشد ، ثم أنشد :

أَوَّلُ حَمَلِ النَخْلِ طَلْعٌ يَبْدُو ثَمَ سَيَابٌ فَخَلَالٌ بَعْدُ

١ خازر جفنيه : ضيقهما لينظر . أتلع جيده : مد عنقه متطاولا .

٢ يقال روا في الأمر أي نظر فيه .

٣ تميس : تمشي متكبرة .

٤ الدخيل : الغريب .

٥ السمر : ظل القمر .

بَعُوهُ فَبُسِرُ فَمُخْطَمٌ بِلِي ثُمَّ مَوَكَّتْ بِتَذَنُوبٍ تَلِي
فَجُمُئَةٌ فَتَعْدَةٌ فَرُطَبٌ وَبَعْدَهُ التَّمْرُ أَخِيْرًا يُحْسَبُ

قال سهيل^١: فلما فرغ الفتي من حوارهِ ، وشفى غليل أوارهِ . أقبل على الشيخ وقال: شَهِدَ اللهُ أَنكَ عَلَامةُ الدنِيا، وَغَايَةُ الأَدبِ القُصْيا . فما بِرُؤْنا^٢ في جانب أَمْرِكَ الجَلَلِ ، إِلا رَشْحَةٌ^٣ مِنْ بَلْكَ ، أَوْ هَبْوةٌ^٤ مِنْ طَلْكَ . ثم ألقى ديناراً في رُذْنِ البِجَادِ ، وقال : كُلُّ صُعْلُوكِ جَوادٍ ! وجعل^٥ يطوفُ على القومِ كجَابي الرُضِيعَةِ ، وهو يقول : الصنِيعَةُ ، مِنْ كَرَمِ الطَّبِيعَةِ . فلم يَبْقَ في الجِماعَةِ إِلاَّ مِنْ أَعْجَبَتُهُ صِفاتُهُ ، وَتَدَيَّتْ لَهُ صِفاتُهُ . فلما أُمِّمَ^٦ مَسعاهُ ، تَلَقَّى الشَّيْخَ وَحِياهُ ، وقال : قَدْ جِئناكَ بِبِضاعَةٍ مُزْجِاةٍ^٧ . فقبِلَ مَفْرِقَهُ^٨ وقال : حِياكَ اللهُ لَقَدْ ائْتَشَلْتَ الغَريقَ ، وَدَرَأْتَ الحَريقَ^٩ ، عَنِ الحَريقِ ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَدُلَّنِي عَلى الطَريقِ ؟ قال : أَنَا أَدُلُّ مِنْ دُعَيْبِصِ الرَمْلِ ، فِي أَخْفَى مِنْ مَدارجِ النَمْلِ ، فَسِرْ وَاللهُ يَجْمَعُ لَكَ الشَمْلَ . قال^{١٠}: أَتَبِعُ الفَرَسَ لِجِامِهاُ ، وَالناقَةَ زِمامِهاُ ، وَاللهُ يَكْلاهُ شَيْخَ البادِيةِ وَغَلامِهاُ . قال الراوي^{١١}: وَكُنْتُ قَدْ تَبَيَّنْتُ أَنَّهُما الحَرامِيُّ وَفِتاهُ ، فَلِما انصَرَفا قَفوتَهما

١ برنا : معروفنا وإكرامنا .

٢ هبوة : غبارة .

٣ في رذن البجاد : أي في كم ثوبه . كل صعْلوك جواد : كل فقير كريم . وهو مثل .

٤ جابي الرضيعه : أي الذي يجمع الحراج . الصنيعه : الإحسان .

٥ نديت : رشحت . صفاته : صخرته . وهو مثل يضرب في سماحة البخيل .

٦ مزجاة : قليلة .

٧ درأت : دفعت . الحريق : الريح الباردة الشديدة المهبوب .

٨ دعيميص الرمل : رجل يضرب به المثل في الدلالة على الطرق . مدارج : جمع مدرج وهو المسدب .

٩ أتبع الفرس لجامها : مثل يضرب في اتباع أمر بآخر .

١٠ الراوي : أي سهيل .

إلى الفلاة . وإذا الشيخ يُنشدُ بلسانِ ذَلِقٍ ، وصوتِ كصوتِ المُصْطَلِقِ ١ :

أنا العَمَلَجُ الذي لا يُنكَرُ ٢ أكونُ تارةً خطيباً يُندِرُ ٢
وتارةً زيرَ نِساءٍ يَسْكَرُ ٢ وتارةً مُصَلِّياً يَسْتَفِرُّ ٢
وتارةً راصداً نَجمٍ يَسْحَرُ ٢ وتارةً شيخَ علومٍ يَبْهَرُ ٢
فقل لمن جاءَ ورأى مَخطرُ ٣ إنَّ أهاليَ عصرنا تَقْتَصِرُ ٣
على المعاصي حينما تَقْتَدِرُ ٣ والعبدُ يصفو تارةً ويكْدُرُ ٣
فَعُدْ إلى القومِ بِلَومٍ يَزْجُرُ ٣ أو لا فدَعْنِي إنْ مثلي يُعْذِرُ ٣

قال : فانثبتُ عنه كما أشار ، خوفاً من لسانه المهذار ، وعُدتُ إلى
استتمام السياحة في تلك الديار .

١ ذلق : ماض جري . المصطلق : هو جذيمة بن سعد الخزاعي يضرب به المثل في حسن الصوت .

٢ العملج : هو من لا يثبت على حالة .

٣ فقل لمن جاء ورأى : يريد به سهيلاً . يخطر : يحرك يديه في المشي .

٤ يريد بالعبد نفسه .

المقامة السابعة والثلاثون

وتعرف بالعدنية

قال سهيلُ بنُ عبَّادٍ : دخلتُ بلادَ قَحَطَانَ ، بينَ شَيْبَانَ ومِلْحَانَ .^١
فَأَصَابَتْنَا دَيْمَةٌ مِدْرَارٌ ، أَلْزَمَتْنَا الرَّجَارَ ، مِنْ أَوْهَدٍ إِلَى شِيَارٍ . فَلَمَّا أَقْلَعَتِ
السَّمَاءُ ، وَغِيضَ الْمَاءُ . خَرَجْنَا نَتَضَحَّى فِي تِلْكَ الضَّوَاهِي ، وَنَتَفَكَّهُ بِابْتِسَامِ
ثَعُورِ الْأَقَاهِي . وَمَا زَلْنَا نَمْرَاحُ بَيْنَ الْجِدِّ وَالِدَدَنِ ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى أَكْنَافِ
عَدَنٍ . وَإِذَا قَوْمٌ قِيَامٌ ، حَوْلَ شَيْخٍ وَغُلَامٍ . وَالشَّيْخُ قَدْ وَقَفَ عَلَى
مُؤَيَّبَةٍ ، فِي رُدَيْبَةِ ، وَأَطْرَقَ بِرَأْسِهِ بُرَيْبَةَ . ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَرَفَعَ بَعْضَ خَلْقِهِ دَرَجَاتٍ فَوْقَ بَعْضٍ . أَمَّا بَعْدُ
يَا عَشَائِرَ الْيَمَنِ ، وَبَشَائِرَ الزَّمَنِ . فَإِنَّكُمْ جُرْثُومَةُ الْعَرَبِ ، وَأُرُومَةُ
الدَّسَبِ . وَأَسْدُ الدَّحَالِ ، وَمَحِطُّ الرَّحَالِ . وَمَعْدِنُ الْعَرَبِيَّةِ وَالْكِتَابَةِ ،^٢

- ١ شيبان وملحان : هما أشد أشهر الشتاء برداً ويقال لهما شهرا قماح .
- ٢ ديمة : مطر يدوم أياماً على سكون بلا رعد ولا برق . الوجار : المكان الذي نستكن فيه ، مأخوذ من وجار الضيع . أوهد : يوم الأحد . شيار : يوم السبت .
- ٣ غيوض : جف . نتضحى : نستدفئ بالشمس . نتفكك : فكك الرجل إذا طابت نفسه .
- ٤ الددن : اللب واللهم .
- ٥ مويبة : تصغير مائة مؤنث الماء . رديبة : تصغير ردهة وهي نفرة في صخرة يستنقع فيها الماء .
- ٦ جرثومة العرب : أصلهم .
- ٧ أرومة النسب : الأرومة أصل الشجرة . كنى بها عن شجرة النسب التي يصنعونها في كتب الأنساب . الدحال : جمع دحل وهو كهف يكون في أسافل الأودية فمه ضيق ثم يتسع .

والشعر والحطابة . ولكم المَشَارِفِ المعهودة ، والمحاجر المشهودة .^١
 والمخاليف المذكورة ، والمحاريب المشهورة . ومنكم سَدَنَةُ المقام ، وحماة^٢
 الكعْبة الحرام . وعليكم مَدَارُ العَوَائم ، وإليكم مَحَارِ العِظائم . فإنكم
 أهدى في الحُطَى ، من القَطَا . وأثبت على السُّروج ، من البروج . وأمضى
 في المآزم ، من الهاذم . وأصبر على السواني ، من ثالثة الأثافي . وإذا ذُكِرَتْ
 المفاخر ، بين الأوائل والأواخر . فلكم الرتبة الأولى ، واليد الطولى .
 وإذا حلَّ بساحتكم النزيل ، فقد ورد ماء السَّيل . وإذا استجار بكم المرهق^٣ ،
 من العدو الأزرق ، فقد تمرَّد ماردٌ وعزَّ الأبلق . وإني شيخٌ قد أداني^٤
 القنوت ، والتبليغ بالقوت ، إلى أن صيرت أوهن من بيت العنكبوت^٥ ،
 وأوحش من برهوت ، في حضرموت . فتركت وطني القديم ، وهجرت^٦
 السير والنديم ، وهيمت على وجهي ابتغاء وجه الله الكريم . وقد اشتريت

- ١ المشارف : قرى في بلادهم تدنو من الريف وإليها تنسب السيوف المشرفية . المحاجر : ما حول القرى من الأرض . كانت ملوك اليمن تحميها فلا يدنو منها أحد .
- ٢ المخاليف : كور في بلاد اليمن . المحاريب : غرف كانت لقصر غمدان بظاهر صنعاء اليمن . سَدَنَةُ المقام : خدام الكعبة .
- ٣ محار : مرجع .
- ٤ القطا : طائر يوصف بالهداية .
- ٥ المآزم : الشدائد . الهاذم : الأسة القاطعة . السواني : الرياح التي تزدري التراب .
 ثالثة الأثافي : المراد بها الجبل . وهو مثل يضرب لمن لا يبالي بهلاك ماله .
- ٦ المرهق : المطلوب بشر .
- ٧ العدو الأزرق : الشديد العداوة . مارد : حصن في دومة الجندل . والأبلق : حصن آخر في أرض تيماء . وكلاهما للسؤال بن عادياء الغساني . قصدت هذين الحصنين هند ملكة الجزيرة المعروفة بالزباه فعجزت عنهما فقالت : تمرّد مارد وعز الأبلق . فذهبت مثلاً . أداني : أوصلني .
- ٨ القنوت : القيام في الصلاة . التبنيغ : الاكتفاء بما يسد الجوع . أوهن : أضعف .
- ٩ أوحش : من الوحشة ضد الأنس . برهوت : اسم بشر في حضرموت يزعمون أن أرواح الكفار تجتمع إليها .

هذا الغرائق الوضّاء ، بألف من الرقة البيضاء . فنقدت شطرها ،^١
 واستأنيت غيرها . فلم يستطع الغريم صبراً ، وارتمن الناقة جبراً . فخرجت
 بالغلام أسعى ، حتى أفضيت إلى هذه البقعة الوسمى . وهو غلام فاره ، أرى^٢
 منه جنة لم تحف بالكاره . فإنه ثقف لقف ، فوق ما أصف . وهو
 أشعر من نصيب ، وأحكم من أبي الطيب . وأحضر من تأبط ، وأسمى^٣
 من ربيعة بن الأصبط . ثم أشار إلى الغلام وقال : يا بُني هات ما نظمت
 اليوم ، في مديح القوم . فوثب كالقضاء المنزل ، وأنشد بنغمة أطرب من
 عود زلزل :^٤

قل للذي يشكو تصاريف الزمّن : هلمّ فوراً نحو أحياء اليمّن
 ترى بها من الفروض والسُنن نحر العبيطات وتوزيع المنن^٥
 والغارة الشعواء تستقصي الدّمّن وليس تبقي هامة على بدن^٦
 وتلتقي جنة عدن في عدن وقصر غمدان الشبيه بحضن^٧

١ الغرائق : الشاب الناعم . الوضّاء : الحسن . الرقة : الفضة . نقدت شطرها : دفعت نصفها .

٢ استأنيت غيرها : طلبت المهلة في باقيها .

٣ أسعى : أنسبب في تحصيل المال . فاره : حاذق .

٤ جنة لم تحف بالكاره : مغامرة للحديث القائل إن الجنة حفت بالكاره أي أحيطت بالموانع
 المكروهة . ثقف : حاذق فطن في العمل . لقف : اتباع للتوكيد .

٥ نصيب : هو نصيب بن رباح الأموي كان من فحول الشعراء . أبو الطيب : هو أحمد بن
 الحسين الكندي المعروف بالمتنبي . أحضر : من الحضرة وهو الركض . تأبط : يريد تأبط
 شراً .

٦ ربيعة بن الأصبط : هو رجل من العرب يضرب به المثل في القوة على سفر الليل .

٧ زلزل : رجل من أهل بغداد يضرب به المثل في الخذاقة بضرب العود .

٨ نحر العبيطات : الذبائح التي ذبحت لغير علة بها . المنن : العطايا .

٩ الشعواء : المتفرقة في البلاد . الدمن : آثار الدار . تستقصي الدمن أي تستأصل آثار الديار
 ولا تبقي منها شيئاً .

١٠ قصر غمدان : هو قصر عظيم بظاهر صنعاء . حضن : جبل عظيم مشرف على أرض نجد .
 ومن ذلك قولهم : أنجد من رأى حضناً .

وأثرَ الملوكِ بينَ ذي يَزَنَ ومن يَلي من قومهِ كذي يَمَن^١
وقد أتينا القومَ من أَقصى وَطَنِ نرجو فَكَاكَ الرهنِ أو دفعَ الثمنِ^٢
إن لم يكونوا أهل ما نرجو فَمَن ؟

قال : وكان بين القومِ زعيمٌ صَلَّتْ الجبينَ ، كأنه أحدُ الذَّوِينِ . فقال :^٣
شَهِدَ اللهُ انك أذهى من جِنَّ عَبْقَرٍ ، وأسحرُ من كَهَانِ حَيْدِ حَوْرٍ .^٤
فخذ هذه الناقةَ الوجناءَ ، جائزةَ الثناءِ . وسيأتي مولاك حِوْطَ المآلِ ، فتظفرانِ^٥
بجسَنِ المآلِ . ثم انهال على الشيخِ الحِباءَ وانسكبَ ، حتى امتلأَ دلوهُ إلى عَقْدِ^٦
الكَرْبِ .^٧ ولما قضى الوَطَرَ ، ودَّعَ النَّفَرَ ، وأنشد على الأثرِ :

من أيمُنَ الحقُّ ، أنَ اليُمنَ في اليَمَنِ أعطى يميني يمينَ المآلِ واليَمَنِ^٨
قد كنتُ قبلاً لكمُ عبداً بلائِمنِ ، واليومَ قد صيرتُ عبدَ العبدِ بالثمنِ !^٩

قال سهيلٌ : فخلعَ الزعيمُ عليه إحدى بُردتَيْهِ ، وانصرفَ والغلامُ بينَ
يديه . وكنتُ قد عرفتُ الشيخَ والغلامَ ، إنهما رَجَبٌ وابنُ الحِزَامِ . فسُعيتُ

١ ومن يلي : فاعله ضمير ذي يزن . المراد بأثر الملوك ما لهم من الأبنية كالمدين والحصون
والسدود والقصور في تلك البلاد .

٢ فكاك الرهن : رهن الناقة . أو دفع الثمن : ثمن الغلام .

٣ صلت : صقيل . كناية عن البشاشة . الذوين : ملوك اليمن الذين في صدور ألقابهم ذو .

٤ عبقر : مكان يوصف بكثرة الجن . كهان : سحرة . حيد حور : جبل باليمن فيه كهف
يتعلمون فيه السحر .

٥ الوجناء : الشديدة . حوط : ما تم به الدراهم إذا نقصت عن الحاجة .

٦ انهال : انصب . الحباء : العطاء .

٧ الكرب : جبل يشد في وسط العراق وهي أخشاب تعرض على الدلاء . وهو مثل يضرب
لمن يبالغ في الأمر الذي يتولاه .

٨ أيمن : جمع يمين . واليمن : البركة . ويمين : بمعنى قوة . واليمن : جمع يمنة وهي البردة من
برد اليمن .

٩ أي أنكم قد اشتريتموني بإحسانكم إلي فصرت عبداً لعمييدكم فضلاً عن ساداتكم .

من ورائها ، بعد انبرائهما . حتى أدركت الشيخ وهو قد تبجح بعصاه ،
وأخذ يداعب فتاه . فقلت :

إلى كم يا أبا ليلى تجرّد للوغى خيلاً ؟
لقد سوّدت وجه الشيد بـ فانقلب الضحى ليلاً !
فنظر إليّ بعين الأشوص ، وأنشد بلسان الأشمص : ٢

إلى كم يا ابن عبّاد تجازفُ عندنا كيلاً ؟
إذا لم تقتبس أدباً فشمّر للنوى ذبلاً ٣

ثم قال : يا أبا عبادة إن الناس قد أنكروا الذّم ، ونبذوا الوفاء
والكرم ، حتى صاروا لحماء على وضم . فمتى لم نقض التلثة ، أخذتنا
اللتنة . والآن فلنقطع هذا الطريق الطامس ، قبل أن يدركنا الليل
الدامس ، لثلاً تقع في هند الأحامس . وإذا وصلنا رفعت لك المنبر ،
وأقمتك مقام الخطيب الأكبر . قال : فأوجمتني الحجل ، وسارته على
عجل . حتى انتهينا إلى دار القرار ، عند سلخ النهار . فبيتنا ليلتنا نتداول
الحديث ، وتناول الطيب منه والحديث . حتى إذا اهتك حجاب الظلام ،
لم أراه ولا الغلام .

١ انبرائهما : أي انصرا فهما . تشيح : جعلها على ظهره وجعل يديه من ورائها .

٢ الأشوص : المضطرب الأجفان كثيراً . الأشمص : المتسرع في كلامه .

٣ تقتبس : تستفد . أي إذا لم تتأدب فاغرب عنا .

٤ الوضم : خشبة الحمام . حتى صاروا لحماء على وضم : هو مثل يضرب في تقاوم الشر . التلثة :
الحاجة .

٥ اللتنة : الفتنة . أي إذا تأخرنا عن قضاء حاجتنا هان أمرنا حتى سطا علينا من لا سطوة له .
الطامس : الخفي .

٦ الأحامس : كناية عن الداهية .

٧ الخطيب الأكبر : يريد التهمك عليه بسبب وعظه له .

٨ سلخ : آخر .

٩ اهتك : انشق .

المقامة الثامنة والثلاثون

وتعرف بالحيرية

أخبرنا سهيل بن عباد قال: شَخَصْنَا نحو صَنْعَاءَ، في ليلة ذُرْعَاءَ^١، فسررنا ليلتنا جمعاء. حتى إذا ذُرَّ الشِّفَا، وشيَّبَ كَدْرُ الأفقِ بالصِّفَا. نظرنا من^٢ خلال العِشِيرِ، وإذا نحن قد أشرفنا على أفنية حِمِيرٍ. فأمعنا في التشمير^٣، تحت أمانة قَطِيرٍ. حتى دخلناها بسلام، ونبذنا مخاوف الظلام، تحت تلك الأعلام. وأقمنا بياض ذلك اليوم، في عِراسٍ أولئك القوم. ونحن نسبحُ لغتهم الحِمْيرِيَّةَ، ونرى كتابتهم المُسْتَدِيَّةَ، ونتفقد آثارهم التَّشْبِيهِيَّةَ^٤. ولما أصبعنا زَمَمْنَا الدَّلَاتِ، وأمَمْنَا الدَّمَاثِ، فجمعجوا بنا وقالوا: الضِياقة^٥ ثلاث. فنكصنا^٦ عمَّا أزمعنا، وترَبَّصْنَا حيثُ اجتمعنا. ولَبِئْسْنَا نُجُوسٌ خِلال الدِّيَارِ، إلى أن استقام قسطاس النهار. وإذا بالخزاعي وصاحبيه، إلى جانبه^٧.

١ ليلة درعاء : يطلع قمرها عند الصبح .

٢ ذر : طلع . الشفا : بقية القمر في آخر الشهر . شيب : مزج .

٣ العشير : الغبار . التشمير : كناية عن الجلد .

٤ قطير : يزعمون أنه ملك موكل بتأدية الأمانات .

٥ عراس : ساحات .

٦ لغتهم الحيرية : لأن لهم من اللغة ما يفاير كلام عامة العرب . المستدية : نسبة إلى المسند وهو خط حمير كانوا يكتبون كل حروفه منفصلة عن بعضها . التبعية : نسبة إلى تبع . لقب بذلك لاتباع جمهور أهل اليمن له . ثم جرى هذا اللقب على كل ملك من ملوك اليمن .

٧ الدلات : التياق السريعة . أمنا : تصدنا . الدماث : الأراضي اللينة الرملية . جمعجوا : أمسكوا .

٨ نكصنا : رجعنا .

٩ نجوس خلال الديار : أي نردد بينها . استقام قسطاس النهار : انتصف عند الظهر . والقسطاس الميزان . صاحبيه : ابنته ليلي وغلانم رجب .

فقلت : يا بُشرايَ قد أمرتِ العجزة ! ودُرنا حوله كَنطاقِ الجوزاء^١ .
فأبرقت أسرته^٢ ، وأشرقت مسرته^٣ . وتلقانا بما يُنعش الحُشاشة ، من^٤
البُشاشة والمُشاشة^٥ . حتى إذا استقرَّ قراره^٦ ، وانجلي اغبراره^٧ . قال : لا
يترك الظبي ظله^٨ ، فانهضوا بنا إلى أمير الحِلَّة . فلما جلسنا في ديوانه ، بين
أعوانه . قال بعضهم : هذا الخزامي الذي يتراى ذكره^٩ ، ويتحامي نكره^{١٠} .
فلننته وهقه بالمعاية ، ونثلق مراديسنا في ركايه^{١١} . فوقع ذلك في سماعه^{١٢} ،
وكان داعية لزماعه ، إلى حجة أطماعه . فابرى له كالرئبال ، وقال : أمّا^{١٣}
إن بريت النبال ، وطلبت النزال . فما ستته في العربية ليس لها سبع ،
ومفرد يُكرّر جمعه إلى الرابع ؟ فوجم الرجل وانصاع ، وبرز فتى تحت^{١٤}
أنصاع ، وقال : إننا نكابل صاعاً بصاع . إن كنت من أفراد الإنسان^{١٥} ،
فما قيوده باعتبار الأسنان ؟ فأشرأب الشيخ وتعاطى ، وأنشد وما تباطأ :

هُوَ الْجَنِينُ فِي الْحَشَى يُقَامُ فَالطَّفَلُ فَالصَّبِيُّ فَالغلامُ

- ١ أمرت : أنبتت العشب . العجزة : الرملة المرتفعة . الجوزاء : أحد أبراج الفلك ، وحوها كواكب يقال لها نطاق الجوزاء .
- ٢ أبرقت أسرته : تهلل وجهه انبساطاً . الحشاشة : الروح .
- ٣ المشاشة : طيب النفس .
- ٤ مثل يضرب في التمسك بالأمر الذي يؤلف عليه .
- ٥ يتحامي نكره : أي يحتز من دهائه .
- ٦ توهقه بالكلام : أي أعياه وحيره . المعاية : الكلام الذي لا يهتدى إلى بيانه . مراديسنا : جمع مرداس وهو الحجر الذي يرمى في البئر ليعلم هل فيها ماء أو ليعلم عمقها . ركاياه : جمع ركية وهي البئر .
- ٧ زماعه : إسرعه . الرئبال : الأسد .
- ٨ الستة التي لا تسابع لها في العربية هي : ويب وويح وويخ وويس وويل وويه وهي متقاربة المعاني . والمفرد الذي يجمع أربع مرات هو العصمة بمعنى القلادة ، فإنها تجمّع على عصم ، ثم تجمّع عصم على أعصم ، ثم تجمّع أعصم على أعصام ، ثم تجمّع أعصام على أعاصيم ، ولا نظير له في الأسماء . انصاع : رجع .
- ٩ أنصاع : ثياب بيض . الصاع : مكيال يسع أربعة أمداد . والعبارة مثل في المكافأة .
- ١٠ الأسنان : الأعمار . تعاطى : وقف على أطراف أصابع رجليه .

وبعدَ ذاكَ يافعٌ ثم فتى
وبعدَهُ عَنطِنَظُ صُلُ
ثم طويرو ثم شارخٌ أتى
وبعدَ ذاكَ أشطُ فكَهْلُ
وبعدَهُ الميمُ الذي يَحْتَمُ

قال : فهل لك من جرأة ، أن تذكر ما يختصُ بالمرأة ؟ قال : كيف لا ، وأنا ابنُ جلا ؟ وأنشد :

أما الذي على النساء يُقصرُ
فعاركُ فعانسُ فشَهْلُهُ
فكاعبُ فناهذُ فمُصِرُ
وبعدَ ذاكَ نَصَفُ أو كَهله
وبعدَ ذلك العجوزُ تُذَكِرُ
والحيزونُ بعدها لا تُنكِرُ

قال : إن عرفت قيود الإشارة ، فلك الإشارة ، بأحسنِ إشارة ٣ !
فترشح عطفاه ، ثم فَعَرَّ فاهُ . وأنشد :

يُقالُ قد أوماً بالرأسِ الفتى ،
أومضَ بالجنينِ إلينا ، وغمزَ
وقد أشارَ بيدي حين أتى
بجانبٍ ، وبالشفاهِ قد رمزَ
وهكذا ألمعَ بالثوبِ وقد
ألاحَ بالكُمُ ، فقيدُ ما ورد

قال : وهل تبتلعنا الوطر ، من ترتب المطر ؟ قال : لبَّيك ! فخذ
ما يلقي إليك . وأنشد :

أولُ قطرِ الغيثِ حينَ يُنثرُ
طلُّ ، وبعدهُ الرِّذاذُ يَقطرُ

١ مثل يضرب للمشهور المتعارف .

٢ أما الذي على النساء يقصر : أي الذي يختص بهن . وأما ما قبل هذا كالجنين والطفل فهو مشترك . الكاعب : التي قد استدار ثديها وارتفع . وهي في مقابلة الغلام .

٣ الشارة : اللباس .

٤ عطفاه : جانباه . فعر : فتح .

وبعد ذلك التّضحُّ ثم الهَطْلُ، وبعدهنَّ الوابِلُ المنهلُ

قال : قد سلخت^١ من الليل النهار ، فهل تعرف ترتيب الأَنهار؟ فأنشد :

أَصْفَرُ نَهْرٍ جَدُّوْلٌ يَنْعَدِرُ ، وبعدهُ السَّرِيُّ ثم الجَعْفَرُ
ثم ربيعاً ذكروا فطَبَعَا ثم الخَلِيجُ فوقَ ذاكِ يُدْعَى

قال : إن كنت تعرف ترتيب الجِبَالِ ، فقل ولا تُبَالِ . فأنشد :

أَصْفَرُ نَجْدِ الأَرْضِ يُدْعَى النَّبْكَهَ ، وفوقَهُ الرَّايِيةُ المَنْتَبْكَهَ^٢
أَكْمَهَ فزُبَيْيَهَ فَنَجْوَهَ ، رِيعٌ فَقْفٌ هَضْبَهَ كالفَجْوَهَ^٣
قَرْنٌ فِدَاكُ ثم ضلعٌ فائقٌ ، نَيْقٌ فَطُورٌ بَادِخٌ فَشَاهِقٌ

قال : قد ملأت الكأْسَ إلى الأَصْبَارِ ، فهل تعرف قيود العُبارِ؟

فأنشد :

أدعُ عُبارَ الحربِ بِاسْمِ القَسْطَلِ ، والعِثِيرَ اِخْصُصْ بِعُبارِ الأَرَجْلِ
والتَّقْعُ ما بِخَافِرِ يَهَاجُ ، وما ثَبِيرُ الرِّيحِ فَالعِجَاجُ

قال : إن عرفت أنواع الحَيَوطِ ، فأنت مركزُ الحَطُوطِ . فزجر كالأسد ،^٥

وقال : أعودُ باللهِ من شرِّ حاسدٍ إذا حَسَدَ ، ثم أنشد :

لِلخَرَزِ السَّلْكَ كَسِطِ الجَوهَرِ يُذْكَرُ ، والنَّصَاحُ خِيطُ الإِبْرِ

١ سلخت : نزعت واستخرجت .

٢ النجد : ما ارتفع من الأرض . المنتبكه : المرتفعة .

٣ الفجوة : ما اتسع بين شيتين . وذلك لأن الهضبة هي الجبل المنبسط على وجه الأرض .

٤ إلى الأصبار : إلى رأسها . وهو مثل يضرب في توفية الأمر .

٥ مركز الخطوط : أي المركز الذي تلتقي فيه الخطوط كوسط الدائرة الذي تلتقي فيه خطوط

محيطها .

والزَّبِيجُ لِلْبِنَاءِ ، وَالسَّبَاقُ لِرِجْلِ طَيْرٍ جَارِحٍ يُسَاقُ^١
كَذَا خَلْفُ النَّاقَةِ الصَّرَارُ يُشَدُّ كَيْ لَا يَرُضَعَ الْحَوَارُ^٢
وَهَكَذَا رَتْبَةُ التَّدَكُّرِ تَتَعَقَّدُ خَوْفَ غَفْلَةٍ فِي الْخِنَصِرِ

قال : فلما فرغ الفتى من النَّضالِ ، وشفى الداءَ العُضالِ . حدَّقَ القومُ^٣
إلى الشيخ بالأبصار ، وقالوا : شهد الله أنك نابتةُ الأعصارِ ، وداهيةُ البوادي
والأمصارِ . وقد حقَّ علينا أن نُنْفِرَ غَ عَلَيْكَ قِطْرًا^٤ ، كلما كتبنا من أبياتك
سَطْرًا . فأملها علينا سَطْرًا فَسَطْرًا . قال : إن لي كاتباً أجرى من الطَّمِيرِ^٥ ،
وأخطَّ من مُرَامِرِ بنِ مُرَّةٍ^٦ . ثم أشار إليَّ وقال : اكتب يا أبا عبادة ،
واندقق في الإملاء كالمزادة . فلما فرغنا أفاض عليه الأميرُ حِلْمَةَ يَمَانِيَةَ^٧ ،
وأثأه القومُ بِنَقْدِ ثَمَانِيَةَ . ثم جاؤوني بدُرِّيهِمَاتٍ وقالوا : صِلَةُ الْكَاتِبِ^٨ ،
ثانيةُ المراتبِ ، فلا تكن بعاتب . ولما قضى اللبانةُ ، ثنى عن القومِ عِنَانَهُ . ثم
ودَّعنا وسار ، وكان آخرَ عهدي به في تلك الأقطارِ .

- ١ الزَّبِيجُ : الخيط الذي يمدد البناء على الحائط . طير جارح : من ذوات الصيد .
- ٢ خلف الناقة : ثديها ، والحوار : ولدها .
- ٣ النضال : أي المحاورة . وأصله المراسقة بالسهام . الداء العُضال : الشديد الذي يعجز الأطباء .
- ٤ القطر : الثياب المخططة .
- ٥ سَطْرًا : نصف بيت . الطميرة : صفة للفرس .
- ٦ مرامر بن مرة : رجل من بني طي قيل إنه أول من كتب الخط العربي .
- ٧ المزادة : إناء للماء عظيم يتخذ غالباً من ثلاثة جلود . يمانية : نسبة إلى اليمن أصلها يمنية
- ٨ نقد : صنف من الغنم . صلة : عطية .

المقامة التاسعة والثلاثون

وتعرف بالأنبارية

روى سهيلُ بن عبَّادٍ قال : سافرتُ ذاتَ الزُّمَيْنِ^١ ، في رَكْبٍ من بني القَيْنِ ، يملأونَ الأذُنَ والعَيْنَ . وما زلنا نقطع المراحل ، حتى أنضينا الرواحل^٢ . فنزلنا في خِلاءٍ بِلَقَعٍ ، وقلنا : الرشف أنقع . وكان بين القوم رجلٌ واسعٌ الرواية ، بعيد الغاية . فباتَ يجلو علينا خرائدُ السَّمَرِ ، تحتَ ظلِّ القمرِ . حتى خاض في حديث علماء الأدب^٣ ، وحكماء العرب . وأخذ يذكر المشاهير والأفراد ، كعبيدِ بنِ الأبرصِ ولقمانِ بنِ عاد . فأخذتني الحميةُ هنالك ، وقلتُ : ماءٌ ولا كصداءٍ وفتى ولا كمالك ! أين أنتَ عن الشيخِ الحِزَامِيِّ^٤ ، الذي ينفِرُ العِصَامِيَّ والعِظَامِيَّ ؟ قال : رُبُّ صلفٍ تحتِ الراعدة ، وأين^٥

١ الزمين : بعض الأزمنة .

٢ القين : حي من بني أسد . يملأون الأذن والعين : أي يعجب الناس كلامهم ومنظرهم . أنضينا : هزلنا .

٣ بلقع : ليس فيه شيء . الرشف : الامتصاص . أنقع : أروى . أي أن امتصاص الماء يروي أكثر من كرهه . وهو مثل يضرب في فائدة التأني .

٤ خرائد : يقال لؤلؤة خريذة أي غير مثقوبة ، والجمع خرائد .

٥ علماء الأدب : أصحاب علم الأدب .

٦ عبيد بن الأبرص : من فحول شعراء الجاهلية .

٧ صداء : أفضل ماء عند العرب . ومالك : هو ابن نورية قتل فحزن عليه أخوه حزناً طويلاً . وكان إذا عذراه الناس وذكروا له من قتل من فتيان العرب ليتأسي بهم قال : فتى ولا كمالك .

٨ ينفِر العِصَامِيَّ والعِظَامِيَّ : يقال نافره فنفره أي غالبه في الفخر فغلبه . والعِصَامِيَّ نسبة إلى عصام بن شهير الخارجي كان حاجباً عند الملك النعمان ثم صار ملكاً . ونقيضه العِظَامِيَّ وهو الذي ورث الشرف عن سلفائه . صلف : يقال سحاب صلف إذا كان قليل المطر .

باقل^١ بن ربيعة من قيس بن ساعدة. فما فتئت^٢ أذكر له ملحاً من نوادره ،
 ولملحاً من بوادره . حتى قال لسهمي مرحى ، بعد برحى ! وأوشك أن^٣
 يذوب من غيبه ، إلى معرفة عينه . قلت : فلنا كل اليوم من حديثه رغداً ،^٤
 وإن مع اليوم غداً . ولما افتتر^٥ ثغر السحر ، حمرنا عن ساق السفر ،
 وضرنا في تلك القفر . فما تصرم النهار ، إلا ونحن في الأنبار^٥ . فنزلنا بها
 كالشعرة البيضاء ، في اللثة السوداء . ولما انجابت وعكة الجهاد ، ونسخ^٦
 المهجوع آية السهاد . بدأت^٧ بتعهد مجلس الوالي ، لأتطرق منه على التوالي^٧ .
 وإذا امرأة سادلة النقاب ، قد تعلقت بفتى كالعقاب . وقالت : حيا الله
 الأمير وأحياه ، وأصلح دينه وديناه . إن هذا الفتى قد أخذ أي احتيالاً ،
 وفك به اغتيالاً . وتركني وحيدة في دار الغربة ، أكايد عرق القربة ،^٨
 وأنكبد شظف الكربة . وقد رفعت إليك القصة ، وعليك مساع الغصة .
 فأكبر الأمير شكواها ، وسألها البيئنة لدعواها . فانطلقت كزفير اللهب ،^٩
 ثم عادت عن كسب ، ومعها شيخنا الميمون وغلामه رجب . فأديا الشهادة
 على وجهها^{١١} في وجه الفتى ، وانصرف كلاهما من حيث أتى . فأمر الأمير

١ باقل : رجل من بني إباد يضرب به المثل في البلادة .

٢ بوادر : جمع بادرة وهي البديهة . مرحى : كلمة تقال عند إصابة السهم . برحى : كلمة تقال
عند إخطاء السهم .

٣ غيبه : عطشه أي شوقه . عينه : ذاته . رغداً : واسعاً خصيباً .

٤ وإن مع اليوم غداً : مثل يضرب في التسوية . حمرنا : شمرنا .

٥ الأنبار : مدينة على شرقي الفرات .

٦ اللثة : الشعر يجاوز شحمة الاذن . انجابت : زالت . نسخ : أزال وغير .

٧ المهجوع : النوم . السهاد : السهر . تعهد : تفقد . أتطرق : أتوصل شيئاً فشيئاً . التوالي :
التتابع . أي لا تدرج منه إلى غيره من الأماكن للتفرج .

٨ مثل يضرب لشدة المعيشة .

٩ شظف : شدة .

١٠ زفير اللهب : صوت لسان النار .

١١ فأديا الشهادة على وجهها : أي على حكم تأدية الشهادة .

باعتقاله ، وجعل في أذنيه وقرأ عن تنصلي وسؤالي . ثم قال : يا أمة الله !
 إن المنايا ، على الحوايا^١ . وإن ما عند الله خير وأبقى ، فإن شئت قبُولَ
 ديةً فذلك أبرُّ وأتقى . قالت : لا جرَمَ إن أبي كان غرَّةَ الأبين^٢ ،
 وعزَّةَ البنين ، وعقالَ المثين . وما كنت لأعدلَ منه سبيدةً ، بهنيذةً^٣ ،
 ولا أبدلَ قلامه ، بنخل اليمامة . ولقد كان حبةً صماءً ، وداهيةً دهاءةً^٤ .
 ولكن إذا جاء الحين^٥ ، حارت العين . وإذا حان القضاء ، ضاق القضاء .
 فإني كنت ترى الديةَ أولى من القود ، وأعلى عن الأود . فذلك أجمل^٦
 من أن يضيع دمه كسلاخ ، وأتبلِّغَ بعده بالنشاب . فأخرج لها الديةَ من^٧
 مال القاتل ، وحظله أن يبرح البلدة ما أرزمت أم حائل . فلما قبضت^٨
 الديةَ أجمدت زفراتها ، وأجمدت عيراتها . وأجمت الناء ، وأجزلت
 الدعاء . وأنشدت :

ما اليُسْمُ فَقَدَ الأب ، لكنَّهُ في الحقِّ فَقَدَ الحاكمَ العادلِ !

- ١ وقرأ : ثقل سمع أو صمماً . تنصلي : تبرؤ من التهمة .
- ٢ إن المنايا على الحوايا : الحوايا جمع حوية وهي كساء يحشى بهشيم النبات ويجعل حول سنام البعير . أي أن المنايا تساق إلى أصحابها على حوايا الجمال فلا يقدر أن يفروا منها لأنها من قضاء الله .
- ٣ أتقى : تفضيل من التقوى . غرة الأبين : أي سيد الآباء .
- ٤ المثين : جمع مائة . أي أنه كان إذا اعتقله أحد يفدى بمئات من الإبل . سبيدة : تصغير سيدة أي شعرة . هنيذة : مائة من الإبل .
- ٥ قلامه : ما يقطع من طرف الظفر . نخل اليمامة : أرض في بلاد العرب بين نجد واليمن توصف بكثرة النخل . حبة صماء : لا تقبل رقية الحاروي .
- ٦ الحين : الهلاك .
- ٧ القود : القصاص بالقتل . الأود : العوج .
- ٨ سلاخ : رجل من بني عبد القيس قتل فلم يطلب أحد دمه . أتبلِّغ : أقتات . النباغ : غبار الرحي .
- ٩ حظله : منعة . أرزمت أم حائل : أرزمت الناقة خيروج من حلقها صوت نحو ولدها محبة له . والحائل ولدها الأثني ، وهو مثل يضرب في الدوام .

ذلك يُعَيِّ النّاسَ من فيضِهِ فيظفرُ المقتولُ بالقاتلِ^١
 قال سهيلٌ : وكانت نفسي قد تأقت إلى سبرِها ، لا كتنّاهِ خُبْرِها^٢ ،
 فلما انصرفتُ خرّجتُ في إثرِها . حتى إذا أفضينا إلى خلاءٍ عطفتُ إليّ ،
 وأقبلت بوجهها عليّ . وقالت :

هذا سهيلٌ يُفاجي في كلِّ أرضٍ أباه^٣
 وهكذا كلُّ نجمٍ حيثُ التفتنا نراه^٤

فعرفتُ حينئذٍ أنّها ليلي الخزاميةُ ، واستنبأْتُها عن تلك المقالة الخدامية^٥ ،
 والفتكة الحسامية . فقالت : إن هذا الكشخان قد طمع منّا في السلب^٦ ،
 فخلعنا عليه حلّة الأدب ، وتركناه أتبَّ من أبي لهب . ثم انطلقتُ بي^٧
 إلى الحان ، وأنا كشارب ابنة الحان . حتى دخلتُ على شيخنا الميمني ، وإذا^٨
 عندهُ صاحبنا القيني . فقلت : سبحان من يُجيب العظام ، قال : ولو تُبرك^٩
 القطا^{١٠} ليلاً لنام . والآن دعنا نتمتّع بالحديث ، مع صاحبك الحديث ، الذي

- ١ يظفر المقتول بالقاتل : تشير بذلك إلى ما تعلمه باطناً من ظفر أبيها بالفق الذي أهتمه بقتله .
- ٢ سبرها : اختبار أمرها . لا كتنّاه خبرها : أي للوقوف على حقيقة أمرها .
- ٣ أباه : تريد أباهاً ولكنها تدعوه أباه على جهة التودد .
- ٤ حيث التفتنا نراه : ذلك لأن سهيلاً اسم نجم وهذا شأن النجوم .
- ٥ الخدامية : نسبة إلى حذام . أشار بذلك إلى قول الشاعر فيها :
 إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام
- ٦ الحسامية : نسبة إلى الحسام وهو السيف القاطع . كنى بها عن قتل أبيها الذي ادعت به ، وهذا من باب التهكم . الكشخان : كلمة شتم .
- ٧ فخلعنا عليه حلّة الأدب : أي كان يريد أن يسلب ثيابنا فألبسناه ما يتأدب به عن مثل هذا .
 أتب : أخسر . أبي لهب : إشارة إلى الآية التي قيل فيها تبّت يدا أبي لهب . وهو عبد
 العزى بن المطلب القرشي . يضربون المثل به في الخسارة لأنه لم يصدق دعوى الرسالة .
- ٨ ابنة الحان : كناية عن الحمرة . شيخنا : يعني أباهاً . الميمني : نسبة إلى المين وهو الكذب .
- ٩ القيني : الرجل الذي جرى له معه ذلك الحديث في الطريق . سبحان من يجيب العظام : يشير
 على سهيل التهكم إلى أنه كان قد قتل ثم أحياه الله .
- ١٠ القطا : طائر معروف .

يُمَيِّزُ بَيْنَ الْقَشِيبِ وَالرَّثِيثِ ، وَالسَّمِينِ وَالغَثِيثِ . فَقَالَ الرَّجُلُ : عَلِمَ اللَّهُ
لَقَدْ رَأَيْتُ أَكْثَرَ بِمَا سَمِعْتُ ، وَنَلْتُ أَكْثَرَ بِمَا طَمِعْتُ . فَلَيْسَ عَيْدٌ إِلَّا عَبْدُكَ ،
وَلَا لِقْمَانٌ إِلَّا لِقْمَةٌ عِنْدَكَ . فَقَالَ : يَا بُنَيَّ عِنْدَ الرَّهَانِ تُعْرَفُ السَّوَابِقُ ،^٢
وَالْامْتِحَانُ يُبَيِّنُ الْفَائِزَ ، مِنَ الْمَائِقِ .^٣ وَإِنِّي طَالَمَا عَرَكْتُ الدَّهْرَ ، وَقَطَفْتُ
الزَّهْرَ ، عَنِ النَّهْرِ ، فَلَمْ يَغْرُبْ عَنِّي سِرٌّ وَلَا جَهْرٌ . وَلَقَدْ خَفَّ وَقَرُّ الْعَارِ
عَلَى مَتْنِي ، لَوْ ذَاتَ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي . وَلَكِنْ لَمْ يَفْتِ ، مِنْ لَمْ يَمُتْ .^٤
فَدَعَنِي وَسَانِي ، وَاسْتَعَدَّ بِالْمَسَانِي ، مِنْ حُمَةٍ لَسَانِي . قَالَ : فَسُقِطَ فِي يَدِ الرَّجُلِ
كَمَا سَقَطَ ، وَتَدَمَّ عَلَى مَا قَرَطَ ، وَقَالَ : سُبْحَانَ مَنْ نَزَّاهُ عَنِ الْغَلَّتِ
وَالغَلَطَ .^٥ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الشَّيْخِ بِالْإِجْلَالِ ، وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِلِسَانِ الْإِذْلَالِ .
فَقَالَ : ضَيَّعَتِ الْبِكَارُ عَلَى طِحَالِ ،^٦ وَهَيَّاتِ أَنْ تَمَلِّقَ ثِقَاتِي بِالْمُحَالِ . فَلَمَّا
أَصْرَّ الشَّيْخُ عَلَى الْحِفْظَةِ ، وَأَوْسَكَ أَنْ يَتْرَامِيَ إِلَى الْغَلْظَةِ . أَشْفَقَ الرَّجُلُ
لِعَرَضِهِ مِنَ الْعَطَبِ ، وَخَالَجَ قَلْبَهُ أَنْ الرَّثِيثَةُ تَفْتَأُ الْغَضَبَ .^٧ فَأَخْرَجَ لَهُ
بُرْدَةً مَمْرَةَ ، وَقَالَ : إِلَيْكَ الْمَعْدِرَةُ . فَاضْطَبَّنَهَا^٨ وَخَرَجَ ، وَقَالَ : لَيْسَ
عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ^٩ . وَكَانَتْ تِلْكَ الْبُرْدَةُ ، آخِرَ عَهْدِنَا بِهِ فِي تِلْكَ الْبَلَدَةِ .

- ١ القشيب والرثيث : الحديد والبالى . الغثيث : المهزول . يشير بذلك إلى حديثه مع سهيل .
- ٢ مثل يضرب لبيان الأمر عند الاختبار .
- ٣ المائق : الأحمق الغبي .
- ٤ الوقر : الحمل الثقيل . والمتن : ما حول الصلب من الظهر . لو ذات سوار لطمتني : مثل قاله حاتم الطائي حين كان أسيراً في بني عنزة مكان الأسير الذي فداه بنفسه .
- ٥ المثاني : قيل هي آيات القرآن . حمة : شوكة العقرب ونحوها .
- ٦ أي ندم لأنه وقع في الكلام مع سهيل .
- ٧ الغلت : يكون في الحساب . والغلط : في الكلام .
- ٨ البكار : الإبل الفتية . وطحال : اسم مكان لبني الغبر ، بتشديد الباء .
- ٩ الحفظة : الحمية والغضب . يتراعى : يتجاوز . أشفق : خاف .
- ١٠ الرثيثة : اللبن الحامض يخلط بالحلو . وقوله تفتأ أي تسكن .
- ١١ ممررة : مصبوغة بالمصر وهو صبغ أحمر . اضطبئها : جعلها تحت ضنبه وهو ما بين الإبط والكشح .
- ١٢ نسب إليه العمى لأنه لم ينظر مناقبه التي لا تخفى على ذي بصر .

المقامة الأربعون

وتعرف بالجدلية

حدَّثنا سهيلُ بن عبَّادٍ قال : أصابتني وعكةٌ^١ شديدة ، مُدَّةٌ مديدة .
فانعكفتُ على تَوَفِيَةِ العِلاجِ ، وتنقيَةِ الأعفاجِ ، من الأمشاجِ . حتى صِرتُ^٢
أرقَّ من العِفْاصِ ، وأدقَّ من النَّصاصِ . فلما أَمِنْتُ مَسَّ العُرَواءِ ، وثابُّ^٣
إليَّ مَرَحُ العُلَواءِ . حَمَلَنِي الحَوَاءُ على الشِراهِمةِ ، ودعاني المَلالُ إلى النَّزاهةِ^٤ .
فكنتُ ألتَهِمُ التِّهَامَ النَّاعِطِ ، وأخرُجُ خُرُوجَ الضَّافِطِ . حتى دخلتُ يوماً^٥
إلى حديقةٍ جميلةٍ ، ذاتِ خَميلَةٍ ، قد رنعت بها عِصَابَةٌ جليِلةٌ . وقد سَطَعَ^٦
فيها قُتارُ الجُزُرِ ، حتى غَشِيَ الجُدُرَ . فقلتُ : أمرعتُ فأنزل ، واقتحمتُ^٧
ذلك الزَّحَامَ المَتَمَشِكِلَ . وإذا رَجُلٌ عليه رداةٌ ، مثل اللِّواءِ . وعلى رأسه^٨
عِمامةٌ ، مثل القِمامةِ . وهو قد أَقبَلَ على شَيْخٍ أذْرَدَ ، عليه حَنْبَلٌ^٩

١ وعكة : أثر الحمى في البدن .

٢ الأعفاج : الأمعاء . الأمشاج : الأخلاط .

٣ العِفْاص : جلدة تشد على رأس القارورة فوق السداد . النَّصاص : خيط الإبرة . العُرَواء :
رعدة البرد الذي يتقدم الحمى . ثاب : رجع .

٤ مَرَح : نشاط . العُلَواء : نضرة الشباب . الحَوَاء : خلو المعدة . المَلال : الضجر . النَّزاهة :
الخروج إلى البساتين للتفرج .

٥ النَّاعِط : السبيء الأدب في الأكل . الضَّافِط : المسافر الذي لا يبعث .

٦ خَميلَةٍ : أشجار ملتفة . سَطَعَ : ارتفع .

٧ قُتار : دخان الشواء . الجُزُر : الذبائح . حتى غَشِيَ الجُدُر : حتى غطى الحيطان . أمرعتُ فأنزل :
أي وجدت خصباً فأنزل بمكانه ، وهو مثل يضرب لمن أصاب حاجته .

٨ المَتَمَشِكِل : المترالك بعضه فوق بعض . اللِّواء : البيرق .

٩ القِمامة : السحابة . أذْرَد : لا أسنان له . حَنْبَل : فرو رثيث .

أجرَدًا، وقد التَّمَّ حتى صار كالأمرد . فقال : قد علمتَ أيها الشيخ أن المال
زينةُ الحياة الدنيا ، وعليه نموت ونحيا . فإنه يقضي لبانة الأولى بالمسرة^٢ ،
ويسهلُ طريق الأخرى بالمبرة^٣ . وعليه مدارُ العيش ، ونظامُ الجيش .
وبه قيامُ الممالك ، وتهدُّدُ المسالك ، ودفعُ المهالك . وهو قاضي الحاجات ،
ورافعُ الدرَجَات ، ومستعبدُ السادات ، وخارقُ العادات . ومُشدِّدُ المهيم ،
ومُبدِّدُ الغنم . وهو الحبيب الذي يفديه بالنفس ، كل من نحت الشمس .
ويجِدُ لفراقه الكمد ، من لا يسوءه فراق الولد^٤ . ولا يزال مرفوع
الشان ، يشار إليه بالبَّتان ، في كل مكان وزمان . وإليه تشدُّ الرِّحال ،
وتنتهي الآمال ، ولولاهُ لتعطلتِ الاعمال ، وحانتِ الآجال ، وانقرضتِ
القرون والاجيال . قال : فانبئني لهُ الشيخ كأويس^٥ ، وقال : لا أفلحت
ما غبَّ غيبس . إني أراك قد أطلقت العنان ، حتى جعلتَ الرِّجَّ قُدَّامُ
السَّتان . وبيك إن المرء بالعلم إنسانٌ لا بالمال ، وهو المِرْقاة إلى درَجَات^٦
الكمال . وبه تُعلم الحقائق ، وتُدرك الدقائق ، ويعرفُ المخلوقُ حق
خالقهِ . وعليه يُنفق الطريف والتالد^٧ ، وصاحبه ينال الذِّكرَ الخالد . فكم
من الملوك والأغنياء ، الذين كانت مفاتيح كنوزهم تنوءُ بالعصبة الأقرباء^٨ ،

١ أجرد : لا صوف عليه .

٢ يقضي لبانة الأولى بالمسرة : يقضي حاجة الدنيا بالتنعم .

٣ المبرة : عمل البر .

٤ الذي لا يحزن لفقد ولده يحزن لفقد ماله .

٥ أويس : اسم علم للذئب .

٦ غب غيبس : يروى ما غبا غيبس أي طول الزمان . الزجاج : الحديدية التي في أسفل الرمح ،
وهو مثل يضرب في تقديم المتأخر .

٧ ويك : كلمة تعجب . وقيل مثل ويك . المرقاة : السلم .

٨ الطريف : ما أحدثته من المال . والتالد : ما ولد عندك .

٩ تنوء بالعصبة : يقال ناء به الحمل أي أثقله . والعصبة الجماعة نحو الأربعين .

قد دُرس ذكرهم وبقيَ ذكرُ العلماء . وحَسْبُكَ^١ أن العِلْمَ لا ينالُه إلا
أفاضل الرجال ، وطالما نَجَى صاحبه من الأهوال ، وقرَّبَه إلى ربِّه في جميع
الأحوال . والمال طالما أحرزته رَعاعُ النَّاسِ ، وألقى أهله في المهالك
والأرجاس ، وأغرام بالنزاع فكان بينهم دونه عِكاسٌ ومِكاس . قال :^٢
فلما سمع القوم ما دارَ بين الرَّجُلَيْنِ ، قالوا للشيخ : نرى صاحبك قد أخذ
طريقَ العنْصَلَيْنِ ، وتيمَّنَ بغرابِ البين . وإنا لنراه من الأغنياء والأغنياء ،^٣
فإنه لا يعرف منزلة العلم والعلماء . فاستشاط الرجل غضباً ، وقال : عِشْ
رَجَباً ، ترَ عَجَباً . كيف يتأتَّى المِراءُ بين اثنين ، وقد وَضَحَ الصِّبْحُ
لذي عَيْنَيْنِ . تَبَّأَ لعلمك أيها الشيخ الباهل ، الذي بنوه كالتيامي وزوجته^٤
كالعاهل . وماذا ترى عِلمَكَ ، إذا كنت تشتهي فومةً من الشِّذَامِ وجِرَولاً^٥
من الدرِّمِكَ ؟ أنا كُلتُ القَضِيمِ إذا طويت؟ ونشربُ النِّقْسَ إذا صَدِيت ؟^٦
وتلبَسُ القِرطاس إذا عَرِيت ؟ كان للعلم دولةٌ عند أنماط^٧ الكِرامِ ، الذين

١ حسبك : يكفيك .

٢ الأرجاس : الحياث . أغرام : أولهم . عكاس ومكاس : هو أن تأخذ بناصية الرجل في
الخصام وتأخذ بناصيتك .

٣ طريق المنصلين : هو طريق مفضل في بلاد العرب يضرب مثلاً للرجل إذا ضل . غراب البين :
هو غراب أحمر المنقار والرجلين تتشام به العرب .

٤ عش رجباً تر عجباً : مثل أصله أن الحرث بن عباد بن قيس الثعلبي كان له امرأة سليطة
فطلقها . وكانت تحب رجلاً فأرادت أن تتزوج به . وإن الرجل لقي الحرث يوماً فأعلمه
بمنزله عند المرأة ، فقال المثل . شبه مدة تربيصها في بيتها بشهر رجب الذي لا يكون فيه
حرب فإذا انقضى حدثت الأهوال ، يريد أنه لم يكن وقت للنزاع بينه وبينها لأنها لم تدخل
بيته بعد ، فإذا عاشرها رأى من سوء عشرتها عجباً . المراء : الجدال .

٥ وضح الصبح لذي عينين : مثل يضرب في شدة الظهور . الباهل : المتردد باطلا بلا عمل

٦ العاهل : المرأة التي لا زوج لها . فومة : قدر ما يحمل بين إصبعيك . الشذام : الملح
الجرول : قدر ما يحمل في الراحة .

٧ الدرملك : الدقيق . القضييم : الجلد الأبيض يكتب عليه . طويت : جمعت . النقس : الخبر

صدت : عطشت .

٨ أنماط : جمع نمط وهو الجماعة أمرها واحد .

عندهم لكل مقالٍ مقام . وأما في هذا الزمان فإن المال هو الرّهص^١ الذي يُبنى عليه ، والرّكن الذي لا يلتفت إلا إليه . فهم يجرّمون الأديب ، ولا يجرّمون اللبيب . ويصرّمون^٢ الفقيه ، ولا يكرّمون النبيه . فتضيع بينهم الكلّية ، كما ضاع الحديث بين أشعب^٣ وعكرمة^٤ . ولو صحّ وهنك ، وأصاب سهمك . لما برزت بينهم هذه الغدافل ، ولا قمت فيهم مقام الوارش والواغل^٥ . فخصّض^٦ عنك ما أنت فيه ، ولا تتخلّق بأخلاق السفيه . ثم أنشد :

قد عرّف الشيخ علوم الوري ، لكنّ هذا العلم لم يدريه^٥
فليتّه أدرك هذا ولم يدرك بواقى العلم في عمره

فانكفأ الشيخ بذلّة الخائب ، وقال : مع الحواطيء سهم صائب . فأنف القوم من ذلك الشجار ، وشعروا بما مسهم من نار الشنار ، فنجه كل واحد بدينار . قال سهيل : وكان الزّحام قد حال بيني وبينها ، فلم أملك أن أتبين عينها فرصدتها ارتقاباً ، حتى لقيتها نقاباً . وإذا هما شيخنا الميمون وغلّامه^٧ رجّب ، فكدت أضقت من العجب . فأمرني الشيخ بالعود ، وقال : انتظرنا إلى أن نعود . فكنت كمنتظر القارظين^٨ ، ولم أظفر لهما بأثر ولا عين .

١ الرهص : العرق الأسفل من الخائط .

٢ يصرمون : يقاطعون .

٣ أشعب : هو المشهور بالطمع ، وعكرمة : أحد الصحابة . قيل إن أشعب دخل يوماً على عبد الملك بن مروان الأموي فقال : يا أشعب أنت تابعي ؟ قال : نعم ، قال : ومن أدركت من الصحابة ؟ قال : عكرمة . قال : فحدثنا ببعض ما حدثك . قال : نعم ، حدثني عكرمة عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : المؤمن لا يخلو من خلتين . فقال عبد الملك : وما هما ؟ قال : الواحدة نسيها عكرمة والأخرى نسيها أنا . وإلى هذا يشير الرجل بقوله : كما ضاع الحديث . . .

٤ الغدافل : الثياب البالية . الوارش : المتطفل على الطعام . الواغل : المتطفل على الشراب .

٥ يشير بهذا العلم إلى معرفة عدم انتفاع العالم بعلمه .

٦ الشنار : العار ؛ وذلك لما وصف الرجل به أهل زمانهم الذين هم منهم فلا بد أن يكون لهم نصيب من ذلك . نفحه : أعطاه .

٧ عينهما : ذاتهما . نقاباً : مواجهة أو فجأة .

٨ القارظان : رجلا من بني عذرة ، خرجا يجنيان القرظ وهو نبات يديغ به الأديم فلم يرجعا .

المقامة الحادية والاربعون

وتعرف بالتهامية

قال سهيل بن عبّاد : نزلت في غور تهامة ، بقوم من أولي الشهامة .^١
فكُنّا نقضي النهار بالنزاهة ، والليل بالفكاهة . حتى إذا كُنّا في مجلس طرب ،
على صحافٍ من غرَب ، فيها أقطُ وضرَب ، إذ قيل : قد وفد خطيبُ^٢
العرب . فنزَعْنَا عن لقاء الطيب ، إلى لقاء الخطيب . وإذا رجلٌ مُقْتَبِلُ^٣
الشباب ، على يعسوبٍ يندفق كالعباب . وفي إثره شيخٌ عليه جُبّةٌ أحميّة^٤ ،
وعِمامةٌ عنديّة ، وهو يرتضخ للكنة أعجبيّة . فعرفته عند عيانه ، على^٥
عُجبة لسانه . وقلت : هذه فاتحة المساعي ، وفالية الأفاعي . فلما احتفل^٦
النادي ، جثم شيخنا كأنه صخرة الوادي . وجعل ينضض كالحيّة الرقطاء^٧ ،
وإذا تكلم يُبدل الضاد بالطاء . فاقْتَحَمَتْهُ^٨ أعين الجماعة ، وعافوا منظرة^٩
وساعه . فبات عندهم أهونَ من درص ، وأذلّ من قيسيٍّ بحمص .^{١٠}

١ الغور : ما انخفض من الأرض . وتهامة : أحد أقاليم بلاد العرب وهي اليمن والحجاز
وتهامة ونجد واليمامة .

٢ غرب : شجر تصنع منه القصاص . أقط : زبدة المخيض . ضرب : عسل أبيض .

٣ يعسوب : جواد سريع سهل في عدوه . العباب : معظم السيل وموج البحر . جبة أحمية :
نوع من منسوجاتهم .

٤ عنديّة : نسبة إلى العندم وهو صبغ أحمر . الكنة : العجمة في اللسان . ويرتضخ من
الرضخ : وهو العطاء القليل .

٥ فالية الأفاعي : أول الشر .

٦ شيخنا : الخزامي . ينضض : يحرك لسانه في فيه . الرقطاء : السوداء المنقطة بالبياض .

٧ اقتمحته : استصغرته وازدردت به .

٨ درص : ولد الهرة . قيسي : نسبة إلى قيس ، وقيس ويمن رجلان عريبان وقمت بينهما فنته انقسم
فيها العرب ، وكان أهل حمص يمنية ولم يكن بينهم من القيسية إلا رجل واحد فكان ذليلا في الغاية .

قال : وكان بين القوم فِتْنَةٌ وشَحْنَاءٌ ، وضغينةٌ دَكْنَاءٌ^١ . فلما أصبحوا قام الخطيب على هَضْبَةٍ ، واستهلَّ الحُطْبَةَ . فقال : الحمد لله الذي أمرَ بالمعروف ونهى عن المنكر ، ورَضِيَ عَمَّنْ ذَكَرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ وتَذَكَّرَ . أما بعدُ : فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ جلالُهُ وساءَ ، قد نهي عن الفِتْنَةِ وقَتَلَ النفس الذي جعلهُ محرِّمًا ، وقال : وَإِنْ طائفتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتلتوا فأصلِحوا بينهما . وها أنتم قد طويتم الأَكْبَادَ ، على الأحقاد . وضمتم القلوب ، على الفتن والحروب . وأفعمتم الأحشاء ، من العداوة والبغضاء . هذا وأنتم من صُفوة المسلمين ، لا من الجاهليَّةِ أو المخضرمين . تَعْبُدُونَ رَبَّ الشَّعْرَى^٢ ، دون اللات والعزى ، ومناة^٣ الثالثة الأخرى . وعندكم الكتاب المنزل ، والحديث المرسل . وليس بينكم أحمرٌ عاد ، ولا فرعونُ ذو الأوتاد . فما هذه الغشاة التي عَشِيتَ أبصاركم ، حتى رَزَأْتُمْ أوليائكم وأنصاركم^٤ . أما علمتم ما جرى بين وائلٍ وعمرو ، وما جرى بين تغلبٍ وبكر . أتريدون أن تلحقوا بجديس^٥ وطسم ، وعاد التي لم يبق لها رسم . وتُصْبِحَ دياركم كإرَمَ ذات العماد^٦ ، التي لم يُخلَقْ مثُها في البلاد . أما تعلمون أنَّ العودَ لا ينمو بلا لحاء^٧ ، وأنَّ ليس الدلوُّ إلاَّ بالرشاء . ومنك أنفك وإن كان أجدع ، وساعدك وإن كان

١ دكناه : سوداء .

٢ المخضرمون : الذين أسلموا من الجاهلية . الشعري : الكوكب الذي يطلع بعد الجوزاء ، كانت الجاهلية تعبده .

٣ اللات والعزى ومناة : أصنام .

٤ أحمر عاد : هو قدار بن سالف الذي عقر ناقة النبي صالح . ذو الأوتاد : هو ملك مصر الطاغية قديماً ، قيل له ذو الأوتاد لكثرة جيوشه وخيامهم التي كانوا يستصحبون لها الأوتاد الكثيرة

٥ أي حتى أصبتم أصحابكم .

٦ وائل : هو كليب بن ربيعة الذي قامت بسببه حرب البسوس التي دامت أربعين سنة . وعمرو : هو جساس بن مرة قاتل كليب . وتغلب : قبيلة كليب . وبكر : قبيلة جساس .

٧ جديس وطسم : هما قبيلتان من العرب البائدة . إرم ذات العماد : بلدة قوم عاد خربت فلم يبق لها أثر .

٨ لحاء : قشر .

٩ الرشاء : الحبل الذي يستقى به . أجدع : مقطوعاً .

أقطع . وليس النارُ في القتيلة ، بأحرقَ من التعادي للقبيلة . ومن لا أخاله^١
كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح ، وهل ينهضُ البازي بغير جناح . والآن قد
بَلَّغَتِ الدِّمَاءُ الثَّنَنَ ، فلا تجملوها هُدنةً على دَخَنٍ^٢ . واعلموا أن الخضم ،
قد يُبَلِّغُ بالقضم . وليس للأُمور بصاحب ، من لم ينظر في العواقب . وإمّا^٣
ينزَعَتْكُمْ^٤ من الشيطان نزغ^٥ فاستعيدوا بالله إنه هو السبيع العليم ، ومن عمل
منكم سوءاً بجهالةٍ ثم تاب من بعده وأصلحَ فإن الله غفورٌ رحيم . فعليكم
بالمصالحة ، قبل المجالحة^٦ . وتجميلُ الجهل ، بتجميلِ الخُلُقِ السَّهْلِ . وخذوا
بالهواءِ واللاواءِ^٧ ، فذلك نِعَمُ الدواءِ . ولا يَكُنْ عندكم صوت التذير ،
كصوت البعير . والسلامُ على من ذكرَ اسمَ رَبِّهِ فصلَّى ، والويلُ لمن كذَّبَ
وتولَّى . قال : فلما فرغَ من وعظه ، واستشهدَ القومَ على حفظه . دَلَفَ^٨
إليه ذلك الشيخ المستعجم^٩ ، وقال بلسانٍ محتاجٍ من يترجم : يا مولاي إن
للأصوات قيوداً في الحقائق ، كرهاً البعير وحذاء السائق^{١٠} . قال : قد أطلقتُ
الصوت للمشاكلة^{١١} ، وبني لأراك من رجال المناضلة . فإن كنت قد جمعت
من ذلك نُبذة ، فاجعلها لسامعنا كالرُبذة^{١٢} . قال : اللهم نَعَمْ ، وأنشد

١ الثنن : الشعر الذي في مؤخر رسخ الدابة . الهدنة : المصالحة والدعة . والدخن : هنا
بمعنى الحقد .

٢ الخضم : الأكل بجميع الفم . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . أي أن العناية البعيدة
تدرك بالرفق . ينظر في العواقب : كل ما مر من قوله أما تعلمون إلى هنا من أمثال العرب .

٣ ينزعكم : يفسد بينكم .

٤ المجالحة : المكاشفة بالمداوة .

٥ أي باللين مرة والشدة مرة أخرى .

٦ دلف : مشى متثاقلاً .

٧ المستعجم : المتظاهر بالمعجمة .

٨ أي كل صوت له اسم مختص به .

٩ أي أنه لم يقيد صوت البعير باسم الهدير قصداً للمشاكلة وهي أن يذكر الشيء بلفظ غيره
لوقوعه في صحبته .

١٠ الرُبذة : الخرقة التي يجلو بها الصانع الذهب أو الفضة .

بأشجى النعم :

هزيمٌ رعدٍ ودويُّ المطرِ هزيمٌ رعدٍ ودويُّ المطرِ
فلقطةُ المفتاحِ ضمنَ القفلِ^١ فلقطةُ المفتاحِ ضمنَ القفلِ
صربٌ أقلامٍ على الكتابِ صربٌ أقلامٍ على الكتابِ
غظفةُ القيدرِ نقيضُ الرّجلِ^٢ غظفةُ القيدرِ نقيضُ الرّجلِ
زفيرٌ نارٍ نغمُ المعنى زفيرٌ نارٍ نغمُ المعنى
وهكذا فههبةُ الضحكِ وهكذا فههبةُ الضحكِ
نظيرهُ حشرجةُ المحتصرِ^٣ نظيرهُ حشرجةُ المحتصرِ
نشيشٌ طاجنٌ أزيزُ المِرْجَلِ^٤ نشيشٌ طاجنٌ أزيزُ المِرْجَلِ
للنوقِ والمرضى لها الأنينُ للنوقِ والمرضى لها الأنينُ
نهيقٌ عفوى وخوارُ العجلِ^٥ نهيقٌ عفوى وخوارُ العجلِ
يذكرُ والصبيُّ للأفبالِ يذكرُ والصبيُّ للأفبالِ
حذاءُ سائقٍ خريزُ الماءِ حذاءُ سائقٍ خريزُ الماءِ
بُغامٌ ظبيٌّ وضعيبُ الأرنبِ بُغامٌ ظبيٌّ وضعيبُ الأرنبِ
مؤاةُ سنورِ نباحِ الكلبِ^٦ مؤاةُ سنورِ نباحِ الكلبِ
نعبٌ كذا العرارُ للظلمانِ^٧ نعبٌ كذا العرارُ للظلمانِ

١ الخلية : ما يترين به .

٢ أي أخشاب الرجل التي تصوت عند تحريكه .

٣ قوله نظيره أي في مقابلته . والمحتصر : الذي دخل في نزع الموت .

٤ النقر : صوت يسمع من قرع طرف الإصبع الوسطى لأصل الإبهام إذا شد عليه بطرف الإبهام ثم أفلت منه . ومن النقر ما يكون باللسان وهو صوت يسمع منه عند إلصاق طرفه بالحنك . والطاجن : المقل . والمرجل : القدر من النحاس .

٥ العفو : ولد الحمار .

٦ المراد بالسبع كل وحش مفترس .

٧ الظلمان : ذكور النعام .

صَرَصَرَةُ البازي صغيرُ النَّسْرِ هديرُ ورقاء وسجعُ القمري
بَفَقَّةُ البيط كذا والفَقْفَقَةُ للصَّقْرِ والعُصْفور يُبدي الشَّقْشَقَةَ
زُقَاءُ ديكٍ ومن الدَّجَاجِه نَقْنَقَةٌ مثلُ نقيقِ الهاجِه
صَيُّ عَقْرِبٍ فَمِيجُ الأَفْعَى بالنفخ والكشيشُ حينُ يسعى
ويذْكَرُ الطَّنِينُ للذُّبابِ واجعلُ صدى الوادي خِتَامَ البابِ

قال : فلما فرغ من كلامه الجُرْهُمِيّ ، قال : خذوا لِفَتَكُمُ من رجلٍ
أعجمي . فَعَجِبَ القومُ من نجاته ، على غرابته . وقالوا : لله دركُ لقد
فَتَنَت ، بما أَبَنَت ، فمن ومَن أنت ؟ قال : أنا عمرو بنُ عامرة ، من
الأحاميرة . قد أهلك الدهرُ لي كلَّ خَضراءٍ وَعَضْرَاءٍ ، حتى أَلْقَيْتَنِي إِلَيْكُمُ
الغَبْرَاءُ . قالوا : إننا قد ذَهَلْنَا بعُجْمَتِك ، عن حِكْمَتِك ، فلم نَقَمْ بِجُرْمَتِك .
والآن قد عرفنا ما اجترأنا ، واعترفنا بأننا قد أسأنا ، فلا تَوَاضَعْنَا إن نسينا
أو أخطأنا . ثم أقبلوا عليه إقبالَ الطِّفْلِ على الرِّضَاعِ ، وقالوا : كلُّ علمٍ ليس
في القِرطاسِ ضاع . قال سهيلٌ : فأوماً برأسه إليّ ، وقال : خذ يراعك يا بُنِي ،
وشرع يُعَلِّي عليّ . فلما فرغ منحوهُ من الشَّيْأِ ما تيسر ، وقالوا : صل
لربك وانحر . فانقلب مغتصباً بالحِباءِ ، وهو يدعو للخطباءِ .

١ الورقاء : الحمامة . والقمري : نوع من الحمام .

٢ الهاجئة : الضفدعة .

٣ الأفعى : الحية . وهو مذكر على وزن أفعل لا فعل .

٤ الجرهمي : نسبة إلى جرهم من أجداد العرب الأولين .

٥ هو قول أبي النصر إسماعيل بن حماد الجوهري صاحب كتاب الصحاح ، قيل إنه تردد في
أحياء العرب زماناً طويلاً حتى جمع اللغة في كتابه ثم دفعه إليهم وقال : خذوا لفتكم من
رجل أعجمي . قال ذلك لأنه كان تركياً من فاراب .

٦ الأحامرة : قوم من العجم رحلوا من بلادهم وسكنوا بالكوفة . خضراء : شجرة . غضراء :
خصب العيش .

٧ الغبراء : الأرض .

٨ أي عرفنا تجاسرنا عليك .

٩ هذا شطر بيت لبعضهم ، والشطر الآخر : كل سر جاوز الاثنين شاع .

المقامة الثانية والاربعون

وتعرف بالمضرية

أخبر سهيل بن عبّاد قال: طرحتني مفاوز الغبراء، إلى حواضر^١ مضر الحمراء^٢. فكنت أطوفُ بها صباحَ مساء، وأتفقّد محافل الرجال والنساء. وأنا أسمع المأنوس والغريب، وأتفكّه بالغزل والنسيب^٣. حتى جمعت ما استطعت من لغاتهم الجاهليّة، وسمعت ما شاء الله من أشعارهم الهوثريّة والهوجليّة. فبينما دخلت يوماً إلى بعض الأحياء، وقد مسّني لُغوبُ الإعياء^٤، إذا شيخٌ طويل النجاد، مُزَمِّلٌ ببيجاد. قد قام على كتيب، مقام الخطيب^٥. فغمّصَ عيني توسّمه^٦، وجعلت عيني تعجبه. حتى اذكرت بعد أمة^٧، أنه الحزامي باقعة الأمة، وشيخ الأيمّة. فاحتفزت للنهوض إليه ملتاعاً^٧، وقد أوسك فؤادي أن يطير شعاعاً. فنهاني بإيماض طرفه^٨، وأشار إلى القوم بكفه. وقال: الحمد لله العليّ الكبير، الذي أمر بفكّ الأسير، وجبر

١ حواضر: جمع حاضر وهو الحي العظيم.

٢ هو مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أعطي الذهب من تركة أبيه فقبل له مضر الحمراء.

٣ الغزل والنسيب: وصف النساء بالمحاسن تصبياً.

٤ الأشعار الهوثريّة والهوجليّة: الأشعار الجيدة والرديئة. الإعياء: أشد التعب.

٥ النجاد: حمائل السيف، يكون بطوله عن طول القامة. مزمل: ملتفت. بجاد: كساء مخطط.

٦ توسمه: تفقد علاماته ليعرف بها. تعجسه: من عجم العود وهو غصه لتعرف شجرته. أمة: حين.

٧ الباقعة: الرجل الداھية. احتفزت: تهيأت. ملتاعاً: من اللوعة وهي حرقة في القلب من الحب أو غيره.

٨ شعاعاً: متفرقاً. بإيماض طرفه: بإشارة عينه.

الكبير، وكل ذلك يسير عليه غير عسير. أما بعدُ يا عشاثر البشاثر، وبشاثر
العشاثر. فإنكم معاذ اللاجي، وملاذ الرجحي. ومورد الصادي، وموعد^١
الرائح والغادي. وبكم يشد الأزر، ويمد الجزر. وبعدكم يوثق^٢
الجاني، وبفضلكم يطلق العاني. وإن لي سبيّة من ربّات الحجال، قد^٣
سبها بعض زعانف الرجال. وهي بكر رقيقة القوام، كأنها ورد الكمام،^٤
لها نكهة^٥ الخزام، وصفاء ماء الغمام، وبهجة بدر التمام. تفتن العقول
والألباب، وتستعبد السادة والأرباب. وهي عذبة المرافف، لدنة المعاطف.^٦
باردة الرضاب، مقصورة وراء الحجاب. تسفر عن مثل السحجر، وتفتر^٧
عن مثل الدرر، وتسمر القلب والنظر. قد اعتقلها هذا الظلوم، على فداء^٨
معلوم. وقد طال عنده عناؤها، وعزّ عليّ فداؤها. وأخاف أن يدركها
الفساد، إذا طال عليها التمداد. فهل من ابن حرّة، يسعفني على استخلاص^٩
هذه الدرّة، ويدراً عني هذه الفجعة المرّة! فرثي له من حضر، من سراة^{١١}

- ١ الصادي: العطشان. موعد: ما يعد نفسه به.
٢ الرائح: الذاهب مساء. الغادي: الذاهب بكرة. شدت أزرى: تقويت. الجزر: من جزر الموج وهو انقباضه.
٣ الجاني: المذنب. العاني: الأسير. سبية: جارية مسبية. والسبية من أسماء الحمرة وهو المراد هنا. الحجال: الستور.
٤ سبها: يقال سبى الخمر أي حملها من بلد إلى بلد. زعانف الرجال: أي بعض أوباش الرجال. والمراد به الخمار. الكمام: جمع كم وهو غلاف الزهرة.
٥ النكهة: رائحة النفس.
٦ وتستعبد السادة والأرباب: أي بغلبة عاداتها عليهم. لدنة: لينة. المعاطف: الجوانب.
٧ الرضاب: الريق. مقصورة: محبوسة. وراء الحجاب: يريد به الإناء الذي توضع فيه. تسفر: تكشف وجهها. تفتر: تبسم.
٨ يريد الحجاب الذي يطفو على وجه الكأس.
٩ فداء معلوم: يريد به الثمن. عناؤها: أسرها.
١٠ أن يدركها الفساد: أي أن تصير خلا. التمداد: أي التماذي.
١١ يدرأ: يدفع. الفجعة: البلية. سراة: أشراف.

مُضَر. وحصبه كل واحدٍ بدينار، وقالوا : بدارِ بدار ، إلى كشف هذا العار ! فحميد وشكر ، وابتدر السفر ، على الأثر . قال سهيل^١ : فلما فصل الشيخ إلى العراء ، قفوته^٢ من وراء وراء . فأخذ يدخل من القاصعاء ، ويخرج من النافقاء . حتى انتهى إلى حانة ، أطيب من ربحانة . وجلس بين^٣ البواطىء ، وأخذ في التعاطي . فدخلت عليه بنفس أبيبة ، وقلت : أين هذه السبيبة؟ فقد أسفقت^٤ أن تكون الصبيبة . فأشار إلى دستجة من الراح ، وقال :^٥ هي هذه الخود الرذاح ، التي تُفدى بالأرواح . فإن كنت من جلدوس^٦ الحضرة ، فهذا الماء والحضرة . وإلا فإيّاك الدخول ، في الفضول ، ثم أنشأ^٧ يقول :

ما لسهيلٍ ؟ قد أراه عاتبا يظنني في ما ادّعت كاذبا !
راجع بما وصفت فكراً ثاقبا ، تجد مقالي في الصفات صائبا^٨
لا تحسب الخمر جماداً ذائبا بل هي روح فهي تحمي الشاربا
أودعها الحمار سجناً لازبا ولم يزال يرذ عنها الطالب^٩

١ حصبه : رماه . بدار بدار : اسم فعل من المبادرة أي الإسراع .

٢ العراء : الفضاء الخالي . قفوته : تبعته .

٣ القاصعاء : السرب الذي يدخل اليربوع منه . والنافقاء : الذي يخرج منه . أي أخذ يدخل من مكان خفي ويخرج من آخر . ربحانة : واحدة الريحان وهو النبات الطيب الرائحة .

٤ البواطىء : آنية للخمر .

٥ أسفقت : خفت . الصبيبة : أي ابنته ليلي . دستجة : زجاجة . الراح : الخمر .

٦ الخود : المرأة الحسنه . الرذاح : السمينه .

٧ الماء والحضرة : أشار إلى قول الشاعر :

ثلاثة تنفي عن القلب الحزن الماء والحضرة والشكل الحسن

لما جعل الخمره امرأة حسنة أشار إلى ما ينبغي أن يضم إليها وهو الماء والحضرة لأنها قد جاءت بالشكل الحسن . الدخول في الفضول : التعرض لما لا يعينك .

٨ أي بالصفات التي وصفت السبيبه بها . ثاقباً : حاذقاً .

٩ سجنأ : يعني الخابية ونحوها . لازباً : لازماً ثابتاً .

حتى ينال منه حقاً واجباً وقد أتيت فربضت جانباً^١
 إذ لم يكن لي النضارُ صاحباً فقتُ أعدو في الطريق ذاهباً^٢
 إلى حمى القوم فقتُ خاطباً ونلتُ من كرامهم مواهباً
 إن لم تكن حقاً فدأءِ راتباً فهي جزاء مدحهم ، لا سالباً^٣
 أخذتها أو سارقاً أو ناهباً ، وعن قليل ستراني ثائباً
 فيصْفَحُ الرحمنُ عني ثائباً ، يحو الذي كان عليّ كاتباً^٤

قال : فسكرت من حوله في احتياله ، وغوله في اغتياله . وابتدوت °
 التسليم عليه ، والتسليم إليه^٦ . فقابلني بوجه طليق ، وحياتي بلسانٍ مليق .
 وقال : أعطِ أحاك تمرة ، فإن أبي فجمرة^٧ . ثم قال : يا بني قد ورد النهي
 عن الخمر صِرْفاً ، وأنا أشربها بالماء فلا ينكر ذلك شرعاً ولا عرفاً^٨ . فاشرب
 من يميني ، إن كنت علي يقيني ، وإلا فلکم دينکم ولي ديني . فجاريتته^٩ خوفاً
 من شرِّ شيطانه الرجيم ، وقرأت : « فمن اضطُرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فإنَّ الله^{١٠}
 غفورٌ رحيمٌ » . وبتُّ معه ليلةً أصفى من الزُّلال ، وأرقُّ من السُّحَر الحلال^{١١} .

١ حقاً واجباً : أي الثمن .

٢ النضار : الذهب أو الفضة .

٣ الراتب : الثابت . والمراد أن هذه المواهب إن لم تكن على سبيل الفداء فهي جائزة المديح
 الذي مدحتهم به . لا سالباً : حال مقدمة على عاملها وهو قوله أخذتها في صدر البيت الثاني .

٤ ثائباً : راجعاً عن سخطه .

٥ حوله : قدرته . غوله : سلبه العقول . اغتياله : أخذه الناس بالمكر .

٦ التسليم إليه : تفويض الأمر .

٧ مثل معناه أن تأخذ صاحبك بالحسي أولاً ، فإن أبي فخذ بالنعف .

٨ عرفاً : اصطلاحاً . وهو اعتذار من باب التمويه والرقاعة .

٩ جاريتته : جريت معه أي شاركته في الشرب . *

١٠ اضطُرَّ : اغتصب . عاد : ظالم .

١١ الزلال : الماء العذب . السحر الحلال : ما يعمل بالصناعة اللطيفة .

حتى إذا أصبحنا نهض عن الوسادة ، وقال : اكتب يا أبا عبادة :

أبلغ سَراة مَضْر ثنائي يوماً على تلك اليد البيضاء^١
مَنْ شكَّ في سَبِيَّتِي العذراء فإنها سَبِيَّةُ الصَّهْبَاءِ^٢
شَرِبْتُهَا حمراء كالدماء فلا تَسْؤُكُمْ هِبَةُ الفِداء
عفواً فأنتم مَضْرُ الحمراء^٣

ثم ختم الصحيفة واستودعها الحمار ، وقال : خذها مغلغلةً إلى أحياء^٤
مَضْرَ بنِ نِزار ، وودِّعنا جميعاً وسار . فانتقلتُ إلى حيثُ أتيت ، وكان
ذلك من أعجب ما رأيت .

١ اليد البيضاء : النعمة .

٢ الصهباء : الحمر .

٣ العفو : ما يفضل عن النفقة .

٤ خذها مغلغلة : الرسالة .

المقامة الثالثة والاربعون

وتعرف بالبحرية

قال سهيل بن عبّاد : شهدتُ وأبا ليلى عيد النحر ، في بعض أرياف^١ البحر . وكان ذلك المشهد الميمون ، حافلاً كالفلك المشحون^٢ . والناس قد برزوا أفواجاً ، وانتشروا أفراداً وأزواجاً . حتى إذا سكن اللجج^٣ ، وتميّز الثّباب من النجّب . جلس المتأدّبون منهم على أديم ذلك التراب^٤ ، وأخذوا يتذاكرون في حقائق العربية ودقائق الإعراب . حتى إذا أوغلوا في تلك اللّجج ، وأمعنوا في البراهين والحجج . طلع شيخ أعمش العين^٥ ، أعنّش^٦ اليدين . فمسح بيديه أطراف السّبال ، وأشار إلى القوم وقال : الحمد لله الذي جعل العربية أفصح اللّغات ، وجمع فيها أصول البراعات ، وقصود البلاغات . أمّا بعد فاعلموا يا غرّة أهل المدّر ، وقرّة أهل الوبر^٧ . أن هذه اللغة المستحسنّة ، فريدة عقد الألسنة . وهي خلاصة الذهب الإبريز^٨ ، التي بها ورد الكتاب العزيز . ولها الفنون العجيبة ، والشجّون الغربية^٩ .

١ النحر : الضحية . أرياف : جمع ريف وهو الأرض المخصصة .

٢ حافلاً كالفلك المشحون : ممتلئاً كالسفينّة الموسوقة .

٣ اللجج : اختلاط الأصوات .

٤ النجّب : القشر . أديم : وجه .

٥ أعمش : ضعيف البصر مع سيلان في دموعه .

٦ أعنّش : له ست أصابع . السبال : الشوارب .

٧ أهل المدّر : سكان القرى . أهل الوبر : سكان البراري .

٨ الفريدة : الدرّة الكبيرة في القلادة . خلاصة : صفوة . الإبريز : الخالص .

٩ الكتاب العزيز : القرآن . الشجون : الطرق .

والألفاظ القائمة بين الجزل^١ والرقيق، والاختصار المؤدّي إلى المراد من أقرب طريق . وفيها الاستعارات والكنايات، والنوادر والآبات . والبديع^٢ الذي هو حلوتها وحلاها ، والشعر الذي لا نظير له في سواها^٣ . فضلاً عما بها من الحدود^٤ والروابط ، والقيود والضوابط . والإعراب الذي يقود المعاني بزمام ، ويرفع الإبهام ، عن الأوهام . وإني لأرى الناس قد تقضوا ذمامها ، وقوضوا خيامها ، ورفضوا أحكامها . فضاع مفتاحها ، وانطقاً مصباحها ، وتكسرت صيحاتها^٥ . حتى لم تبق لها حرمة ولا شان ، ولم يبق من يتصرف بها من أهل هذا الزمان . فصارَ عندم الناحي ، كاللاحي . والشاعر^٦ كبيض الأباغر . وعالم اللغة ، أحمق من دغة^٧ . ولقد ساءني ما فعلت بها الأيام ، حتى بكيت على أطلالها التي عفاها عصف السهام^٨ ، ولا بُكاء عروة ابن حزام^٩ . فحافظوا على درس طروسها ، وجاهدوا في سبيل إحيائها بعد دروسها . فإنها الدرّة اليقينة ، والحرّة الكريمة . واللهجة التي لم ينطق اللسان^{١٠}

١ الجزل : الضخم .

٢ البديع : هو العلم الذي تعرف به وجوه تحسين الكلام .

٣ ذلك باعتبار ما فيه من أصول الأجر وفروعها .

٤ يرفع الإبهام عن الأوهام : أي يجعل المعاني خاضعة له كما إذا قلت من يكرمني أكرمه . فإن رفعت الفعلين جعلت من موصولة ، وإن جزمتهما جعلتها شرطية ، وإن رفعت الأول وجزمت الثاني جعلتها استفهامية . ذمامها : عهدها .

٥ ذكر هذه الأسماء من باب التوجيه البديعي . فإن المفتاح كتاب في فنون العربية . والمصباح كتاب في النحو . والصحاح كتاب في متن اللغة .

٦ اللاحي : الشاتم .

٧ دغة : هي مارية بنت ربيعة بن سعد من بني عجل بن يلجم كانت أحمق النساء .

٨ أطلالها : رسوم ديارها . عفاها : محابها . عصف السهام : حر السموم وهي الريح الحارة .

٩ هو عروة بن حزام العذري ، كان يسوي ابنة عمه عفراء ، فخرج إلى اليمن في تحصيل مهرها فأثني بمال كثير ومائة من الإبل فوجدتها قد تزوجت برجل من الشام . فزارها وبكى كلاهما بكاء شديداً ثم انصرف وهو يبكي فأصابه غشي وخفقان فمات قبل وصوله إلى الحمي .

١٠ دروسها : تلاشيا . الدرّة اليقينة : التي لا نظير لها .

بئها ، والمطيئة التي لا تدل إلا لأهلها . وعلي أن أنتصب لإفادتكم ما أبقى
 الدهر لي رمقاً ، ولا أخاف بخساً ولا رهقاً . قال : فلما فرغ من
 خطبته ، ونزل عن مسطبه^٢ . تلقاه الخزامي بثغري^٣ باسم ، وحياه كعادة
 المواسم . وقال : يا مولاي ما أنا لديك بمن يساجل^٤ ، فأين الفارس من
 الراجل ، والقناة من الراجل ! ولكنني رأيتك ابن بجدتها ، ورب نجدتها ؛
 فأردت أن أستفيدك عما يفيدك الثواب ، إن مننت بالجواب . قال : سئل ،
 ولا تبسل^٥ . فقال : كيف يمنع التصغير عمل الصفة ، ولا يصرف الأسماء
 الغير المنصرفه ؟ ولماذا لا تمتع العكسية والوصف ، وهما الركن في موانع
 الصرف ؟ وكيف تبسني أي في نحو أيهم أسد^٦ ، ولا تبسني في نحو أيهم
 يرد^٧ ؟ ولماذا لا يباح في العدم دخول اللام ، فإذا تسمى أو جميع دخلت
 بسلام ؟ ولماذا تسقط نون الإعراب كالتنوين من المضاف ، وتثبت في
 غيره على الخلاف ؟ ولماذا يجوز الإخبار بالأعلام ، مع أن شرطه الإبهام ؟
 وبماذا يتعين البدل أو البيان ، في نحو قام أخوك عثمان ؟ وكيف يتبع اللفظ
 في نحو يا زيد الصابر ، ولا يتبع في نحو مضى أمس الدابر ؟ وكيف يكسر
 الساكن في القوافي ، ولا ساكن بعده يوافي ؟ وكيف يصير الجائي ، إلى
 مثال الرائي ؟ ولماذا يتغير الفعل المسند إلى الضير المتصل ، بخلاف الظاهر
 والمنفصل ؟ وإلى كم ينتهي عدد الضمائر ، عند أولي البصائر ؟ قال : فلما سعى
 الشيخ هذه الأسئلة ، قال : إنها لمن المسائل المشكلة ! فإن كان لك في
 ذلك من يد ، فقد أجلتك إلى الغد . قال : بل لا أعدو الساعة ، إن تبرأت^٨

١ الرمق : بقية الروح . رهقاً : تقيص حق أو ظلماً .

٢ المسطبة : مقعد مرتفع .

٣ يساجل : يباري ويفاخر .

٤ القناة : الرمح . الراجل : عود صغير يربط في طرف الخيط الذي يشد به الطرف . ابن
 نجدتها : دخيلة أمرها . وهو مثل يضرب في العالم بالشيء . نجدتها : قوتها وشدها .

٥ لا تبسل : أي لا تبال .

٦ يد : قدرة . أجلتك : أمهلتك .

من الصناعة ، بِمَشْهَدِ الْجَمَاعَةِ . وَأَخَذَ يَفْضُ أَغْلَاقَ خِتَامِهَا ، حَتَّى أَتَى عَلَيْهَا بِتَامِهَا ، وَقَالَ : قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ بَيْلِكِ زِمَامِهَا ، وَيَرْفَعُ أَعْلَامَهَا ، فَدَعَا أَحَادِيثَ طَسْمَ^١ وَأَحْلَامَهَا . فَاسْتَغْزَرُوا عَارِضَ سَبِيلِهِ ، وَتَعَلَّقُوا بِرُودِنِهِ وَذَيْلِهِ . فَقَالَ : إِنَّ لِي أَسِيرًا أَسْعَى فِي فِدَائِهِ ، قَبْلَ أَنْ يَهْلِكَ فِي عَنَانِهِ^٢ بِدَائِهِ . فَلْيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ، وَكُلُّ يَعْملُ عَلَى شَاكِلَتِهِ . فَأَوْلِجْ كُلُّ وَاحِدٍ يَدَهُ فِي هِمِيَانِهِ^٣ ، وَأَخْرَجْ لَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ لُجَيْنِهِ وَعَقِيَانِهِ^٤ . فَأَنْتَنِي بَعْدَمَا وَدَّعَ ، وَهُوَ قَدْ أَتَنِي فَأَبْدَعَ . حَتَّى إِذَا وُلِّى قَدَالَهُ^٥ ، وَرَجَوْتُ ابْتِدَالَهُ . حَدَّثْتُ دُونَ مَسِيرِهِ . أَوْ يُعْرَفَنِي بِأَسِيرِهِ . فَقَالَ : يَا بَنِيَّ قَدْ شَرِبْتُ فِي حَانَ^٦ سُوَيْدِ بْنِ الْأَضْبَطِ ، فَاسْتَرْهَنَ مِنِّي الْبَرَبِيطُ . وَهُوَ رِيحَانُ نَفْسِي ، وَرِيحَانُ أَنْسِي . فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَصْحَبَنِي إِلَى الْعَقْبَةِ^٧ ، وَتَشْرَكَنِي فِي تَحْرِيرِ رَقَبَتِهِ . وَإِلَّا فَادْهَبْ بِالسَّلَامَةِ ، وَلَا مَلَامَةَ . قُلْتُ : لَا جَرَمَ أَنْ تَقْرِيرَ الرِّقِّ^٨ ، خَيْرٌ مِنْ تَحْرِيرِ الْبَرَبِيطِ وَالزَّقِّ^٩ . وَانْتَشَيْتَ عَنْهُ فُورًا ، وَأَنَا أَمْدَحُهُ تَارَةً وَأَلُومُهُ طَوْرًا .

١ طسم : اسم قبيلة من العرب البائدة هلكت قديماً ودرثت أخبارها .

٢ عنانه : أسره .

٣ شاكلته : طريقته وجهته . أولج : أدخل . هميانه : كيس نفقته .

٤ لجينه : فضته . عقيانه : ذهبه .

٥ قداله : قفاه . رجوت ابتداله : أي رجوت أن يستأمن فيبوح لي بما عنده . حلت : اعترضت .

٦ حان : بيت الخمر .

٧ سويد بن الأضببط : اسم رجل خمار . البربيط : آلة الطرب . ريحان : معظم .

٨ العقبة : مكان الخمار .

٩ تقرير الرق : تمكين العبودية .

١٠ الزق : إناء للخمر من جلد .

المقامة الرابعة والاربعون

وتعرف بالحلية

حكى سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال : نزلتُ بِحِلَّةٍ ، في ديارِ الحِلَّةِ . فلقيتُ^١
بها شيخنا أبا ليلى ، يسحبُ في أكنافها ذبيلاً ، ويخطرُ ميلاً . فابتهجتُ به^٢
ابتهاجَ المحبِّ بزيارةِ الحبيبِ ، أو المريضِ بعيادةِ الطبيبِ . وانضويتُ^٣ هناك
إلى حرزه ، وشددتُ يدي بفرزه . ولبيتُ في صُحبتهِ بُرْهَةً ، أجدُ^٤
من حديثه أطربَ نُرْهَةً ، وأطيبَ نَكْهَةً . حتى إذا كان يومُ الأضحى^٥ ،
استوى على فرسٍ أضحى ، وقال : هلمَّ نتضحى . فخرجنا نطسُ المراكيلَ^٦ ،
بين تلكِ الشواكلِ . وما زلنا نتخللُ القبابَ ، ونتخطى اللحاءَ إلى اللبابِ^٧ .
حتى مررنا بقومٍ من العلماءِ ، قد تآلفوا تآلفَ الحنْدرِيسِ^٨ بالماءِ . فدخلنا
عليهم دخولَ المفاجي ، وإذا هم يتداولونَ المعتمياتِ والأحاجي . فقال^٩

١ حلة ، بكسر الحاء : منزلة . الحلة ، بفتحها : مدينة على غربي الفرات .

٢ أبو ليلى : ميمون بن خزام . أكنافها : جوانبها . يخطر : يردد يديه في مشيه .

٣ انضويت : انضمت .

٤ حرزه : وقايته . شدت يدي بفرزه : تمسكت به .

٥ الأضحى : عيد الضحية .

٦ فرس أضحى : أذهب . نتضحى : نتدفئ بالشمس . نطس : نضرب ضرباً شديداً
المراكيل : خواصر الخيل .

٧ الشواكل : الطرق الملتصبة من الطريق الأعظم . نتخطى : نتجاوز . اللحاء : القشر
كناية عن أوباش الناس .

٨ الحنْدرِيس : الحمر .

٩ المعتميات : جمع معتمى وهو أن يدمج الشاعر في أثناء نظمه اسماً مبهماً ثم يشير إلى طريقة
استخراجه إشارة خفية بحيث لا يشعر السامع بما فيه من التعمية . والأحاجي : جمع أحجية
وهي أن يؤتى بكلام مركب يرادفه لفظ بسيط مستقل بمعنى آخر .

الشيخ : ما الذي أنتم فيه ؟ لعلنا نقتفيه . فأعرضوا عنه بوجوهٍ باسرة^١ ،
 وقالوا : إنها لصفقةٌ خاسرة . فمن أنت يا من يركبُ في غير صهوته^٢ ،
 ويشربُ من غير صهوته ؟ قال : أنا الرقَمع بنُ أصمَع ، من بني السَّمْعَمِ .^٣
 ومن أنتم يا من يأهبون للنَّسَبِ ، ويعمَّهون عن الحسَبِ ؟ فذُءروا لجوابه^٤ ،
 وشعروا بصوابه . وقالوا : تحسبها حمقاء وهي باخس^٥ ، فلا بُدَّ بيننا
 من حربٍ داحس^٦ . فنظر إليهم نظرة البازي ، وصال عليهم صولة الغازي .
 وقال : أمّا إن كان قد غرَّكم الهزال ، حتى دَعَوْتُمْ نزال . فلاؤريتكم لمحا^٧
 باصراً ، وقتحاً ناصراً . ثم تخازَرَ كالأرمد ، وأنشد مُعْتَبِياً في محمَّد :^٨

على من لا أسميه سلاماً ، وإن ضاعت تحيئتنا لديه
 مليحٌ لا أرى لي فيه حظاً ، وفي قلبي دمٌ من مقلتيه^٩

ثم أدلَم سفتيه كالعنْبلي^{١٠} ، وأنشد مُعْتَبِياً في علي^{١١} :

ما لي أنادي يا عليُّ ولا تُلبي يا علي ؟

١ باسرة : عابسة .

٢ الصهوة : مقعد الفارس من السرج .

٣ الضهوة : بركة الماء . أنا الرقَمع بن أصمَع من بني السَّمْعَمِ : كل هذه النسبة تمويه عليهم وهتان .

٤ يأهبون : يفتنون . يعمَّهون : يذهلون . الحسب : ما ينشئه الرجل لنفسه من المفاخر .

٥ مثل أصله أن رجلاً من بني العنبر جاورته امرأة ذات مال ، فلما نظر إليها حسبها حمقاء
 لا تعقل فحاول أن يأخذ شيئاً من مالها وكان أن نازعته حتى أخذت شيئاً من ماله .

٦ مثل يضرب لشدة الحرب . وداحس هو فرس قيس بن زهير العبسي السذي وقعت الحرب
 بسببه بين بني عبس وفزارة .

٧ الهزال : الضعف . نزال : اسم فعل يدعى به إلى الحرب .

٨ لمحا باصراً : أمراً شديداً . تخازر : ضيق جفنيه .

٩ أراد بقوله : لا أرى لي فيه ، سقوط اللام والياء من مليح فيبقى منه الميم والحاء . ويقوله بعد
 ذلك : وفي قلبي دم مقلوب دم ، وهو الميم والذال ، فيحصل المطلوب .

١٠ أدلم : أرخى . العنبلي : الزنجي الغليظ .

لنّاس نفعلك مبصراً ، وإذا عميت فأنت لي^١
ثم اشرباً^٢ كتليع الظلمان ، وأنشد معتمياً في عثمان^٣ :
ماذا تررى أصنع في حسدٍ قد حجبوا عني بديع الزمان^٤ ؟
لهم عيون راصدات لنا إذا بدت عين تلاحا ثمان^٥ ؟
ثم قال : اللهم اهدنا سواء السبيل ، وأنشد محاجياً في سلسيل^٦ :
يا لوذعياً نراه بكل فن خليقاً^٧
ما ردف قول المحاجي إن قال : أطلب طريقاً^٨ ؟
ثم قال : دونكم أيها الصعافق^٩ ، وأنشد محاجياً في أباريق :
يا من إذا جاءه المحاجي أصاب في كل ما أجابا
ماذا ترأه يكون ردفاً لقوله لم يرد رضاباً^{١٠} ؟
ثم اندفع كحجر من سجيل^{١١} ، وأنشد محاجياً في نارجيل :
ألا يا من أحاجيه أدارت خمرة الكاس^{١١}

١ أراد بالعمى ذهاب العين من علي فنتقى اللام والياء المعبر عنهما بقوله لي ، وهو الدليل على المطلوب .

٢ اشرب : مد عنقه . التليع : الطويل العنق . الظلمان : ذكور النعام .

٣ بديع الزمان : صفة الحبيب ، وهو لقب للشيخ الهمداني صاحب المقامات المعروفة باسمه .

٤ أراد بقوله إذا بدت عين : الإتيان بحرف العين ابتداء . وبقوله تلاحا ثمان : الإتيان بعدها بأحرف ثمان فيحصل المطلوب .

٥ السلسيل : من أسماء الخمر .

٦ لوذعياً : جيد الذهن . خليقاً : جديراً .

٧ المراد بردف أطلب : سل ، وبردف طريق : سبيل ، فيحصل المطلوب .

٨ الصعافق : الذين يحضرون السوق بلا مال فإذا اشترى التجار شيئاً دخلوا معهم فيه .

٩ المراد بردف لم يرد : أبقى ، وبردف رضاب : ريق ، فيحصل المطلوب .

١٠ سجيل : طين متحجر . نارجيل : جوز الهند .

١١ أي أنها تسكر كالخمرة .

أَبِينُ لِي مَا يُرَادِفُهُ لَطَى صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ ١

قال : فلما فرغ من مُعَمِّيَانِهِ وَأَحَاجِيهِ ، جعل القومُ يَخْبِطُونَ فِي دِيَابِجِهِ . وقالوا : شهد الله أنك لأَعَذَبُ مِنَ الْقَنْدِ ، وَأَوْسَعُ مِنْ هِنْدِ مَمْتَدٍ ٢ .
فَأَنَّ أَنْبَنَ التَّكْلِ ، ورفع طَرْفَهُ إِلَى الْأَفْقِ الْأَعْلَى . وقال : اللهم فاطر ٣
السَّمَوَاتِ ، ومَجِيبَ الدَّعَوَاتِ . ارفع مَنَارَ الْعِلْمِ وَآلِهِ ، وَأَغْنِنِي عَنْ مِئَةِ الْعَبْدِ وَسُؤَالِهِ . وارزُقني عِمَامَةً مُضْرَّجَةً ، وَحِلَّةً مُدْبِجَةً . حتى إذا دخلت ٤
عَلَى عِبَادِكَ يَعْرفُونَ قَدْرِي ، وبعظْمُونَ أَمْرِي . ثم اغرورِزْ قَتَ عَيْنَاهُ
بِالْعِبْرَاتِ ، وَحشْرَجْتَ أَنْفَاسَهُ بِالزُّقْرَاتِ . فَأَعْجِبَ الْقَوْمُ بِسَلَامَةِ فِطْرَتِهِ ٥ ،
وَخَشَعُوا لِمَذَلَّةِ هَطْرَتِهِ . وقالوا : هذه عِمَامَةٌ فَأَعْتَدِ ، وَحِلَّةٌ فَالْبَسْ ٦
وَانتَطِقْ . فشكرَ وَأثنى ، على تلك الحُسْنَى ، واثنتى يثنى ، وهو يتغنَّى . وأنشد ٧ :
يَا طَرَبَا لَقَدْ شَفِيتُ الْغَلَّةَ بِجِلَّةِ زَهْرَاءِ تَشْفِي الْعِلَّةَ ٨

فَحِلَّةٌ فِي حِلَّةٍ فِي حِلَّةٍ

ثم انطلقَ بِي إِلَى وَكْنَةٍ أُحْرَجَ مِنَ الْجَفْنِ ، وَأَحْضَرَ مَا تَسَنَّى مِنْ ٩
خُبْزِهِ اللَّدْنِ ، وَطَعَامِهِ الْكَفْنِ . وقال : إِنَّمَا الطَّعَامُ لِلْغِدَاءِ ، فَلْيَأْتِنَا الطَّاهِي ١١
بِمَا شَاءَ . وَقَطَعْتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ بِالسَّمَاعِ ، فَكَانَتْ لَيْلَةَ الْوَدَاعِ .

١ المراد بردف لظى : نار ، وبردف صنف من الناس : جبل ، فيحصل المطلوب .

٢ دياجيه : ظلماته . القند : السكر . هندمد : نهر بسجستان .

٣ الأفق : ما ظهر من نواحي الفلك . فاطر : خالق .

٤ مضرجة : حمراء مزينة . مدبجة : منقوشة .

٥ حشرجت : ترددت . فطرته : جبلته .

٦ الهطرة : تذلل الفقير للغي إذا سأله . كنى بها عن دعائه . يقال : اعتلق الرجل إذا أرخى
لعمامته عذبتين من خلف .

٧ انتطق : من المنطقة وهي ما يشد به الوسط . اثنى : رجع . يتثنى : يتمايل .

٨ يا طربا : الألف بدل من ياء المتكلم أي يا طربي . شفيت : أرويت . الغلة : العطش .

٩ حلة ، بالضم : ثوب . حلة ، بالكسر : منزلة . الحلة ، بالفتح : المدينة .

١٠ وكنة : عش . أخرج : أضيقت . الجفن : غمد السيف . تسنى : تهيأ .

١١ اللدن : الردي الخبازة . الكفن : الذي لا ملح فيه . الطاهي : الطباخ .

المقامة الخامسة والاربعون

وتعرف بالفراتية

حدثت سهيل بن عبّاد قال: نزلنا بشاطىء الفرات، في إحدى السفّرات . فراقنا ما هناك من المياه الحَصيرة، والحمايل النَّصيرة . ولبسنا أيّاماً تنقل^١ في تلك المروج، كما تنقل الكواكب في البروج. ونجتلي مفاكهة السمر^٢، كما نجتلي فاكهة السمر . ونتوسد^٣ كلّ قِصّة^٤، أنقى من الفِصّة . ونزد^٥ كلّ سبيل ، أعذب من السلسبيل^٦ . حتى إذا أزيّ الترحال، وشدّت الرّحال . قيل : قد فاح نشر الحرام، على الأنام. فنظرتُ وإذا شيخنا الميمون ، والناسُ إليه يميمون، وعليه يحومون . فنفرتُ إليه نِفرة الرّيم ، في ثنايا الصّريم^٧، وقلت : هذا الحجرُ الكريم ، فكيف نريم ؟ فنقضنا عَزْنا أنكاثاً، وعدنا فأقمنا ثلاثاً . قال : وكان في الرّكب شيخٌ غَضِرُ الناصية، من عاربة البادية^٨ . فالتقى الشيخُ بالشيخ، كما يلتقي سمهرٌ بفريخ . وطفقا يتساقطان الحديث^٩،

١ راقنا : أعجينا . الحصرة : الشديدة البرد .

٢ المفاكهة : المباسطة في الكلام . والسمر : حديث الليل .

٣ قِصّة : حصى صغيرة .

٤ السلسبيل : الحمر .

٥ يميمون : يذهبون على وجوههم . الرّيم : الغزال الأبيض وهو يسكن الرمال . ثنايا : تلال . الصّريم : الرمل المنقطع .

٦ نريم : نبرح . نقضنا : حللنا . أنكاثاً : جمع نكث وهو ما نقض من الخيوط ليعزل ثانية .

٧ غَضِرُ الناصية : مبارك . من عاربة البادية : أي من العرب العاربة في البادية .

٨ فالتقى الشيخ بالشيخ أي الشيخ ميمون بالشيخ الأعرابي . سمهر : رجل كان يقوم الرماح . فريخ : رجل كان يبري النبال . يتساقطان : يسكت الواحد منهما حتى يتكلم الآخر .

ويتلاقطان الشيت منه والأثيث. حتى ركبنا متن اللعة، وأحاطا به كالحلقة^١
المفرغة. فتغافل الخزامي كأنه واسطي، حتى طبع ذلك الشيخ الناعطي^٢.
فألقي إليه شيئاً من المسائل الدقاق، وتمادى المرء^٣ بينهما حتى أفضى إلى
الشقاق. فاهتز أبو ليلى كالحليع الماجن، وقال: قبل الرماء تملأ الكنائس^٤.
إن كنت من ذوي الحصافة الضابطة، فما عندك من الألفاظ التي تتناها
الظاء القائمة والضاد الساقطة؟ فأطرق برأسه ملياً، وأمعن النظر جلياً.
ثم قال: أراك قد أبعدت الحطط، وركبت الشطط. فإن كنت بمن^٥
يبرز المعصم، لالتمس الغراب الأعصم. فأفرض علينا من روائك، ونحن^٦
نحت لوائك. فلم يكن إلا كلا ولا^٧، حتى أنشد مرتجلاً:

يُدعى تقيض البطن باسم الظهر وذروة من جبل بالضر^٨
والقيظ في الصيف بمعنى حره والقيض في البيض لبادي قشره^٩
والغيظ والغيض وقيل فاض إذا مات، وهذا الماء قد فاض كذا^{١٠}

- ١ الشيت: المتفرق. الأثيث: الكثير الملف. متن اللغة: أي علم متن اللغة.
- ٢ تغافل الخزامي كأنه واسطي: مثل أصله أن الحاج بن يوسف الثقفي كان يسخر أهل واسط في عمل البناء فكانوا يهربون وينامون بين الغرباء في المسجد، فيجيه الشرطي ويقول: يا واسطي، فمن رفع رأسه أخذه، فصاروا يتغافلون إذا نادى. الناعطي: نسبة إلى ناعط وهو ربيعة بن مرثد الهمداني.
- ٣ المرء: الحدال.
- ٤ مثل يراد به إيجاب التجهز للأمر قبل ممارسته.
- ٥ الحصافة: استحكام العقل وشدة الخزم.
- ٦ أي التي يكون فيها نوبة لكل واحدة منهما بحسب المعاني التي تراد بها. وتوصف الظاء بالقائمة للخط المنتصب عليها فيقال للضاد ساقطة مقابلة لها.
- ٧ الحطط: جمع خطة وهي المقصد البعيد. الشطط: تجاوز الحد.
- ٨ الغراب الأعصم: الذي في جناحه ريشة بيضاء، وهو مثل لما يعز وجوده. روائك: مائك العذب.
- ٩ أي كمدة قولك لا حول ولا قوة إلا بالله.
- ١٠ ذروة: قمة.
- ١١ لبادي قشره: أي لظاهر قشره وهو القشرة الصلبة.
- ١٢ الغيض: النقص.

ظَنٌّ وَضَنٌّ بَاخِلٌ وَالْحَنْظَلُ لِلنَّبْتِ وَالظِّلُّ الْمَدِيدُ حَنْظَلٌ
 وَالظَّبُّ لِلهَادِرِ ثُمَّ الضَّبُّ وَالظَّرْبُ نَبْتُ عُنْدَمٍ وَالضَّرْبُ^١
 وَقِيلَ لِلرَّوْضِ الْأَيْثِ مُعْظِلٌ وَهَكَذَا الْأَمْرُ عَلَيْهِمْ مُعْضِلٌ^٢
 وَجَاظَ فِي الْمَشِيِّ اخْتِيَالًا وَظَنَعَ^٣ وَالْمَظُّ لِلرُّومِ وَمَضُّ الْحَطَبِ^٤
 وَقَارِظٌ عَلَى جَنْبِ الصَّبْغِ عَظَبٌ وَمَلَازِمًا وَقَارِضٌ لَهُ عَضَبٌ^٥
 وَالْأَبْرَقُ الظَّرِيرُ وَالضَّرِيرُ وَهَكَذَا التَّظِيرُ وَالْمُضِيرُ^٦
 وَقِيلَ زَيْدٌ فِي الْقِتَالِ ظَجًا مُسْتَنْجِدًا وَفِي سِوَاهُ ضَجًا
 وَلِلْأَلْيِ فِي السُّمُوطِ نَظْمٌ وَقِيلَ لِلْبُرِّ الْحَصِيبِ نَضْمٌ^٧
 وَالْفَضُّ وَالْفَقْظُ وَقِيلَ ضَلَمَهُ لِلسَّهْرِ الطَّوِيلِ تَحْتَ الظُّلْمَةِ^٨
 وَالظُّعْفُ لِلنَّبْتِ وَضَعْفُ الْعَظْمِ وَمِقْبَضُ الْقَوْسِ دُعِي بِالْعَظْمِ^٩
 وَالْبَيْظُ بَيْضُ النَّمْلِ وَالْحَظِيرَةُ لِلشَّاءِ وَالنَّاسُ لَهُمْ حَظِيرَةٌ^{١٠}

١ الهادر : الكثير الكلام . الضب : دويبة برية .

٢ الأيْث : الكثير الملتف . معضل : شديد .

٣ ضلع : مال وجنف . ظلع : غمز في مشيه ، وهو دون العرج .

٤ اللوم : أي بمعنى اللوم . مض الحطب : شدته وإيلامه .

٥ القارظ : الذي يجني القرظ وهو نبات يديغ به . عذب : أقام ولزم . قارض : قاطع .
عضب : قطع .

٦ الأبرق : الأرض الغليظة . الظرير : الحجر المستور . الضير : الحسن .

٧ اللآليء : جمع لؤلؤة . السموط : خيوط النظم . البر : الخنطة .

٨ الفض : الكسر . الفظ : الغليظ .

٩ النبت : أي النبت المهود ، وهو نبات ينبت في أرض البادية .

١٠ الشاء : الغم . الحظيرة : ساحة يحضرها القوم أو جماعة يخرجون للغزو .

كَيْدًا الْوُضِيفِ وَوَضِيفِ الْوَقْفِ ظَلَّ وَضَلَّ عَنْ سَبِيلِ الْعُرْفِ^١
وَعِظَّةُ الْحَرْبِ وَعِظَّةُ الْأَسَدِ وَالْحِظُّ وَالْحَضُّ وَحَسْبِي مَا وَرَدَ^٢

قال : فلما فرغ من ارتجازه ، وجلا بدائع إعجازه ، في سرده وإيجازه^٣ .
أعجب القوم بسحر بيانه ، وعقد بنانه . وقالوا : مِمْلِكَ من تلقى إليه
المقاليد ، وتفتح به المواليد . فشمخ بأنفه من التسيه ، وأنشد بغير تمويه^٥ :

أنا ابن الحزام أنا ابن الرزام أنا ابن الالتزام غداة النزال^٦
حديد الشواطٍ مديد اللعاطٍ شديد الحفاظٍ شديد المقال^٧
ولكن تجننى علي الزمان بنقض الذمام ونكت الجبال
وأغرى بنيه بشد الرحال وعدد الرخال وصد الرجال^٨
وأخنى علي بإحمال حالي وإخمال مالي وبلبال بالي^٩

١ الوظيف : مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل ونحوها . الوقف : أي الوضيف الذي
هو بمعنى الوقف .

٢ عظة : شدة . الحض : الحث . وحسبي ما ورد : يريد أنه قد بقي ألفاظ آخر ولكنه
اكتفى بما ذكره .

٣ ارتجازه : أي إنشاده الأبيات التي هي من بحر الرجز . جلا : كشف . سرده : حسن
سياق كلامه .

٤ عقد بنانه : كناية عن إحكام الأمر .

٥ المقاليد : المفاتيح ؛ يقال ألقى إليه مقاليد أي فوض إليه أموره ، وهو مثل . تفتحج :
تفتخر . شمخ بأنفه : تكبر . بغير تمويه : أي صريحاً .

٦ أنا ابن الحزام أنا ابن الرزام : أي يأكل الرجل كل يوم صنفاً من الطعام . كنى به عن
الرفاهة وسعة العيش . النزال : المباراة في الحرب استعاره للمماحكة في الجدل .

٧ الشواط : لهب النار الذي لا دخان له .

٨ الرخال : النعاج . يعني أنه أولع بنيه بالأسفار في طلب المال أو الزهامة ، وبالنظر إلى
المواشي والاعتناء بكثيرها ، وبصد الرجال عن حاجاتهم أذراء بهم .

٩ أخنى : أسد وخان . إخمال : إسقاط . بلبال : إقلاق .

فُرِحْتُ أُسَيْفًا ضَعِيفًا نَحِيفًا قَضِيفًا سَخِيفًا حَلِيفَ السُّؤَالِ^١
 عَلَى أَنْتِي قَدْ تَقَلَّدْتُ صَبْرًا بَدِيعَ الْجَمَالِ كَصَبْرِ الْجَمَالِ^٢
 فَلَسْتُ أَبَالِي بِزَجِّ الإِلَالِ وَسَلْبِ اللَّالِي وَكَيْدِ اللَّيَالِي^٣

قال : فأوى له من حضر ، وحباه كل منهم بقدر . وتقدم إليه ذلك
 الشيخ الدهري ، بنجيب مهري . وقال : لا جرم أن الشيخ من تقدم
 جهده ، لا من تقدم عهده . وبتنا تلك الليلة نتفكه بأنفاسه ، وبتنزه
 بصباه كاسه . حتى إذا غمضت الجفون ، عن الشفون . ادلج على ذلك^٤
 التجيب ، وترك القوم عليه ألهف من قضيب^٥ .

- ١ القضييف : الدقيق الناحل . السخيف : الضعيف الساقط . الحليف : الصديق المعاهد .
 السؤال : طلب الصدقة .
- ٢ توصف الجمال بالصبر حتى يضرب بها المثل . ولذلك يكون الجمل بأبي أيوب .
- ٣ بزج الإلال : أي بظلم الخراب .
- ٤ أوى : رق .
- ٥ الدهري : القديم . نجيب : بغير كريم . مهري : نسبة إلى مهرة بن حيدان أبي قبيلة من
 العرب كانوا يحسنون القيام على الإبل .
- ٦ جهده : همته وطاقته . عهده : زمانه . نتفكه : نتخذ فاكهة
- ٧ بصباه كاسه : أي بخمرة كأسه ، كناية عن أحاديثه . الشفون : النظر . ادلج : سار من
 آخر الليل .
- ٨ التجيب : أي البعير الذي أعطاه إياه الشيخ . ألهف : من اللهفة وهي التحبير على القانت .
 قضيب : هو رجل من أهل البحرين كان يبيع التمر يضرب به المثل في شدة اللهف .

المقامة السادسة والاربعون

وتعرف بالسخرية

قال سهيل بن عبّاد: خرجت للصيد في بادية الخُلصاء، مع بعض الخُلصاء^١ الأخصاء. وكنّا في عِدّتنا كنجوم الثريا، وفي انتظامنا كحبيب الحميا^٢. فافتننا ما شاء الله من سانح وبارح، وقعيد وناطح. ثم أثقينا النار في ذلك^٣ الحضيض، وأخذنا بالملل^٤ والتعريض. وجعلنا نختزل^٥ الحراذل والأوصال، من كل خنساء وذبيال. إلى أن صغت^٦ الشمس نحو المغربان، وكادت تلبس^٧ حلة الأرجوان. فنهضنا نقضب تلك الأرض، حتى غشيتنا^٨ ظلمات بعضها فوق بعض. فجعلنا نخبط^٩ خط عشواء، تحت غشاء ذلك^{١٠} العشاء. وبيننا نحن كالآرام في القماص^{١١}، إذ سمعنا منادياً يقول: القرى يا خماص^{١٢}! فخف ما نجد من الكرب، وعجبنا من مكارم العرب. وقصدنا

١ الخُلصاء، بفتح الخاء وتسكين اللام: أرض في بلاد العرب. الخُلصاء، بضم الخاء وفتح اللام: الأصدقاء.

٢ كنجوم الثريا: أي سبعة. الحبب: الفقاقيع التي تطفو على وجه الكأس. والمراد بالحما الحمر. ٣ السانح من الصيد: ما يأتي عن اليمين، ونقيضه البارح. والقعيد: ما يأتي من خلف، ونقيضه الناطح. أثقينا: أوقدنا.

٤ الملل: تفتيب اللحم في الحمر. والتعريض: إلقاءه على الحمر. تختزل: تقطع. الحراذل: قطع اللحم الصغيرة. الأوصال: ما بين المفاصل كالقحف والساعد.

٥ الخنساء: بقرة الوحش. الذبيال: الثور الوحشي. صغت: مالت. المغربان: لغة في المغرب. ٦ الأرجوان: كناية عن احمرارها عند الغروب. نقضب: نقطع.

٧ نخبط: نمشي على غير هدى. عشواء: ناقة ضعيفة البصر أو لا تبصر في الليل.

٨ العشاء: من صلاة المغرب إلى العتمة. الآرام: الفزلان. القماص: الوثوب.

٩ القرى يا خماص: الطعام يا جياع.

ذلك الصوت على السَّماع ، كما تستروحُ السَّباع . فإذا دارُ قوراءُ ، وفارُ^١
 زهراءُ ، وأوجهُ غرَّاءُ . فنزلنا على الرُّحْب والسَّعة ، واستقبلنا القومُ بالأنس^٢
 والدَّعة . وما لبثنا أن وُضِعَ الحِوانُ ، ورُفِعَت الجِيفانُ^٣ . فجلسنا مليئاً .
 وأكلنا هنيئاً مريئاً . وبقنا ليلتنا في ذلك الغورِ ، كأننا جلساءُ قعقاعِ بنِ شورِ^٤
 حتى إذا كانت الغداةُ ، وقد تألَّبَ الحيُّ بُنتداهُ . وفد شيخُ بال ، في^٥
 رِثاثِ أسمال . فبينما حيَّا وجنَّم ، وهو قد اشتمل^٦ والشم . أقبل رجلٌ قد
 ترمَّلَ بكِساءٍ خَلَقَ ، واعتمَ بلفائفِ مكوَّرةٍ كالطبقِ ، قد جمعت ألوان^٧
 قوسِ السحابِ في الحِرِّقِ . وأرعى لعيامتهِ عذبةً ، أطولَ من قِصبةِ^٨
 وهو قد كَحَلَ إحدى عينيهِ ، ولبسَ خُفًّا بإحدى رجليهِ ، وأخذ عصاً بكِلتا
 يديه . فلما رآهُ الشيخُ ازْمَهَرَ ، وامتقعَ لونهُ واكْفَهَرَ . وقال : أخذتكَ^٩
 بالفطسةِ ، بالثُّوباءِ والعطسةِ^{١٠} . فقال القومُ : تباركَ اسمُ ربِّكَ الأعلى ، مَنْ
 هذا الذي منظرُهُ يُضحِكُ التُّكَلِّي ؟ قال : هو أحقُّ مولعٌ بالفُشارِ ،^{١١}

- ١ كما تستروح السباع : كما تمشي الوحوش المفترسة على رائحة الفريسة . قوراء : واسعة .
- ٢ زهراء : مشرقة . غراء : بيضاء .
- ٣ الجيفان : القصاص .
- ٤ مريئاً : سائغاً . الغور : الأرض المنخفضة . قعقاع بن شور : هو رجل من بني عمرو بن شيبان ، كان إذا جاوره أحد أو جالسه جعل له نصيباً من ماله .
- ٥ تألَّب : اجتمع . منتداه : مكان اجتماعه .
- ٦ اشتمل : التف بكسائه .
- ٧ ترمَّل : التف . خلق : بال رثيث . مكوورة : مجتمعة مدورة .
- ٨ قوس السحاب : أي قوس قزح . وألوانه سبعة وهي البنفسجي والنيلي والأزرق والأخضر والأصفر والبردقاني والأحمر . أي جمع هذه الألوان في الحرق التي جمع عمامته منها . عذبة : طرفاً .
- ٩ ازْمَهَرَ : عبس . امتقع : تغير .
- ١٠ الفطسة : خززة يصنعون بها رقية سحرية يريدون بها الأذى لمن يرقونه بها . ويقولون أخذتكَ بالفطسة بالثُّوباء والعطسة .
- ١١ الفشار : كلام الهديان .

كتلفيق الحنفشار. ولسانه لا ينطلق، إلا بمثل الحفشلق. وقد قبض الله لي^١
ملتقاه، فحيثما سكعت^٢ أراه. وأنا أتعوذ من منظره الذميم، كما أتعوذ من
الشیطان الرجيم. وهو يُدار كني سباقاً أو لحاقاً، ويُفاجئني عمداً أو وفاقاً^٣،
فلا يُرسِلُ الساقَ إلا مُسِكاً ساقاً. فافتحم الفتي وهو يرفس برجله الأرض،
ويتهادى بين الطول والعرض. فانتشبت شظية^٤ في رجله الحافية، كما^٥
أصاب رافس الشنفرى بالبادية. فأعول وولول، وحجبل بعدما هرول^٦.
وقال: قسبحك الله يا وجه الغول، وسحنة المغول^٧! أتتشاءم بي وبك
يتشاءم غراب البين؟ هل تظن أن رزق الله يضيّق عن اثنين؟ أم تحسب
أن القوم إذا رأوا لين قامتي، ونقش عمامتي. يزدرون بشيبتك، ويعزّمون
على خيبتك؟ أم تخالهم لم يروا بغلتك الزرقاء، والغلمان بين يديك كالأرقاء؟
ولم يشموا عطرِكَ، الذي يملأ قطرك؟ ولم ينظروا عمامتك الحانية^٨، وجيبتك
القانية، وبردتك اليمانية! وأظفارك التي كالنابل، وما تحتها من سخام^٩

١ تلفيق الحنفشار : مأخوذ من قصة لبعض المشايخ كان يدعي العلم بكل فن . سئل يوماً عن
الحنفشار فلفق حديثاً عنه واكتشف أمره فحجبل . الحفشلق : مأخوذ من قصيدة الشيخ عبد الله
الخرجي في علم العروض حيث يقول : فرتب إلى اليازن دوائر خفشلق . فإن هذه الكلمة
لا معنى لها في نفسها ولكنه أشار بكل حرف من حروفها إلى دائرة من دوائر الأبحر
العروضية . قبض : قدر .

٢ يقال : سكم الرجل إذا مشى معتسفاً وهو لا يدري أين يذهب .

٣ وفاقاً : مصادفة .

٤ مثل يضرب لمن لا يترك أمراً حتى يتعلق بآخر .

٥ يتهادى : يتردد . انتشبت : دخلت . شظية : قطعة من الخشب أو العظم ونحوه .

٦ الشنفرى : هو أحد محاضير العرب . كانت عداوة بينه وبين بني سلامان لأنهم قتلوا أخاه
فحلف أن يقتل منهم مائة رجل ، وقد قتل منهم تسعة وتسعين رجلاً ، ثم احتالوا عليه فأمسكوه
فهمجوا عليه بغتة فقتلوه . فقام رجل منهم ورفس رأسه برجله فدخلت شظية من جمجمته في
رجله وكان حافياً فمات بعد أيام فتمت القتل مائة . حجبل : مشى على رجل واحدة .

٧ السحنة : الهيئة . المغول : قوم من التتر قباح المنظر .

٨ الحافية : الشديدة الخضرة .

٩ القانية : الشديدة الحمرة . السخام : سواد القدر الملتصق بها من الدخان .

المرجل؟ فلولا حرمة القوم جعلت في رأسك العشر الشجاج، وحطمتك كقوارير الزجاج! فأرغى الشيخ وأزبد، وأبرق وأرعد، وثار إليه كالبعير الأقود. فانهزم الفتي كالبحثري، وعدا الشيخ في إثره كالصيمري. ٢ والناس من ورائها ينظرون، والصبيان يصفقون وينقرون. فتككب الفتي وكبا، وانتفضت عمامته فذهبت أيدي سبا. فتجارى الغلمان، يتخاطفون منها القطع، ويتقاذفون الرقع. وهو من ورائهم يصيح: المدد، ويجمع تلك القدد، ويسرد العدد. وهم يطاردونه عن أخذها، وهو يطاردهم عن نبذها. حتى ضاقت عن الضحك الصدور، وبرزت مقصورات الحدور. فالتظى الفتي واضطرب، ونادى بالويل والحرب. ٧ وقال: ويل لكل همزة لمزة، لا يعرف حق التاج والحرزة! أين بقية القطع الحمراء، والشظايا الصفراء، والحرق الخضراء؟ قد عددتها تسعين، ولا أجد منها غير سبعين، فأين أضعتهم الأربعين؟ فضحك القوم من حسابه.

- ١ المرجل : القدور النحاسية . الشجاج : جمع شجة وهي ما تفعله الضربة بالرأس .
- ٢ البعير الأقود : الطويل الظهر والعتق . عدا : ركض . البحثري : هو الوليد بن عبيد من الطائيين ، شاعر مطبوع غضب على الصيمري لأنه هجاه فخرج يركض وعدا الصيمري وراءه .
- ٣ ينقرون : يصوتون بألسنتهم كما تفعل النساء في الأفراح . تككب : وقع .
- ٤ كبا : سقط على وجهه . انتفضت : انحلت . ذهبت أيدي سبا : قيل إن بني الأزدي لما حدث سيل العرم تفرقوا عن أرض سبا فصاروا مثالا في التفرق .
- ٥ المدد : يقول يا مدد الله ، وهو الإغاثة والنجدة .
- ٦ نبذها : طرحها .
- ٧ مقصورات : محبوسات . الحدور : الستور . التظى : احتد غضباً . الحرب : السلب والنهب .
- ٨ همزة : الذي يعيب على الناس ما يرى منهم . والمزة : البذي يطعن في أعراض الناس . حق التاج والحرزة : كانت ملوك الجاهلية تضع خرزاً في تيجانها ، وكان الملك كل سنة يزيد خرزة في تاجه ليعلم سني ملكه . وهو يشبه عمامته بالتاج وقطعها بالخرزات المسنونة .
- ٩ الشظايا : القدد .

الذي يفتن كل حاسب ، ويضحك مروان الكاتب^١ . وقالوا : لا بأس يا
أخا العرب ، سنعتوض عليك ما ذهب . فقال : شهد الله ما بي هذا الحراب ،
ولكن تشاؤم هذا الشيخ بي وهو أشأم من سراب^٢ . فإنه قد أضع بذلك
خفمي الذي هو أغلى من خف حنين^٣ ، وعيامتي التي جمعتها من آثار حجاج
الحرَمين^٤ ، وكنت لا أسمح أن يمسها الحسن والحسين . قالوا : خذ
هذا الخف الدارث والعمامة الموشاة ، وتنكب الشيخ أن تغشاه^٥ ، أو
تبيجه بما يخشاه . فأخذهما ومضى ، وقد لاحت عليه تبشير الرضى . فقال
الشيخ : أرأيتم يا كرام الحي ، أي كنت فألاً على الفتى وكان شوماً علي^٦ ؟
قالوا : لا طيرة إن شاء الله ولا شووم ، فما نحن من أهل اللؤم . ثم وصلوه
بصلة سنية^٧ ، وقالوا : عليك بحسن الظن وإصلاح النية . قال سهيل :
وكنت قد عرفت الشيخ وفناه ، وعجبت من المجنون الذي أتاه . فلما
انصرف حثني إليه الشوق ، فأدركنته وهو حثيث السوق ، وقلت : يا أبا
ليلي شب عمرو عن الطوق^٨ . قال : يا بني إن المرح في الكلام ، كاللحم في
الطعام . والإلظاظ^٩ يورث الملل ، ولو كان على العسل . وإني قد مللت
الجِدْ واشتقت إلى الهزل ، فعسى أن تكون قد مللت اللؤم والعذل
فاكتفيت من النار بالشرار ، وانكفأت على قدم الفرار^٩

- ١ مروان الكاتب : هو رجل من أهل بغداد كان كاتباً على الخراج وكان ضميماً في الحساب .
- ٢ سراب : هي ناقة البسوس التيمية التي ثارت الحرب بسببها .
- ٣ يشير إلى الأعرابي الذي أخذ حنين الإسكاف ناقته فاستعاض عنها بالخف الذي ألقاه له في الطريق .
- ٤ الحرمين : مكة والمدينة .
- ٥ الدارث : جلد أسود من أفضل الجلود . وهو بيان للخف . الموشاة : المنقوشة المزينة .
- ٦ بصلة سنية : بغطية جليلة .
- ٧ شب عمرو عن الطوق : مثل قاله جديمة الأبرش حين قدم ابن أخته عمرو بن عدي الذي كان قد ضل في القفر . وكانت أمه رقاش قد نذرت أن تلبسه طوقاً من ذهب إذا عاد ، فلما قدم ألبسته الطوق وأدخلته على جديمة فقال المثل .
- ٨ الإلظاظ : المواظبة .
- ٩ انكفأت على قدم الفرار : رجعت هارباً .

المقامة السابعة والاربعون

وتعرف بالرصافية

حكى سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال : سَمَرْتُ لَيْلَةً بِالرُّصَافَةِ ، مَعَ كِرَامٍ مِنْ أُولِي الْحِصَافَةِ . فَبِتْنَا نَمْتَلَعِبُ بِأَطْرَافِ الْكَلَامِ الْمَشَقِّ ، وَنَتَجَاذِبُ أَعْطَافَ الْحَدِيثِ الْمُرَقَّقِ . حَتَّى أَدَانَا حَصْرُ الْحَصْرِ ، إِلَى ذِكْرِ أَفْرَادِ الْعَصْرِ . فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : مَا أَدْرَاكُمْ مِنْ وَقَدِ الْيَوْمِ ! قَدْ وَفَدَ الْخَزَامِيُّ الَّذِي إِذَا انْبَرَى لَا يُبَارَى ، وَإِذَا جَرَى لَا يُجَارَى ، وَإِذَا حَدَّثَتْ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى . فَأَعْجِبَ الْقَوْمُ بَارْتِقَانَهُ ، وَقَالُوا : مَنْ لَنَا بِالْتِقَانِهِ ؟ قَالَ : إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا ، فَاتَّخِذُونِي دَلِيلًا . فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالُوا : أَنْجِزْ حُرًّا مَا وَعَدَ ، قَالَ : وَمَنْ جَدًّا وَجَدَّ . ثُمَّ انْطَلَقَ بِنَا كَالشَّمْلَةِ الرَّافِلَةِ ، حَتَّى أَتَيْنَا الْقَافِلَةَ .^٧

- ١ سمريت : جلست للحديث في الليل . الرصافة : هي الجانب الشرقي من بغداد .
- ٢ الحصافة : جودة العقل والخزم في الأمور . المشقق : يقال شقق للكلام أي أخرجته أحسن مخرج .
- ٣ المرقق : من ترقيق الكلام وهو تحسينه . الحصر ، بفتح الصاد : العي وضيق الصدر . والحصر ، بتسكينها : الإحاطة بالشيء . أي حتى ضاقت صدورنا بحصر الأحاديث فأوصلنا ذلك إلى ذكر الأفراد المشهورين .
- ٤ يبارى : يعارض .
- ٥ بارتقانه : بعلو طبخته .
- ٦ أنجز حر ما وعد : مثل أصله أن الحرث بن عمرو الكندي قال لصخر بن نهشل الدارمي : هل أدلك على غنيمة على أن تجعل لي خمسها ؟ قال : نعم . فدلته على قوم من اليمن فأغار عليهم وغنم أموالهم فلما عاد قال الحرث المثل .
- ٧ الشملة : الناقة الخفيفة . الرافلة : المتبخثرة .

وإذا الشيخُ قد ثار كأنه من رَضَفَاتِ العرب، وقال: قد أصابني سهم غَرَبٌ،
 فالحَرْبُ بيننا والحَرْبُ . قال : وكان بين يديه رجلٌ أدرَمُ أترَمُ ، ينزو^٢
 كالقضاءِ المُبرَمِ ، وبسطو كَأبرَهَةَ الأشرَمِ^٣ . فقال : قد عرَضْتُ فَرَسَيْنَا
 للرَّهَانِ ، وجعلتُ مِضمارنا البرهان . فإن كنت من طوارق الليل ، فما
 قَبُودُ الأَسنانِ^٥ والألوانِ في الحِيلِ ؟ فأطرقَ إطراقَ الأَفمى ، ثم قال :
 خذها حِيَّةً تَسعى . وأنشد :

المُهرُ في حَوَالِيهِ بِاسْمِ الجَدَعِ يُدعى، وبِالتَّنْيِ في التَّالِي دُعِي^٦
 ثم الرَّبَاعِي بَعْدَهُ في الرَّابِعِ وقارِحٌ في الحِجَجِ التَّوابعِ^٧
 وَهُوَ عَلَى اخْتِلافِ لَوْنِ جِلْدِهِ يُدعى بأوصافِ جَرَتِ في نَقْدِهِ^٨
 فَأَدَمٌ وَأَبْيَضٌ وَأَحْمَرٌ وَأَسْقَرٌ وَأَصْفَرٌ وَأَخْضَرٌ
 حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ سَوَادُ الأَدَهَمِ يُقالُ فِيهِ الغَيْبِيُّ فاعْلَمِ
 فَإِن يُنْقَطُ بِيِضِ أَمْسِ قِيلَ ، وَمَعَ ذاكِ سِوَاهُ أِبْرَشِ^٩
 فَإِن تَكُنْ نَقْطُهُ تَتَسَعُ فَإِنَّهُ مُدَنَّرٌ فَأَبْقِعُ

- ١ رَضَفَات : قبائل من العرب قيل لهم ذلك أخذاً من الرضفة ، وهي سمة تعمل بالحجارة المحماة . سهم غرب : لا يدري راميته .
- ٢ الحرب ، بفتح الراء: السلب . أدرم : متفتت الأسنان . أترم : قد ذهبت إحدى ثناياه من أصلها . ينزو : يشب .
- ٣ أبرهة الأشرم : هو قائد جيش الحبشة .
- ٤ عرضت فرسينا للرهان : أي إما أن تأخذ فرسي وإما أن آخذ فرسك . مِضمارنا : المِضمار غاية الفرس في السباق . ويطلق على الميدان أيضاً . جعل البرهان ميدان الرهان لأن الحرب بينهما في المسائل . طوارق الليل : دواهيهِ .
- ٥ الأَسنان : الأعمار .
- ٦ في حواليه : في العامين الأولين من عمره . في التالي : في العام الثالث من عمره .
- ٧ الرباعي : بتخفيف الياء . الحجج : السنين .
- ٨ نقده : تمييزه .
- ٩ غير الأدهم إذا كان فيه نقط بيض قيل له أبرش .

وإن يشب بعض السواد الأبيض
وإن أصاب الأحمر السواد
فإن عرا الكُمَّنة لون أشقر
وإن يك الأشقر فيه خلَس
وإن رأيت أصفراً يمتد
فإن عرا الصفرة لون شهبه
وإن يك الأخضر فيه يحوى
فذلك بالاشب في الوصف قضي^١
فبالكُميت وصفه المعتاد^٢
فذلك الورْدُ الذي لا يُنكر^٣
من السواد قيل هذا أغبس^٤
فيه السواد فهو السمند^٥
فالسومني وصفه بالنسبه^٦
شيء من السواد فهو الأحوى^٧

قال : إن كنت من أولي الكمال ، فما مثل ذلك في الجمال؟ فاضطرب
اضطراب السراب ، ثم أنشد وما استراب :

أولُ نتج الناقه الحوارُ يُدعى كما جاءت به الآثارُ
وهو لعامٍ واحدٍ فصيلُ ، وابن مَخاضٍ بعدهُ تقولُ
وإن لبونٍ ثم حِقْ جَدَعُ ثم الثنبي فالرباعي يتبع^٤
ثم السديسُ بعدهُ والبازلُ والعودُ في العشرِ رواه الناقل^٥
فإن صفت حمرته فأحمرُ قيل له ، وهو لديهم يؤثر^٦
فإن تشبها ذهمة فأرمكُ والجون ما فيه السواد أحلك^٧

١ يشب : يخالط .

٢ خلَس : جمع خلسة وهي الاختلاط .

٣ أي بلفظ النسبة إلى السوسن وهو نوع من الزنبق .

٤ يقال إنه ثني إذا سقطت ثنيته وهي السن التي في مقدم فيه ، وهي تسقط في السنة السادسة .
والرباعي ما سقطت رابعيته وهي السن التي تلي الثانية ، وسقوطها يكون في السنة السابعة
بخلاف الخيل فإن ثناياها تسقط في الثالثة ورباعياتها في الرابعة . ولذلك يقال للفرس في السنة
الثالثة ثني وفي الرابعة رباع .

٥ في العشر : في العشر سنين من عمره .

٦ يؤثر : يختار . أي أنهم يختارون الإبل الأحمر ، وهي عندهم أفضل الجمال .

٧ أحلك : أشد .

وذو البياضِ آدمًا يُلقَّبُ ، فإن عَلمتهُ حُمْرةٌ فأصهَبُ^١
فإن يكن بياضُهُ يلبسُ بشُقرةٍ ، فهو البعيرُ الأعبَسُ^٢
والأخضرُ المصفرُّ في سوادِ يدعى بأخوى اللون في البوادي

قال : فلما رأى الرجل ما رأى من طول باعه^٣ ، ورَبَعَ رِبَاعِهِ^٤ . قال :
قد حقَّ عليَّ الحَرَسُ^٥ ، وحقَّتْ لك الفَرَسُ . فهلُمَّ إليها ، وخذها غيرَ
مأسوفٍ عليها . فاستعظم القومُ أمره^٦ ، واستهالوا عَمْرَهُ^٧ . وقالوا : من تمام
العيل ، أن تزيدكَ الجَمَلُ . قال : إذا ملكتُ الحِطَامَ ، فما أبالي بالحِطَامِ^٨ .
ثم سَبَّحَ وتَشَهَّدَ ، وتَوَنَّعَ وأنشَدَ^٩ :

إذا كان العبادُ بكلِّ عصرٍ شِمالَ غريبةٍ فأنا اليمينُ^{١٠}
سَلُّوا عمًّا أَرَدْتُمْ من فُتُونٍ فعندَ جُهينةِ الحِجْرِ اليقينُ^{١١}

قال سهيلٌ : فلما انصرف أصحابي قُلْتُ هذا مَثْوَايَ ، وقد شَفَعَلتُ^{١٢}
شُعَايَ جَدِّ وَاي . قال : أنتَ على الرُحْبِ والسَّعةِ ، ولك الرَغْدُ والدَّعةُ^{١٣} .
فَأَقَمْتُ في صُحْبتهِ بِأَمِّ العِراقِ ، حتى حُمَّ الفِراقُ^{١٤} .

- ١ آدمًا : من الأدمة وهي البياض الشديد في الجمال بخلاف ما في الناس والغزلان ، فإنها في الناس بمعنى السمرة وفي الغزلان بياض تعلوه غبرة .
- ٢ رباع رباعه : خصب ربوعه . كنى بذلك عن جودة قريحته .
- ٣ الحرس : السكوت .
- ٤ غمره : مائه الكثير . كناية عن فيض خاطره .
- ٥ الحطام : ما يوضع في أنف البعير ليقاد به . كنى بذلك عن إذلال خصمه والغلبة عليه .
- ٦ الحطام : ما تكسر من الشيء يكتنى به عن أمتعة الدنيا .
- ٧ سبح : قال سبحانه الله . تشهد : قال أشهد أن لا إله إلا الله . تمنى : تمایل .
- ٨ غريبة : أي نكتة غريبة .
- ٩ عند جهينة الخبر اليقين : مثل يضرب في معرفة حقيقة الأمر .
- ١٠ هذا مثنوي : هذا منزلي الذي لا أفارقه .
- ١١ الشعاب : الطرق في الجبال . الجدوى : العطية . الدعة : الراحة والسكون .
- ١٢ أم العراق : بغداد . حم : قدر .

المقامة الثامنة والاربعون

وتعرف باللاذقية

حدثنا سهيل بن عباد قال : عن^١ لي أرب ، في لاذقية العرب . فقصدتها من خناصرة ، مع رجل صنافرة ، يتبرّد بالهاجرة . فأدّنتني صحبته^٢ العلوب ، حتى أدّنتني إلى اللغوب^٣ . فدخلت المدينة ، كما تدخل الدلو المدينة . ونزلتها واهن العواهن ، لا خدن لي ولا عجاهن . وكان بدارئ منزلي السفلى ، مدرسة حقل . فكنت أزورها لماماً ، وأقوم بها إماماً . حتى إذا كنت يوماً بمحراها ، بين أضواها وأتراها . دخل شيخ كفيف ، يقوده غلام خفيف . وهو قد اعتمر بصماد ، وسدل له عذبة كالنجد . فلما وقف بنا لاحت عليه الأريحية^٤ ، وحيانا بأحسن التحية . ثم قال : حمداً لمن له الحمد والمنة ، الذي جعل المدارس أبواب الجنة . أما بعد فإن الله قد أمر بالقراءة^٥

١ عن : عرض .

٢ خناصرة : مدينة من أعمال حلب . رجل صنافرة : لا يعرف له أب . الهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر . يريد أنه متوحش لا يبالي بشيء . أدّنتني : أثقلني .

٣ اللغوب : أشد التعب .

٤ المدينة : رقعة في أسفل الدلو إذا انخرق . أي دخلتها غريباً غير ممتزج بأهلها . واهن : ضعيف . العواهن : الأعضاء . خدن : صديق . عجاهن : خادم .

٥ الأضراب : الأصناف . كفيف : أعمى .

٦ اعتمر : تعمم . صماد : عمامة صغيرة . سدل : أرخى . عذبة كالنجد : أي طرفاً كحمائل السيف .

٧ الأريحية : سعة الصدر والانبساط .

٨ إشارة إلى ما ورفي سورة العلق من قوله : اقرأ باسم ربك الذي خلق .

وأقسم بالقلم^١ ، وهو الذي علّم به الإنسان ما لم يعلم . فلا جرم أن هذه الصناعة أريج الصنائع ، وأريج البضائع . وعليها مدار السنّة والكتاب^٢ ، وبها حياة العلوم والآداب ، ومنها استنارة العقول والألباب . وهي عنوان السيادة ، وعنفوان^٣ السعادة . وآية الفلاح ، وغاية الصلاح والإصلاح . ولولاها لدُرست الأخبار ، وطُمست الآثار . وهلكت أموال التجارة ، وضاعت حقوق القضاء والإمارة . فنابروا أيها الولدان المخلدون^٤ ، ولا ترضوا من الصناعة بالدُّون . وإذا قرأتم فافتحوا الطّرف ، وأظهروا الحرف . والزمو الدّرس ، ولا تكثروا المسّس . وإذا أردتم أن تهبوا القلم ، فاشحذوا الجلم . وأطيلوا الخلفة وأسمنوها ، وحرّفوا القطّة وأمينوها^٥ . واحرصوا على صحّة التصوير ، وإحكام التحرير^٦ ، وتقويم الاساطير . واعلموا أن المناقش ، سبتلون^٧ عليكم كأبي براقش . فلا تدعوا له سبيلاً أن يلموم^٨ ، ولا تمكثوه من حجة تقوم . وعليكم بعفة اليد واللسان ، ونقاء الثوب والبنان ، وسهولة الخلق بين الأقران ، والمذاكرة في آيات القرآن . لتكونوا زينة الحياة الدّنيا ، كما أنزل الله كلمته العلياً . وأما الأستاذ فليكن عفيفاً صبوراً ، لطيفاً صبوراً ، أديباً وقوراً . ماهراً في صناعته ، باهراً في وداعته . ليس بالشديد العتي^٩ ، ولا البليد العيسى . يرغب في أن يفيد ، كما يرغب في أن يستفيد . ويجتهد في تربية من تحت لوائه ، كما يجتهد في تربية أبنائه . وليعلم أن التلامذة أمانة الله في يده ، ويتأهب في يومه لما سيحاسب عليه في غده .

١ إشارة إلى ما ورد في سورة القلم من قوله : والقلم وما يسطرون .

٢ الكتاب : القرآن .

٣ عنفوان : معظم .

٤ طمست : اختفت .

٥ المخلدون : المزينون بالأقراط .

٦ الجلم : السكين . الخلفة : برية القلم . أمينها : اجملوها مائلة إلى اليمين .

٧ التحرير : الضبط .

٨ المناقش : المحاسب ، يريد به الأستاذ . أبو براقش : طائر صغير أعل ريشه أبيض وأوسطه

أحمر وأسفله أسود ، فإذا هيج انتفش وتلون ألواناً شتى .

ثم أقبلَ قبْلَ المشهد^١، وأنشد وهو قد تنهد :

يا مَنْ لهم في السجايَا	عينٌ وجيمٌ وباءٌ
ما طاب لي في سِواكم	نونٌ وعينٌ وطاءٌ
عهُودكم ليسَ فيها	نونٌ وكافٌ وناءٌ
وحظُّكم كلُّ يومٍ	ميمٌ ودالٌ وحاءٌ
وإنني في حِماكم	شينٌ وباءٌ وخواءٌ
لم يَبْقَ لي في بِلَائي	صادٌ وباءٌ وراءٌ
أنتم لكلِّ فقيرٍ	كافٌ ونونٌ وزاءٌ
وفي أكفِّ نَدامكم	باءٌ وسينٌ وطاءٌ
هل عندكم نحوَ شيخٍ	لامٌ وحاءٌ وطاءٌ
وحسبُه من رِضامكم	عينٌ وطاءٌ وفاءٌ
ديارُكم للأُماني	واوٌ وجيمٌ وهاءٌ
شينٌ وباءٌ وعينٌ	فيها وراءٌ وباءٌ

قال : فلما فرغ من أبياته الحسان ، تعلَّق به أولئك العِلمان . وقالوا :
إنك نِعَمَ الأستاذ ، والعقوة^٢ التي بها يُلاد . فنحنُ نتبَعُ هِواك ، ولا نريدُ
سِواك . فأشفقَ الأستاذ من صرْمِ حِبَالِه ، وهاجت بلبابُ بلباله . فأمرَ إليَّ^٣
النجوى^٤ ، وباح لي بالشكوى ، من هذه البلى . وكنت قد عرفت الشيخَ انه
حامِي الحمى ، وإن كان قد تظاهر بالعمى . فقلت للأستاذ : إن كنت قد أجفلت^٥

١ قبل : نحو .

٢ أي فيما شيع وري .

٣ العقوة : الساحة وما حول الدار .

٤ أشفق : خاف . صرم : قطع . هاجت بلبابُ بلباله : اضطرب قلبه .

٥ النجوى : الحديث الخفي .

٦ حامِي الحمى : كناية عن الخزامي المهود في رواياته . أجفلت : خفت .

من مواء السنانير ، فَأَعْطِنِي لَهُ قَبْصَةَ مِنَ الدنانير . وأنا أذراً ما في نفسه ^١
 قد أوجس ، وأدَعُهُ لا يَأْتِيكَ سَجِيسَ الأوجس . فتناولني ما شاء ، وقال: ^٢
 أتبع الدلوَ بالرشاء . فدعوتُ الشيخَ إلى خَلْوَةٍ ، وبَثْنَتُهُ المُرَّةُ والحلوةُ. ^٣
 ففقهه كما يُفْقَهُ الرعد ، وقال: بكلِ وادِ بنو سعدٍ . فعدُهُ وَعَدَّ السوألُ ،
 أنْ أسامةَ لا يَنْزِلُ في وِجَارِ جِيَالٍ . قلتُ: فكيفَ تعاميتَ وأنتَ أبصره
 من فرَسٍ ، في بهاءِ غلَسٍ . فنظرَ إليَّ نِظْرَةَ الضرغامِ ، وأنشدَ بصوتٍ ^٤
 كالبنغامِ: ^٥

تَحَلَّقَ النَّاسُ بِالْأَدْناسِ واعتمدوا من الصِّفَاتِ الدَّها والمكرَ والحسدا
 كرهتُ منظرَهُم من سوءِ مخبرِهِم فقد تعاميتُ حتى لا أرى أحدا
 ثم انطلقَ بي إلى مِثْواه ، وقاسمني شطراً جدواهُ ^٨ . وقال: أنتَ الليلة
 ضيفي وأنا غداً ضيفُ المهجيرِ ، فإنَّ الصقرَ متى صادَ يطيرُ . فقضيتُ معه ليلةً ^٩
 أرقاً من السابريَّةِ ، وأطيبَ من الجاشريَّةِ . حتى نسخَ الصبحُ آيةَ الظلامِ ، ^{١٠}
 ونشرَ على الأفقِ حُمْرَ الأعلامِ . فودَّعني وذهب ، وأودَّعني اللَّهَبَ .

- ١ مواء السنانير : كنى بذلك عن كلام الأولاد الذي يخاف منه . قبصة : قدر ما يؤخذ بين الأصابع . أذراً : أذفع .
- ٢ أوجس : أضمر . سجيس الأوجس : آخر الدهر .
- ٣ الرشاء : الحبل الذي يستقى به . وهو مثل يضرب في إلحاق شيء بآخر . بثنته : كشفت له . بثنته المرة والحلوة : أوضحت له جميع القصة .
- ٤ بكل واد بنو سعد : مثل يضرب لمن يجد من يلقاه كمن فارقه .
- ٥ أسامة : الأسد . وِجار : مأوى . جِيَال : ضيع .
- ٦ بهاء : شديد السواد . غلس : ظلمة آخر الليل . الضرغام : الأسد .
- ٧ البنغام : صوت الطيبي .
- ٨ شطر جدواه : أي نصف عطيته .
- ٩ المهجير : حر الظهيرة . كنى بذلك عن السفر .
- ١٠ السابرية : نوع من الثياب الرقيقة . الجاشرية : شرب يكون مع الصبح .

المقامة التاسعة والاربعون

وتعرف بالبنانية

روى سهيل بن عباد قال : ظننت^١ في نفرٍ من معدّ بن عدنان ، حتى مررنا بجبل لبنان . فراعنا ما به من الشّعاب والأودية ، والمجالس والأندية^٢ . والحمائل والفياض ، والمياه والرياض . والقري والداكر ، والعشاير الملتفة^٣ كالعساكر . فلبثنا أياماً في جنباته ، نجول بين رعيانه وهضباته . حتى نزلنا بقوم من العطاء ، قد أحاطوا بقتى من العلماء . وهو يُنشدُهم الأبيات ، ويُطرفُهم بالغرائب والآيات . فوقفنا نسترقُ السَّمْعَ ، في خلال ذلك الجمع . وإذا شيخٌ من أبناء السبيل ، قد أقبل في ثوبٍ رعايل^٤ . فنخلل القوم ولم يُسلم ، ثم احقّوقفَ مُشيحاً ولم يكلم . فاستنقل القوم ظلّه ، وأنكروا محله . وقالوا : إن هذا الشيخ قد بلغ الحدب^٥ ، ولم يظفر من الأدب ، ولا يمثل الكدب^٦ . ثم أعرضوا عنه ازوراراً ، واحتملوا فظاظته اضطراراً . فانتدب له الفتى وقال : من أين أقبلت يا أبا الشقعمق^٧ ؟ لا كان

١ ظننت : رحلت .

٢ راعنا : أعجبتنا . الأندية : المحافل .

٣ الحمائل : الأشجار الملتفة . الفياض : الغابات . الداكر : المزارع .

٤ الرعان : جمع رعن وهو رأس الجبل . هضباته : تلاله المنبسطة .

٥ أبناء السبيل : المسافرين . رعايل : ممزق .

٦ تخلل القوم : دخل بينهم . احقّوقف : جلس مكباً على وجهه . مشيحاً : معرضاً عن الناس .

٧ أي شاخ حتى صار أحدب .

٨ الكدب : البياض الذي في أصل أظفار الصبيان .

٩ الشقعمق : هو مروان بن محمد الكوفي كان شاعراً فقيراً رثيث الحال .

يومك الشَّمَقُ ! فزفر كفجميع الأفعى ، وقال : استندت الفِصالُ حتى^١
القرعى . فمن أنت يا من لا يعرف الكوع ، من البوع؟ قال : بل أنت^٢
من لا يعرف الكاع ، من الباع! إن كنت من أنماط هذا النمط ، فما^٣
الفرق بين الميت والميت والوسط والوسط ؟ وما فرق اليتيم بين الناس^٤
والبهائم في الوضع ، وفرق الأم بين الفريقين في صيغة الجمع ؟ فهمم الشيخ^٥
وججم ، وغنم حنقاً ودمدم . وقال : ويك يا مرقعان ! يا أفرّة^٦
المعمعان . إن كنت ابن مسألة ، أو كاشف معضلة . فأنبئني بقيود القطع ،^٧
وإلا فأعدّ ففكك للصّنع ! فرنا بعين المها ، إلى السمهي . وأنشد^٨ :

يقال : جزّ الصوف زيداً وحصد نباته اليابس ، والرطب خصد
وجدع الأنف وللأذن صلّم ، وشتر الجفن والكف جدّم

- ١ الشمقمق : الطويل . يكنى به عن يوم السوء . استنت : ركضت . الفصال : صغار الجمال .
- ٢ القرعى : جمع قريع وهو ما خرجت عليه بثور بيض يقال لها القرع . الكوع : طرف الزند الذي يلي الإهام . البوع : العظم الذي يلي إهام الرجل .
- ٣ الكاع : طرف الزند الذي يلي الخنصر . الباع : قدر مد اليدين وهو معروف . الأنماط : الجماعات التي أمرها واحد . والنمط : الطريقة . أي إن كنت من أهل هذه الطريقة التفريق بين الألفاظ .
- ٤ الميت : بالتخفيف من مات حقيقة وبالتشديد من لم يزل فيه روح . والوسط ، بالسكون : يكون بمعنى بين كجلسنا وسط القوم . وبفتحتين بمعنى في كجلسنا وسط الدار .
- ٥ قوله في الوضع أي باعتبار وضعه لكل من الطرفين . واليتيم من الناس الفاقد الأب ، ومن البهائم الفاقد الأم . وجمع الأم من الناس أمهات ، ومن البهائم أمات . همهم : ردد صوته في صدره .
- ٦ ججم : لم يبين كلامه . غنم : ضج كالأبطال في الحرب . دمدم : هدر مفضباً . مرقعان : أحق .
- ٧ المعمعان : الحر ، وأفرته أوله ، كنى بذلك عن حدائه . قيود القطع : أي خصائص ألفاظ القطع .
- ٨ رنا : نظر على سكون . المها : بقر الوحش . وهي توصف بحسن العيون . السمهي : الهواء بين السماء والأرض .

وشرم الشفة إذ قص الشعر ،
وقلم الظفر وحز اللعما ،
وقد ريش السهم إذ قط القلم ،
وقيل : قد السير ، والنعل حذا
وحذف الذنب والغصن عضد
وقضب الكرم لدى قطف الثمر
وحذق الجبل وبث الحكما ،
وعصف الزرع وللنخل جرم
وجاب صخراً ، قطع الثوب كذا
وقلح الحديد ، فاحفظ ما ورد

قال : إن كنت من رجال العصر ، فما هي قيود الكمر ؟ فاستضحك
طويلاً ، ثم فكر قليلاً . وأنشد :

يقال : شج الرأس والأنف هشم ،
وقصم الظهر لدى رتم الحجر ،
وقضخ الجبس ، والنوى رضخ ،
وققس البيض على فدغ البصل ،
وهضم القصب والحيز ثرد
ووقص العنق واللسن هتم
وحطيم العظم كغصن قد هصر
ورض حباً رأس حية شدخ
وهذ ذاك الركن من ذك الجبل
ونقف الحنظل فاستجل الرشد

قال : فهل تعرف قيود الحصص^٢ ، من مثل هذه القصص ؟ فتملأ
كالأفعوان ، ثم نزا كالعنظوان . وأنشد :

كسرة خبز فدره اللحم ترد
ومن طعام لمظة وكسفه
كذا صباية من الشراب
ودرة من لبن فرزدقه
كتلة قمر فلذة من الكبد
من سحب ومن سويق نسفه
جذوة نار حثوة التراب
من العجين غرفة من مرقه

١ الجبس : الطيخ . النوى : البزر .

٢ الحصص : القطع .

٣ نزا : وثب . العنظوان : الذكر من الجراد .

وصبرة^١ من حنطة ونقره
 خصلة شغري^٢ كبة^٣ من غزل
 خريقة^٤ ثوب^٥ نُبذة^٦ من مال
 من فضة^٧ ومن حديد^٨ زبره
 فِرصة^٩ قطن^{١٠} رُمّة^{١١} من حبل
 وهدأة^{١٢} الليل^{١٣} من الأمثال^{١٤}

قال سهيل^{١٥} : فلما أبان الفتي ما أبان ، قال القوم : قد ظهر الشجاع^{١٦} من
 الجبان . فما أشبه هذا الألمعي^{١٧} ، بأبي عبيدة والأصمعي^{١٨} . ولقد اعتمانا^{١٩} ،
 ويثم حيانا . فلنحبه^{٢٠} بما هو الخليق به ، رعاية^{٢١} حرمة أديبه . ثم أفاضوا عليه^{٢٢}
 حلة^{٢٣} من الإستربق^{٢٤} ، وقبضة^{٢٥} من الذهب الأصفر كبتاً^{٢٦} لعدوة الأزرق^{٢٧} .
 فطال على الشيخ واستطال ، وقال : قد ذل^{٢٨} من يصادم الأبطال ! فاعتصم
 الشيخ بالمزيمية ، واقتفاه^{٢٩} الفتي باضي العزيمة . قال سهيل^{٣٠} : فأشفقت^{٣١} على ذلك
 الشيخ الغاني ، من صولة ذلك الفتي الجاني . وخرجت في إثرهما ، لترقيح^{٣٢} أمرهما .
 فإذا هما بجانب العقيق^{٣٣} ، بين الأفحوان والشقيق ، والشيخ قد لبس الحلة^{٣٤}
 والفتي قائم^{٣٥} لديه كالرقيق^{٣٦} . فتوسمتها^{٣٧} من كتّب ، وإذا هما ميمون^{٣٨} ووجب ،
 فصاحت^{٣٩} : يا للعجب ! فارتفق^{٤٠} الشيخ على يمينه ، وأنشد والبشر^{٤١} بلوح من جبينه :
 قد لاح صبح^{٤٢} الشيب^{٤٣} وارفض^{٤٤} الدجى^{٤٥} والعمر^{٤٦} ولئى^{٤٧} والردى^{٤٨} قد عرجا^{٤٩}

١ من أمثال ذلك .

٢ الألمي : الذكي المتوقد الفؤاد . أبو عبيدة : هو معمر بن المنثى البصري ، كان أعلم
 الناس بلغة العرب وأخبارهم وأيامهم وأنسابهم . الأصمعي : هو صاحب الروايات المشهور .
 اعتمانا : اختارنا .

٣ يم : قصد . فلنحبه : فلنقطه .

٤ الإستربق : الديباج . قبضة : قدر ما يحمل بين الأصابع . كبتاً : يقال كبت عدوه أي
 أخزاه وأذله وردده بغيظه . الأزرق : الشديد العداوة . والمراد به الشيخ .

٥ ترقيح : إصلاح .

٦ العقيق : مسيل الماء .

٧ الرقيق : العبد .

٨ ارتفق : اتكأ على مرفقه وهو موصل الذراع بالعقد .

٩ ارفض : تفرق وتبدد . الدجى : كناية عن سواد شعره . الردى : الموت . عرج عليه :

عطف ومال .

وَرَجَبٌ كَالْمُهْرِ عِنْدِي نَتَجَا أُرِيدُ أَنْ أَرُوضَهُ مُخْرَجًا
حَتَّى إِذَا فَارَقْتَهُ مِنْدَرَجًا رُحْتُ قَرِيرَ الْعَيْنِ صَادِقَ الرَّجَاءِ
لَا أَخْتَشِي مَعْصِيَةً أَوْ حَرَجًا ٣

ثم قال : يا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ عَوَّلْتُ أَنْ أُرَكِّبَ الْفُلْكَ ، وَأَذْهَبَ إِمَّا هَلْكَ ، وَإِمَّا مُلْكٌ . فَعُدُّ إِلَى أَصْحَابِكَ بِالسَّلَامِ ، وَاسْتَمُّ حَدِيثِي مَعَ الْغَلَامِ .
فَانْتَبِثْ عَنْهُ بَيْنَ الْعَذْرِ وَاللُّومِ ، وَكْتُمْتُ الْحَدِيثَ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى الْقَوْمِ .

-
- ١ أروضه : أمرنه . مخرجاً : أي مخرجاً له على الأعمال .
 - ٢ فارقتَه مندرجاً إذا مت ملتفماً بالأكفان .
 - ٣ حرجاً : إثمًا .
 - ٤ عولت : عزمت . الفلك : السفينة .

المقامة الخمسون

وتعرف بالحموية

قال سهيلُ بن عبَّادٍ : أقيتُ الحزاميَّ في حماة ، فانصَوَيْتُ^١ إلى حماه ،
ولَيْسَتْ^٢ أنتمم رِيَّاهُ ، وأترشَفَ حُمَيَّاهُ^٣ . وهو يطوفُ بي على الرِّياضِ
والغياضِ ، ويردُّ المَعينَ والحياضِ . ويتفقَدُ الأجارعَ النَّصْرَةَ^٤ ، والحائلُ^٥
الغَصْرَةَ . حتى دخلنا إلى حديقة ، بهيجة أنيقة . والدوايبِ حولها تُحْنُ حنينٌ^٦ ،
الناقةِ الرُّومِ ، وتثنُّ أنينَ المدنَفِ السُّومِ . فجعلنا نتخيَّرُ الأفياءَ ، حتى^٧
انتهينا إلى ظلالِ لمياءَ . فجلسنا وقد أطاعنا العاصي ، وتسخَّرتْ لنا مياهه من^٨
الأقاصي . وأخذنا نجتني الثَّمارَ الذوايلِ ، من الأفنانِ السوابلِ^٩ ، وقد رقص
البُلبُلُ على نَعَماتِ البلابلِ . وإذا قومٌ من كرامِ الوجُودِ ، سيَّامٍ في
وجوههم من أثرِ السُّجودِ ، وعليهم لوائحُ الجُودِ^٩ والجُودِ . قد أقبلوا بوجوهِ
ناصرة ، إلى ربِّها ناظرة . وهم يُسبِّحون بحمدِ ربِّهم ، ويستغفرون لما تقدَّم
وما تأخَّرَ من ذنبيهم . فلما رأهم الشيخُ قال : أعودُ بربِّ الناسِ ، وجعل

١ انصويت : ضمنت نفسي .

٢ حماه : خمرته . كناية عن حديثه .

٣ الغياض : الغابات . المعين : الماء الجاري . الأجارع : الأراضي الطيبة النبات .

٤ الغصرة : المخضبة . الدوايب : أي دوايب النواير التي فيها . تحن : تبدي صوتاً حزيناً .

٥ الناقة الرُّوم : العاطفة على ولدها . المدنف : المريض المضمي . السُّوم : الضجور .

٦ لمياء : كثيفة . العاصي : نهر المدينة .

٧ الأفنان السوابل : الأغصان المتدلِّية .

٨ البلابل : جمع بلبله وهي الأنبوبة التي ينصب منها الماء . يريد أنابيب النواير .

٩ الجود : ضد الرداة .

يَضْرِبُ أَخْمَاساً لِأَسْدَاسٍ ! ثُمَّ قَالَ : يَا بَنِيَّ كُنْتُ قَدْ عَزَمْتُ أَنْ أَتَبَدَّ مَكَاناً^١ قَصِيّاً ، وَلَا أَكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً . وَلَكِنْ مَا كَلُّ رَامِي غَرَضٌ يُصِيبُ ، وَكَلٌّ وَافِدٌ لَهُ نُصِيبُ . فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كَتِلَاوَةَ أُمِّ الْقُرْآنِ^٢ ، حَتَّى تَقْدَمَ الْقَوْمُ يَخْطِرُونَ كَالْمُرَّانِ . وَلَمَّا كَانُوا مِنَّا بِمَسْمَعٍ ، جَلَسُوا عَلَيَّ رَصِيفٍ مِنَ الْيَوْمِ مَعَ^٣ . وَأَخَذُوا يَتَدَاوَلُونَ الْأَحَادِيثَ الْمُسْتَنْدَةَ ، وَيَتَنَاشِدُونَ الْأَشْعَارَ الْعَرَبِيَّةَ وَالْمَوْلُودَةَ . فَقَالَ الشَّيْخُ : التَّجَلُّدُ ، وَلَا التَّبَلُّدُ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ كَأَنَّمَا أَنْشِطُ^٤ مِنْ عِقَالٍ ، وَخَلَّلَ عِذَارِيهِ وَقَالَ : يَا بَنِيَّ إِنِّي خُضْتُ الْقِفَارَ ، وَكَشَفْتُ^٥ الْأَسْرَارَ . وَشَاهَدْتُ بَيْنَ الْإِدْبَارِ وَالْإِقْبَالِ ، فِي السُّهُولِ وَالْجِبَالِ ، مَا لَمْ يَخْطُرْ لِبَشَرٍ بِيَالٍ . فَكَمْ رَأَيْتُ ابْرَةً تَطْلُبُ ، وَخَيْطاً يَهْرُبُ^٦ . وَنَعْلَباً فِي جُبَّةٍ ، وَأَرْنَبَةً فِي قُبَّةٍ . وَغَزَالَةً فِي السَّمَاءِ ، وَجِدْرَةَ^٧ فِي الْمَاءِ . وَكَوْكَباً فِي مُقَلَّةٍ ، وَشِهَاباً فِي حَقَلَّةٍ . وَهَيْلَالاً فِي رَاحَةٍ ، وَنَجْمًا^٨ فِي سَاحَةِ . وَقَوْمًا يَحْبِسُونَ النَّاصِحَ ، وَيَكْرَهُونَ الْمُصَافِحَ . وَيَجْتَنِبُونَ الْخَاشِعَ ، وَيَمْتَهِنُونَ الضَّارِعَ^٩ .

١ يضرب أخماساً لأسداس : مثل يضرب لمن يسمى في المكر . أتبدد : اعتزل .

٢ أم القرآن : الفاتحة .

٣ يخطرون : يرددون أيديهم في مشيهم . المران : الرماح . اليرمع : حجارة بيض رقيقة .

٤ الأشعار المولدة : أشعار الحضر . التبلد : الكسل والتواني .

٥ أنشط من عقال : مثل يضرب للسرعة في الوثوب بعد الإمساك عنه . والعقال : حبل يقيد به البعير ، فإذا حل ثار البعير مسرعاً من مريضه . خلل عذاريه : أدخل أصابعه مفرجة في جانبي لحيته .

٦ الابرة : حد عرقوب الفرس . والخيط : الجماعة من النعام .

٧ الثعلب : طرف الرمح الذي يدخل في السنان . والجبة : تجويف السنان الذي يدخل فيه طرف الرمح . والأرنبة : طرف الأنف . الغزالة : الشمس في أول النهار . والجمرة : ألف فارس وكل من كان يداً واحدة من القبائل .

٨ الكوكب : البياض الذي يثقى العين . والشهاب : شعلة من نار . الهلال : البياض الذي في أصل الأظفار . والراحة : الكف . والنجم : النبات الذي لا ساق له .

٩ الناصح : العسل الخالص . والمصافح : الفاسق بكل من يصادفه . الخاشع : الفلاة التي لا يهتدى فيها . والامتهان : الاحتقار . والضارع : الذليل .

ويركبون الشُّكُور ، ويدوسون الجُمهوراً . ويرَوْنَ قطع ساق العبد ، ألدَّ من قطف الوَرْد . ويعتقدون أن الكافر ، هو الظافر . واللعين ، نِعْمٌ^٢ الأمين . وأن أكل الأحرار ، من شيم الأبرار . وقُرّة العين ، لمن علاه^٣ الدين . فتقِّ بما أعتدّه ، وصحَّح هذا الرأيَ واعتقدّه . واستقيم ولا تتبَّع سبيلَ الذين لا يعلمون ، فإن الله إذا أراد شيئاً فإنما يقول له : كُنْ ، فيكون . قال : فلما سمع القوم كلامه رأوا فيه لغواً ولحناً ، فعابوه^٥ لفظاً ومعنى . وقالوا : إن هذا شاعرٌ به جِنَّةٌ ، فاجعلوا قلوبكم في أكِنَّة^٦ . فتار الشيخ كأنه لث عفرين^٧ ، وقال : إني أو إياكم لعلي هدى أو في ضلالٍ مُبين . مَنْ أنتم يا سلالة الأنبياء ، وثمالة الأولياء . وما بالكم تحكمون ، بما لا تعلمون ، وتتكبرون من حيث لا تفكرون . أتعلّمون التيمُّ البكاء ، والتدبيرَ الغِناء ؟ أم تحسبون أنكم تحسبون صنماً ، إذا تحككت عقربكم بالأفعى ؟ لقد غرَّكم بالله العرور ، والله لا يُحبُّ كلَّ مختالٍ فخور . فليحكّم الله بيننا وهو خيرُ الحاكمين ، وستعلمون غداً من الكذاب الذي يُراغُ عليه ضرباً باليمين . فلما رأى القوم ما رأوا من ازدهائه ، شعروا^٨ بدّهائه . وقالوا : لعل له عُذراً وأنت تلوم^٩ ، فلينظر المولى بعلمه الذي

- ١ الشكور : الدابة التي تسمن مع قلة العلف . والجُمهور : الرملة المشرفة على ما حولها .
- ٢ العبد : نبات طيب الرائحة . والقطف : ضيق الخطوات في المشي . والورد : الفرس بين الكميث والأشقر . الكافر : الزارع . اللعين : شخص ينصب في المزارع كهيئة رجل .
- ٣ الأحرار : البقول التي تؤكل غير مطبوخة . قرّة العين : نبات ينبت بجانب عين الماء .
- ٤ فتقِّ بما أعتدّه : يشير إلى ما يريده من دخيلة الكلام بخلاف ما يوهم ظاهر عبارته . أراد اعتقده بسكون الدال وضم الهاء فنقل ضمة الهاء التي وجب إسكانها للوقف إلى الدال التي قبلها .
- ٥ اللغو : الكلام الساقط الذي لا يعتد به . واللحن : الخطأ في الإعراب .
- ٦ لفظاً ومعنى : من باب الطي والنشر المشوش لأن عيب اللفظ يرجع إلى اللحن وعيب المعنى إلى اللغو . أكِنَّة : جمع كنان وهو ما يتقى به . أي احفظوا قلوبكم منه خوف الفتنة .
- ٧ عفرين : مكان يوصف بكثرة الأسود .
- ٨ يراغ : من الروغ وهو الميل والإقبال . ازدهائه : استخفافه بهم .
- ٩ لعل له عُذراً وأنت تلوم : مثل يضرب لمن يلوم من له عذر ولا يعلمه اللائم .

فيه حقٌ معلوم ، للسائل والمحروم . فلما آتسَ منهم لبِنَ الشرَّة ، لاحت^١
على أساريه المسرَّة . وقال : إذا تلاحت الحُصوم ، تسافهت الحلوم . ثم^٢
أفاض في نقض ما أبرم ، وفاض كالسيل العرمرم ، وهو يحرق الأرم .^٣
فانقادوا أذلَّ من التقد ، وقالوا : نعوذ بالله من شرِّ النفاثات في العقد . ثم^٤
قالوا : إننا لتراك غزير السيل ، لكنك قصير الذيل ، يسير النيل . فخذ هذه^٥
النَّفقة ، على سبيل الصداقة لا الصدقة . وقد انتهينا عن الصلِّف ، إلى^٦
الكلِّف ، فاغفر لنا ما قد صلِّف . فأبدى الثناء الجميل ، وأسدى الشكر^٧
الجزيل . وانقلب مفتخراً بما فاز ، ومغتبطاً بما حاز . قال : فلما أتينا المدينة
المحدَرَ عن المطا، ودخل بي إلى مثل أفحوص القطا . فبيتُ معه ليلةً أشهى^٨
من عصر الصبا ، وأرق من نسيم الصبا . حتى إذا أصبحنا ثار بين النفير ،^٩
كالعنفير^{١٠} ، وأخذ في التشمير ، للمسير . وقال : إني منصرفٌ إلى بلدة أخرى ،
فإن شئت أن تؤوبَ إلى أهلِكَ فهو الأحرى . فودَّعته وداعَ الهائم المشتاق ،
وصيرتُ وأنا أحدو^{١١} بذكره النِّياق .

١ آتس : رأى . الشرَّة : الحدة .

٢ أساريه : خطوط جهته . تلاحت : تشامت . تسافهت الحلوم : أي صار الحلوم سفياً .

٣ أفاض : اندفع . نقض : حل . العرمرم : الغزير . يحرق : يسحق حتى يسمع لسحقه صوت .
الأرم : الأضراس .

٤ التقد : نوع من الغنم . وهو مثل في الذل . النفاثات في العقد : الساحرات اللواتي يعقدن
الحيوط عقداً ويتفلن في كل عقدة منها .

٥ غزير السيل : كناية عن شدة الدهاء والحذاقة . قصير الذيل : فقير قليل المال . يسير النيل :
قليل التحصيل .

٦ الصلِّف : التكلم بما يكرهه صاحبه .

٧ الكلِّف : شدة المحبة . أسدى : قدم .

٨ المطا : الركوبة . إلى مثل أفحوص القطا : إلى بيت مثل عش هذا الطائر .

٩ النفير : الجماعة .

١٠ العنفير : الداهية .

١١ أحدو : أسوق بالغناء .

المقامة الحادية والخمسون

وتعرف باليامية

أخبرنا سهيل بن عبّاد قال : تقلّدتُ السّفَر طوقَ الحمامة^١ ، مُنذُ
اعتجرتُ بالعمامة^٢ . وكنتُ أهوى ديارَ العربِ العرَباءَ ، لما فيها من الشعراء
والخطباء ، والفصحاء والأدباء ، والبُلغاء والنُجباء . فكنتُ أزجي^٣ إليها
الرّكاب ، وأنضمّخ منها بالعجاج . وأتعتطرُ بالعرار والبشام^٤ ،
وأنفكه^٥ بالعرفج والثغام . وأطربُ للنّصب والحداء ، وأبتهج بالثغاء^٥
والرثاء . حتى إذا كنت يوماً بحجرِ اليامة^٦ ، رأيتُ كتيبةً قد أطبقت كالعمامة .
فحششتُ الجواد ، حتى حصحص لي ذلك السّواد . وإذا فتى لاغظ ، وشيخ^٧
ضاغظ . والناس حولهما يتفرّجون ، ولا يفرجون . فانتصبتُ مع الوقوف^٨ ،
ونظرت من خلال الصّفوف . وإذا الشيخ يقول : ويلَ أمك يا أخبثَ من

- ١ مثل يضرب في الملازمة للشيء كملازمة طوق الحمامة لعتقها .
- ٢ اعتجرت بالعمامة : لففتها على رأسي .
- ٣ أزجي : أسوق .
- ٤ أنضمخ : أتلطخ . العجاج : الفيار . المكاب : الدخان . العرار : نبات طيب الرائحة يقولون له بهار البر . البشام : شجر طيب الرائحة يستاك به .
- ٥ أنفكه : أتخذ فاكهة . العرفج : شجر ينبت في السهول . الثغام : نبات يكون في الجبال .
النصب : غناء للعرب أرق من الحداء .
- ٦ اليامة : قسم من أقسام بلاد العرب . والحجر : مدينة بها .
- ٧ حششت : أعجلت . حصحص : ظهر . السواد : العدد الكثير . لاغظ : من اللفظ وهو الضجيج والصياح .
- ٨ ضاغظ : يقال ضغظه إذا زحمه إلى حائط ونحوه . ولا يفرجون : ولا يفتحون فرجة .
وهي الفسحة بين الشيتين .

الشَّيْصَبَانِ، وأرَوَّعَ من الثعلبان ! إلامَ تبادى في العقوق، وتتعاضى عن الحقوق؟ أما تذكر تثقيفي أودك، وتلقيفي رشداك؟ وهل نسيت ما تجشمت من جللك، في مداواة علكك؟ ولم أنفقت عليك في المدارس،^٣ والمطاعم والملابس؟ فبأي آلاء ربك تتأري، ولو كنت أبلة من الحباري؟^٤ هذا والغلام يتظلم، ويتملل ويتألّم. وهو أحيير من صب^٥، وأنقر من بعير أرب. فلما رأى القوم ما رأوا من تملله، واصطخابه وتبلله.^٦ قالوا: ليس شكوى، بلا بلوى: فأبين أيها الشيخ عذرك، وضع عنك وزرك، الذي أنقض ظهرك. فأرن كما يارن المهر، وقال: قد تجتسى^٧ علي هذا الغمر، والله يعلم أن ليس لي ذنب إلا ذنب صخر. إن هذا الفتى^٨ عربي الدار، لكنه رومي التجار. وقد بذلت فيه من الدينار والدرهم، ما لا يبذله خالد بن الأيهم^٩. وأفرغت جهدي في تهذيب لسانه، وتعديل ميزانه. فلم يزك يكسر شكيمة اللجام، ويتزع إلى ألقاظ الأعجام^{١٠}.

- ١ الشيصبان: الشيطان. الثعلبان: الثعلب الذكر. العقوق: سوء المكافأة عن التربية.
- ٢ تثقيفي أودك: تعويجي اعوجاجك. تلقيفي رشداك: مناوئي لك الرشاد بالسرعة.
- ٣ تجشمت: تكلفت. من جللك: من أجلك.
- ٤ آلاء: نعم. تتأري: تشك. والعبارة آية من القرآن. الحباري: طائر يضرب به المثل في البله لأن أنثاه إذا فارقت بيضا تذهل عنه فتحضن بيض غيرها.
- ٥ أحيير من صب: إذا فارق الصب جحره لا يهتدي إليه.
- ٦ الأرب: الكثير الشعر. وذلك أن البعير يرى طول الشعر على عينيه فيظنه شخصاً فينفر منه ولا يتخلص من لحاقه به فلا يزال ذافراً. اصطخابه: ضججه. تبلله: اضطرابه.
- ٧ وزرك: حملك الثقيل. أنقض ظهرك: أي أثقله حتى سمع نقيضه وهو صوت مفاصل العظام عند الضغط. أرن: مرج نشاطاً. تجتسى: ادعى علي بذنب لم أفعله.
- ٨ الغمر: النبي الجاهل. صخر: هي بنت لقمان بن عاد يضرب بها المثل لمن يعاقب بغير ذنب.
- ٩ النجار: الأصل.
- ١٠ هو خالد بن جبلة بن الأيهم الفسائي من آل جفنة ملوك الشام. أتى قيصر ملك الروم بعد ارتداده عن إسلامه فمر به وأقطعته أعمالاً وطالت يده فيذبح في عيشه وكان كريماً متلافياً.
- ١١ الشكيمة: الحديدية المعترضة في فم الفرس. ينزع: يميل. الأعجام: يشمل كل من كان من غير العرب.

فيدعو المعلم ، بالمؤلّم . ويُسمّي القلب ، بالكلب . والحيطان ، بالحيطان . ويعرف المضاف ، ويؤخر الموصوفات عن الأوصاف . وهذا مما تأباه السجّية^١ الأدبّية ، وتستك^٢ منه المسمع العربيّة . وشهد الله أنّي أريد تهذيبه^٣ ، لا تعذيبه . وأرغب^٤ في تثقيفه ، لا تعنيفه . لكنني أجتهد^٥ في تسديده^٦ فيعشر^٧ ، وأروم تشديده^٨ فينفر . وإن كنتم في ريب^٩ من ذلكم^{١٠} فاخبروه^{١١} ، وإلا فأنا أمتحنه^{١٢} لتعتبروه . قالوا : لا جرّم أن^{١٣} المولى ، هو الأولى . فأمسك^{١٤} هنيئة^{١٥} عن الكلام ، ثم قال قل^{١٦} يا غلام :

أنا الحزاميُّ الرقيقُ الكليمِ مسختُ ركنَ المسجدِ المعرّمِ
ولي غلامٌ من نِتاجِ العجمِ يُشركُ في فؤادهِ وفي الفمِ
أوجدُهُ باري الورى من عدمِ وحاطهُ بالقدرِ المصمِّ^١
فلم يزل في حرّسٍ متّمسِّ

فتعزّز الفتي وتمتّع ، وهو يروغ كالفارص الأهنّع^٥ . فما زال به القوم حتى أجاب فتحرّح^٦ ، وأنشد بصوتٍ صمّح^٧ :

أنا الحزاميُّ الركيكُ الكليمِ مسختُ ركنَ المسجدِ المخرّمِ
ولي غلامٌ من نِتاجِ الأجمِ يُشركُ في فؤادهِ وفي الفمِ^٧

١ السجّية : الطبيعة .

٢ تستك : تثقل وتضيق .

٣ تعنيفه : تعيره ولومه . تسديده : توفيقه للصواب .

٤ المصم : من معنى الصميم ، أي الخالص .

٥ الأهنّع : المائل في سرجه يميناً وشمالاً .

٦ ترّحّح : فسح بين يديه . صمّح : شديد .

٧ الأجم : الغابات . وعلى ذلك فيكون من الوحوش . يشرك : يكفر .

أوجدَهُ باري الوري من آدمٍ . وخاطهُ بالكدرِ المُسمِّمِ
فلم يزل في خرَسٍ مُتَمِّمِ .

قال : فلما رأى القوم سُقم هذه الألفاظ ، وما أدَّت إليه من المعاني
الفظاظ^٢ . تعوذوا بالله من سوء تلك اللثغة ، وقالوا : ما هذا الغلام الذي
لا يشتري بفشعة^٣؟ فتهبم الشيخ وتأفف ، وتأوّه وتأسف . وقال : قد
علمتُ أن عشار اللسان شرٌّ من عشار القدم ، ولكن ماذا ينفع التَّدَمُّ ؟
وإنني طالما حدثتُ نفسي بعنّاقه ، وهممتُ بانعناقي من وثاقه . ولو وجدت
لي عنه غنّى ، أو كان في يدي سعة^٤ من الغنى . لبعتُهُ بنصف القيمة ،
واشتريت غيره بضعف السّيمة . ولكن قد انقطع السّلي ، فلا حول ولا
فأجهش الفتى عن كسب ، وأخذ رُقعةً وكتب :

هَبُوا خَطَأً اللّسانَ عليَّ عيباً . أما لي غيره شيءٌ يُصِيبُ
أنا ابنُ أعمدٍ وقمٍّ ، لا في الدّامى أعدُّه ، ولا سبيرٌ أو خطيبٌ^٥
أديرُ من المعاني كلَّ كأسٍ . تطيبُ فخلٌ لفظي لا يطيبُ
إذا كان الجميلُ سليمَ حُسنٍ ، فليس بضرةً ثوبٌ معيبٌ

فلما وقف القوم على شعره ، ورأوا انحطاط سيره . قالوا : إن لم يُجسِّن

١ آدم : جلد . المسم : أبدل الصاد بالسين .

٢ الفظاظ : العليظة .

٣ الفشعة : هي القطننة التي تكون في جوف القصبه .

٤ الضعف : من معنى المضاعفة . السيمة : من معنى المساومة . السلي : جلدة رقيقة يكون فيها
المولود من المواشي إذا انقطعت في البطن هلكت الأم والولد . وهو مثل يضرب في ذهاب
الحيلة . فلا حول ولا : أي ولا قوة إلا بالله .

٥ يقال للبد ابن اعمد وقم وللأمة ابنة اقمدي وقومي والمراد بهما الاستخدام . أعد ولا سبير :
أي ولا أنا سبير .

الكَرَّ، فَالْحَلَبَ وَالصَّرَّ^١. وَتَقَدَّوْا الشَّيْخَ بَعْضَ الْمَالِ، وَقَالُوا لَلْفَتَى: دُونَكَ الْجِمَالِ. فَصَرَّ كِلَاهِمَا وَارْتَضَى، وَوَدَّعَهُمُ الشَّيْخُ وَمَضَى. قَالَ سَهِيلٌ:
وَكُنْتُ قَدْ عَرَفْتُ ذَيْنِكَ الصَّاحِبِينَ، الَّذِينَ سَيِّئَاتُهُمَا تَغْلِبُ الْكَاتِبِينَ^٢.
فَقَفَّوْتُ الشَّيْخَ فِي تِلْكَ الْبِقَاعِ، وَقُلْتُ: يَا فِرَزْدَقُ أَيْنَ وَقَاعٌ؟ قَالَ:^٣
انزِلْ بِنَاهُنَا، وَاللَّيْلُ يُوَارِي حَضَنًا. فَانزَلْنَا إِلَى أَنْ اسْتَوْهَنَ اللَّيْلُ، وَإِذَا
رَجَبٌ عَلَى شَيْطَظْمَةٍ^٤ مِنْ حِيَادِ الْحَيْلِ، تَنْدَفِقُ بِهِ كَمَا رَضَ السَّيْلُ. وَهُوَ
بَيْنَ ذَلِكَ يُنَادِي، أَلْسَيْلٌ وَأَهْضَامُ الْوَادِي. وَاسْتَمَرَّ يَبْعُدُ الْمَمْلُجَةَ، عَلَى
سُورَتِهَا السَّمْلُجَةَ. فَمَا أَدْرَكَنَاهُ إِلَّا وَقَدْ اسْتَمَخَرَ الضُّحَى، وَكَلَّتِ الْحَيْلُ^٥
مِنَ الْوَحَى^٦. فَانزَلْنَا جَمِيعًا عَنِ الشَّرُوجِ، فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَرْوَجِ. حَتَّى إِذَا
انْجَابَ بِبُهِرِ الْأَنْفَاسِ، وَثَابَ أَثْمَرُ الْأَفْرَاسِ. ثَارَ رَجَبٌ كَالرَّثْبَالِ، وَقَالَ:^٧
لَا تَقْسُطْ عَلَى أَبِي حِيَالٍ، وَتَرِكَ الْقَوْمَ يَكْسِرُونَ عَلَيْهِ أَرْعَاطَ النَّبَالِ^٨.

١ الصر: ربط ضرع الناقة بحيث لا يرضع الفصيل. ومراد القوم أنه إن لم يحسن الكلام فهو يحسن الخدمة.

٢ عرفت ذينك الصاحبين: عرف أنهما الشيخ الخزامي وغلame رجب. تغلب الكاتبين: أي تغلب الملكين اللذين كل واحد منهما يكتب سننات كل منهما فلا يقدران على إحصائها لكثرتها.

٣ الفرزدق: هو همام بن غالب وكان له غلام يقال له وقاع كان يرسله في قبائحه. وسهيل يشبه الشيخ بالفرزدق وغلame بوقاع لأنه يستخدمه في حوائجه السيئة.

٤ حضناً: هو جبل عظيم في نجد. استوهن الليل: دخل في الوهن وهو نحو نصف الليل.
٥ شيطمة: أي فرس فتية جسيمة.

٦ الأهضام: جمع هضم وهو ما اطمان من الأرض. أي احذر الليل ومهاوي الوادي. المملجة: هي أن يقارب الفرس بين خطواته مع الإسراع.

٧ السملجة: السريعة الخفيفة. استمخَرَ: ارتفع.
٨ الوحى: المرعة.

٩ انجباب: انكشف وزال. بهر الأنفاس: ضيقها. أشر: نشاط. الرثبال: الأسد.

١٠ تقسط: من القسط وهو الجور. لا تقسط على أبي حبال: مثل يضرب لمن يحذر جانبه ويخشى انتقامه. الأرعاط: جمع رعظ وهو مدخل النصل في السهم كان يكسره الرجل من العرب إذا اغتاظ لأنه كان يحط في الأرض بسهامه فيكسر أراعظها. وهو مثل يضرب في شدة الغيظ.

المقامة الثانية والخمسون

وتعرف بالعمانية

قال سهيلُ بنُ عبَّادٍ : ألقنتي صُرُوفَ الزمان ، إلى عُمان^١ . فدخلتها وقد
أذنتُ بِرَاحِ بِالسِّراجِ ، وهتفُ داعي الفلاح . حتى إذا مررتُ بفناء الجامع^٢ ،
إذا الحُزاميُّ هناك رانع . والناس حوله كالحجيج في المزدلفة^٣ ، أو في موقف
عَرَقة^٤ . فابتدرتُ إليه العبُور ، وقد استطيرَ فؤادي من الحُبُور . وجلستُ
للسَّمَرِ ، بين تلك الزُّمَرِ . فقضيناها ليلةً أهَّجَ من زهر الرُّبى ، وأنفَجَ^٥ من
نشر الكِبا^٦ . والشيخ يتلو علينا أساطير الأوَّلين والآخريين ، ويطرُفنا بمجديث
العابرين والغابرين . حتى هوَّمَ الكرى المفارق^٧ ، وكدنا نستقبل غُرَّة الطارق^٨ .
فهجعنا هنالك ، غُبرَ الليل ذلك . ولما كانت الغداة ، وقد انقضت الصلاة^٩ .
هجم علينا شيخٌ أرمشٌ أغفش^٩ ، كأنه أبو الحسن الأخفش . فحيًّا من

١ عمان : مدينة باليمن .

٢ براح ، بفتح الباء : علم للشمس . البراح ، بكسر الباء : الغروب . داعي الفلاح : المؤذن .

٣ المزدلفة : موضع بين عرفات ومنى يبيت فيه الحجاج .

٤ عرقة : الجبل الذي تقدم عليه الضحايا .

٥ أنفج : من قولهم نفجت الريح إذا هبت شديدة .

٦ الكبا : عود البخور .

٧ حتى هوام الكرى المفارق : حتى أمال النعاس الرؤوس غرة الطارق : كوكب الصبح .

٨ غير : بقية . الغداة : بين صلاة الصبح وطلوع الشمس .

٩ أرمش : متفتل الأهداب . أغفش : في عينه غمص وهو الوضر الأبيض السائل منها .

الأخفش : الصغير العينين . وهو لقب ثلاثة من علماء العربية .

حَضَرَ ، وقال : أرى عمائم البدو على وجوه الحَضَرَاءِ ، فقال الشيخ : بل ترى تيجان العرب على أعيان مَضْرٍ . فمن أنت يا مَنْ يَسْلُبُ السيفَ فِرْنْدَهُ ، والصريفَ زُبْدَهُ ؟ قال : إن كنت من أهل تلك الأماكن ،^٣ فما قيود المساكن ، باعتبار المساكن ؟ فتفكر ، ريثما تذكر . ثم أنشد :

لِمَسْكِنِ النَّاسِ يُقَالُ الْوَطْنُ وَمِثْلُ ذَلِكَ لِلجِبَالِ الْعَطَنِ
إِصْطَبِلُ خَيْلَ زَرْبٍ شَاءَ وَوَرَدَ وَجَارُ ضِعِّ الْعَرِينِ لِلْأَسَدِ
وَنَفَقُ الْحُنْدِ كِنَاسٌ لِلظَّبَاءِ وَالنَّافِقَاءُ لِلرَّايِيعِ خِبَاءُ
جُحْرُ الضَّبَابِ قَرِيَةٌ لِلنَّمْلِ وَهَكَذَا خَلِيَّةُ النَّعْلِ^٥
وَالوَكْرُ لِلطَّيْرِ وَأَفْحُوصُ الْقَطَا مِنْهُ وَأُدْحِيُّ الشَّعَامِ ارْتَبَطَا
وَالكُورُ لِلزُّبُورِ ، وَالْعِنَاكِبُ لَهَا الْبُيُوتُ فَادْرِهَا يَا صَاحِبُ^٦

قال : حَيِّيتَ وَحَيَّيْتُ ، وَأَعْيَيْتَ وَلَا عَيْبَتَ . فما قيود السَّعَةِ ،^٧
إن كنت من شُوسِ الْمَعْمَعَةِ ؟ فَأَهْنَفَ كَوَالِدَةٍ ، وَأَنْشَدَ كَأَبِي عُبَادَةَ :^٨

بَيْتٌ فَنَسِيحٌ دَارُهُ قَوْرَاءُ ، صَدْرٌ رَحِيبٌ مُقَلَّةٌ نَجْلَاءُ
بَطْنٌ رَغِيبٌ وَطَرِيقٌ مَهْبِيعٌ ، وَالثَّوْبُ قَفْضَاضٌ كَدْرَعٌ تَمْتَعُ^٩

١ يريد أن الخزامي وسهلا قد لبسا ملابس أهل البادية وهما من الحضرة .

٢ كنى بتيجان العرب عن العمائم .

٣ فرنده : ماءه وجوهره . يريد أنه قد أراد أن يسلب منهما شرفهما وخلاصة نسهما . الصريف : اللبن ساعة يجلب . والزبد : ما يستخرج بالمخض من لبن البقر والغنم .

٤ الظبَاء : الغزلان .

٥ الضبَاب : جمع ضب .

٦ العناكب : جمع عنكبوت .

٧ أعيبت ولا عيبت : أعجزت غيرك ولا أعجزت .

٨ شوس المعمة : أبطال الحرب . الإهتاف : ضحك في فتور كضحك المستهزئ . وقيل : هو خاص بالنساء . وولادة : هي بنت المستكفي بالله الناصري ، كان مجلسها بقرطبة منتدى للشعراء والظرفاء .

٩ كالدرع الحديدية فإنه يقال درع فضفاضة .

وأرضنا واسعة ، والقدحُ يوصفُ بالرحاحِ فيما اصطَلَحوا
 قال : سَقِيتَ الغريضَ ، يا كعبةَ القريضِ ! فما قيودُ الامتلاءِ ، عندَ أهلِ
 الجلاءِ ؟ فقال : جَرِي المذَكِّياتِ غِلاةٌ . وأنشد : ٢

يُقَالُ عَيْنُ ثَرَّةٍ ، والبَحْرُ طامٌ ، وطافِحٌ لَدِينَا النهرُ ٣
 كأسٌ دِهاقٌ ، وجِفانٌ رُدْمٌ ، وزاخِرُ الوادي إناةٌ مفعومٌ .
 وجِفْنُكَ المِتْرَعُ ، والسفِينةُ بكلِّ كَيْسٍ أعجْرٍ مشحونهُ
 وقِرْبَةٌ مُتْأَقَّةٌ ، والطَّرْفُ مُعْرَوْرِقٌ إذْ غَصَّ نَادٍ فاقفُ ٤

قال : لا شَلَّتْ أناملُكَ ، ولا كَلَّتْ عوامِلُكَ . فهل تعرفُ قيودَهُ
 الخِلاءِ ، وتجعلُها خاتمةَ الإِمْلاءِ ؟ قال : سِيَّانُ الحِماةِ والقائِحةُ ، فما أشبهُ
 الليلةَ بالبارحةِ . وأنشد :

أرضٌ من الناسِ يُقالُ قَفْرٌ جُرْزٌ من الزرعِ إناةٌ صِفْرٌ
 ودارنا من الأهالي خاويه مثلَ البطونِ من طعامِ طاويه
 والمرءُ من كلِّ سلاحٍ أعزلٌ ، ورجلٌ من دونِ سيفٍ أميلٌ
 أجْمٌ من رُمحٍ ، ومن قوسٍ رمى أنكبُ ، والأكشَفُ من ترسٍ حَمِيٌّ
 حافٍ بلا نعلٍ ، وحاسرٌ بلا عِمامةٍ ، عارٍ من الثوبِ خِلا

١ الغريض : ماء المطر . القريض : الشعر .

٢ الجلاء : البيان . المذكيات : الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان . والغلاء : جمع غلوة وهي مقدار رمية السهم . مثل يضرب لمن يوصف بالتبريز على أقرانه .

٣ عين : المراد بها عين الماء .

٤ أي فاتح هذه القيود .

٥ شلت : من الشلل وهو فساد يكون في اليد . يقال : كل السيف إذا ذهب مضاهه . والعوامل : جمع عامل وهو ما يلي السنان من الرمح . كنى به عن القلم .

٦ يقال أجْم : إذا كان خالياً من الرمح . وأنكب : إذا خلا من القوس . وأكشف : إذا خلا من الترس ..

وقلبٌ زبيدٌ فارغٌ من شغلٍ ، وخطهٌ غفلٌ بغير شكلٍ
 وحاجبٌ أمرطٌ جفنٌ أمعطٌ ، وأصلعُ الرأسُ وجسمٌ أملتطُ
 وهكذا غيمٌ جهامٌ من قطرٍ ، وقيل : خذٌ أمردٌ من الشعرِ
 ولبنٌ من زبيدهِ جهيرٌ ، وطلقٌ من قيدهِ الأسيرِ
 وامرأةٌ من الحليِّ عطلٌ زلاءٌ لا يشخصُ منها الكفلُ^١
 وعلطٌ من وسمهِ البعيرِ ، ونزوحٌ من المياهِ البيرِ
 وشجراتٌ سلبٌ من ورقٍ ، فاقنعٌ بما ذكرتُ واترك ما بقي

قال : فلما رأى القومَ ورِيَّ شرارهِ ، وقرِيَّ غرارهِ ، قالوا :
 نعيذك بالله من نفسٍ حرِيٍّ ، وعينٍ شرِيٍّ ! فهل لك أن تكون لنا خطيباً؟^٢
 وكفى بالله حسيباً . قال : نحنُ في المشربِ شرعٌ ، والطيورُ على أشكالها تقع .^٤
 فإن رأيتُ ما يسدُّ الحلةَ ، ويردُّ الغلةَ ، فأنا منكم نسباً وحلةً .^٥
 وربُّ ظئرٍ رؤومٌ ، خيرٌ من أمِّ سؤومٍ . فرضخوا له باحتلابِ شطرٍ ،
 وقالوا : أوَّلُ الغيثِ قطرٌ . فارتفق على مُصلّاهُ ، وقرأ : إذا عزمتُ^٦
 فتوكّل على الله . قال سهيلٌ : ولم يكن إلا بعضُ خذمة^٨ ، حتى وقّدتِ

١ يشخص : يرتفع .

٢ وري : يقال وري الزند إذا أخرج ناراً . فري غراره : أي قطع حد سيفه .

٣ حرى : مؤنث حران بمعنى شديد العطش ، يريدون به من يضمر الحقد والعداوة . شرى : أي شريرة .

٤ حسيباً : وكيلاً . شرع : سواء . الطيور على أشكالها تقع : يمثل يضرب في تألف النظائر .

٥ الحلة : الفقر والحاجة . الغلة : العطش . فأنا منكم نسباً وحلة : أي أكون واحداً منكم في النسب والوطن .

٦ ظئر : حاضنة . رؤوم : عطوف . أم سؤوم : ذات ضجر . رضخوا : أعطوا قليلاً .

رضخوا له باحتلابِ شطر : من قولهم في المثل : حلباً لك شطره ، وذلك لأن للناقة أربعة أخلاف كل اثنين منها شطر ، يعني أنهم أكرموا به شطر من الإكرام الذي كان يستحقه .

٧ ارتفق : اتكأ على مرفقه . مصلاه : البساط الذي يصلي عليه .

٨ خذمة : ساعة .

امرأة^١ حسنة اللثمة ، فقالت للشيخ : هللم^٢ بأبي عبادة^١ ، فقد كلّفت^٣
الشهادة . قال : علي^٤ أن أشهد بالحق ، كما أشهد للحق . ونهض بي كالسارية ،
في أثر الجارية . والقوم إليه ينظرون ، وله^٥ ينتظرون . فلما انتهينا إلى بعض
المناصع ، سقرت^٦ كليته^٧ ، وإذا هي كريمته^٨ . فوفقت^٩ متدهداً ، فزجرني^{١٠}
مقهمهاً . وأنشد :

لم أزوجُ سداً خلّتي من التّفَرِّ ، فقد عزمتُ بغمّةٍ على السّفَرِ
متكلاً فيهِ على رِدْوِ القَدَرِ ، فلم أكنُ في أمرهم مَنّ عَدَرِ^{١١}
وأنتِ يا بُنيَّ كُنْ مَنّ عَدَرِ !

ثم قال : إن كنت الرفيق ، فهذه الطريق . وإلاً فعليك السلام ، ولا
ملام . فخرجت^{١٢} بين الحية والحية ، ولم تفترق إلى ديار طهية^{١٣} .

١ أبو عبادة : سهيل .

٢ المناصع : الأمكنة الحالية . سقرت : كشفت وجهها . كليته : الجارية التي كانت تكلمه .
متدهداً : مترجماً من العجب والذهول لعلمه أنها حيلة .

٣ رده : عون .

٤ الحية والحية : أي الشيخ وابنته ، والحية مصغر الحية . طهية : حي من بني تميم .

المقامة الثالثة والخمسون

وتعرف بالفزية

حَدَّثَنَا سَهِيلُ بْنُ عَبْدِ قَالَ : خَرَجْنَا مِنَ الْعَوَاصِمِ ، نَزِيدُ غَزَّةَ هَاشِمٍ .^١
فَأَعْمَلْنَا السَّنَابِكَ وَالْفَرَاسِنَ ، وَوَرَدْنَا الْآجِنَ وَالْأَسِنَ . حَتَّى دَخَلْنَاهَا بَعْدَ^٢
الْأَيْنِ ، بَيْنَ الْعِشَاءِ . وَقَدْ عَلَّتْ أَوْجُهَنَا وَمَنَحَتْ مِنَ السَّقَرِ ، وَلَمَنَحَتْ^٣
مِنَ الْكَدَرِ . فَاتَّخَذْنَا بِهَا الْمَضَاجِعَ ، وَاعْتَمْنَا كُلُّ مَنْ دَعَا الْهَاجِعَ . فَلَمَّا انْسَلَخَ
النَّهَارُ مِنَ اللَّيْلِ ، وَجَرَّتْ الْغَزَالَةُ فَضَلَ الذَّيْلُ . خَرَجْنَا نَتَفَقَّدُ أَرْضِيهَا الْخَضْرَاءَ^٤
وَالْبَيْضَاءَ ، حَتَّى إِذَا مَرَرْنَا بِدَارِ الْقَضَاءِ ، سَمِعْنَا لَتَقَطَّ وَضَوْضَاءَ . فَعَرَّجْنَا عَلَى^٥
ذَلِكَ اللَّجَبِ ، وَإِذَا الْخُرَامِيُّ مُتَعَلِّقًا بِرَجَبٍ . وَهُوَ يَقُولُ : أَيَّدَ اللَّهُ الْقَاضِيَّ ،
وَأَنْقَذَ حُكْمَهُ الْمَاضِيَّ . كَانَ لِي نَدِيمٌ رَقِيقٌ الْمَبَانِي ، دَقِيقٌ الْمَعَانِي . ظَرِيفٌ
الشَّكْلُ ، حَصِيفٌ النَّقْلُ ، خَفِيفٌ الْوَضْعُ وَالْحَمْلُ . بَدِيعٌ الْفِكَاهَةُ وَالْبِدَاهَةُ ،^٦
بَعِيدٌ السَّقَاهَةُ وَالْفَهَاهَةُ . يُؤَسِّنِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، وَيُغْنِينِي عَمَّنْ يَزُورُ أَوْ يُزَارُ .

- ١ العواصم : بلاد قصبها أنطاكية . غزة هاشم : مدينة قديمة بالقرب من القدس الشريف .
- ٢ الفراسن : حوافر الخيل وأخفاف الجمال . الآجن من الماء : هو المنتن إذا كان يمكن شربه ، فإن كان فوق ذلك حتى لا يستطاع شربه فهو آسن .
- ٣ الأين : التعب والإعياء . المشاءين : المغرب والعتمة . ومحة : أثر الشمس .
- ٤ دعة الهاجع : راحة النائم .
- ٥ الخضراء : ذات الأغراس .
- ٦ البيضاء : التي لا أغراس بها . عرجنا : ملنا .
- ٧ اللجب : الضجيج .
- ٨ حصيف : محكم . البداهة : سرعة الخاطر .
- ٩ الفهامة : المعجز عن الكلام .

ويخدمني الصباح والمساء ، ولا يشرب لي قطرة ماء . ويبدل المعونة ، على غير مؤونة^١ . ويسأل فيعطيني ، ويخطو فلا يخطي . طالما أبدى ، فأهدى . وأعاد ، فأفاد . لا يهزه الدلال ، ولا يستفزه^٢ الملل . ولا يعرف الغضب ، ولا يسيء الأدب . ولا يكتم عني سراً ، ولا يعصي لي أمراً . وإذا قطعته انقطع ، وإذا استرجعته رجع . وإذا طويته انطوى ، وإذا زويته انزوى ، وإذا ضوبته انضوى^٣ . يلقياني بصدري مشروح ، وباب مفتوح . ووجهه طلق ، ولسان منطلق . فكنت أتخذُه أنيساً ، ولا أريدُ غيره جليساً . وأنعكف عليه آناء الصرعين ، لما أجِدُّ به من طيب النفس ، وقرّة العين . وإن هذا الأحق ، قد مزقه كل مزق . وتركني أهف عليه ، من النعمان على نديميه^٤ . قال : فاضطرب الرجل مرتاعاً ، وتباكى ملتاعاً . وقال : علم الله أني كنت به أبرّ من العمّلس^٥ ، وعليه أحذر من الذئب الأطلس^٦ . فإنه كان راحي ومراحي ، وصباحي ومصباحي . وكان يلهمني عن سغبي وأومي^٧ ، ويشغل الشيخ عن نزاعي وخصامي . ولكن قد فرط ما فرط ليقضي الله أمرأ كان مفعولاً ، وإن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً . فإن شاء الشيخ دية^٨ أو قوداً^٩ ، أو يسلكني عذاباً صعداً^{١٠} . فإني له أطوع من عنانه ، وأوفق من بنانه . فقال الشيخ : أمّا

١ مؤونة : كلفة .

٢ يستفزه : يستخفه .

٣ إذا عزلته اعترل وإذا ضمته انضم .

٤ آناء : ساعات . الصرعين : الليل والنهار .

٥ هما خالد بن المفضل وعمرو بن مسعود اللذان قتلهما الملك النعمان .

٦ العمّلس : رجل كان يكرم أمه حتى كان يحج بها حاملاً إياها على ظهره .

٧ الذئب الأطلس : هو الذي في لونه غبرة إلى السواد ، قيل : هو أخبث الذئاب .

٨ سغبي : جوعي . أومي : عطشي .

٩ دية أو قوداً : ثمن الدم أو القصاص بالقتل .

١٠ أو يسلكني عذاباً صعداً : أو يعذبني عذاباً شديداً .

وقد كان ذلك من خطأ فعله ، فتحريرو رَقَبَةَ مُؤْمِنَةٍ وِدِيَّةً مُسَلِّمَةً إلى أهله . ولكن هل بالرمال أو شال ، وكيف يُرجى الرّي من الآل ؟ قال :^١ أنا أسمى بما تبسّر ، ونحطّ عني ما تعسّر . وأخذ يطوف على الجماعة من قوره ، وهو ينشد في أثناء دوره :

أهأ من الأيام والليالي قد علمتني مهنة السؤال !
وعاضت الإذلال بالإذلال ، فذقت من لواعج البلبال !
مالم يكن يحظر لي بيال لكن قضى لي الله ذو الجلال
برفدكم ، يا كعبة الآمال ، فإن عدا الدهر فما أبالي !^٢

وجعل يُردّدُ الأبيات بين مطافه ، ويُلين أعطاف استعطافه . فعاد إلى الشيخ بقدر ، وقال : هذا ما قيضه القدر^٣ . فإن رضيته وإلا ألحقتُ الحس بالإس ، وأغمضتك عن يحس أو يحس . فانكفأ الشيخ إلى خلفه ، وقال : ليس يُلام هارب من حتفه^٤ . قال سهيل : فلما خرج قفوته أعتقب ، إلى حيث لا مُرتقب . وقلت : هيات أن أطلق سبيلك ، أو تُعرّفني قبيلك ! قال : هو كتاب ألفاه هذا الشيطان^٥ ، في بعض زوايا الحان ، فمزقه الفأر شذر مذر ، وعلاه بالرجس والقدر . وتركني أنوح عليه^٦

١ أو شال : جمع وشل وهو الماء المنحدر من الجبل . الآل : ما تراه نصف النهار كأنه ماء .

٢ رفدكم : مساعدتكم وانعامكم . عدا : بغي .

٣ بقدر : بمقدار من المال . قيضه : قسم به . القدر : قضاء الله .

٤ ألحق الحس بالإس : مثل يضرب في إلحاق الشيء بالشيء . أغمضتك : أخفيتك . يحس أو يحس : كلاهما بمعنى يتفقد الأخبار غير أن الأول يكون في الشر والثاني في الخير .

٥ حتفه : موته .

٦ أعتقب : أمشي بعقبه .

٧ الشيطان : أي رجب .

٨ شذر مذر : ذهبوا في كل ناحية . الرجس : الدنس .

بِرَفَرَاتٍ تَتَسَرَّى ، وَأَبْكِي بِأَجْفَانٍ شَكْرَى . ثم ناولني لِفَافَةً سَبِينِيَّةً ،^١
وقال : إذا أصبحتَ فخذها إلى القاضي برسم الهدية . وانطلق يعدو في العراء ،
ولا يلتفتُ إلى الوراء . قال : ففضضتُ تلك الغاشية ، وإذا الكتابُ فيها
كالهشيم^٢ قَصِمَتْهُ الماشية ، وقد علَّق فيهِ على الحاشية :

هَذَا الْقَتِيلُ الْمُهْتَدَى بِنَارِهِ جِئْتُ إِلَى الْقَاضِي لِأَخَذِ ثَارِهِ
مَنْ جَرَذَ الْفُنْدُقِ أَوْ مِنْ فَارِهِ ، وَهُوَ لِحُبِّ اللَّبْثِ فِي جِوَارِهِ^٣
أَوْصَى بِأَنْ نَدْفِنَهُ فِي دَارِهِ !

فَأُتِمِرْتُ بِإِشَارَتِهِ ، وَأُطْرِفْتُ^٤ الْقَاضِي بِعِبَارَتِهِ . فضحك حتى هَوَتْ
قَلْبُنْسُوتُهُ ، وَالتَّوَتْ عَنصُوتُهُ . وقال : هل لك أن تُرُدَّهُ فَأَحْتَمِلَ مِنْ^٥
كِرَامَتِهِ ، فَوْقَ مَا أَحْتَمِلْتُ مِنْ غِرَامَتِهِ^٦ ؟ قلتُ : هِيَاتِ إِنَّهُ وَالْعُقَابُ ،
فَرُخَانِ فِي نِقَابِ ! وكان ذلك بيننا وسيلة الرِّدَادِ وَالتَّرْدَادِ ، حتى خرجتُ^٧
من تلك البلاد .

- ١ تَتَرَّى : متتابعة . شكرى : ممتلئة من الدموع . سبينية : نسبة إلى سين وهي قرية من أعمال بغداد تنسج بها الثياب .
- ٢ الهشيم : النبات اليابس .
- ٣ الفندق : الحان .
- ٤ أطرفت : حدثت .
- ٥ القلنسوة : من ملابس الرأس . عنصوته : الشعر المتفرق في رأسه .
- ٦ من كرامته : من إكرامي له بالعطاء . من غرامته : من الدية التي سعى بها .
- ٧ إنه والعقاب فرخان في نقاب : مثل يضرب للمتشابهين . الترداد : الزيارة مرة بعد أخرى .

المقامة الرابعة والخمسون

وتعرف بالسوادية

حكى سهيل بن عبّاد قال : خرجتُ على ناقةٍ أجْد ، كأنها طودُ أحد^١ .
فاندَقَعَت بي تنهيبُ الطريق ، وتَحترقُ الشَّيق والنَّيِّق ، حتى أشرفتُ على^٢
تنوفةٍ حافلةٍ بالأشائب ، مشحونةٍ بالكائب والجنائب . وكانت الشمس قد^٣
جَنَحَت إلى مغاربها ، فألقيتُ حبلَ ناقتي على غاربها . حتى إذا أدركتُ القومُ
مِلتُ عنهم بعضَ الميبل ، وقلتُ أخوك أم الليل^٤ . قالوا : إنَّ أخاك من
أساك ، فلا تُطِل أساك . فلما آنستُ منهم أنساً ، طِبتُ قلباً ونفساً^٥ .
فعرَّجتُ إلى المعرَّس ، وقمتُ بينهم أتفرَّج وأتفرَّس . وإذا الخزاميُّ بين^٦
قومٍ قد تآزروا كالعيص ، وهم يتعاطون رحيقاً كالهصيص ، برقد^٧
كالأصيص . فلما رأني قال : نورٌ على نور^٨ ، قد التقى سهيلٌ بالشعرى

١ ناقة أجْد : قوية موثقة الخلق . أحد : جبل بالمدينة .

٢ الشيق : أصعب موضع في الجبل . النيق : أرفع موضع في الجبل .

٣ تنوفة : فلاة . الأشائب : أخلاط الناس . الجنائب : المطايا تقاد غير مركوبة .

٤ الغارب : ما بين السنام والعنق . وهو مثل يضرب في تراءٍ المطية تذهب حيث شاءت .

٥ مثل يضرب عند الارتياح في الشخص تحت ظلام الليل .

٦ أساك : أصلح أمرك . أساك : حزنك . آنست : رأيت .

٧ المعرس : مكان النزول ليلاً . أتفرس : أستثبت بنظري .

٨ تآزروا : التفوا . العيص : الشجر الملتف . رحيقاً : خمرة صافية . الهصيص : بقايا النار

تلمع بين الرماد . برقد : قح ضخم .

٩ الأصيص : وعاء تزرع فيه الرياحين . نور على نور : سهيل والخمرة .

العُبُور ! فبتناها ليلةً رقيقة الحواشي ، صفيقة الغواشي . حتى إذا حَشَرَ^١
السَّحَر ، تداعى القوم للسَّفَر . وكانت المزاود قد خَفَّت ، والمزادُ قد جَفَّت .^٢
فجعلوا يمزجون الإسراء بالمسير ، ولا يُبالون بـابنِ ثَمِيرٍ أو جَمِيرٍ . وما زالوا^٣
يَضْرِبُونَ فِي الآفَاق ، حتى تَبَطَّنُوا سِوَادَ العِرَاق . فنصبوا السُّرَادِقَ ،^٤
وانتصبوا حوله كالرَّزَادِقِ . قال : وكان هناك شيخٌ من عُلَمَاءِ البَلَدَيْنِ ،^٥
كان يُلِيمُ بِنَا فِي الأَبْرَدَيْنِ^٦ . فدخل يوماً إلى فِنَاءِ المَسْجِدِ ، وإذا الخِزَامِيُّ^٧
هناك يُنْشِدُ :

عَاتَبُونِي عَلَى القَطِيعَةِ لَمَّا طَالَ عَهْدُ التَّوَايَ وَطَالَ التَّقَارُ
قَلْ لَهْمُ : إِنَّ مِنْ يَزُرُنِي أَرْزُهُ كُلَّ يَوْمٍ ، وَمَنْ يَزُورُ يُزَارُ

فتلقاه الشيخ مُتَعَرِّضاً ، وقال له مُعْتَرِضاً : إنَّ إِيخْلَالَ مِثْلِكَ بالإعراب ،
بما يُعَدُّ مِنَ الإِغْرَابِ . فوثب شيخنا السَّرِنْدِيُّ ، كأنه السَّبِينْدِيُّ ،^٧
وقال : أَجَلٌ وَسَقُوطٌ مِثْلِكَ فِي الوَهْمِ ، بما يدِقُّ عَلَى الفَهْمِ . إن كنت أنت
الفَرَاءُ ، أو مُعَاذُ المَهْرَاءِ ، فأينَ يَعودُ الضميرُ ، على مُطْلَقِ التَّأخِيرِ ؟ وكم^٨
هي أوجهُ الشُّبُهَةِ فِي بِنَاءِ الأَسْمَاءِ ، وكم أَقْسَامُ التَّنْوِينِ عِنْدَ العُلَمَاءِ ؟ وأيُّ لَفْظٍ
يَسْتَوِي اسْتِعْمَالُهُ اسْمًا وَحَرْفًا ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي حَرْفِيَّتِهِ ظَرْفًا ؟ وأيُّ مُضَافٍ

١ الشعري العبور : هما نجمان . صفيقة : مكتنزة . جسر : طلع

٢ المزاود : أوعية الطعام . المزاد : آنية الماء .

٣ الإسراء والمسير : مشي الليل والنهار . بـابنِ ثَمِيرٍ أو جَمِيرٍ : بالليل القمر أو المظلم .

٤ سواد العراق : رستاقه وهو عدة قرى . السرادق : الخيمة من نسيج القطن .

٥ الرزادق : الصفوف من النخل . البلدين : البصرة والكوفة .

٦ الأبردين : الغداة والعشية .

٧ السرندي : الشديد القوي . السبندى : النمر .

٨ الفراء : هو يحيى بن زياد الأسلمي ، كان عالماً جليلاً في النحو . معاذ الهراء : هو معاذ
ابن مسلم الهراء شيخ الكسائي المشهور ، وهو الذي وضع علم الصرف . على مطلق التأخير :
على المتأخر لفظاً ورتبةً .

ينصب المضاف إليه ، ولفظها لا يطرأ التغيير عليه ؟ وأي الأسماء يُعرب من مكانين ؟ وأيّها يحتاج إلى مُعرّفين ؟ وأيّها يكون في الإعراب والبناء بينَ بين ؟ وأيّها يُعرب أصله ويُبني قرعهُ ؟ وأيّها يُمنع من الصرف مُفردُهُ وجمعه ؟ وأيّها يكون ثلثناه زوائد وأيّها لا يبقى منه إلا أصل واحد ؟ وأين تقوم أربعة أحرف في الحفظ ، وتسقط كلها في اللفظ ؟ وكَم هي طُرُق الإعلال ، في الأسماء والأفعال ؟ قال : فأخرد الشيخ من الإعياء ، وأقرَد من الحياء . فقال الخزامي : وَيَعَكَ إن كنت من حجارة الحرار ، فإن من الحجارة لَمَّا يتفجر منه الانهار ! ولقد أجَلتكَ إلى قُباقب ، عسى أن يتراءى لك النجم الثاقب . فاشتدَّ بالشيخ الوجوم ، حتى تعذَّر أن يَفوهَ ولو بمنل نقيق العُلجُوم . فلما رأى ماءهُ يَنْضُب ، ولونه كحرباءٍ تَنْضُب ، رَقَّت له منه بِناتُ أَلْبِيب . فأخذَ معه في التَلَطُّف والتعطف ، ونبَدَّ عنه التَّصَلُّف والتعسف . فلما خَمِدَت جَذْوَتُهُ ، وأنِسَّت جَفْوَتُهُ . قال : عَلِمَ اللهُ ما بي أن أرتجَ علي ، في ما ألقى إلي . ولكن أن يتندَّد ذلك فتسقط حرمتي ، وينصرف الناس عن تكرمتي . فإن شئت أن تقبلَ هذا الطيِّلسان مني ، وتكتمَ هذا الشأنَ عني ! قال : لا خَوْف ، إني أوفسى

١ يطرأ : يحدث .

٢ هذه القواعد مشروحة في علمي الصرف والنحو .

٣ الإعياء : العجز . أقرَد : سكن وتمامت .

٤ الحرار : الأراضي الغليظة . قباقب : العام الذي يأتي بعد العام المقبل .

٥ الثاقب : المضي .

٦ نقيق العُلجُوم : أي صوت ذكر الضفادع . ينضب : يجف .

٧ تنضب : اسم شجر يتعلق به الحرباء . بنات ألبب : هي عروق في القلب يقال إن الرحمة تكون بها .

٨ التصلف : التكبر والتكلم بما يكره صاحبه . التعسف : ضد الرفق . جذوته : جمرته .

٩ أرتج علي : يقال أرتج عليه بصيغة المجهول إذا استغلق عليه الكلام . يتندد : يشيع .

من عَوْفٍ ! وحاشا لله أنْ أُنْتُ لكَ سِرّاً ، أو أَعْطَيْتَ مِنْكَ بِيَرّاً . ثم
خَرَجَ بَيْسٌ فِي طَيْلَسَانِهِ كَالْعُطْبُولِ^٢ ، وَهُوَ يَقُولُ :

قِيلَ لِمَنْ سُنْتُ فِي الْعِرَاقَيْنِ : إِنِّي قَدْ جِئْتُ الْإِمَامُ بِالطَّيْلَسَانِ^٣
مَأْرَبٌ لَا حَفَاوَةَ^٤ مِنْ حَرِيصٍ رَامَ بِالطَّيْلَسَانِ طَيِّ لِسَانٍ^٥ .

قال سهيل^٥ : فلما فاء الشيخ إلى فسطاطه ، وعلدوا ما كان من تبريزه^٥
واشتطاطه ، وانخذاذال صاحبه وانخطاطه . باؤوا له بحق الزعامة ، وبوأوه^٦
ذروة الكرامة . فلبث في صحبتهم أياماً ، لا يتجشم^٧ نفقة ولا طعاماً .
حتى أزمع^٨ البين ، فادلج^٨ لا كسعد القين ، وهم يفدون^٨ بسواد القلب^٨
والعين .

١ أوفى من عوف : هو عوف بن محلم الشيباني ، يضرب به المثل في الوفاء . أنت : أفتى .
أعطى : أجدد .

٢ العطبول : المرأة التامة الخلق .

٣ العراقيين : الكوفة والبصرة .

٤ المأرب : الحاجة . الحفاوة : العناية بأمر الرجل وإكرامه . طي لسان : كناية عن كتم
الحديث .

٥ فاء : رجع . الفسطاط : بيت كبير من الشعر .

٦ اشتطاطه : سبقه وتجاوزته الحد . باؤوا : أقروا . بوأوه : أحلوه .

٧ يتجشم : يتكلف .

٨ أزمع البين : عزم عليه . ادلج : سار من آخر الليل . القين : الحداد . وسعد : اسم رجل
كان حداداً مشهوراً بالكذب . يفدون له : يقولون له : نفديك .

المقامة الخامسة والخمسون

وتعرف بالدمياطية

قال سهيل بن عبّاد : أزمعنا الشّخوص إلى دِمِيَاط ، في رَكْبٍ من الأنباط . فأعدّنا النواطقَ والصوامت ، وأغذّنا حتى كلّت بنا الشوامت .^١ وما زلنا نطأ الوعثَ والجَدَدَ ، حتى أفضينا إلى البلد . فدخلناه على كل^٢ طلوح ، وقد دلّكت دلوح ، واغبر^٣ لَوَح اللّوح . فلما انجابت وعشاء^٤ الخلج ، وانجلت أغشاء الرّهج . برزنا نتجرّ الأردية ، حتى مررنا ببعض الأنديّة . وإذا الخزاميّ ورجب ، تليهما امرأة^٥ بادية الحدّب ، مُنادية بالحرب . فتقدّم رجب كالأيّهم ، وهو قد بسرّ ونجهم ، كأنه من جنّ^٥ جيّهم . لو قال : حيّا الله السادة الذين يحمّون الحقيقة ، ويتسلّون الوديقة^٦ ،

- ١ الأنباط : قوم يزلون بالبطائح بين العراقيين . النواطق : كناية عن الخيل والجمال .
- الصوامت : كناية عن الدنانير والدرهم . أغذّنا : أسرعنا . الشوامت : قوائم المطايا .
- ٢ الوعث : الأرض اللينة . الجدد : الأرض الصلبة .
- ٣ طلوح : يعبر طلوح إذا أعياه السفر . دلكت : غربت . دلوح : من أسماء الشمس . اللوح : الجو بين السماء والأرض . وعشاء : مشقة .
- ٤ الخلج : أن يشتكي الرجل عظامه من طول المشي والتعب . أغشاء : يجمع غشاء وهو ما يحمله السيل من القش ونحوه ؛ يريد به ما يلصق بالبدن من الهباء على أثر العرق . الرهج : الغبار .
- ٥ الأيهم : المجنون . بسر : تجهم ؛ كلعج وانقبض .
- ٦ جيهم : مكان يوصف بكثرة الجن . يحمون الحقيقة : ما تحقّ حمايته . يتسلّون : يسرعون العدو . الوديقة : أي في الوديقة وهي شدة الحر .

ويسوقون الوسيقة . إن امرأتي هذه عجوزٌ حمقاء ، قرّنعٌ خرّقاء . مترهلة^١
 خديّة ، خنثلة طرطبة . تلقاني بلمّة بيضاء ، وبشرة سوداء ، وعين^٢
 صفراء ، ونكهة دفواء^٣ . توشكُ أن تأكل البعير ، وتشرب الغدير . وهي على
 ذلك بدّيّة اللسان ، عربيّة من الإحسان . لا تذكر حُرمة ، ولا تشكر
 نعمة . تهرّ كالكلاب ، وتعوي كالذئب . إذا استقبلتها لطّمت ، وإذا
 أدبرت عنها رجّمت . تشدخ بظفر المخلّب ، وتنهش بنباب كسينان^٥
 قعضب . ولقد كانت تظلم بكفّها ، فصارت تلطس بحفمها . وكانت^٦
 تمنعي الدخول إلى الدار ، فصارت تمنعي المبيت حول الجدار . وقد منبت^٧
 منها بالداء العياء^٨ ، والداهية الدهياء . إن همّمت بطلاقها ، عجزت عن
 صداقها . وإن تكالّفت عليها الجكّد ، فلا قرار على زأر من الأسد .
 فثارت تلك المرأة السفهية ، وقالت : يا للعضية ! قد هتك هذا الوغد^٩
 أستاري ، حتى كأنه جرّدي من أطماري ! ويلك يا أنقس ، يا ابن الفلنقس !^{١٠}
 أما تذكر عيبك ، وربك ؟ وشؤمك ، ولؤؤمك ؟ وفاقتك المدقعة ،^{١١}

١ الوسيقة : الإبل المأخوذة في الغارة ، أي أنهم يسوقونها بالرفق لعدم خوفهم من يلحقهم من أربابها . وكل ذلك من أمثال العرب . قرّنع : بلهأ . سئل عنها أعرابي فقال : هي التي تكحل إحدى عينيها وتترك الأخرى وتلبس قميصها مقلوباً . خرّقاء : لا تحسن العمل . مترهلة : مسترخية اللحم .

٢ خديّة : سميّة هوجاء . خنثلة : عظيمة البطن . طرطبة : عظيمة الثديين . اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . بشرة : ظاهر الجلد .

٣ دفواء : منتنة .

٤ بدّيّة : فاحشة .

٥ تشدخ : تشق . المخلّب : ظفر السبع والطائر . نهش : تعض .

٦ قعضب : هو رجل في الجاهلية كان يعمل الأسته . تلطس : تضرب .

٧ الجدار : حائط البيت . منبت : بليت .

٨ الداء العياء : الذي يعجز الطبيب عنه .

٩ العضية : الكذب والبهتان . هتك : شق . الوغد : الرجل الذي يخدم الناس بطعامه .

١٠ أطماري : أثوابي البالية . أنقس : ابن الأمة . ابن الفلنقس : الذي أبوه عبد .

١١ المدقعة : الملتصقة بالتراب .

وأسمالك المرفقة؟ تأتيني كل يوم بمعتبة، وما في يدك عنظبة. ثم تجلس^١
على التكرمة، وأنت شامخ الهرثة. فتأخذ في الأمر والنهي، والإيجاب^٢
والنفي. وتقول: يا حبذا الإمارة، ولو على الحجارة! وزوج من عود،
خير من القعود. ساء ما توهم، وشاه وجهك الأدم^٣! ولت شعري
ما أصنع برجل أبرد من عبقر، وأذل من فقح بقرقر. ليس له ثاغية^٤،
ولا راغية. ولا عنده حصص، ولا بخص. وهو على ذلك أظلم من^٥
الحيفقان، وأنقص من الزبرقان. يشبب باللاميط والواحيظ، وهو أقبج^٦
من الجاحظ. ويدعي ببداهة ابن جماعة، على بلاهة بني خزاعة. ويقذف
بهجو جرول، ولا يعرف أدب الأخطل. ولكن قد جرى القلم، ومن^٧
أشبه أباه فما ظلم. قال: فتار الشيخ كمن مسه الجئون، ودار حولها
كالمسجون. وقال: يا دفار! أما اكتفيت بفعلك، مع بعلك، الذي^٨
وطيته بعلك، حتى تعرضي لي بجهلك^٩، وتلحفيني بعار أهلك؟ إن كنت

١ أسماك: ثيابك البالية. عنظبة: جرادة.

٢ التكرمة: الوسادة. الهرثة: السواد الذي بين منخري الكلب، أي شامخ الأنف.

٣ شاه وجهك الأدم: قبحة الله.

٤ عبقر: حب البرد. الفقح: الكمأة البيضاء الرخوة. القرقر: القاع الأملس. يضرب بها
المثل في الذل. ثاغية: نعجة.

٥ راغية: ناقة. حصص: نبات. بخص: رشح ماء، وهما مثلان يضربان لمن ليس عنده شيء.

٦ الحيفقان: رجل يضرب به المثل في الظلم. الزبرقان: القمر. التشبيب: التنزل بالنساء.
الملامظ: ما حول الشفتين. الواحيظ: كناية عن العيون.

٧ ابن جماعة: هو أيوب بن يزيد الهلالي، وجماعة أمه، وهو ينسب إليها لشهرتها. كان
معدوداً من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة. وأما جرول فهو المعروف بالخطبة،
قيل له ذلك لقصر قامته. كان قبيح المنظر دني النفس بخيلاً. وأما الأخطل فهو غياث بن
الغوث التغلبي، قيل له الأخطل لاسترخاء كان في أذنيه. وكان معاصراً للفرزدق وجرير
ويعد من طبقتهما في الشعر.

٨ المنجون: الدولاب. يا دفار: يا مننة.

٩ بناء على أنه هو أبو الرجل.

ريحاً فقد لاقيت إحصاراً ، ورُبَّ قرارةٍ تسفَّهت قراراً . ثم اقتصمها^١
فاندفعت ، ورفسها فانصرعت ، ثم قامت فوقعت . وهي تشتم بكل شفةٍ
ولسان ، وثُبريرٍ بما لا يفهمه إنسٌ ولا جان . فأضحكت القوم كما أضحك
الصحابة نعيمان ، أو الهدهد جنود سليمان . فقال الشيخ لصاحبها : طَلَّقْهَا^٢
بتاناً ، لا جمَعَ الله لها شيئاً ! وعليَّ تحصيل ما تخشى منه الأثقال^٣ ، ولو كان
ألف مثقال . فما نشب أن طَلَّقْهَا كما أشار ، وأخذ الشيخ يطوف على القوم
وهو يقول : النار ، ولا العار ! حتى إذا فرغ من مسعاه ، دفع إليها ضفث^٤
مرعاه ، وقال : اذهبي فقد أينعت دوحة الصبر ، وتمتع المهتاض بالجبر .^٥
فقلت : هيلتكما الهوابل ، ولا بشرت بملككما القوابل ! « هذا ما وعدت^٦
الرحمن وصدق المرسلون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ،
فدعهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون . » ولما أدبرت
تلك الدرديس ، أقبل الشيخ على القوم كالعنتريس . وقال : قد غبر من^٧
نوالكم قد عملة ، لا تقضي أشكلة . فإما أن تستردوها ، أو تريدوها .^٨
فرسحوها له ببلالة وقالوا : خذ من القُطوف ما دنا ، وقُل : لن يُصيبتنا
إلاً ما كتب الله لنا . فانقلب لهجاً بحمدهم ، مبهجاً برِقدِهم^٩ . قال سهيل :

- ١ إحصار : ريح شديدة تثير الغبار كالعمود ؛ وهو مثل يضرب للمعز بنفسه إذا لقي من هو أشد منه . القرار : صنف من الغم قصير الأرجل قبيح الصور ، والقرارة الواحدة منه .
- ٢ نعيمان : هو أحد الصحابة كان مزاحاً يضحكون منه كثيراً . أو الهدهد جنود سليمان : يشير بذلك إلى قصة سليمان الذي دعاه الهدهد وقدم إليه وإلى جيشه جرادة .
- ٣ الأثقال : المهر الذي يجب لها .
- ٤ الضفث : الخزمة من الحشيش . كنى به عن المال الذي جمعه . أينعت : أثمرت . دوحة : شجرة . المهتاض : الكسير .
- ٥ هيلتكما الهوابل : أي فقدتكما الأمهات الفاقات أولادهن .
- ٦ الدرديس : العجوز الكبيرة . العنتريس : الناقة العظيمة . غبر : بقي .
- ٧ قد عملة : شيء يسير . أشكلة : حاجة .
- ٨ رقدتهم : نوالهم .

فلما بآء على حافرته ، في أثر زافرتة . تعقبتُهُ لأعرف تلك الشهيرة الطائق،^١
فإذا هي ابنته العاتق . وهي قد نفّضت عنها المهرم ، واستوت كبانة العلم .^٢
فعمّيت من غرابة حاله ، وخلاصة^٣ معاله ، واغتنمت صحبته إلى أوان
ترحاله .

-
- ١ بآء على حافرتة : رجع في طريقه . زافرتة : عشيرته . أي الرجل والمرأة . الشهيرة
الطائق : العجوز المطلقة .
- ٢ العاتق : الفتاة التي لم تتزوج بعد . العلم : جبل يكثر فيه شجر البان ويقال له : علم
السعد .
- ٣ خلاصة : خديعة .

المقامة السادسة والخمسون

وتعرف بالاسكندرية

حدّث سهيلُ بنُ عبّادٍ قال: نَحَوْنَا الإسكندرية من القاهرة، في عُفْرَةٍ صاهرة . فكُنَّا نَقِيلُ بياضَ اليومِ ، ونَسْتَبْدِلُ السَّرَى من النومِ . وبينما نحن في ليلةٍ كالحة الإهاب ، حالكة الجلباب . عَرَضَ لنا شَبِجٌ أسود، على جملِ أقوَدٍ . فتَوَأَّبَ القومُ إليه كِبَنَاتِ طَبَقٍ، وما لبثوا أن جاؤوا به في الرَبَقِ . فلما أسفر ابنُ ذُكَّاهِ ، وانتقب وجه الأفتق بالأياء . تفرّستُ في أسيرنا الظلاميِّ، وإذا هو شيخنا الخزاميُّ . وقد تلبّدَ عُثُونُهُ كالثُربِ، وعليه خَيْعَلٌ كَطَيْلَسَانَ ابنِ حربٍ . فقلتُ : اللهُ أكبرُ ، قد مدرّتم المنبرُ ! هذا الخزاميُّ الذي يُفِيدُ البُهَجِ ، ويُفِدِي بالمُهَجِ . فتَأَسَّبَ القومُ حوَالِهِ ، وأخذوا يتنصّلون إليه . فلما سَكَنَ جَزَعُهُ ، واستكانَ زَمَعُهُ . قال: يا بُزاةَ الليلِ ، وغزاةَ الخيلِ . أَهَجِّمَ على دَوَسِرِ النُّعْمَانِ ، أم على مَرَدَةِ

١ نحونا : قصدنا .

٢ في عُفْرَةٍ صاهرة : في شدة حر مذيبة . نَقِيلُ : نزل للراحة والنوم .

٣ كالحة : عابسة متقبضة . الإهاب : الجلد . حالكة : شديدة السواد .

٤ أقود : طويل الظهر والعنق . بنات طبق : كناية عن الدوامي .

٥ في الربق : أي مربوطاً بالخبال . ابن ذكاه : الصبح . الأياء : الضوء .

٦ عُثُونُهُ : ما نبت من الشعر تحت الحنك . الثُربِ : شحم يفضى الكرش والأمعاء .

٧ خيعل : قميص بلا أكمام . ابن حرب : هو أحمد المهلبى أعطى إسماعيل البصري طيلساناً رثيلاً بالياً . مدرّتم : دنسّم .

٨ تأسّب : اجتمع .

٩ يتنصّلون : يتبرأون . الجزع : نقيض الصبر . زمعه : ارتعاده .

١٠ بزاة : جمع بلز ، من باب التهكم . دوسر النعمان : هي إحدى كتائب النعمان بن المنذر ملك العرب ، وهي أشدها بطشاً .

عزوان؟ واقتنصم سليك المقانب ، أم طمعتم بفداء حاجب؟ اقد تقلدتم
 قلائد عوكل ، بهجومكم على هذا الضيكل . ولكن قد كان ذلك في الرق^٢
 المنشور ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . فلما انجلى عليهم بدره^٣ ، علا
 لديهم قدره^٤ . فأحفوا له في التكرمة ، وباؤوا من وحشة الغراب إلى^٥
 أنس العكرمة . ثم أخذوا في السير الضريح على متن كل إضريح ، وهو^٦
 يؤنسهم في التعريس والتعريح . حتى ألقوا عصا السفر ، في السرار من صقر^٧
 فنزلنا في منزل مأهول ، قد بني للمعلوم والمجهول . وأقمنا في ذلك الحواء^٨
 إلى ليلة السواء . وإذا شيخ قد ناهز العمرين ، كأنه أحد العمرين^٩ .
 فجلس مجلس الفقيه ، وأخذ ينثر اللآلئ من فيه . حتى إذا تبادت به الأشواط ،
 في شقة بعيدة النياط . تصدئ له رجل قضاقص ، كأنه فرافص^{١٠} .
 وأخذ ييم معه في كل واد ، ويتلون كأم الحيين في الأعواد . حتى أفضى
 الأمر إلى الشقاق ، والستور إلى الانشقاق . فقال : إني أراك بين الفقهاء ،
 كالمستعصم^{١١} بين الخلفاء ! إن كنت فقيه العصر فأبي رجل صح بيعه أباه ،

- عزوان : قبيلة من الجن . سليك المقانب : هو سليك بن سلعة . حاجب : هو حاجب
 ابن زرارة التيمي ، قيل إنه كان إذا وقع في أسر يفدي نفسه بأربع مائة بغير ، ف ضرب
 ١ المثل بفدائه .
 ٢ قلائد عوكل : كناية عن المخازي . الضيكل : الفقير العريان . الرق : جلد رقيق يكتب عليه .
 ٣ أحفوا : بالنوا . باؤوا : رجعوا .
 ٤ العكرمة : أنثى الحمام . الضريح : الشديد . إضريح : فرس جواد شديد العدو .
 ٥ التعريس : نزول المسافر ليلا . التعريح : نزول المسافر نهاراً . السرار : آخر ليلة من الشهر .
 ٦ الحواء : جماعة بيوت من الناس .
 ٧ ليلة السواء : ليلة أربع عشرة من الشهر . العمرين : كناية عن الثمانين سنة . العمرين :
 هما أبو بكر وعمر .
 ٨ شقة : مسافة . بعيدة النياط : طويلة الطريق . قضاقص : غليظ قصير . فرافص : أسد
 شديد غليظ .
 ٩ أم الحيين : أنثى الخرباء .
 ١٠ المستعصم : هو عبد الله بن المستنصر العباسي ، كان ضعيف الرأي قليل الخبرة بأموال الملك ، يقضي
 أوقاته بسماع الأغاني ولعب الطيور والتفرج على المساخر . وكان على جانب من الحمق والتففل .

واستحق الثمن فاستوفاه؟ وأي غاصب لا يبوأ بالرد^١ على المالك، وأي رجل أتلّف شيئاً فلزمه شيئان هنالك؟ وأين تُردّ شهادة مُسلمين، وتُقبل شهادة ذميين^٢؟ فأطرق الشيخ أي بطراق، واحتبكت عليه المسألة كحبك النطاق. فاستطال الرجل واهتز، وقال: من عز^٣ بز^٤. قال: فنار الحزامي كالفتيق العذافر^٥، وعمد إلى ذلك لرجل الظافر. وقال: قد علمت يا شيخ الحرم، أن انتهاك الحرم، من الحرم. ولقد رأيتك تحوض في المعقول^٦ والمنقول^٧، وتمزج الفروع بالأصول. إن كنت من العلماء، فما هي أنواع الإنشاء؟ وبماذا يفرق أهل الدراية، بين الاستعارة والتشبيه وبينه وبين الكناية؟ وما هي المقولات العشر^٨ والكليات الخمس، وما هو التناقض في القضايا والعكس؟ فارتبك الرجل في تلك المسائل، ولم يكن عنده طائل ولا نائل. قال: إن كنت قد أنكرت هذه النظائر، فكم طائفة في جناح الطائر؟ فإن كنت قد استخشت الشرس، فكم دائرة في جلد الفرس؟^٩ فإن رأيت التخفيف أحب، فكم عقدة في ذنب الضب؟ فتخازر الرجل^{١٠} وشزر، وقال: عدا القارص^{١١} فحزر. ثم غلبت عليه الأنفة، فلم يفقه^{١٢}

١ هذه المسائل مفصلة في علم الفقه.

٢ من عز بز: مثل قاله رجل من طي، ومعناه من غلب سلب.

٣ الفتيق: الفحل المكرم من الجمال. العذافر: العظيم الشديد.

٤ الحرم، بفتح الحاء والراء: البيت الحرام. انتهاك الحرم: عبارة عن خرق المهابة.

الحرم، بضم الحاء وفتح الراء: المحرمات. المعقول: كعلم المنطق والبيان.

٥ المنقول: كعلم النحو والفقه.

٦ لم يكن عنده طائل ولا نائل: مثل يضرب للعاجز الذي لا غنى عنده. إن كنت قد أنكرت

هذه النظائر: إن كنت قد استغربت هذه المسائل العقلية فأنا أسألك عن المحسوسات لعلك

تدركها.

٧ فكم طائفة في جناح الطائر: ينقسم جناح الطائر إلى خمس طوائف: أولها القوادم ثم

المنكب ثم الحواشي ثم الأباهر ثم الكلي وهي آخره. الشرس: جمع شرسة وهي شجر شائك.

فكم دائرة في جلد الفرس: يقال إنها ثماني عشرة دائرة.

٨ فكم عقدة في ذنب الضب: قيل إنها إحدى وعشرون. تخازر: ضيق جفنيه ليحدد النظر.

٩ عدا: تجاوز. القارص: اللين الحامض الذي يلذع اللسان. حزر: حمض جداً. وهو مثل

يضرب في تقام الأمر واشتداده.

بِئْتِ شَفَةَ . ثُمَّ سَمَرَ ذَيْلَهُ وَأَنْقَلَبَ ، وَقَدْ تَحَطَّمَ كَالْمَخْشَلَبِ . فَلَمَّا انْصَاعَ
أَخْبَطَ مِنْ عَشْوَاهُ ، وَأَخْيَبَ مِنْ قَابِضِ عَلَى الْمَاءِ . قَالَ الشَّيْخُ : زَعَمَ هَذَا
الْحَبْنَطِيُّ ، أَنَّ يَرُوعُنَا بِالضَّبْغَطِيِّ . وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ دُونَ مَا يَأْمَلُهُ نَهَابِيرٌ ،
وَهُوَ أَفْوَتٌ مِنْ أَمْسِ الدَّابِرِ . فَنَارٌ إِلَيْهِ ذَلِكَ الشَّيْخُ الْمُتَوَرِّ ، وَقَدْ التَّأَمَّ
صَدَعُ قَلْبِهِ الْمَبْتُورِ . وَقَالَ : لَا جَرَمَ أَنَّكَ بَاقِعَةُ الْبُؤَاعِ ، وَفَلَكَ النَّسْرُ
الْوَاقِعُ . وَإِنِّي لِأُرَاكَ ضَيْقَ الْحَالِ عَلَى سَعَةِ النَّظَرِ ، فَخُذْ هَذِهِ الْجَدْوَى
وَاسْتَعْنِ بِهَا عَلَى مَوْؤُونَةِ السَّقْرِ . قَالَ : وَهَآكِ مَنِي وَصِيَّةٌ تَعْقِدُ عَلَيْهَا بِنَانِكَ ،
وَتَرُوضُ بِهَا لِسَانِكَ . إِنَّ الْعِلْمَ إِنِ أَكْرَمْتَهُ أَكْرَمَكَ ، وَالْمَالَ إِنِ أَكْرَمْتَهُ
أَهَانَكَ . فَدَارَتْ وَصِيَّتُهُ فِي تِلْكَ الْعِرَاصِ ، كَمَا دَارَتْ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ . فَلَمْ
يَسْقَ فِي الْقَوْمِ إِلَّا مِنْ بَضٍّ لَهُ حَجْرُهُ ، وَغَضٌّ عَلَيْهِ شَجْرُهُ . فَوَدَّعَهُمْ
وَأَثْنَى ، وَهُوَ يَسْحَبُ ذَيْلَ الْغَنِيِّ .

- ١ - المخشلب : قطع الزجاج المتكسر . انصاع : انفتل راجعاً بسرعة .
- ٢ - أخبط : من قولهم خبط البعير الأرض بيده إذا ضربها . العشواء : الناقة التي لا تبصر ليلاً فهي تطأ كل شيء . وهو مثل في التهافت والارتباك .
- ٣ - الحبنطى : القصير المنتفخ البطن . الضبغطى : شيء يفرغ به الصبي . نهابر : مهالك .
- ٤ - أفوت من أمس الدابر : مثل يضرب في فوات مما لا مطمع في نيله . التأم : التحم .
- ٥ - صدع : شق . المبتور : المقطوع . باقعة البؤاع : داهية الدواهي .
- ٦ - النسر الواقع : اسم نجم . وهما نسران أحدهما يقال له النسر الواقع والآخر الطائر .
- ٧ - إن أكرمته : إن رعيت حرمة وحافظت عليه .
- ٨ - العراص : الساحات بين الدور . كلمة الإخلاص : لا إله إلا الله .
- ٩ - بضع له حجره : أي سال منه الماء قليلاً . كنى بذلك عن إعطائهم إياه شيئاً . غض : أخضب وصار طرياً .

المقامة السابعة والخمسون

وتعرف بالتحديدية

قال سهيل بن عبّاد: عبيّنت بي لواعج الوجد، إلى زيارة نجد. فتسنّمت^١ الأكوار، وطويّت الأنجاد والأغوار. حتى نقت^٢ مجلوها غلّتي، بعد اللّتيّا والتي. فلما سرّت عني وعكّة السرى^٣، وقضت أجفاني وطرّ الكرى. قمت أطوف الحلة بعد الحلة، وأنفقّد الأحياء المشمّلة^٤. حتى إذا كنت صبيحة يوم، بمننّدي زعيم القوم. وقد شيخ أوهي^٥ من الشبام، بليه فتّى أسهى من البشام. فجمم الشيخ محقّوقفاً، وانتصب^٦ الفتي محصّوصفاً^٧. وقال: أعزّ الله الوالي، وأذلّ له أعناق الموالي! إن هذا الشيخ قد استعبدني منذ عام، كما تستعبد أولاد حام. وهو عبّيد^٨ فلنسه، لا يقوم ميرة نفسه. فتراه ألام، من أسلم. وأحمق من عجل^٩.

١ الوجد : الشوق . نجد : قسم من بلاد العرب .

٢ تسنمت الأكوار : علوت رحال الجمال . الأنجاد والأغوار : أي الأراضي المرتفعة والمنخفضة . نقت : أرويت .

٣ بعد اللتيّا والتي : أي بعد لقاء الشدائد والدواهي . سرّت عني وعكّة السرى : ذهبت مشقة مشي الليل .

٤ وطر الكرى : حاجة الناس أي النوم . الحلة : منزلة القوم . المشمّلة : المتفرقة .

٥ أوهي : أضعف .

٦ الشبام : خيط تشد به المرأة برقعها إلى قفاها . البشام : شجر طيب الرائحة . محقّوقفاً : منحنيّاً .

٧ محصّوصفاً : ضامّاً رجليه إلى بعضهما .

٨ أولاد حام : السودان .

٩ ميرة : زاد . أسلم : رجل يضرب به المثل في اللؤم . عجل : هو عجل بن لجم بن وائل . سئل عن اسم فرسه نفقاً عين الفرس وقال : سميت الأعدور ! فصار مثلاً

في الحماسة .

وأقلقت من الحجل ، في الرّجل . بيد أنّه ملاقٌ مدّاق ، سفّاف^١
شقشاق . لا يزال يهذّر ويهذرم ، ويبربر ويُدمدِم . ويلغو بالكلم^٢
الجاهليّة ، ويعبث بالتمويهات الحزّعليّة . إذا طلبت منه قطعة ، أنشدني^٣
أبياتاً سبعة . وإذا قلت : لي مسألة ، قال : هاتِ الدّواة والمِرْملة . وإذا
التمست منه الصّرف ، جاءني بألف حرف . وهو يتأنق بهجن جامدة^٤ ،
من لغة العرب البائدة ، ليس لها طلاوة ولا فائدة . فثار الشيخ كالمعتوه^٥ ،
وقد أزيد فوه . وقال : بهراً لك يا عفّنقس ، يا ماقط الأنقس ! متى^٦
تشدّقت بهذه الشفاغ ، وتمطّقت بهذه الضفاغ^٧ ؟ ذرّ عنك هاتي الجعظرة
الحضمة ، والفظاظة المضلخمة . وإلا ففخت رأسك العفنجج ، ولو كنت^٨
حفيد العرنجج . قال : فضحك القوم من هذا التنصل ، الذي يشهد للثّمة^٩
بالتأصل . وكان بينهم رجل أضخم ، فتبازخ كالتيار الأعجم . وقال :^{١٠}

- ١ الحجل : الخلل . ملاق مذاق : غير مخلص . سفّاف : سخيّف . العبارة .
- ٢ شقشاق : كثير الكلام . يهذرم : يسرع في كلامه . يبربر : يتكلم بألفاظ وحشية كألفاظ البرابرة .
- ٣ التمويهات : هي أن تخبر بخلاف ما سئلت . الحزّعليّة : الباطلة .
- ٤ مسألة : أي طلبية . هاتِ الدّواة والمِرْملة : يحملها على المسألة العلميّة .
- ٥ التمسّت منه الصّرف : أن يصرفني عنه . جاءني بألف حرف : يحمل الصّرف على علم التصريف . يتأنق : يتفنن معجباً . هجن : جمع هجته وهي ما لا يستحسن من الكلام .
- ٦ عرب البائدة : هم الذين بادوا وانقرضت أجيالهم . المعتوه : المجنون .
- ٧ أزيد فوه : طلعت عليه الرغوة . بهراً : تمسّاً . عفّنقس : لثم . ماقط : عبد العبد المعتق . الأنقس : ابن الأمة .
- ٨ الشفاغ : جمع شفشقة وهي ضرب من هدير الجمال . الضفاغ : جمع ضفصفة وهي أن تلوك العجوز التي لا أسنان لها شيئاً بين حنكها .
- ٩ ذرّ عنك هذه الجعظرة الحضمة : أترك هذه الغلاظة العظيمة . المضلخمة : الشديدة . ففخت : ضربت ، وهو خاص بالضرب على الرأس . العفنجج : الضخم .
- ١٠ العرنجج : اسم حمير بن سبأ جد ملوك اليمن . التنصل : تنصل من ذنبه أي تبرأ منه .
- ١١ أضخم : معوج الانس . تبازخ : أخرج صدره . التيار : الموج . الأعجم : الذي ارتفع قبل أن يتنفس .

إني أراك في العريبة راسخ القدم ، فهل تعرف أيام الأسبوع في القدم ؟
فتحازر تحازر القيان ، ثم قال : جرى ابنا عيان ، فاستجل البيان^١ . وأنشد :

لأول الأسبوع قيل أوهد^٢ ، في قدم الدهر ، وأهون العبد
ثم جبار بعده دبار^٣ ، فمؤنس^٤ عروبة^٥ شيار^٦

قال : لا تربت يدك^٧ ، ولا طربت عداك ! إن كنت تعرف ألقاب
الشهور ، فأنت العلم المشهور . فإكتام^٨ واشرب^٩ ، ثم جنم واستتب^{١٠} . وأنشد :

مؤتمر^{١١} وناجر^{١٢} خوان^{١٣} من لقب الأشهر والصوان^{١٤}
زبأه^{١٥} بأد^{١٦} أصم^{١٧} واغل^{١٨} وبعد ذلك باطل^{١٩} وعاذل^{٢٠}
ورثة^{٢١} وتيرك^{٢٢} الحتام^{٢٣} وقيل غير ذلك والسلام^{٢٤}

قال : لله درك ما أبعد غورك^{٢٥} ، وأقرب نورك^{٢٦} ! فإختم^{٢٧} بد^{٢٨} كرم^{٢٩}
الأشهر الحرم^{٣٠} ، إن كنت ممن أتم^{٣١} ما كرم^{٣٢} . فقال : اللهم^{٣٣} اجعلنا ممن حسن^{٣٤}
ختامه^{٣٥} ، وانجلي قتامه^{٣٦} . ثم أنشد :

ثلاثة^{٣٧} من الشهور سرد^{٣٨} وواحد^{٣٩} عقيب ذلك فرد^{٤٠}
دو قعدة^{٤١} وحجة^{٤٢} محرم^{٤٣} ورجب^{٤٤} وهي الشهور الحرم^{٤٥}

١ تحازر : ضيق جفنيه . القيان : الجواري المغنيات . ابنا عيان : هما خيطان يخطهما العائف
في الأرض يزجرهما الطير ثم يقول : ابنا عيان أسرع البيان . فإذا علم أن القامر يفوز
بقده قيل جرى ابنا عيان .

٢ المراد بأوهد : يوم الأحد ، وهلم جرأ إلى شيار : وهو السبت .

٣ تربت : افتقرت .

٤ إكتام : قعد على أطراف أصابعه . استتب : استقام وتمكن .

٥ المراد بالمؤتمر : شهر المحرم لأنه أول السنة وهلم جرأ إلى ذي الحجة .

٦ غورك : عمقك . نورك : زهرك .

٧ سرد : أي مجتمعة .

٨ قيل لها ذلك لأن العرب كانوا لا يستحلون فيها القتال ، وكانت العرب تستحل دماء بني
خثعم وبني طي لاستحلالهم الدماء فيها .

قال : فلما رأى القوم اتساعَ روايته ، وارتفاعَ رايته . علموا أنه
صِلُّ أصلال^١ ، فنظروا إليه بعين الإجلال . ولما رأى إقبالهم عليه ، وارتياحهم
إليه . قال : يا جهابذة البلاغ ، وهرايبذة المعامع . علم الله أني لست^٢
بجمع الكف ، كما يزعم هذا الهجف . ولكن قد أناخ الدهر عليّ بكنكلكه^٣ ،
وأخسى عليّ الهرم بأفكلكه . فلم يبق لي عافطة ، ولا نافطة . وصرت^٤
أسغب من السيدان ، بعدما كنت أقري الهيدان ، والزويدان . ولو استطعت^٥
أن أقوم بأمرى ، لأطلقتُ هذا الفتى من أسري . ولكنني ما زلتُ أعللُ
نفسى بالمنى ، وأمنّبه بالعنى . لعل الله يقبض^٦ لي فتحاً قريباً ، أو يكتب^٧
لي بمثلكم نصيباً . قال : فاستعذب القومُ كلامه ، واستعدروا غلامه^٨ .
وقالوا : قد كتب ربك على نفسه الرحمة ، ولكن ما كلُّ سوداء تمرّة ولا
كلُّ بيضاء شحمة . فإن الناس قد لؤموا وجشعوا ، حتى لو سئلوا التراب^٩
أوشكوا أن يملكوا ويمنعوا . فإن شئت أن تجاورنا غير هذه الشئبة ،
وتكتفي ذلّ السؤال وغصّة الحية . وإلا فخذ هذه النحلة^٩ ، واعتمد

- ١ صل أصلال : حية تقتل لساعتها إذا سمت .
- ٢ جهابذة : جمع جهيد وهو النقاد الخبير . اليلامع : جمع يلعمي وهو الذكي المتوقد الفؤاد .
الهرايبذة : الذين يوقدون النار عند المجوس . المعامع : مواقع الحرب .
- ٣ جمع الكف : بخيل . الهجف : الخافي الثقيل . كللكه : صدره . أي ضغفه كما يضغظ
البعير من أناخ عليه .
- ٤ الأفكل : الرعدة . المراد بالعافطة : النعمة ، وبالنافطة : العنز .
- ٥ أسغب : أجوع . السيدان : جمع سيد وهو الذئب ، يضرب به المثل في الجوع ولذلك يقال
للجوع الشديد داء الذئب . أقري الهيدان والزويدان : أقري من أعرفه ومن لا أعرفه .
- ٦ يقبض : يقدر .
- ٧ استعدروا غلامه : وجدوه معذوراً .
- ٨ ما كل سوداء تمرّة ولا كل بيضاء شحمة : ليس كل الناس موضعاً للرحمة والإحسان . لؤموا :
بخلوا . جشعوا : حرصوا أشد الحرص .
- ٩ النحلة : العطية .

الرحلة . قال : حَبَّذا جِوارُكم لولا ضَفَفٌ^١ خَلَفْتُ ، وموَعِدٌ أَخَلَفْتُ .
 فوَصَلوهُ كُلُّ واحدٍ بدينار ، وأرَحَلوهُ ناقةً ذاتَ سفارٍ^٢ . قال سهيلٌ :
 وكنت قد تنسَمْتُ رِيحَ خِزَامِهِ ، وظَلَفْتُ نَفْسِي عن التِّزَامِهِ^٣ . فلما شقَّ
 العِصاُ خَرَجْتَ في أثرِهِ ، حتى صِرْتُ بِمَرْمَى بَصَرِهِ . فقال : أنتَ من
 المولَدِينَ في هذا الزمان ، لا تعرفُ لُغَةَ يَعْرُبَ بنِ قحطان ، فعدُ إلى أن
 يُصادِفنا تُرُجُمان . ثم انسَدَرَ يَعدو كالظلم ، وغادَرَني كالسليم . فعدتُ^٤
 وأنا أعجبُ من فُتُونِهِ ، في جِدِّهِ ومُجُونِهِ^٥ .

١ الضفف : أن تكون العيال على المائدة أكثر من الطعام الذي عليها .

٢ سفار : حديدة توضع على أيف البعير بمنزلة الحكمة من الفرس .

٣ ظلقت : منعت . التزامة : اعتناقه .

٤ شق العِصا : فارق الجماعة .

٥ المولدين : أي عربي غير محض لأنه قد ربي بين الحضرمي .

٦ فعد إلى أن يصادفنا تُرُجُمان : يقول ذلك على سبيل التهكم والرقاعة . انسدر : هروا .

الظلم : ذكر النعام . السليم : الذي لسمته الحية .

٧ مجونه : هزله .

المقامة الثامنة والخمسون

وتعرف بالعكاظية

قال سهيل بن عبّاد: خرجت للتجارة في البوادي^١، مع صاحب كسلاّم الحادي . فكان يُطربني بمجدائه الأنيق ، ويحبّب إليّ طول الطريق . وما زلنا نطوي بيساط الفجاج ، وننشُر لواء العجاج . حتى أتينا سوق عكاظ^٢، في هاجرة كالشواظ . فأخّطنا كهشم المحتظر^٣، وإذا الناس كالجراد المنتشر^٤. وقد أخذ بعضهم في المتاشدة والملاحزة ، وبعضهم في المعاجاة والمعاجزة^٥، وبعضهم في المفاكهة والمجارزة . فجعلنا نطوف بين تلك الطوائف ، ونجتني القطائف واللطائف . حتى مررنا بلفيف من نواصي العرب ، وإذا الخزامي بينهم ورجب . وهما قد أخذوا في المباراة والمجاورة ، والمجاراة والمساورة . حتى مالت إليهما كل صاغية ، وتفتّعت لهما كل فاغية . فلما رأى^٦

١ البوادي : بلاد العرب .

٢ سلام الحادي : رجل كان حادياً للإبل لحسن الصوت في الغاية . الأنيق : المعجب .

٣ الفجاج : الطرق الواسعة بين الجبال . لواء العجاج : راية الفبار أي نثيره بأخفاف جمالنا . سوق عكاظ : هي سوق للعرب بناحية مكة .

٤ الهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر . الشواظ : هب النار . الهشم : النبات اليابس ، المتكسر . المحتظر : الذي يعمل الحظيرة ، وهي بيت الغنم .

٥ الملاحزة : المجاوبة بالقوافي . المعاجاة : نوع من الألفاظ . المعاجزة : مطارحة المسائل المعجزة .

٦ المجارزة : مفاكهة تشبه المشامة .

٧ القطائف : ما يقطف من الثمار . كنى به عن الفوائد . لفييف : قوم مجتمعين من قبائل شتى . نواصي العرب : أشرافهم .

٨ المساورة : المواثبة ، استعارها للمقاومة في الكلام . صاغية : أذن . فاغية : الزهر قبل أن يتفتح .

الشيخ انصباب الناس إليهما ، وانصياهم عليهما . اخرتشم وخرنظم ،
واندقق على صاحبه كالغطمطم ، وقال : وبلك يا أبرد من حرجف ،
وأيبس من حرسف ! قد أردت أن تطاول السمهرية ، بالسندرية ،
وتطارد العناجيج ، بالحراجيج . فإمّا أن تسلبني أطماري اليوم ، وإمّا أن
أجردك بين القوم . قال : اشحذ غرارك يا شيخ النار ، واستهدف لسهام
العار ! قال : إن كنت من الأدباء ، فما قيود الأبناء ، باعتبار ضروب
الآباء ؟ قال : قد ناديت مجيباً ، وعاديت نجيباً . ثم أنشد :

للخيل مهرٌ وحوارٌ للجمل ، والجدي للمعزى وللشاء الحمل
والعجل للثور وللحمير عفو ، كذا الخنوص للخنزير
وسبل ليث ولضبع فرعل ، وجرو كلب ولقيل دغفل
غفر لوغل وفرار للفرأ ، كذاك يعفور مهاة ذكرا
وخرنق لأرنب ، وتنفل لثعلب ، ولابن آوى نوفل
طلا الغزال ديسم للذب ، جارن حية وحسن الضب
وشقذ حرباء كذا للثمل ذر ، وجاء هرنع للقميل

- ١ انصياهم : تهاقهم . اخرتشم : تكبر في نفسه . اخرنظم : تكبر رافعاً رأسه وهو
مغضب .
٢ الغطمطم : البحر العظيم الكثير الماء . حرجف : الريح الباردة .
٣ حرسف : فلوس السمك . تطاول : تفاخر بالطول . السمهرية : الرماح . السندرية : نوع
من السهام يعمل من السندرة وهي نوع من الشجر .
٤ العناجيج : جباد الخيل . الحراجيج : النياق الطوال على وجه الأرض .
٥ اشحذ غرارك : أي من حد سيفك . شيخ النار : لقب إبليس .
٦ استهدف لسهام العار : انصب نفسك هدفاً لها . ضروب : أنواع .
٧ عاديت : راکضت . نجيباً : كريماً من الإبل .
٨ الفرأ : حمار الوحش . المهاة : البقرة الوحشية .

قَرَّ الدَّجَاجُ ، الرُّأُلُ لِلشَّعَامِ ، غِطْرِيْفُ بَازِيٍّ جَوَزَلُ الحَمَامِ
 لِلكَرَوَانِ اللَّيْلِ ، وَالْحُبَارَى ، قَد ذَكَرُوا لِقَرْنِهَا الشَّهَارَى
 وَلِلْعُقَابِ ضَرْمٌ ، وَالْحَجَلُ لِلْفَرخِ مِنْهَا سُلْكٌ يُسْتَعْمَلُ
 وَالذَّرْصُ لِلهَيْرَةِ وَالْيَرْبُوعُ وَالْفَأْرُ جَارِيًّا عَلَى الْجَمِيعِ

قال : قد أحكمت السداد ، وإن كنت سبداً أسبداً . فما هي أصابع
 الراحة ، وما بينهن من المساحة ؟ قال : راجلٌ يسابقُ الفارس ، ومحتسٌ
 من كيدِهِ وهو حارسٌ ٢ . ثم أنشد :

قُلْ : أوَّلُ الأصابعِ الإبهامُ ، وبعدها سبابةٌ تُقامُ
 وبعدها الوُسطى ، يليها البِنْصِرُ ، وبعدها الصغرى أخيراً خنصرٌ
 وبين إبهامٍ وصغرى شبرٌ ، وما إلى سبابةٍ ففتورٌ ٣
 وبين ذاتِ الفترِ والوسطى رتبٌ ، وبين ذى الوُسطى وبينصرٍ عتبٌ ٤
 والبصمُ بين خنصرٍ وما يلي ، وبين كلهن قوتٌ الخللُ ٥

قال : إن عرفت مراتب الثبات ، فأنت من ثبات الثبات . فضحك
 حتى زجا ، وقال : قد أشرفتني بالشجا . ثم أنشد ٦ :

أوَّلُ نبتِ الأرضِ بارضٌ إذا لم يتَميِّزْ ، والجَمِيمُ بعد ذاك ٧

- ١ السداد : الصواب . سيد أسبداً : داهية في الصوصية يريد أنه قد استرق ذلك من كلامه .
- ٢ محتس من كيدِهِ وهو حارس : مثل يضرب لمن يتحفظ من غيره وهو ممن يجب التحفظ منه .
- ٣ أي والمسافة التي تنتهي من الإبهام إلى السبابة فتر .
- ٤ الفتر أراد بها السبابة لأن الفتر يتعلق بها خاصة بخلاف الإبهام فإنها يتعلق بها الشبر أيضاً .
- ٥ وما يلي : أي وما يليها وهو البِنْصِر . وهو في مقابلة الفتر . فوت الخلل : المسافة التي بين كل إصبعٍ وأخرى يقال لها القوت . والخلل : الفرجة بين الشيتين .
- ٦ ثبات : جماعات .
- ٧ زجا : انقطع ضحكهُ . أشرفتني : أغصصتني . الشجا : ما ينشب في الحلق من عظم ونحوه .
- ٨ إذا لم يتميِّز : أي إذا لم تعرف أنواعه لعدم ظهور أوراقه .

وبعدَهُ البُسْرَةُ فالصَّمْعَاءُ ثم الكَلَا ، فلتَحْفَظَ الأَسْمَاءُ

فلما فرغ من إنشاده أحجم الشيخ القهقري ، فازدلف إليه يمشي^٢
الحيزري . وقال : زَعَمْتَ يا شيخ مهو ، أن البلاغة باللهو ، وأن المخدرات^٣
في البهو . فاخلع إذن ما عليك ، حتى تعلّمك . وإلا وقصت جيدك حتى^٤
الكاهل ، ولو كنت من العباهل . ثم أخذ بجبل وريده ، وأصرّ على تجريده .^٥
فجعل الشيخ يدور كاللؤلؤ لب ، ويرفيس كالتولّب . والفقى يتعلّق بثيابه ،
ويحول دون انسيابه . فأخذت القوم الأنفة ، وساءت تلك الهجنة^٦
المؤتلفة ، والمعرة المكتنفة . وقالوا : نحن نفدي هذه الذعاليب ، بقشيب^٧
الجلابيب . فخل عنك العنّف ، ولا تبليه بمطفئة الرصف . قال : علّم^٨
الله ليس من وسني هذه الأطمار ، ولكن أريد تأديبه بالحزبي والشنار .^٩

١ يقال للنبات بارض إذا نبت ابتداء ، ثم جميم إذا طال قليلا ، ثم بسرة إذا ارتفع فوق ذلك ،
ثم صمعا إذا أثمر ولم يفتق ، ثم كلاً إذا بلغ النهاية .

٢ أحجم الشيخ القهقري : مثنى إلى ورائه . ازدلف : تقدم .

٣ الحيزري : مشية فيها تفكك كمشية المخشين . شيخ مهو : هو عبد الله بن سدره ، وهو
بطن من بني عبد القيس ، اشترى لهم عاراً من بني إياد كانوا يعبرون به طمعاً منه ببردين
أخذهما من رجل إيادي في عكاظ .

٤ البهو : بيت يضرب في مقدم البيوت . وهذا لا تكون فيه المخدرات لأنه منزل للغرباء
ومن يجري مجراهم . وقصت : كسرت ، وهو خاص بكسر العنق . جيدك : عنقك .

٥ الكاهل : ما بين الكتفين . العباهل : ملوك اليمن الذين استقروا على ملكهم لا يزولون عنه .
حبل وريده : العرق الذي في عنقه .

٦ التولّب : ولد الحمار .

٧ الهجنة : الشنعة .

٨ المؤتلفة : التي لم يسبق إليها . المعرة : العيب . المكتنفة : المحيطة . الذعاليب : قطع
الحرق . قشيب : جمع قشيب وهو الحديد .

٩ الجلابيب : الأقمصة . العنف : نقيض الرفق . لا تبليه بمطفئة الرصف : مثل يضرب للداهية
التي تنسي ما قبلها .

١٠ وسني : حاجتي . الشنار : العار .

فلا يَلجُ بعد ذلك في مثل هذا الباب، ويُلقي نفسه بين المِخلَب والناب،
 فتَصرَّ عليه رَجُلُ الغُرَابِ^٢. قالوا: إن عندنا من الفُروض، شِراءَ الأعراض
 بالعروض. على أن تكونَ ناصحَ الجَيْبِ، في الشهادة^٣ والغَيْبِ، فلا تَسوَدَ
 وَجَهَ الشَّيْبِ. ثم جاؤوه بِمِجْلَةٍ وَضُرَّةٍ، وقالوا: إن في ذلك لَأَعْيُنِكُمْ^٤
 قُرَّةً، والله لا يُضِيعُ مِثقالَ ذرَّةٍ. فاضطَبَّهَما وقال: قد دَبَّرَ القومُ^٥
 تَدبِيرَ من طَبِّ، لمن حَبَّ، فادزُجْ أَيها القِرْشَبُ^٦، وخَلِّ دَرَجَ
 الضَّبِّ^٧. فتعلَّقَ بِهِ وقال: إنك بي قد وَصَلتَ إلى ما وَصَلتَ، وَحَصَلتَ
 على ما حَصَلتَ. فهِلمْ نَقْتَسِمِ شِقَّ الأَبْلِسَةِ، ولا يَسْمَعُ الناسُ لنا أَبْلِسَةَ^٨.
 قال: هذا البحرُ^٩ فاعْتَرِفْ، وإلَّا فانصَرِفْ. فانتشَبَ بينهما الجَذَبُ والدَّفْعُ،
 حتى أَفْضَى ذلك إلى الصَّفْعِ. فرثى القومُ لشيخِهِ الجَلْجَبِ، وأمطَرُوهُ كِسْفًا^{١٠}
 من سَحَابٍ. وقالوا: بَاءتَ عَرَارِ بِكحَلِّ، فدونكُمَا الرَّحْلُ، وَحَسَبِكُمَا^{١١}
 الضُّعْلُ. فقالا: شاعَكُمُ السَّلَامُ، وانطلقا بِسَلَامٍ^{١٢}.

- ١ يلج : يدخل .
- ٢ تصر رجل الغراب : ضرب من صرار الإبل لا يقدر الفصيل أن يرضع معه ولا يقدر أن يحمله . والصرار : ربط أخلاف الناقة بحيط لثلا يرضعها الفصيل .
- ٣ العروض : الأمتة . ناصح الجيب : أميناً . الشهادة : الحضور .
- ٤ فلا تسود وجه الشيب : فلا تهتك ستره .
- ٥ ذرة : نملة صغيرة . فاضطبهما : أي احتملها تحت ضبته وهو ما بين الإبط والكشح .
- ٦ تدبير من طب لمن حب : أي تدبير رجل حاذق لمن يحبه . ادرج : امض لسيلك . القرشب : الياض الجافي .
- ٧ خل درج الضب : أي اترك طريقه . يقال إن الضب إذا دخل بين أرجل الناس أصابها ورم فانتفخت .
- ٨ الأبلسة : هي بقلة تخرج لها قرون كالباقل إذا شقت طولاً انشقت نصفين مستويين من أولها إلى آخرها . أبلسة : صوتاً .
- ٩ هذا البحر : يشير به إلى القوم .
- ١٠ الجلجباب : الكبير الفاني . كسفاً : قطعة .
- ١١ من سحاب : أي اعطوه شيئاً . باءت عرار يكحل : يقال أبأت القاتل بالقتيل إذا قتله به . وعرار وكحل بقرتان انتطحتا فماتتا جميعاً . دونكما الرجل : انصرفا إلى رحلكما .
- ١٢ الضعل : الماء القليل . شاعكم السلام : أي كان السلام صاحباً لكم .

المقامة التاسعة والخمسون

وتعرف بالمكية

حَدَّثَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ قَالَ: قَدِمْتُ مَكَّةَ، فِي لَيْلَةِ عَكَّةَ^١، فَزَلْتُ
بِبَيْكَةِ. وَلَمَّا أَصْبَحْنَا كَانَ يَوْمٌ طَلَّقَ، حَسَنُ الْخُلُقِ وَالْخُلُقِ. فَجَعَلْتُ^٢
أَتَفَقَّدُ الْمَنَاسِكَ وَالْمَشَاعِرَ، وَأَتَرَدَّدُ بَيْنَ الْعَشَائِرِ وَالْمَعَاشِرِ. فَبَيْنَمَا أَنَا أَسْتَشْرِفُ^٣
وَجْهَ الدَّوْرِ، كَأَنِّي زَرَقَاءُ جَوْ. وَرَأَيْتُ رَكَبًا يَمْشُونَ الْمَرْجَلَةَ، عَلَى مَطَابِئِ
هَمْرَجَلَةَ. فَنَاجَتْنِي الْقُرُونَةَ أَنَّهُمُ الْخَرَامِيُّ وَصَاحِبَاهُ، حَتَّى أَزْدَلَفُوا فَإِذَا هُمَا^٤
هُمَا وَإِذَا هُوَ إِيَّاهُ. فَوَجَدْتُ مَا يَجِدُ مَنْ بَشَّرَ بِالْمَاءِ، عَلَى قَوْرَةِ الظَّمَاءِ^٥.
وَابْتَدَرْتُ إِلَيْهِ كَالْعُدَافِ، فَالْتَقَانِي كَفَارِسَ خَصَافٍ. وَاعْتَنَقْنَا حَتَّى صِرْنَا فِي^٦
التَّزَامِنَا الدَّرَجِيَّ، كَأَنَّا الْمَرْكَبَ الْمَرْجِيَّ. ثُمَّ تَبَوَّأْنَا صَهَوَاتِ الْحَيْلِ^٧،
وَأَتَيْنَا الْمَدِينَةَ فِي نَاشِئَةِ اللَّيْلِ^٨. وَكَانَ يَوْمَئِذٍ قَدْ أُذِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، فَأَتَوْا

١ عكة : حارة .

٢ بكة : اسم لبطن مكة . طلق : لا حار ولا بارد . الخلق ، بضم الخاء : الطبيعة . الخلق ، بفتح الخاء : المنظر .

٣ المناسك : المواضع التي تذبذب فيها الذبائح . المشاعر : مواضع العبادات . استشرف : أنظر متطوعاً .

٤ الدو : الصحراء . زرقاء جو : هي زرقاء اليمامة ، وجو اسم بلادها . الهرجلة : مشية مختلطة .

٥ همرجلة : سريعة . القرونوة : النفس . صاحباها : أي ابنته وغلामه . ازدلفوا : أقتربوا .

٦ الظماء : حدة العطش .

٧ العُداف : النسر . خصاف : هو فرس كان إذا ركبها صاحبه يقدم على الأهوال ولا يخاف من اللحاق به إذا أهنم .

٨ الدرجي : نسبة إلى الدرج أي الف . كأننا المركب المزجي : أي حتى صرنا كلانا واحداً كما يجعل الاسمان المركبان اسماً واحداً كعبلبك وسيبويه . صهوات : جمع صهوة وهي مقعد الفارس من البرج .

٩ ناشئة الليل : أول ساعة منه .

رجالاً وعلى كل ضامرٍ من كل فجٍّ . فلبثنا يوماً أو بعض يوم، نطوف بمحافل^١ القوم . حتى مررنا بلفيفٍ^٢ مقرون ، كأمثال اللؤلؤ المكنون . فلما وقف الشيخ بهم قال : سلاماً ، ثم قام أمامهم إماماً . وقال : الحمد لله الذي أمرَ بحج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ووعدَ عباده المتقين جنات تجري من تحتها الأنهارُ وعيناً تُسرى سلسيلاً . أما بعد يا معاشر العرب الكرام ، وحيّت البيت الحرام . فإن الله لا يرضى بالوذائم^٣ والضحايا، ممن أصرَّ على الخطايا . ولا بزيارة الحرمين ، ممن فاة بالنسيمة والمين . ولا باستلام الحجر^٤ ، ممن طغى وفجّر . ولا بالطواف حول البيت ، ممن نشاوى الكمييت^٥ . ولا برمي الجمار ، من ذوي الشحناء والأغمار . إن الله ينظرُ إلى السرائر^٦ المكنمة^٧ ، لا إلى الشفاه والألسنة . وإن حجَّ القلوب خيرٌ من حجِّ الأقدام ، ولباسُ التقوى ذلك خيرٌ من لباس الإحرام^٨ . فاعبدوا الله مخلصين له الدين ، ولا تكونوا ممن يعبدوه على حرفٍ^٩ . فذلك هو الضلال المبين . واذكروا أن الزمان ربيعٌ قلب ، والدينا برقٌ خلب . والحياة سحابٌ جهام^{١٠} ، والحمام ليثٌ حمام . فلا تغفروا برهرة الآل ، ولا يذهلكم الحال^{١١} .

- ١ ضامر : مهزول . فج : طريق .
- ٢ لفييف : قوم مجتمعين من قبائل شتى .
- ٣ الوذائم : الهدايا التي تهدي إلى البيت الحرام .
- ٤ الحرمين : مكة والمدينة . المين : الكذب . الحجر : هو الحجر الأسود الذي في البيت الحرام . والاستلام : التقبيل والمصافحة باليد .
- ٥ نشاوى : سكارى . الكمييت : الخمر .
- ٦ الجمار : هي جمار مني التي ترميها الحجاج . الأغمار : الأحقاد .
- ٧ المكنمة : المستورة .
- ٨ الإحرام : نية الدخول في الحج .
- ٩ على حرف : على حالة واحدة أي في السراء دون الضراء .
- ١٠ برق خلب : فارغ لا مطر فيه . سحاب جهام : ليس فيه ماء .
- ١١ الحمام ليث حمام : الموت أسد ضار . رهرة : لمعان . الآل : ما تراه نصف النهار كأنه ماء . الحال : الوقت الحاضر .

عن المآل . وإذا جرّدتهم أنفُسَكم للاعتكاف ، وتجردتم للطواف . فقولوا: ١
لبيك يا مَنْ يدعو إلى دار السّلام ، ولك الحمدُ الذي لا ينفدُ ولو أن ما
في الأرض من شجرةٍ أقلام . اللهم يا مجيب السّؤال ، ورحيب السّؤال ،
ومنجّ الآمال ، ومُصلِح الأعمال . تقبلْ جِدنا وجهدنا ، واغفرْ سهونا
وعمدنا . ولا ترفض العججَ والثججَ ، بمن حجّ منّا أو دجّ . واطبعْ قلوبنا
على محبتك المخلصة ، وطاعتك المخلصة . واعصنا بأطهارك وقُدّواك ،
ولا تكلنا إلى إمداد سواك . اللهم يا جزيل الثواب ، وقابل كلّ أوّاب . ٣
لا تقصنا عن وجهك الميمون ، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون . وآتتنا كتبنا
بإيماننا ، وكفّر أعمالنا بإيماننا . ولا تحاسبنا حساباً عسيراً ، ولا تجعلنا
من يضحكون قليلاً ويبكون كثيراً . اللهم يا سابع الآلاء ، ونابع الإيلاء . ٦
هَبْ لنا قلوباً طاهرة ، وعيوناً ساهرة . وأنفساً عفيفة ، وألسناً حسيّة . ٧
وأخلاقاً سليمة ، ونيّاتٍ مستقيمة . ويسرْ لنا توبةً صادقة ، وندامةً حادقة .
وسيرةً هادية ، وعيشةً راضية . وعاقبةً حميدة ، وخاتمةً سعيدة . وأفيضْ
علينا نعمتك ، ورحمتك . ولطفك ، وعطفك . وهُدّاك ، ونُدّاك . واجعلْ
حجّنا مبروراً ، وذنبنا مغفوراً . وأحصنا مع أصحابِ البين ، في فردوسك
الأمين ، برحمتك يا أرحمَ الراحمين . قال : فلما فرغَ من دُعائه ، انثنى
إلى ورائه . فقال القوم دونَ مسرّبه^٨ ، لعذوبةِ مشرّبه . وقالوا له :

- ١ المآل : العاقبة . تجردتم : خلعتُم ثيابكم .
- ٢ العجج : رفع الصوت بالتلبية . الثجج : سيلان دماء الذبائح . دجج : حضر مع الحاجج تابعاً لهم كالخادم والمكاري ونحوهما .
- ٣ أوّاب : راجع إليك .
- ٤ تقصنا : تبعدنا .
- ٥ إيماننا : جمع يمين اليد . وكفّر أعمالنا بإيماننا : أي واجعلْ إيماننا كفارة لأعمالنا .
- ٦ سابع الآلاء : كامل النعم . نابع الإيلاء : ظاهر الإحسان .
- ٧ حسيّة : مستحكمة رصينة .
- ٨ مسرّبه : انصرافه .

بوركَ فيكَ، ما أحلى نَفَثَاتِ فيكَ! فهيهاتِ أن تبرَحَ من بيننا، قبل بيننا^١.
 قال: إني إلى ما تريدون أقربُ من جبل الوردِ^٢، وأجرى من خيل البريد.
 ثم انقادَ إلى مَرَبِضِهِ، وعادَ إلى مَعْرَضِهِ. فتأشَّبَ القومُ عليه كدَوْحٍ^٣
 البريصِ، وبدلوا في صُحْبَتِهِ جُهْدَ الحريصِ. وأقامَ يُطْرِفُهُم بِالْمَلْحِ
 المُسْتَعْدَبَةِ، والنوادِرِ المُسْتَفْرَبَةِ. ويجلو عليهم الحُطَبَ المنهَبَةَ، والزواجِرَ
 المنهَبَةَ. ويقدمُهم بالأدعيةِ، وهم يجاوبونه كالمستفقهة. حتى انقضت أيامُ^٤
 الشَّعَثِ، وقضوا شمائرَ التَّفَثِ^٥. فشرقوا وغربوا، وتفرقوا تحت كل
 كوكب^٦.

١ بيننا : افتراقنا .

٢ جبل الورد : العرق الذي في العنق .

٣ إلى معرضه : إلى طريقته في الوعظ . تأشَّب : التف . دوح : جمع دوحه وهي الشجرة العظيمة .

٤ البريص : موضع في نواحي دمشق .

٥ المنهبة : الرادعة . المستفقهة : المرأة التي تجاوب النائحة .

٦ أيام الشمث : ترك الأدهان والطيب وهو كناية عن الإحرام . الشمائر : أعمال الحج .
 التفث : آداب المناسك كقص الأظفار والشارب وحلق الرأس ونحو ذلك .

٧ تفرقوا تحت كل كوكب : في كل ناحية .

المقامة الستون

وتعرف بالقدسية

قال سهيلُ بنُ عبَّادٍ : لَقِيتُ أبا ليلي في المسجد الأقصى^١ ، بين جُهورٍ لا يُحصَى . والناس قد تألَّبوا عليه كالأجرَين ، وأحاطوا به كالأخشَبين^٢ . وهو يخاطبهم بالوعظ والإنذار ، ويحذِّرُهُم عذابَ النار ، وسوءَ عِقبي الدار . حتى صارت مدامعهم تَصُوبُ^٣ ، وكادت أكبادهم تَدُوب . فلما رآني تحفُّزاً ، وهو قد استوفز . فانقضَّتْ إليه كالأجدل ، وسقطتْ عليه كالجنْدَل^٤ . فحيَّاني تحيةَ الأحيَّة ، ثم استأنف الحُطبة ، فقال : الحمدُ لله الذي جعل حرَّمةَ أمنَّا للعباد ، ومقاماً للعباد . وهو الذي خلَقَ فسوئِي ، وقدرَ قَهْدِي ، وأضحكَ وأبكى ، وأماتَ وأحيا . والذي جعل الأرضِ سِهاداً ، والجبالَ أوتاداً ، وبني فوفكم سبعاً شِداداً . والذي مرَّجَ البحرَين^٥ يَلتقيان ، بينهما برزخٌ لا يبغيان ، وهو كلُّ يومٍ في شان . لا إله إلا هو^٦ الفرْدُ الصَّمَدُ ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كُفُوًا أحد . سبحانهُ وربحانه^٧ ، ما أعظم قدرتهُ وشانهُ ، وأوسعُ مِنَّتهُ وإحسانهُ . أمَّا بعدُ

١ المسجد الأقصى : بيت المقدس .

٢ الأجران : بنو عبس وبنو ذبيان . الأخشابان : جبلا مكة .

٣ تصوب : تنسكب .

٤ استوفز : جلس غير متمكن . الأجدل : الصقر .

٥ الجنْدَل : الصخر .

٦ مرج البحرين : خلاهما لا يلتبس أحدهما بالآخر .

٧ برزخ : حاجز . لا يبغيان : لا يتجاوزان حدَّهما . شان : شغل .

٨ تزيهاً له واستزاقاً منه .

فإني قد قمتُ فيكم مقامَ الفقيه الخاطب ، وهي صفقه^١ لم يشهدا حاطب .
 فإني طالما ارتكبتُ الأوزار ، وتبطنتُ الأقدار . واجترحتُ المغارم^٢ ،
 واستبعتُ المخارم . وانتهكتُ الأعراض ، فسودتُ منها كلَّ بياض^٣ .
 وما زال ذلك دأبي منذ شبيبتُ ، إلى أن دببتُ . فليس لي أن أعظَّ أحدًا ،
 ولا أفوهَ بخطبةٍ أبدًا . وعليّ أن أقصرَ دَرْمي ، على وعظِ نفسي . وها أنا
 قد اعتمدتُ الأوبة ، واعتصمتُ بالتوبة . فادعوا الله لي أن يأخذني بحبله ،
 لا بحكْمِهِ . وبِعَامِلِي بِفَضْلِهِ ، لا بَعَدْلِهِ . ثم أخذ في الأجيح^٤ والضجيج ،
 وجعل يراوح بين النجيب والنشيج . حتى أبكى مَنْ حَضَرَ ، من البدو^٥
 والحَضَر . فأخذ القومُ في تسكين ارتعاشه ، وتمكين انتعاشه . حتى خمدت
 لوعته ، وهمدت روعته . فجاهه كل واحدٍ بدينار ، وقال : ادع ربك
 لي واستغفره بالأسحار . قال : إني قد تجردتُ عن عَرَضِ الدنيا ، إلى الغاية
 القصيا ، فلا أقبلُ منه مِثقالَ ذرَّةٍ ما دمتُ أحيًا . ثم نهض بي مكبرًا ،
 وولّى مُدْبِرًا . فباتَ بليلِ أنقَد ، يُسَاهِرُ الفرقَد . وهو لا يفترُّ من^٦
 ذِكْرِ الله ، ولا يَمَلُّ من الصلاة حتى إذا أخذت الدراري في الأفول ، قام^٧

١ حاطب : هو حاطب بن أبي بلتعة . كان حازمًا ليبيًا إذا باع بعض قومه أو اشترى جعل ذلك على يده لسلا يغيب فيه . فباع بعض أهله بيعة ولم تكن على يده فغيب فيها فقيل المشل .

٢ الأوزار : الآثام . اجترحت : اكتسبت . المغارم : الجنايات .

٣ انتهكت الأعراض : انتهك عرضه إذا بالغ في شتمه وجرح صيته .

٤ إلى أن دببت : إلى أن صرت شيخًا يدب على المصا .

٥ الأوبة : الرجوع . اعتصمت : تمسكت .

٦ الأجيح : التوهج .

٧ يراوح : يأخذ في هذا مرة وفي ذلك أخرى . النجيب : البكاء مع صوت . النشيج : البكاء من غير صوت .

٨ عرض : متاع .

٩ مكبرًا : قائلًا الله أكبر .

١٠ أنقَد : علم للفتنذ يقال إنه لا ينام ليله أجمع . الفرقد : اسم النجم المشهور .

١١ الدراري : الكواكب . الأفول : الغروب . أي عند طلوع الفجر .

على مَرَقَةٍ^١ وأنشأ يقول :

قُم في الدُّجَى يا أَيُّهَا المُتَعَبِدُ
قُم وادعُ مولاكَ الَّذِي خَلَقَ الدُّجَى
وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ العَظِيمَ بِذَلِكَ
وَإندَمَ على ما فَاتَ وَإندُبَ ما مَضَى
وَاضرَعُ وَقُلْ يا رَبِّ عَفْوِكَ إِنِّني
أَسْفَأُ على عَمْرِي الَّذِي ضَيَّعْتَهُ
يا رَبِّ لِمَ أَحسَبُ مَرارةَ مَصَدِرِ
يا رَبِّ قَدْ ثَقُلْتُ على كِبارِ
يا رَبِّ إِنْ أَبَعَدْتُ عَنكَ فَإِنَّ لي
يا رَبِّ قَدْ عَبَثَ البِياضُ بِلِمْتِي
يا رَبِّ قَدْ ضاعَ الزمانُ ولبسَ لي
يا رَبِّ ما لي غيرَ لُطْفِكَ ملجأً
يا رَبِّ هَبْ لي توبةً أَقْضِي بها
أنتَ الحَبيرُ بِجالِ عِبدِكَ إِنَّه
أنتَ المَجيبُ لكلِّ داعٍ يَلْتَجِي
من أَيِّ بَحْرٍ غيرِ بَحْرِكَ نَسْتَقِي

حتى متى فوقَ الأَميرَةِ تَرَقُدُ
والصُّبحَ وَاَمْضِ فَقَدْ دَعَاكَ المَسْجِدُ
وَاطلُبِ رِضاهُ فَإِنَّه لا يَحْقِدُ
بالأَمْسِ وَاذْكُرْ ما يَجِيءُ بِهِ العَدُ
من دونِ عَفْوِكَ لَيْسَ لي ما يَعْضُدُ
تَحْتَ الذُّنوبِ وَأنتَ فَوْقِي تَرصُدُ
عَنْ زَلَّةٍ قَدْ طابَ مِنْها المَوْرِدُ
بِإِزاءِ عَيْني لِمَ تَوَلَّ تَمَرِدُ
طِمْعاً بِرِحْمَتِكَ الَّتِي لا تُبْعِدُ
لَكِنْ وَجِهي بِالْمَعْاصِي أَسْوَدُ
فِي طاعةٍ أَوْ تَرَكَ مَعْصِيَةَ بَدُ
وَلعلَّتِي عَنْ بابِهِ لا أُطْرَدُ
دِيناً على بِهِ جِلالِكَ بِشَهِدُ
بِسِلاسلِ الوِزْرِ الثَقِيلِ مَقْبِدُ
أنتَ المَُجِيرُ لكلِّ مَنْ يَسْتَجِدُ
وَأَيُّ بابٍ غيرِ بابِكَ نَقْصِدُ

١ مَرَقَةٌ : مكان مرتفع .

٢ مصدر : عاقبة .

٣ عبث : لعب . لمتي : شعر رأسي .

٤ أي وليس لي عمل في فعل ما أمرت به أو ترك ما نهيت عنه .

٥ الوزر : الإثم .

قال سهيل^١ : فلما فرغ من أبياته غاص في التهليل والتعديد ، والترتيل والتجويد . حتى تهافت من وجدته ، وكاد يغيب عن رشده . فعجبت^٢ من استحالة حاله ، وأيقنت بجووله عن محاله . ولبيئت عنده شهراً ، أجتني من روضه زهراً ، وأجتلي من أفقه زهراً . إلى أن حُمّ الفراق^٣ ، وقال ناعبه^٤ : غاق ! فاعتقني مؤدعاً ، ثم سايرني مشيعاً . وقال : مؤعدنا^٥ دار البقاء ، فكان ذلك آخر عهدنا باللقاء .

١ التجويد : إحكام القراءة في القرآن على آداب مخصوصة . تهافت : سقط .

٢ زهراً ، بضم الزاي : نجوماً ساطعة . حم : قدر .

٣ ناعبه : غرابه . غاق : حكاية صوت الغراب .

٤ دار البقاء : دار الآخرة .

خاتمة

قال مؤلفه الفقير :

هذا آخر ما علّقتهُ من هذه الأحاديث الملقّنة . كما فتحت عليّ القريحةُ
المغلّقة . وأنا أتمسّسُ ممّن سلّمت بصيرتهُ . وطابت سريرتهُ . أن
يغضّ الطرفَ عما يرى من الإخلال والإجحاف ، وأن ينظرَ إليّ بعين
الحلم والإنصاف . فإنّي قد تلقّيتُ هذه الصّناعة من باب التّطقل والمُجوم .
إذ لم أقبُ على أستاذ قطّ في علمٍ من العلوم . وإنما تلقّيتُ ما تلقّفته
بجهد المطالعة ، وأدرّكتُ ما أدرّكتهُ بتكرار المراجعة . فإن أصبتُ فرمّيةً
من غير رام . وإن أخطأتُ في معذرةٍ عند الكرام . والله المسؤول أن
يُحسّنَ خواتمنا اللاّحقة . كما أحسّنَ فواتمنا السابقة . إنّه وليّ الإجابة ،
وإليه الإنابة . والحمد لله أولاً وآخراً .

وكان الفراغ من تبييضه في شهر نيسان سنة ألف وثمان مائة وخمس

وخمسين .



مجمع البحرين

- المقامة البدوية : تتضمن تعرف سهيل بالخزاعي وابنته وغلاليه
١١ وحيلة الخزاعي مع التصوص
- المقامة الحجازية : تتضمن دعوى الخزاعي انه خطب لابنه
١٥ واحتياله بتحصيل المهر
- المقامة العقيقية : تتضمن قيام الخزاعي خطيباً على جنازة
٢٠ تتضمن دعوى الخزاعي معرفة الطب ومحاورته
- المقامة الشامية : تتضمن دعوى الخزاعي معرفة الطب ومحاورته
٢٥ مع أحد حذاق الأطباء
- المقامة الصعيدية : تتضمن ادعاء ابنة الخزاعي انه بعلمها وانه
٣٠ غرها بالغنى واختصامهما على ذلك
- المقامة الخزرجية : وفيها أسماء المطاعم والتيران والساعات
٣٥ والرياح برد العجوز وخيل السباق
- المقامة اليمنية : تتضمن احتكام الخزاعي ورجل على ناقة
٤٢ استأجرها منه ثم محل به وحاول أخذ الناقة
- المقامة البغدادية : وفيها مناداة ليلي في بيع الابن وإيراد مسائل نحوية
٤٦ تتضمن تعلق بعض الرجال بليلى وتظاهر أبيها
- المقامة الحلبية : تتضمن تعلق بعض الرجال بليلى وتظاهر أبيها
٥١ بأنه رجل فارسي واحتياهما على الرجل بسلب ماله
- المقامة الكوفية : وفيها محاوره في مسائل نحوية
٥٦ وفيها الأبيات التي إذا طُرحت أنصافها صارت
هجاءً وذكر أبحر الشعر وأجزائها وأنواع
٦٠ القوافي وما يتعلق بها

- المقامة الأزهرية : وفيها الإلغاز بلفظي العين والنون ولغزٌ في اسم
 الصوت وإيراد مسائل في العروض والصرف . ٦٧
- المقامة التغلبية : وفيها أبيات الهجاء التي تتحوّل بالتصحيف
 مدحاً وتعديد مشاهير العرب وخبولها وذكر
 أبياتها وآيتها وأزلام الميسر . ٧٢
- المقامة الهزلية : تتضمن احتيال الخزامي وابنته على سهيل
 بدعوى أنها زوجته وتخليه عنها لسهيل بالطلاق
 بعد أن أخذ منه مهراً مضاعفاً . ٨٠
- المقامة الرملية : وفيها منظومات بديعة من جناسات الخط . ٨٧
- المقامة الصورية : تتضمن تظلم ليلي إلى القاضي بأن أباه قد
 أقعدها عن الزواج واحتياهما عليه بتزويجها منه
 ثم فرارها في الطريق . ٩٨
- المقامة الحكيمية : تتضمن وصية الخزامي لغلامه والقصيدة
 الحكيمية . ١٠٤
- المقامة الرجبية : تتضمن خطبة الخزامي في زوال النعيم وفيها بيتا
 المديح اللذان إذا عكست قراءتهما انعكسا هجاءً . ١١١
- المقامة الخطيبية : وفيها خطبة في مآثر العرب وأرجوزة في أيام
 حروبهم . ١١٥
- المقامة البصرية : وفيها الأبيات التي لا تستحيل بالانعكاس
 والبيتان اللذان طردهما مديح وعكسهما هجاء . ١٢٠
- المقامة الدمشقية : وفيها خلاصة الخلاصة وهي أرجوزة مختصرة
 في علم النحو . ١٢٧
- المقامة السروجية : وفيها الوصية التي ظاهرها يخالف باطنها . ١٣٥
- المقامة الموصلية : تتضمن افتتان رجل بليلي ونقده أباه المهر ثم
 انتقاض أبيها عليه ودعواه عند الاحتكام أنها امرأته . ١٤٢

- المقامة المعربة : تتضمن خطبة الخزامي على ضريح أبي العلاء . ١٤٧
- المقامة التميمية : تتضمن إضلال الخزامي ناقته ثم احتياله على الذي وجدها عنده بأن استأجرها منه ورهنته سهيلاً . ١٥٢
- المقامة اللغزية : تتضمن ألغازاً في مسميات شتى . ١٥٩
- المقامة الساحلية : تتضمن دعوى الخزامي على رجب أنه بدل قوافي أبيات له فتحوّل مديحها إلى الهجاء . ١٦٥
- المقامة الفلكية : وفيها ذكر الكواكب السيارة والبروج والمنازل وغير ذلك من متعلقات الفلك . ١٦٩
- المقامة المصرية : تتضمن بيع الخزامي لرجب في صفة عبد وفرار رجب من مشربه . ١٧٥
- المقامة الطبية : وفيها خطبة في الطب ووصية في حفظ الصحة وإيراد مسائل طبية . ١٨٠
- المقامة العبسية : وفيها ذكر مآثر بني عبس . ١٨٦
- المقامة العاصمية : وفيها وصية الخزامي للدهقان . ١٩٢
- المقامة الرشيدية : تتضمن دعوى الخزامي أن ليلى زوجته واختصامهما . ١٩٥
- المقامة الأدبية : وفيها ألغاز الخزامي في القلم ووصيته لغلامه . ٢٠٠
- المقامة الانطاكية : تتضمن محاسبة ليلى للخزامي بدعوى أنه زوجها وتزويجه إياها من القاضي بعد طلاقها ثم فرارها منه . ٢٠٥
- المقامة الطائمية : وفيها ذكر مآثر الطائمين ومسائل في فقه اللغة . ٢٠٩
- المقامة العدنية : وفيها ذكر مآثر أهل اليمن ودعوى الخزامي أنه اشترى رجلاً وقضى نصف ثمنه وتسببه في النصف الباقي . ٢١٦

- ٢٢١ : وفيها مباحث لغوية ومسائل شتى في فقه اللغة .
المقامة الانبارية : تتضمن دعوى ليل على رجل أنه قتل أباه
٢٢٦ ومجئها بالخزاعي ورجب شاهدين عليه .
٢٣١ : وفيها مساجلة في التفضيل بين العلم والمال .
٢٣٥ : وفيها خطبة في صلح وسرد قيود الأصوات .
المقامة المضربة : تتضمن دعوى الخزاعي أن له سبية يطلب
٢٤٠ فكأكها وهو يعني الحمر .
المقامة البحرية : وفيها خطبة في مزية لغة العرب وإلقاء مسائل
٢٤٥ في النحو .
٢٤٩ : وفيها معميات وأحاجي .
٢٥٣ : وفيها الألفاظ التي تتنازعها الضاد والطاء .
٢٥٨ : وفيها اختصاص الخزاعي ورجب .
المقامة الرصافية : وفيها ذكر ما يطلق على الخيل والإبل باعتبار
٢٦٣ الأسنان والألوان .
المقامة اللاذقية : تتضمن خطبة الخزاعي على تلامذة بعض
٢٦٧ الشيوخ والقصيدة التي اعجازها تهاجيء .
المقامة اللبنانية : وفيها ذكر فروق لغوية وقيود القطع والكسر
٢٧١ والحصص .
٢٧٦ : وفيها الخطبة التي ظاهرها منكر وباطنها معروف
المقامة اليمامية : تتضمن محاسبة الخزاعي لرجب ودعواه أنه
أعجمي لا يحسن اللفظ العربي والآيات التي إذا
٢٨٠ جرت على لفظ العجم أدت إلى معانٍ فظة .
٢٨٥ : وفيها قيود المساكن والسعة والامتلاء والخلاء .
المقامة الغزية : تتضمن دعوى الخزاعي على رجل أنه قتل
٢٩٠ نديماً له يريد به كتاباً وجمعه الدية من القوم .

- المقامة السوادية : وفيها مسائل في دقائق النحو والصرف ٢٩٤
- المقامة الدمياطية : تتضمن اختصام رجب ولبلى على أُنثها امرأته
وتطبيقه لها احتيالا في تحصيل المهر ٢٩٨
- المقامة الإسكندرية : وفيها مسائل في الفقه والبيان والمنطق ومطارحة
أشياء من أحاجي العرب ٣٠٣
- المقامة النجدية : وفيها إيراد أشياء من غريب اللغة وقديمها ٣٠٧
- المقامة العكاظية : وفيها قيود لغوية لمسميات شتى ٣١٢
- المقامة المكية : تتضمن حجّ الخزامي وخطبته على الحجّاج ٣١٧
- المقامة القدسية : تتضمن خطبة الخزامي في المسجد الأقصى وتوبته ٣٢١



ديوان العرب

ظهر في هذه المجموعة :

ديوان جميل بشينة	٢٣	ديوان المتنبي	١
» الشريف الرضي (جزآن)	٢٤	شرح ديوان المتنبي لليازجي (جزآن)	٢
» طرفة بن العبد	٢٥	» المعلقات السبع للزوزني	٣
» عمر بن أبي ربيعة	٢٦	سقط الزند لأبي العلاء المعري	٤
» حسان بن ثابت الأنصاري	٢٧	اللزوميات » » (جزآن)	٥
» ابن المعتز	٢٨	جمهرة أشعار العرب	٦
» ابن خفاجة	٢٩	ديوانا عروة بن الورد والسموأل	٧
» ترجمان الأشواق	٣٠	ديوان عبيد بن الأبرص	٨
» البحري (جزآن)	٣١	» امرئ القيس	٩
» صفي الدين الحلي	٣٢	» عنرة	١٠
» أبي نواس	٣٣	» عبيد الله بن قيس الرقيات	١١
» حاتم الطائي	٣٤	» أبي فراس	١٢
» ابن الفارض	٣٥	» عامر بن الطفيل	١٣
» أبي العتاهية	٣٦	» الخنساء	١٤
» بهاء الدين زهير	٣٧	» زهير بن أبي سلمى	١٥
» ابن هاني الأندلسي	٣٨	» النابغة الذبياني	١٦
» العباس بن الأحنف	٣٩	» ابن زيدون	١٧
» ليبيد بن ربيعة العامري	٤٠	» ابن حمديس	١٨
» الحطينة	٤١	» الفرزدق (جزآن)	١٩
نقائض جرير والفرزدق	٤٢	» جرير	٢٠
		» الأعشى	٢١
		» أوس بن حجر	٢٢